خميس السعيد محمد

التوحيد وأثره على العبيد

تقديم

فضيلة الشيخ الدكتور
سعيد بن ناصر الغامدي
جامعة الملك خالد / قسم العقيدة

فضيلة الشيخ الدكتور
سعيد بن مسفر
جامعة أم القرى / قسم العقيدة

بيت الأفكار الدولية

242
محمد، خميس السعيد
التوحيد واثره على العبيد/خميس السعيد محمد؛. -عمان:بيت الأفكار الدولية، ٢٠٠٥.
(٦٩٧) صفحة
ر.إ: (٢٣٤/ ٢/ ٢٠٠٥).
الواصفات: /الله/ /الإيمان/ /الاسلام/ /الشريعة الإسلامية/

ISBN 995721208-7

بيت الأفكار الدولية

الأردن

P.O.Box 927435 Amman 11190 Jordan
Tel +962 6 566 0201 Fax +962 6 566 0209

السعودية

P.O.Box 220705 Riyadh 11311 K.S.A
Tel +966 1 404 2555 Fax +966 1 403 [illegible]

www

www.afkar.ws
e-mail: ideashome@afkar.ws

المؤمن للتوزيع

السعودية

P.O.Box 69766 Riyadh 11557 K.S.A

الرياض	+966 1 243 5423 Fax +966 1 243 5421
مكة المكرمة	02 5742532
جدة	02 6873547
المدينة المنورة	04 8344355
الدمام	03 8264282
القصيم	06 3260350
أبها	07 2296615

الإمارات

P.O.Box 32920 Sharja - U.A.E
Tel +971 6 743 6936 Fax +971 6 743 6937

التوحيد
وأثره على العبيد

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمي الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى جميع من اقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد:

فلقد ترددت كثيرًا حينما طلب مني فضيلة الشيخ: خميس السعيد محمد كتابة تقديم لكتابه المبارك الذي أسماه: (التوحيد وأثره على العبيد)، وذلك ليقيني بأن المكتبة الإسلامية قد أتخمت بكثرة المؤلفات في معظم فنون العلم الشرعي الشريف، والتي لم يأت أصحابها بجديد وإنما هي تكرار أو اجترار للمؤلفات العظيمة التي قام بتدوينها علماء الأمة من أهل السنة والجماعة في مختلف العصور.

وحينما أخبرني المؤلف بالفكرة التي يدور عليها الكتاب والغاية التي يسعى إلى تأصيلها وهي: (أثر وفعالية مسائل العقيدة في حياة المسلم وعلاقتها المباشرة بعقيدته وعبادته وأخلاقه وسلوكياته) والتي لم تحظ بالاهتمام في كثير من المؤلفات القديمة والمعاصرة إلا بطريقة مقتضبة في ثنايا مسائل العقيدة التي حوتها هذه الكتب الكبار والتي لا يتسنى لكل أحد الوقوف عليها، والتشبع بها لوجازتها وتفرقها في بطون الكتب.

هنالك أدركت أهمية هذا الهدف وتلك الغاية، وبدأت في استعراض مجمل مواضيع هذا الكتاب مؤكدًا على الآثار والنتائج التي هي محور الكتاب.

فألفيته قد اهتم اهتمامًا كبيرًا بالآثار السلوكية، والنواحي التطبيقية لأمور العقيدة على الفرد والمجتمع، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصرتعرضه لقضية الربوبية والتي من آمن بمقتضياتها نجى بإذن الله من عذاب الحيرة والشك الذي يؤدي بصاحبه إلى الهلاك لا محالة، فمتى ما آمن أن له ربًا هو رب كل شيء ومليكه، هو الذي خلقه فسوّاه وكرّمه وفضله، وجعله في الأرض خليفة، وسخر له ما في السموات وما في الأرض جميعًا منه، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة. متى آمن بذلك آوى إلى ركن شديد واستمسك بالعروة الوثقى، ورزقه الله الأمن والسكينة، وراحة الضمير، وسرور النفس، وغير ذلك من تلك الآثار الطيبة التي يوفق لها من آمن بربوبية الله، لأن الربوبية تعني إفراد الله بالخلق والملك والتدبير وكذا إفراده بالألوهية ومقتضياتها، فحقيق بمن آمن بذلك أن يسعد في دنياه وأخراه، وهذا ما نراه واضحًا في ثمرات الإيمان بتوحيد الربوبية في هذا الكتاب.

فالجاحدون (بربوبية الله) يحيون حياة لا طعم لها ولا معنى، حياة كلها قلق وحيرة، كلها علامات استفهام، كلها أسئلة لا تجد لها عندهم جواباً، إنهم لا يوقنون بشيء يطمئنون إليه، ويستريحون له في قضية وجودهم أنفسهم، ووجود الكون كله من حولهم، من أين جاءوا؟ ومن جاء بهم؟ ولماذا جاء بهم؟ وإلى أين سيذهبون بعد هذه المرحلة القصيرة التي لم يفهموا لها سرًا.

إن هذا الشك والاضطراب، والقلق الذي يتقلب على جمره الحائرون والمرتابون في وجود الله وحكمته وربوبيته ليس شيئًا هيّنًا، إنه عذاب أليم، وكوة من الجحيم فتحت على أهله، تلفحهم بنارها وتشوي قلوبهم بحميمها،

وكلما خفَّ لهيبها هبت عليهم عواصف الشك من جديد فاشتعلت النار ليذوقوا العذاب.

أما المسلم التقي قد استراح من هذا كله، لأن إيمانه يحل له جميع الألغاز الكبرى حين عرف مبدأه ومصيره وغايته وهدفه في هذا الوجود.

وانظر في هذا الكتاب أثر توحيد الألوهية على العباد حيث ذكر المؤلف مائة صفحة يعدد فيها الآثار السلوكية لتوحيد الألوهية من آثار قلبية كالتوبة وشدة فرح الله بتوبة عبده، وتذوق طعم الإيمان وحلاوته، والتوكل والرجاء والخوف من الله تعالى، والإخلاص، والتسلية للعبد المؤمن عند ورود المصائب، وأن هذا التوحيد هو ملجأ المؤمنين في كل ما يلم بهم وغير ذلك كثير من آثار توحيد الألوهية على الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة وكذا توحيد الأسماء والصفات. والإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر، فلقد ذكر المؤلف عشرات الفوائد والآثار الإيمانية تحت هذه الأصول المذكورة مما ييسر فهم التوحيد إذا ما عاشه المسلم واقعًا عمليًا قبل أن يكون علمًا نظريًا.

وقد سررت كثيرًا للتوفيق الكبير الذي صاحب المؤلف في ذكر تلك الاثار العظيمة، والتي أجزم بأنها تمثل الغاية والهدف الذي أراده الله من العباد والذي حصل وتحقق في عالم الواقع في أجمل صوره وأعلى مقاماته في حياة سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم من أئمة الدين، والذين تلقوا قضايا العقيدة بالفهم المجرد، والتطبيق العميق، والربط الدقيق بين نصوص العقيدة وروح التأثر والتأثير في عالم الواقع، فحقق الله بهم النصر والتمكين لدينه العظيم.

وهو ما نأمل أن يمن الله به على هذه الأمة في زماننا هذا خصوصًا إذا علمنا أن ما تشهده الأمة من صحوة إيمانية، وعودة دينية تعتمد على الكتاب

والسنة وعلى فهم السلف الصالح لهما بعيدًا عن التحزب والتعصب للمذاهب أو الفرق مما يبشر بخير كثير ونصر قريب إن شاء الله تعالى.

وإنني لأرجو أن يكون لهذا الكتاب دوره البارز وأثره الفاعل في نفخ روح العقيدة الصافية في جسد هذه الأمة باعتبارها محور حياتها، وعليها تتوقف سعادتها في الدنيا والآخرة.

ولذا أنصح كل مسلم باقتناء هذا الكتاب، والاطلاع عليه، وأوصي الأئمة والخطباء والدعاة بالتركيز على موضوعاته في دروسهم، ومواعظهم، وخطبهم، لتعم الفائدة، وينتشر الخير، وأرجو الله تعالى أن يجزل لمؤلفه الثواب، وإن يعظم له الأجر.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

د/سعيد بن مسفر مفرح القحطاني

دكتوراة من جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين/ قسم العقيدة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على نبينا رسول الله محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فإن الإيمان روح دفاقة، له -حين يصح ويصدق- آثار عظيمة في العقول والقلوب والأعمال، في الفرد والمجتمع والأمة والناس أجمعين.

وهذا (الإيمان) الذي جاء به محمد ﷺ وربّى عليه أصحابه -رضي الله عنهم- هو (التوحيد) الخالص النقي، وهو (الاعتقاد) الذي تنطوي عليه ضمائر القلوب تصديقًا، وتدركه الأفهام والأذهان يقيناً، وتمارسه الجوارح محبة ورغبة ورهبة.

لقد كانت (العقيدة) عند السلف الأوائل حياة تزدهر به الحياة، وتذوقًا قلبيًا راقياً، تحيا به الضمائر، وتخالقًا عمليًا رائقاً، يزدان به السلوك، ثم تحول مع مرور الزمان، وتغير الأحوال، إلى منطق، وكلام وحدود وردود، ففقد أصحابه الصفاء الجذاب المؤثر، والعمل الفعال المغير، وأصبحت الكتب الكلامية لا تحمل روحًا ولا تجذب نفوسًا.

ولذلك كان من الواجب أن تفيء كتب الإيمان والاعتقاد إلى المقصد الأول والأسمى، وألا تبقى في مركز الحراسة -فحسب- بل عليها مع حراسة الدين وحفظ حدوده وحقوقه وأحكامه ومعاييره أن تتقدم لتفيض على النفوس بفيض الإحسان واليقين والحب والصدق، وتبني في واقع الحياة

مقتضيات التوحيد، وتنبت في أعماق الذوات ركائز الزكاء والربانية، وإلا فما قيمة شرارة تلتهب سريعًا وتذوي سريعًا؟

إن الكتب التي لم تكتب بدم القلب كتب ميتة أو محتضرة، لقد أخفقت كتب الفلسفة وكتب المنطق والكلام في حل مشكلات الحياة؛ لأنها أصداف لامعة خالية من اللؤلؤ، أو لأنها بمعزل عن الحياة؛ والأحياء لا تساعد الإنسان على السير، ولا تمنح دستورًا للحياة.

إن المجادلات الكلامية الطويلة، والانشغال -فقط- بالرد على المخالفين، والتكثير من الكلام في بيان الحدود ومحترزاتها، ونحو ذلك من الأساليب التي أترعت بها بعض كتب الاعتقاد؛ لا تزيد صاحبها -في الأغلب- إلا بعدًا عن صميم الحياة، أو قسوة وغلظة واستيحاشًا ونفرة، لقد انطفأت فيها شعلة القلب، وعشيت عن إدراك الحقائق والأنس بها.

قد تجد من يتقن فنونًا من القول، ويدرك مستنبطات من الأذهان، ويخوض في الأبحاث، وتدقيقاتها، وموافقاتها وفروقها، وهو بهذا قد يقوم مقام الفارس الجالد، ونعمّا هذه الوظيفة، ولكنها وحدها لا تكفي، فالخلق في حاجة إلى من يعلمهم ويربيهم ويغرس معاني الإيمان في قلوبهم، ويدلهم على الطرق الشرعية لتأله القلب وإخباته وحبه وخوفه ورجائه، وتنقية النفس من كدوراتها وعللها، وتزكية الأعمال والأخلاق، والارتقاء بها عن أوحال الظلم والجهل.

إن الذين اختنقوا بدخان التعليم الغربي والمعلومات الإعلامية الملوثة في حاجة إلى من يسعفهم، ويحولهم من شتات القِبْلات المختلفة إلى وحدة القبلة

الواحدة، وما أخال أن علم الكلام والمنطق والأبحاث العلمية المجردة تستطيع وحدها القيام بهذا الدور الكبير.

إن مسلمي القرن الأول كانوا أنوارًا وهاجة، أنارت العالم القديم، ونسخت الليل البهيم، وما زال في إمكان المسلمين المعاصرين أن يكونوا كذلك، إذا عرفوا كيف يُغرس الإيمان، وكيف يترعرع وينمو ويشتد، وإذا علموا أنه ليس هلاك الإنسان في مفارقة روحه جسده، بل في انعدام إيمانه، وزوال إيقانه بالله ودينه أمرًا وخبرًا.

العالم والداعية وطالب العلم والمربي والمصلح في حاجة إلى العلم الشرعي وضوابطه وموازينه ومناهجه النافعة، وفي حاجة أشد إلى التزكية والإحسان والربانية التي تورث الصبر، والشكر، والتوكل، والزهد، وإيثار المسلمين على النفس، والكرم، والتضرع في الدعاء، وعدم خوف الفقر، وغزارة الدمع من خشية الله، وانتظار الصلاة بعد الصلاة والجمعية على الله، والحنين إلى العبادة والذكر، وقطع الرجاء عما سوى الله، وإجماع الإياس ممّا في أيدي الناس، وعدم مخافتهم، والإحسان إليهم، وصلة من قطع، والعفو عمن ظلم، والتماس العذر للمخطئين، والتجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والإكثار من ذكر الموت، والاستعداد له، والاهتمام بحسن الخاتمة، وغير ذلك من الأمور النفسية والسلوكية التي هي من صميم مقاصد الشريعة، ومطالب العقيدة، ومقتضيات الإيمان، وهي التي تضافرت الأدلة الشرعية على إثباتها وتقريرها وبيانها، ومثلتها سيرة المصطفى ﷺ وتلامذته ووارثه من بعده أصدق وأفضل تمثيل.

نعم! إذا تأملنا سيرهم وجدناهم مع حملهم للعلوم الشرعية وعنايتهم بها كانوا أصحاب نفوس زكية، وقلوب نقية، وأخلاق فاضلة.

وكل ذي بصيرة يرى أن المنهل الذي نهلوا منه موجود، والطريق الذي ساروا عليه مفتوح، وبحار خيرات الكتاب والسنة تفيض بالعطاء لمن أمها بصدق وإخلاص وعزم وجد، فيقتدي بالنبي ﷺ في خشوعه وطول صلاته وإنابته وإخباته، كما يقتدي به في هيئات الصلاة وأحكامها، ويتبعه في شمائله وسجاياه، كما يتبعه في أعماله وتصرفاته.

ويحتسب على نفسه قبل أن يحتسب على غيره، ويؤمن بمعاني الأسماء الحسنى والصفات العلا للرب العظيم ويعبده على مقتضياتها، كما يؤمن بتعريفاتها وأحكامها.

هذا ما أرى أن الأمة في حاجة إليه، مع احتياجها للعلم ومفاهيمه، وهي لاعجة قلب ما زالت تتردد فيه، حتى قدح زنادها كتاب أخينا الأستاذ الفاضل خميس بن السعيد بن محمد، المسمى (التوحيد وأثره على العبيد)، والذي سعى فيه إلى إثبات المعاني الإيمانية ذات الأثر العملي القلبي والسلوكي، في الفرد والمجتمع.

وقد اطلعت على ما يربو على مائة صفحة في أصله المخطوط، فوجدت فيه العناية بتلك المطالب التي ذكرتها آنفًا، في جمع لطيف بين التعريفات والضوابط، لقضايا العقيدة، والآثار المسلكية لها وهي بداية قيمة ومعالجة خيرة، اعتنى فيها بالآثار العملية للتوحيد والإيمان، وإنني لأرجو -بحكم التفاته إلى أهمية ذلك- أن يكمل هذا المشروع بمؤلفات أخرى تعتنى -على وجه

الخصوص- بالآثار القلبية والسلوكية التي تجعل من يسير عليها ممتثلا لأمر الله، ومتبعًا لوصية أنبياء الله تعالى: ﴿كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران:٧٩].

جزى الله المؤلف خير الجزاء، وجعل هذا الكتاب في موازين حسناته، ونفع به، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

سعيد بن ناصر الغامدي

أبها، جامعة الملك خالد

كلية الشريعة وأصول الدين – قسم العقيدة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا * يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[2].

أما بعد:

فإن أحسن الكلام كلام الله سبحانه وتعالى، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار[3].

إن الناظر لأحوال أمتنا الجريحة، يرى أننا نعيش في غربة شديدة استحكمت حلقاتها على المسلمين. والسبب في ذلك هو بُعد المسلمين عن

---

١) النساء: ١.
٢) الأحزاب: ٧٠-٧١.
٣) مسلم: كتاب الجمعة، باب: رفع الصوت في الخطبة وما يقول فيها، رقم (٢٠٠٥) (نووي٦/٣٩٥).

دينهم إلا من رحم الله، حتى صار غالب المسلمين بينهم وبين توحيد ربهم كما بين السماء والأرض.

انظر في مشارق الأرض ومغاربها لحال المسلمين، تجد أن الجهل بشتى صوره قد أصبح سمة بارزة لنا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وتجد أشد أنواع الجهل، وهو الجهل بالدين، والجهل بتوحيد رب العالمين، قد استفحل في أغلب الشعوب المسلمة، فصور الشرك الظاهرة والباطنة صارت على مرأى ومسمع من كل غيور على هذا الدين فضلاً عن باقي المسلمين، بل فضلاً عن الأعداء المتربصين الحاقدين، حتى أمسى المسلم الغيور على دينه، في حيرة من أمره يتساءل أين العلاج؟ وما هو الخلاص من هذا الواقع المرّ؟ ومتى ستشرق شمس الإسلام من جديد؟!

والجواب على هذا السؤال معلوم لدى كل مسلم!! وهو العودة إلى هذا الدين، العودة إلى منابعه الصافية الرائقة، التي لا يشوبها كدر الجهل وظلم الشرك بشتى صوره، والتوحيد هو الدين، الذي أرسل الله به المرسلين.

ويوم أن يحقق المسلمون توحيد ربهم كما يجب، ستعود لهم العزة والغلبة والتمكين في الأرض، ولن يكون هذا إلا إذا أخذ المسلم عقيدته الغضة الطرية من كتاب الله تعالى، وسُنَّة رسوله ﷺ الصحيحة.

فعلى العبد المسلم أن يقتدي برسول الله ﷺ وبسنته، ويتأسى كذلك بالسلف الصالح رضوان الله عليهم، يقفو أثرهم، ويحذوا حذوهم، حتى لا يضل من بعدهم، ويكون على الجادة معهم، وكذلك ليعلمهم أنهم خلفوا

وراءهم رجالا يحملون الراية من بعدهم كما كانوا يحملونها، ويبذلون في سبيلها كل غال ومال كما كانوا يبذلون.

فعلى العبد المسلم أن يسعى لتحقيق التوحيد علمًا وعملاً، لأن التوحيد هو الذي يجعل المسلم يستمد قيمته من دينه وعقيدته الراسخة، فعز الدين عزه، والذل كل الذل في التخلي عنه للأعداء منا أو من غيرنا.

إن توحيد رب العالمين هو الذي يجعل العبد المؤمن يتشرف بالانتساب لهذا الدين، ويشمخ به كشموخ الجبال، ويستعلي بتوحيده على جميع النزوات، وعلى كل من يريد إطفاء نور الله، وعلى كل من يريد بهذا الدين أو دعاته سوءا، فالتوحيد الخالص، يجعل المسلم واضعًا هدفه نصب عينه، لا يلتفت عنه يمنةً أو يسرة، فهو في شغل به عن كل مغريات النفس، من بهرج هذه الدنيا الخداعة، وزخرفها الزائف الزائل، حتى إنك لتنظر إلى المسلم الذي حقق هذا التوحيد قولاً وعملاً، فترى رجلاً ينضر الوجه برؤيته، ويرتاح القلب لكلامه، ويذكر الله إذا ما رؤي سمته، فهو رجل من رجال الحبيب محمد ﷺ، ملأ الكون بتوحيده، والدعوة إليه، وبشجاعته، وبإقدامه، وبصدقه، وبعفته، وبإحسانه، وبتواضعه، وبعلمه، وبخموله عن حظ نفسه، وبصولته من أجل تحقيق توحيد ربه، دعا إلى نبذ الشرك والخرافات، وتوحيد رب الأرض والسموات، بلسان الواثق بنصر الله، يوم خرست الألسنة، وتمرغت بعلمها في دياجير الظلام.

بشجاعته يُحاكي فُرسان الدعاة، بل الأعداء أنفسهم، لا يخاف في الله لومة لائم، قد علا مُحيّاه وقف لله، إذا ما قرأها العادي خارت قواه، وإذا ما رآها

السادر في غيه حيّاه، وإذا ما لحظها المارق أُلجم فاه، وإذا ما عودي فالله قد حماه.

لا يُساوم على مبدئه الخالص لله مهما كان، ولسانه في الحق سيف، ومع عدوّه لا يعرف الحيف، ومع إخوانه أرق من الطيف، يدعو إلى توحيد الله على الدوام، وهو في المقدمة دائمًا، لا تلكؤ ولا إحجام، ولا اتباع للرخص ورضى بالبطالة، كأهل الكسل والراحة، قد صُبغ بتوحيد الملة، ومن كان كذلك، ترى صدقه يعرف في سكوته، فضلاً عن كلامه، وجهه ليس بوجه كذاب، لأنه من أتباع من هذا سمته، فالمداراة في الدين عند الحق لا يعرفها فضلاً عن المداهنة.

عفيف حييٌ، نظيف معروف بنزاهته، وعلو قدره، يتمنى الآباء أن يروا أبناءهم مثله، شريف المظهر والمخبر، بعيد كل البعد عن مواطن الشُبه فضلاً عن غيرها.

يحسن إلى الفقير ويرحمه، ويحنو على الصغير ويضاحكه، ويعرف حق الكبير ويُبجله. قد جعل منه التوحيد رجلاً آخر، غير رجال اليوم، حتى صار الله غايته، والرسول ﷺ قائده، والقرآن والسنة دستوره ومنهجه، والموت في سبيل الله أغلى أمانيه، فيا سعادته يوم تعس عبد الدرهم، وصاحبه الذل حتى أصبح في ميزان الرجال لا يُساوي درهمًا.

فهذا الموحِّد الصادق الفذ حلق العلم روضته وجنته، وعند المرضى والجنائز رقته، وفي المقابر تنهمر دمعته، ولتلاوة القرآن تحضر عبرته، وفي الصلاة يعاين آخرته، وبعد الصلاة يجدد توبته، ومع الجيران تُرى مودته، ويساعد إخوانه باستطاعته، ومع الناس عامة يُعاملهم بسمو خلقه.

كم احترق قلبه وذاب من أجل الدين، كم تنفس الصعداء من أجل المسلمين، كم سال دمعه من أجل إخوانه المشردين، المُعذَّبين، كم تصدع قلبه وأنّ بسماع أخبار إخوانه العرايا البائسين الجائعين.

فلله درّه من عبد مسلم قد ربَّاه التوحيد الخالص لله رب العالمين، لله درّه من صورة مُشرقة تملأ القلوب والأبصار.

إن ملء الأرض ذهبًا وفضة لا تساوي قلامة ظفره، فأيّ عزّ هذا، وأي شرف يكون!

هذا الموحّد هو أمل الأمة، به بعد الله تنكشف الغُمة، وتنجلي الظلمات والملمة، وتنقشع الغيوم، والهموم ويعلو صوت الحق كل مكان كما كان، لأننا أمة لا تعرف سوى النصر بالله عل الأعداء في كل مكان وزمان، ونجيد دَكّ صُلْب كل من عادى دين الله الخالص، ووقف في وجهه يريد إطفاء نوره.

هذا الموحّد، هو وقود التمكين للتوحيد الخالص، فواشوقاه لملء الأرض بمثله، ولن نُعدم مثله إن شاء الله تعالى.

وليعلم الجميع، أن السبيل الوحيد للوصول لهذا الموحّد الذي سلف وصفه، هو السعي لتحقيق توحيد الله في الأرض، وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

لقد نُحّي المسلمون عن توحيد ربهم كما ينبغي، وهذا الداء الخطير هو الذي قذف بهذه الأمة في هذا التيه العميق.

ولقد أصبح تعلم التوحيد عند كثير من المسلمين صعب المنال وللأسف، إن هناك ممن يدرّسون هذا العلم بالذات، يسلكون فيه مسالك شتى لا تخلو

من عبارات مستغرقة، وتعرض للتأويلات التي تتبناها المذاهب الضالة، إلى غير ذلك من الصعوبات التي تتخلل شرح أجلّ علم.

ولا أردّ هذا المسلك، ولكن هو لأناس قد بلغوا من العلم مبلغًا يؤهّلهم لخوض غمار هذه المسائل الدقيقة.

أمّا أن يُطرح هذا الطرح أمام العوام، أو أمام طُلاب علم صغار، فهذا ما يرده كل عاقل، ويرده الشرع كذلك.

وإن مما ييسر فهم التوحيد، عرض آثاره وثماره المباركة التي تتضمنها مسائله، فإذا ما رأى المسلم، أن التوحيد يشتمل على جميع هذه الثمار تعامل معه، تعاملاً حيًا، فيُصبح فهم المسائل النظرية من أسهل ما يكون، لأنه يطبق هذا المنهج الأصيل قولاً وعملاً.

وسيتضح له بسهولة أن التوحيد حقيقة هو الدين بكل جوانبه، ما دَقّ منه وما ظهر.

وليس هذا بدعًا من القول، بل هذا ما سار عليه السلف الأوائل، رضي الله عنهم، وهذا ما سوف أحاول إيضاحه في طيات هذا الكتاب، ولقد حاولت جهدي إبراز هذه الآثار للتوحيد، حتى يتسنى لكل مسلم فهم هذه العقيدة الغرّاء، إذا ما عايشها في جميع مجالات الحياة والعبادة.

ومن هنا نعلم، أن التوحيد ليس كلمات تُحفظ وتُردد بلا استيعاب، بل هو منهج حياة للأفراد وللمجتمعات، فالتوحيد هو دين الله، ولا يحل لأحد كائنًا من كان، أن يضع حاجزًا بين المسلمين وبين توحيدهم، قصد ذلك أو لم يقصد، وإني لم أرَ كتابًا –حسب علمي– قد سلك هذا المسلك، وهو إبراز آثار

التوحيد مع تقريره له بأسلوب سهل المأخذ، إلا كتابًا واحدًا وذلك بعد ما قطعت شوطًا كبيرًا في بحثي هذا، ولما رأيت الكتاب وجدته مختصرًا جدًا، وهو (العقيدة الإسلامية الميسرة وآثارها في حياة المسلم)، وهذا ما شجعني على المُضي في بحثي هذا، وخاصة أنني بحثت قدر استطاعتي عن كتب سبقت في هذا المجال لأستفيد منها، فلم أجد إلا في ثنايا كتب التوحيد بعض الآثار بطريقة مُوجزة جدًا، لا تمثل المنهج الذي أردته.

هذا، ولقد جعلت عمدتي في هذا الكتاب حديث جبريل عليه السلام، وجعلته مُقسمًا إلى ستة فصول، وهي المذكورة في حديث جبريل عليه السلام، وهي الإيمان بالله، والملائكة، والكتب، والرُسل، واليوم الآخر، والقدر.

هذا وأسأل الله تعالى، أن يجعل ما كتبته وجمعته ورتبته في ميزان حسناتي، وأن يجعله خالصًا لوجهه تعالى، وأن يجعله من الباقيات الصالحات بعد الممات.

فيا أيها الناظر في جمعي هذا، لك غنمه وعليّ غُرمه، لك صفوه وعليَّ كدره، ولا تنس أخاك من دعوة صادقة في وقت إجابة، عسى أن أنال هداية بسببها.

هذا وما كان في هذا العمل من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من زلل فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله منه بريئان، وأستغفر الله من كل ذنب مهما كان.

«وأسأل الله تعالى أن يُسدد لساني، ويُبعد عن الوهم جناني، وعن الطغيان قلمي، ويجنبني الزلل والخطل، ويرزقني الإخلاص والفهم والتوفيق والعلم، ويستر عيوبي، ويغفر ذنوبي، فوالله لولا ستره الجميل، وحلمه الواسع، ورحمته

العامة، وتوفيقه وتثبيته، ما نطق لساني، ولا نظرت عيناي، ولا سمعت أذناي، ولا خَطَتْ رجلاي، ولا خط قلمي.

فيا من يرى مكاني، ويسمع كلامي، ويعلم نبضات قلبي، وخطرات نفسي، وخائنة عيني، لا تُؤاخذني بسوء عملي، ولا بقبح سريرتي، ولكن برحمتك ارحمني، وبفضلك عُمَّني، فبهما أفرح هما خير لي من عملي ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[1].

يا من يرى من البعوض جناحها ... في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى نيــاط عروقـها في نحـرها ... والمخ في تلك العظام النُّحل
امنـن علـيَّ بتـوبـة تمحــو بهــا ... ما كان مني في الزمـان الأول

واجعل اللهم هذا العمل لوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه شيئًا، وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك»[2]، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

أبو محمد

خميس السعيد محمد عبدالله

مصر – كفر الشيخ – مركز الحامول

٢٦ /محرم/١٤٢٣هـ - الثلاثاء

تمت المراجعة النهائية يوم الاثنين ١٤٢٦/١/٥هـ

١٣ /٢٠٠٥/٢م

---

١) يونس: ٥٨.

٢) الإكليل شرح منار السبيل من المقدمة/ لشيخي وحيد بالي حفظه الله.

بين يدي الكتاب

المبحث الأول: تعريف العقيدة

المبحث الثاني: أهمية العقيدة في حياة المسلم

بين يدي الكتاب

إن الناظر المتفحص لأحوال الأمة الإسلامية التي أرادها الله لكي تكون خير أمة أخرجت للناس، يرى الفساد قد انتشر في كل ناحية من نواحي الحياة، والانحلال لقد استشرى في كل بقعة من بقاعها، نُحّي القرآن عن منصة الحكم، وغُيِّبت شريعة الله عن أنظمة الحياة، وجُزّئت دولة الخلافة إلى دويلات كثيرة متمزقة يحارب بعضها بعضًا.

استأسد فيها نفوذ أعداء الله من صليبيين وشيوعيين ويهود سلّموا أزمة الحكم فيها لأناس من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا وصفهم الرسول ﷺ بأنهم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها، شرّعوا للناس بما تمليه عليهم شياطينهم وتسوّل لهم أهواءهم، عطلوا أحكام الإسلام، سيطروا بالقوانين الوضعية والتقاليد الغربية، والقيم الأجنبية على حياة المسلمين، وبخاصة الطبقة المثقفة منهم، فتخرّجت أجيال تحمل أسماء إسلامية وعقولاً أجنبية.

انتشر الفساد، وخربت الأخلاق، وغرقت الشعوب في حب الشهوات، فأصبح العُري هو الأساس، والتدين هو التطرف والتخلف، حاربوا العقيدة بأدعياء حرية الفكر، وحاربوا فنون القوة بفنون اللذة، انطبق حالنا مع ما قاله الحبيب المصطفى ﷺ: **«يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها»**[1] أصبحنا أضيع من الأيتام على مائدة اللئام.

---

١) صحيح: رواه أبو داود: كتاب الملاحم: باب في تداعي الأمم على الإسلام، رقم الحديث (٤٢٨٨) عون(٢٧٢/١١)، كنز العمال (١٣٢/١١) رقم (٣٠٩١٦)، مسند الإمام أحمد (٣٥٠/٥) رقم (٢٢٣٩٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٨١٨٣) والصحيحة رقم (٩٥٨) والحديث عن ثوبان ﷺ.

اجتمعت على أمتنا كل أمم الأرض من صليبيين حاقدين، وشيوعيين مُلحدين، ويهود طامعين، ووثنيين شامتين، حتى عبّاد البقر.. كل هؤلاء اجتمعوا علينا ليبيدونا، يقولون لنا: جاء وقت تصفية الحساب ويرفعون شعار: "دمروا الإسلام.. أبيدوا أهله".

إن هذا الواقع المرير الذي يحياه المسلمون يفرض على كل مسلم أن يعمل على إقامة حكم الله في الأرض، ويغيّر هذا الواقع، ويُحرر بلاد الإسلام من الانحلال والكفر والإلحاد، وأي تقصير في ذلك سيعرِّضنا للمساءلة أمام الله ﷻ يوم لا ينفع فيه الندم.

ومن العجائب أنا نرى جلد أصحاب الباطل، وتفانيهم لتنفيذ خططهم، وفي الوقت نفسه نرى المسلم غافلاً إلا الذين رحمهم الله، وصدق فيهم قول الشاعر:

تبلد في الناس حس الكفاح ... ومالوا لكسبٍ وعيشٍ رتيب

يكـــاد يـزعـزع من همـــتي ... سـدور الأمين وعزم المريب

لا بد من عمل دؤوب متواصل، يوقظ الناس من سُباتهم، ويُحرك فيهم معاني الجهاد والبذل، وهذا لن يتحقق إلا إذا شعر كل منا بقيمة الحق الذي يحمله وشدة افتقار الناس إليه.

إن الانطلاق في ميدان الدعوة إلى الله هو بداية الطريق لبعث أمة واراها ركام التصورات، وركام الأوضاع، وركام الأنظمة التي لا صلة لها بالمنهج الإسلامي الصحيح.

والدعوة في هذا الوقت، وفي هذه المرحلة الدقيقة، في أمس الحاجة إلى رجال من نوع خاص يحملونها ويسيرون بها، فهي لا تحتاج الآن إلى الكسالى الذين يتغنون بالإسلام، ولا يخطون خطوة وراء ذلك، إنها بحاجة إلى من يحملها لا إلى من تحملهم.

فطريق النصر هو طريق الآلام، أرضه أشواك وسماؤه عواصف وأخطار ومعالمه شهداء، رجاله ﴿صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ﴾[1] قاعدته الصوَّام القوام، الخاشعون المخبتون، رهبان الليل فرسان النهار.

وحتى يسهل علينا حمل الدعوة والسير بها سيرًا صحيحًا، لا بد من غرس قواعدها وإقامة ركائزها في نفوسنا، وهذا يحتاج إلى جهد ضخم وعمل دائب من الدعاة والمُربين إن أرادوا أن يُعدّوا جنودًا للإسلام، ورجالاً للدعوة، وحملة لمشاعل النور والهداية في العالمين.

لا بد من قاعدة صلبة متينة تستطيع أن تصمد في وجه هذا الصراع الجبار وتقف في وجه المؤامرات وتجاهد في كل المجالات والجبهات، وتدفع ثمن إعلاء كلمة الله في الأرض من زهرة أبنائها الشهداء الأبرار وتصبر على الظمأ والتعب والجوع، وتغيظ الكفار بهذا العطاء الدائم ولا تتخلف عن نداء الجهاد، وحينئذ يأتي النصر﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾[2].."[3].

---

١) الأحزاب: ٢٣.
٢) يوسف: ١١٠.
٣) (ركائز الدعوة/٧-٩) (مفاهيم تربوية/١/٢٤،٦٣،٦٤).

فلنبشر بالفرح القريب، فقد أخبر الحبيب المصطفى ﷺ: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزًا يعز الله به الإسلام وذلاً يذل به الكفر»[(1)].

لقد أردت بهذا التمهيد أن أهز قلبك هزًا عنيفًا حتى تستيقظ وتكون دائم الذكر لحال أمتك، حتى إذا ما قرأت هذا الكتاب لتؤسس بعزم بنيانك، ولكي تصبح أنت نبراسًا بدعوتك، لا بد أن تكون القواعد صلبة متينة لا تهتز مع أدنى زوبعة.

ثم اعلم أن هذا هو الزاد الحقيقي لمواصلة الطريق، لأن تذكر العبد المسلم لحال أمته الضائعة، يجعله يبذل أقصى ما في وسعه لاستكمال البنية الدعوية عنده، حتى يكون على قدر المهام التي توكل إليه، فلا يسقط على جوانب الطريق بفتنة أو شبهة أو شهوة، وعلى الله قصد السبيل وهو وحده سبحانه الهادي إلى سواء الصراط.

---

١) صحيح: أحمد (١٤٤/٤) رقم (١٦٩٢٨)، السنن الكبرى للبيهقي: كتاب السير باب إظهار دين النبي ﷺ على الأديان (١٨١/٩)، مستدرك الحاكم، كتاب الفتن والملاحم (٤٣٠/٤)، كنز العمال (٢٦٦/١) رقم (١٣٤٥)، مجمع الزوائد: كتاب المغازي، والسير: باب علو الإسلام على كل دين خالفه وظهوره عليه (١٤/٦) وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٣).

المبحث الأول

تعريف العقيدة

في اللغة: مأخوذة من العقد وهو الشد والربط والإيثاق والثبوت والإحكام[1].

وفي الاصطلاح: الإيمان الجازم بالله تعالى، وبما يجب له من التوحيد والإيمان بملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبما يتفرع عن هذه الأصول ويلحق بها مما هو من أصول الدين[2].

شرح التعريف: وذلك كاعتقاد الإنسان بوجود خالقه، وعلمه به وقدرته عليه، ولقائه به، بعد موته ونهاية حياته، ومجازاته على كسبه، وكاعتقاده بغنى ربه تعالى عنه، وافتقاره هو إليه، وفي كل شأنه حتى في أنفاسه التي يرددها، فبالله تعالى حياته، وعليه وحده توكله واعتماده، إذ هو محط رجائه إذا طمع، ومأمن خوفه إذا خاف، بحبه يحب، وببغضه يبغض، هو مولاه الذي لا مولى له غيره، ومعبوده الذي لا معبود له سواه، لا يرى ربوبية غيره، ولا يعتقد ألوهية سواه، وكاعتقاده بوجوب طاعته فيما بلغه من أوامره ونواهيه من طريق كتبه ورسله طاعة تزكو بها نفسه، وتتهذب بها مشاعره، وتكمل بها أخلاقه، وتنظم بها علاقته بين الخلق والحياة[3].

---

١) (لسان العرب/ مادة "عقد"، (٣٠٩/٩)، (القاموس المحيط/مادة "عقد"/٣٠٠).

٢) (العقيدة الإسلامية/١)، (العقيدة الصحيحة/٣،٤) (مجمل أصول أهل السنة والجماعة/٥)، (المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية/١٣).

٣) (عقيدة المؤمن/٢٣).

المبحث الثاني

أهمية العقيدة في حياة المسلم

إن العبد المسلم يحتاج إلى العقيدة الصافية كحاجته إلى الشراب والهواء بل أشد، لأن حاجته إلى الطعام من أجل قوام البدن، أما حاجته إلى العقيدة فمن أجل قوام دنياه وأخراه.

فهو بحاجة إلى العقيدة أو قل الإيمان "الذي لا يرد عليه شك ولا ارتياب -بحاجة إلى- التصديق المطمئن الثابت المستيقن الذي لا يتزعزع ولا يضطرب، ولا تهجس فيه الهواجس، ولا يتلجلج فيه القلب والشعور والذي ينبثق منه الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله.

فالقلب متى تذوق حلاوة هذا الإيمان واطمأن إليه وثبت عليه لا بد مندفع لتحقيق حقيقته خارج القلب، في واقع الحياة، في دنيا الناس، يريد أن يوحد بين ما يستشعره في باطنه من حقيقة الإيمان، وما يحيط به في ظاهره من مجريات الأمور وواقع الحياة، ولا يطيق الصبر على المفارقة بين الصورة الإيمانية التي في حسه، والصورة الواقعية من حوله، لأن هذه المفارقة تؤذيه وتصدمه في كل لحظة.

ومن هنا هذا الانطلاق إلى الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس، فهو انطلاق ذاتي من نفس المؤمن، يريد به أن يحقق الصورة الوضيئة -للعقيدة- التي في قلبه، ليراها محتلة في واقع الحياة والناس"[1].

---

١) (في ظلال القرآن/٦/٣٣٤٩، ٣٣٥٠).

من هنا يتضح لنا، أن العقيدة كلما امتدت جذورها وتأصلت في قلب المسلم، كلما ازداد همةً وحماسًا في الدعوة إلى رب الأرباب، وإنه لمن البدهي، أن هذا القلب إذا ما خلا من هذه العقيدة الصافية صار أقرب إلى العقائد والمذاهب الهدامة الأخرى، فسرعان ما يقع فريسة للأهواء، خاصة تحت وطأة هذا الغزو الفكري العقائدي المسمم لأجواء العقيدة الإسلامية الناصعة.

وأيضًا إذا ما أردت أن تعرف أهمية العقيدة للعبد المسلم فاستقرئ التاريخ الإسلامي جيدًا من لدن البعثة النبوية المباركة إلى يومنا هذا وأخبر الناس عما سيتضح لك، لأنك حتمًا ولا بد ستعثر على درر بل قل ستجد ما يعجز اللسان الفصيح عن وصفه.

فها هو ذا رسول الله ﷺ قدوتنا وإمامنا يعلمنا بحاله ولسانه أن الرجل الصالح صلاحًا حقيقيًا يمكن أن يصلح الله عز وجل به أمة كاملة بل أممًا كثيرة بعثه الله إلى الناس كافة ليخرجهم من ظلام الجهل إلى نور الإسلام بمفرده، فما قال ما الحيلة وأين القاعدة التي منها أنطلق، وأين العصابة التي تحميني وتؤويني، ما قال ذلك، بل جعل قاعدته في قلبه، إيمان راسخ رسوخ الجبال، وجعل حيلته وعصابته وحمايته لله عز وجل، وصار يدعو إلى هذا الدين صناديد الكفر والطغيان، وهو ثابت الجأش، لا يكل ولا يمل، ولا خارت قواه، واثق بنصر الله وإن كان وحيدًا، ينظر إلى هذا الغد نظرة كلها أمل وتفاؤل، ويسير إليه سيرًا حثيثًا، بخطىً ثابتة، وإن كان في واقع الأمر يمشي على شوك الأذى، ويخطو على جمر الكيد والعنت، ولكن كل ذلك يهون في سبيل ما انطوى عليه القلب من هذه العقيدة التي تقوده وتُحركه لإرشاد الضالين وهداية الحائرين إلى توحيد إلى رب العالمين.

فإن قال قائل هذا رسول الله ﷺ مؤيَّد ومنصور ومعصوم؟

قلت ولكن الله ﷻ قال: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[1] الآية، ومع ذلك فأي أفراد الصحابة تريد أن ترى؟

أتريد أبا بكر ؓ؟ فها هو يقول لرسول الله ﷺ وقد سقط رداؤه عن منكبيه يوم بدر وهو يدعو ويقول ﷺ: **«اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض»**[2].

فماذا فعل أبو بكر ؓ، أخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وهو يقول: حسبك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، إنها العقيدة إنه الإيمان الذي صار كالعيان ﷺ والأمثلة أكثر من أن تُحصر في كل مجال.

ففي مجال الجهاد، نرى وعد الله قد تمثل في هذه العصابة المؤمنة، حتى قال عنهم أعداء الله إنهم لو سلطوا على الجبال لاجتثوها من جذورها، والحق ما شهدت به الأعداء، فمن هذه السلالة المؤمنة من قال[3]"إني لأجد ريح الجنة من أحد". أيّ جنة هذه التي يتحدث عنها وهو بين أصحابه في حال دنيوي صعب؟ إنها الجنة التي آمن بها، وعقد قلبه بذكرها، وشد من أزره إليها، ووعد ووفّى حتى أصبح مُثلة وأي مُثلة فلم تعرفه إلا أخته ببنانه إن لم تكن هناك

---

١) الأحزاب: ٢١.
٢) مسلم: كتاب الجهاد: باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم رقم الحديث (٤٥٦٣) (نووي١١/٣٠٦).
٣) هو أنس بن النضر ؓ.

عقيدة صلبة، هل سنجد من يقول اللهم خذ من دمي اليوم حتى ترضى؟ إن العقيدة تصنع هؤلاء الأبطال الذين يريدونك أيها العبد المسلم أن تلحق بكتائبهم.

وفي مجال العبادة، ترى ما يشبه الخيال من هؤلاء العبَّاد، فمنهم من يمرض إذا ما سمع آية!! لماذا؟ لأن إيمانه بالنار يجعلها دائمًا نصب عينه، فإذا ما وعظ بها وزادت جرعة الرهبة كان الحال عنده كالخيال عندنا.

ومنهم من يطلب التطهير من ذنب اقترفه وهو يعلم تمامًا أن في ذلك إزهاقًا لروحه، ومع ذلك يصمم أن يقام الحد عليه[1].

لماذا؟ لأنه يعتقد أن جزاء ذلك المغفرة التي لا تساويها الدنيا بما فيها!!

وعلى هذا المنوال فقس، وستجد العجب العجاب، ولولا الإطالة لتذاكرنا معًا ما يبهر العقول.

وفي مجال الدعوة إلى الله ﷻ، نجد ما يُذرف الدمع، ويُصم لدى الكسالى السمع، فسل سفير الإسلام مصعب بن عمير كيف كان حاله في الجاهلية وحاله بعد أن دخل الإسلام، فإن هضم حق نفسه، وتواضع في عدم إذاعة

---

١) مسلم: كتاب الحدود: باب من اعترف على نفسه بالزنى رقم الحديث ٤٤٠٦، والحديث عن سليمان بن بريد عن أبيه، قال جاء ماعز بن مالك إلى النبي ﷺ، فقال يا رسول الله طهرني، فقال: «ويحك ارجع فاستغفر وتب إليه» قال فرجع غير بعيد ثم جاء فقال يا رسول الله طهرني -فعل ذلك- حتى كانت الرابعة قال له رسول الله ﷺ: «فيم أطهرك؟»فقال من الزنى، فسأل رسول الله ﷺ : «أبه جنون؟» فأخبر أنه ليس بمجنون فقال: «أشرب خمرًا؟» فقام إليه رجل فاستنكهه فلم يجد منه ريح خمر قال: فقال رسول الله ﷺ: «أزنيت؟» فقال نعم. فأمر به فرُجم ... فلبثوا يومين أو ثلاثة ثم جاء رسول الله ﷺ وهم جلوس فسلم ثم جلس فقال: «استغفروا لماعز بن مالك»، قال: فقالوا: غفر الله لماعز بن مالك، قال: فقال رسول الله ﷺ: «لقد تاب توبة لو قُسّمت بين أمة لوسعتهم» (نووي١١/٢٠٠).

خبره، فسل عنه دمع رسول الله ﷺ وهو واقف عند رأسه يبكيه، ومع ذلك لم يجد له كفنًا يكفيه.

سل عبدالله بن مسعود وهو يرد على الناس بدعتهم في الاجتماع على التهليل والتسبيح، وسل ابن عباس عندما تصدى للخوارج كم تاب على يديه من الخارجين على علي بن أبي طالب ﷺ، إلى غير ذلك في جميع النواحي عند السلف تجد أن العقيدة هي الوقود الذي يُحركهم ويشد من أزرهم، وجعلهم هداة مهتدين، ودُعاة راشدين وحُكَّامًا عادلين، فسبيلهم واحد، يدعون إلى الله على بصيرة من أمرهم في دينهم ودُنياهم وأخراهم، رزقنا الله الاقتداء بهم، والسير على طريقهم وحمل الراية من بعدهم إلى جميع الناس.

ومما سلف يتضح لنا كيف كان السلف، وبفضل الله كان في الخلف من سار سيرهم، وحذا حذوهم، وإن أردت أن تعرف صدق كلامي، وبرهان دعواي، فتصفح التاريخ الحديث وأخبرني عما رأيت إن استطعت، أخبرني عن أعواد المشانق كم من الأطهار شنقت، وعن الجدران كم عليها من الأجساد صُلبت، بل كم عليها من الشكوى حفرت، كم من الدماء سالت، وكم من السياط ذابت وبادت، فإلى الله المُشتكى وحده سبحانه، ومع ذلك، سطَّر التاريخ بطولات عجزت أمامها يد الجلاد، وبهت أمامها الذي كفر، وسنبلت دماء هؤلاء الشهداء من سار سيرهم فهؤلاء كان منهم القادة الذين أصلح الله بهم أجيالا تلو أجيال، وكانت آراؤهم سديدة، وطموحاتهم مديدة، وسيرتهم فريدة، ومناقبهم عديدة، وطرقهم حميدة. وكان منهم الدُعاة، الذين هدى الله بهم قلوبًا غُلفًا، وآذانًا صُمًا، وأرشدوا الناس إلى طريق الهدى.

تُرى.. ما الدافع الذي دفع بهؤلاء إلى ما هم فيه؟ أيمكن أن يكون هناك شيء غير هذه العقيدة؟ بالطبع لا.

لماذا؟ لأن العقيدة بالذات هي التي لا يقف أمامها شيء، فإما أن تؤتي ثمارها، وإما أن يُضَحَّى في سبيلها بكل غال.

إذًا، فالمسلم صاحب هذه العقيدة، تجده واضح المعالم في دعوته فهو في كل مكان يجب أن يوجَد فيه، وبعيد عن كل مكان يحذِّر هو منه فهو في نفسه ولغيره قدوة، تجده صارمًا في حق نفسه، حكيمًا مع غيره، قد فرغ عقله من الخرافات والأباطيل والمذاهب الهدامة، ويقف في وجهها دائمًا، وبالضد من ذلك قد ملئ قلبه بالتوحيد الخالص الذي يسير في نوره ويدعو إليه على بصيرة من أمره.

فالعقيدة هي السلاح الحصين التي يتطاير أمامها كل شيطان رجيم، من الجن والإنس أجمعين.

الفصل الأول

الإيمان بالله

تمهيد:

المبحث الأول: توحيد الربوبية

المبحث الثاني: توحيد الألوهية

المبحث الثالث: توحيد الأسماء والصفات

الفصل الأول

الإيمان بالله

تمهيد

اعلم أخي: أن "راحة النفس لا تكون إلا بالإيمان، ونفس لا إيمان فيها تبقى مضطربة وقلقة وتائهة وخائفة.

فأما اضطرابها فلأنها كالسفينة التي تتقاذفها الرياح في البحر، فتموج بها تقلبات الجو يمينًا وشمالاً، وتتقاذفها العوامل المؤثرة التي تطغى عليها، فهي لم تجد ما يرسيها أو يوصلها لبرِّ الأمان، لأن كل نفس تأخذ مصدرًا تشريعيًا في سلوكها، أو منهجًا عقَديًا في تصرفاتها، غير المصدر الذي أوجده الله للمؤمنين، وارتضاه سبحانه لعباده، وبعث به رسله، فإنه لا يلبي رغبة، ولا يريح نفسًا، ولا يحقق هدفًا"[1].

والإيمان الذي به النجاة هو الإيمان بالله ﷻ ومعناه الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه، وأنه الذي يستحق وحده أن يفرد بالعبادة: من صلاة وصوم ودعاء ورجاء وخوف وذل وخضوع، وأنه المتصف بصفات الكمال كلها المُنزه عن كل نقص.

فالإيمان بالله سبحانه يتضمن توحيده في ثلاثة: في ربوبيته، وفي ألوهيته، وفي أسمائه وصفاته.

---

١) (مجلة البحوث الإسلامية: ١٧/١٥٦-١٥٧) (طريق السعادة: ١١٦، ١١٧) أحمد فريد: مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى.

ومعنى توحيده في هذه الأمور اعتقاد تفرده سبحانه بالربوبية والألوهية وصفات الكمال، وأسماء الجلال، فلا يكون العبد مؤمنًا بالله حتى يعتقد أن الله رب كل شيء ولا رب غيره، وإله كل شيء ولا إله غيره، وأنه الكامل في صفاته وأسمائه ولا كامل غيره(1).

"وقد فطر الله تعالى بني آدم على الإيمان به تعالى وتوحيده، فالإنسان يولد مؤمنًا بوجود الله تعالى، وأنه لا إله غيره، ولا رب سواه فلو تُرك على أصل فطرته لنشأ موحِّدًا لله تعالى"(2).

قال الله تعالى:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(3)، وقال النبي ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو يُنصرانه أو يُمجسانه»(4).

والتوحيد كما سبق ثلاثة أنواع(5)، توحيده ﷻ في ربوبيته، وفي الوهيته، وفي أسمائه وصفاته. وفيما يلي تفصيل الكلام في كل نوع منها:

---

1) الإيمان: أركانه حقيقته / نواقضه /6).
2) (العقيدة الإسلامية/16) (تفسير ابن كثير 3/442) (معارج القبول 1/93).
3) الروم: 30.
4) البخاري: كتاب الجنائز: باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام (رقم الحديث/1358) (فتح 3/280).
5) يزعم البعض أن التوحيد من ناحية تقسيمه إلى ثلاثة انواع لم يثبت، وعليه فهذا التقسيم بمسماه بدعة ورد هذا الإدعاء فضيلة الشيخ عبدالله بن جبرين فقال: إن تقسيم التوحيد إلى قسمين أو ثلاثة جاء عن علماء الأمة، واخذوه استنباطا من الأدلة، حيث أن النصوص الصريحة تفيد وجوب توحيد الرب تعالى، باعتقاد انه واحد، قال تعالى:﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة:163] وقال تعالى:﴿ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [المائدة:73] وفي الحديث: «ولا نُعبد إلا إياه» "مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة: باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، رقم الحديث (594) وهو عن ابن الزبير (نووي 5/94)" وفي الدعاء "ولا إله غيرك" صحيح: سنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها: باب افتتاح الصلاة: رقم الحديث

المبحث الأول

توحيد الربوبية

المطلب الأول: تعريفه

المطلب الثاني: الأدلة على وجود الرب تبارك وتعالى

المطلب الثالث: أثر توحيد الربوبية على العباد

---

(٨٠٤) (حاشية السندي ٤٤٢/١) والحديث عن أبي سعيد الخدري وصححه الألباني في الإرواء (٥١/٢) والمشكاة (٨١٦) وصحيح أبي داود (٧٤٨) وصحيح سنن ابن ماجه (٦٦٢) ورواه أبو داود بغير لفظ ابن ماجه: كتاب الصلاة: باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك: رقم (٧٧٠) (عون٣٣٨/٢)" ، وغير ذلك من الأدلة.

فإذا قلنا: إن الله تعالى واحد في إلهيته، وأحقيته للعبادة، فهذا توحيد العبادة دليله الآيات المذكورة، وإذا قيل إن الله واحد في ذاته وأسمائه وصفاته بدليل قوله تعالى:﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم:٦٥] وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص] وقوله:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾"[الشورى:١١] كان هذا توحيد الربوبية والأسماء والصفات، والمعرفة والإثبات وهو التوحيد الخبري الاعتقادي، فهذا صحيح ودليله الآيات المذكورة، فكيف يقال إن هذا بدعة؟! مع أنه مأخوذ من هذه الآيات والأحاديث والنصوص الصريحة، والله أعلم (الكنز الثمين ٥٥/١-٥٧).

المبحث الأول

توحيد الربوبية

المطلب الأول: تعريفه

التوحيد في اللغة:

مصدر وحَّد، يوحِّد، وهو جعل الشيء واحدًا[1] .

وفي الاصطلاح:

الإيمان بوجود الله وإفراده بالربوبية والألوهية والإيمان بجميع أسمائه وصفاته[2].

معنى الرب: الرب يأتي عند العرب بثلاثة معانٍ:

١- الرب بمعنى المربي: من التربية والتعهد والإصلاح.

٢- الرب بمعنى المالك: مثل قول عبدالمطلب أنا رب هذه الإبل وللبيت رب يحميه.

٣- الرب بمعنى السيد او الحاكم: كقول يوسف عليه السلام للرسول الذي جاء بالسجن ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾[3].

ولا يطلق الرب بالألف واللام إلا على الله ﷻ، فيجوز أن تقول رب الدار، ولا يجوز أن تقول الرب بإطلاق[4].

---

١) (العقيدة الإسلامية/١٦)، (لسان العرب مادة "وحد" ١٥/٢٣٠).
٢) (العقيدة الإسلامية/١٦)، (القول السديد/١٠) (القول المفيد/١/٥).
٣) يوسف: ٥٠.
٤) (الثمرات الزكية في العقائد السلفية ١٩) (لسان العرب/مادة "ريب" ٥/٩٤).

وهذه المعاني الثلاثة في لغة العرب بالنسبة لله ﷻ كلها حق، وثابتة له ﷻ، فهو رب الناس أي المربي لهم بنعمه، كما قال تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1]، فبين الرب تعالى أنه هو المتعهد المصلح لشأن هذا العالم، فالشمس والقمر والنجوم الله ربها والمتعهد لنظامها سبحانه وتعالى.

ومن المعنى الثاني قول الله ﷻ: ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[2]، أي: مالكه.

ومن المعنى الثالث وهو الرب بمعنى السيد أو الحاكم قول يوسف عليه السلام

﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾[3]

ثم قال: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[4] فجعل الحكم من صفات الربوبية.

فهذه المعاني الثلاثة نستحضرها ونحن نثبت لفظ الرب لله تبارك وتعالى[5].

---

١) الأعراف: ٥٤.
٢) النمل: ٢٦.
٣) يوسف: ٣٩.
٤) يوسف: ٤٠.
٥) (الثمرات الزكية في العقائد السلفية: ٢٠).

٤- المعنى الإجمالي:

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي -رحمه الله- عن توحيد الربوبية هو: بأن يعتقد أن الله هو الرب المتفرد بالخلق والرزق والتدبير، الذي ربّى جميع الخلق بالنعم، وربّى خواص خلقه وهم الأنبياء وأتباعهم بالعقائد الصحيحة، والأخلاق الجميلة، والعلوم النافعة، والأعمال الصالحة وهذه هي التربية النافعة للقلوب والأرواح المثمرة لسعادة الدارين[1].

المطلب الثاني: الأدلة على وجود الرب تبارك وتعالى

قال الشيخ أحمد فريد -حفظه الله-: الكون كله صامته وناطقه ومتحركه وساكنه مقر ومصدق ومعترف ومؤمن وناطق بوجود الله تعالى إلا زنادقة الأمم وملاحدة الشعوب، قال جلّ وعلا: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾[2].

قال ابن القيم -رحمه الله-:

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: "كيف يُطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء" وكان كثيرًا ما يتمثل بهذا البيت:

وليس يصح في الأذهان شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليل[3]

١) (القول السديد/١٢).
٢) ابراهيم: ١٠.
٣) (الثمرات الزكية../٢٠).

دل على وجود الرب تبارك وتعالى الفطرة والعقل والشرع والحس.

أولاً: دلالة الفطرة

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: **«كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يُمجسانه، كمثل البهيمة تُنتجُ البهيمة هل ترى فيها جدعاء»؟**[1].

قال ابن القيم: ليس المراد بقوله: "يولد على الفطرة" أنه خرج من بطن أمه يعلم الدين، لأن الله يقول:

﴿ٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[2]. ولكن المراد أن فطرته مقتضية لمعرفة دين الإسلام ومحبته، فنفس الفطرة تستلزم الإقرار والمحبة، وليس المراد مجرد قبول الفطرة لذلك، لأنه لا يتغير بتهويد الأبوين مثلا بحيث يخرجان الفطرة عن القبول، وإنما المراد أن كل مولود يولد على إقراره بالربوبية، فلو خلي وعُدم المعارض لم يعدل عن ذلك إلى غيره، كما أنه يولد على محبة ما لا يُلائم بدنه من ارتضاع اللبن، حتى يصرفه عن الصارف، ومن ثم شبهت الفطرة باللبن بل كانت إياه في تأويل الرؤيا، والله أعلم[3].

وقال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4].

---

١) البخاري: كتاب الجنائز: باب ما قيل في أولاد المشركين رقم الحديث (١٣٨٥) (فتح ٣/٣١٤).
٢) النحل: ٧٨.
٣) (فتح الباري ٣/٣١٩).
٤) الروم: ٣٠.

قال السعدي -رحمه الله-: وهذا الأمر الذي أمرناك به، هو "فطرة الله التي فطر الناس عليها" ووضع في عقولهم حسنها، واستقباح غيرها، فإن جميع أحكام الشرع، الظاهرة والباطنة قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم، الميل إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق، وإيثار الحق، وهذا حقيقة الفطرة، ومن خرج عن هذا الأصل، فلعارض عرض لفطرته أفسدها"[1].

وعن عياض بن حمار المجاشعي، أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: **«ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علَّمني يومي هذا، كل مال نحلته عبدًا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا»**[2].

قال النووي رحمه الله: قوله تعالى: "وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم"، أي مسلمين، وقيل مستقيمين منيبين لقبول الهداية، وقيل المراد حين أخذ عليهم العهد في الذر وقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾[3].

ثانيًا: دلالة العقل

١- قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾[4].

---

١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٢/٣٣٥).
٢) مسلم: كتاب الجنة: باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار رقم ٧١٣٦ (نووي(١٧/١٩٤).
٣) شرح النووي لصحيح مسلم (١٧/١٩٤).
٤) الطور: ٣٥،٣٦.

قال السعدي رحمه الله: "وهذا استدلال عليهم، بأمر لا يمكنهم فيه إلا التسليم للحق، أو الخروج عن موجب العقل والدين، وبيان ذلك: أنهم منكرون لتوحيد الله، مُكذبون لرسوله، وذلك مستلزم لإنكار أن الله خلقهم.

وقد تقرر في العقل مع الشرع، أن ذلك لا يخلو من أحد ثلاثة أمور: إما أنهم خلقوا من غير شيء، أي: لا خالق خلقهم، بل وجدوا من غير إيجاد ولا موجد، وهذا عين المحال، أم هم الخالقون لأنفسهم، وهذا أيضًا مُحال، فإنه لا يُتصور أن يوجد أحد نفسه.

فإذا بطل هذان الأمران وبان استحالتهما، تعين القسم الثالث وهو أن الله هو الذي خلقهم"[1].

وبهذا التفصيل تُفهم جميع الآيات التي تحمل هذا المعنى كقوله تعالى:

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ * ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾. وقوله ﷻ:

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾[2].

٢- الاستدلال على معرفته تعالى بآياته الظاهرة، قال الله ﷻ:

﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾[3].

---

١) تيسير الكريم الرحمن (٢/٧٥٧).

٢) الواقعة: ٥٨-٦٤.

٣) يونس: ١٠١.

قال البيهقي: يعني والله أعلم من الآيات الواضحات والدلالات النيرات وهذا لأنك إذا تأملت هيئة هذا العالم ببصرك واعتبرتها بفكرك، وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج إليه ساكنه من آلة وعتاد، فالسماء مرفوعة كالسقف المرفوع والأرض مبسوطة كالبساط والنجوم منضودة كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذخائر، وضروب النبات مهيأة للمطاعم والملابس والمآرب، وصنوف الحيوان مسخرة للمراكب مستعملة في المرافق، والإنسان كالمالك البيت المخول لما فيه، وفي هذا دلالة واضحة على أن العالم مخلوق بتدبير وتقدير ونظام وأن له صانعًا حكيمًا تام القدرة بالغ الحكمة[١].

قال العلامة الجزائري حفظه الله: وأخيرًا هذه العناية بالإنسان المتجلية في الظواهر الكونية كلها إن لم تدل على وجود خالق للكون ذي إرادة واختيار، وعلم، وقدرة، وقصد، وحكمة، خلق الإنسان وسخر له الكون كله كما هو مُشاهد محسوس فإنه لم يبق شيء يدل على آخر في الحياة أبدًا، فلا الرماد يدل على النار، ولا النوى تدل على التمر ولا الكلام يدل على الإنسان، ولا الحركة تدل على الحياة، وحينئذ فعلى العقل العفاء وعلى الدنيا السلام[٢].

٣- قال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٣].

قال شارح الطحاوية: فتأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز الظاهر، فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقًا فاعلاً يوصل إلى عابده النفع،

---

١) (الاعتقاد على مذهب أهل السنة والجماعة/٧)، (الثمرات الزكية../٢٣).
٢) (عقيدة المؤمن/٥٥).
٣) المؤمنون: ٩١.

ويدفع عنه الضر، فلو كان معه سبحانه إله آخر يُشركه في مُلكه لكان له خلق وفعل، وحينئذٍ فلا يرضى تلك الشركة، بل إن قدر على قهر ذلك الشريك وتفرد هو بالملك والألوهية دونه فعل، وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب بذلك الخلق كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بملكه إذا لم يقدر المنفرد منهم على قهر الآخر والعلو عليه.

فلا بد من أحد ثلاثة أمور: إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه، وإما أن يعلو بعضهم على بعض، وإما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشاء، ولا يتصرفون فيه، بل يكون وحده هو الإله وهم العبيد المربوبون المقهورون من كل وجه.

وانتظام أمر العالم كله وإحكام أمره أدل دليل على أن مُدبره إله واحد وملك واحد، ورب واحد، لا إله للخلق غيره، ولا رب لهم سواه[1].

ثالثًا: دلالة الشرع

قال العلامة الجزائري حفظه الله: "لا يعرف الله كنفسه سبحانه وتعالى، ولا يعرّف بالله مثل الله جل جلاله، فقد تعرف الله تعالى إلى عباده بما لا مزيد عليه"[2]، كقوله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ

---

١) (شرح العقيدة الطحاوية١/٣٩).
٢) (عقيدة المؤمن/٥٦،٧٢).

ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1] وغير ذلك من الآيات كثير جدًا.

"كما أن الرسول ﷺ لم يأل جهدًا في التعريف بربه ﷻ بالحديث عنه وبذكر أسمائه وصفاته حتى عرف المؤمنون ربهم معرفة أثمرت لهم محبته وطاعته".

ومن ذلك قوله ﷺ للجارية: «أين الله؟» قالت في السماء. قال: «من أنا؟» قالت أنت رسول الله، قال: «اعتقها فإنها مؤمنة»[2]، ومن ذلك أيضًا قوله حين سأله سائل أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله»"[3].

وغير ذلك من الأحاديث التي تحمل نفس هذا المعنى وغالبها في مواضعها من كتاب الإيمان في الكتب الستة وغيرها.

-"ما أنزله تعالى من كتب بطريق الوحي المباشر حيث أنزل صحف إبراهيم وتوراة موسى وزبور داود وإنجيل عيسى وفرقان محمد ﷺ أجمعين، فهذه الكتب قد تلقاها المرسلون وحيًا وأوحاها الله تعالى إليهم، وتلقاها أتباع أولئك الرسل، ولم يشك أحد منهم في أنها وحي الله ﷻ وكتبه أنزلها على رسله"[4]، وإن شئت قل إن هذا الدين كله، يخبر عن الله ﷻ ، ولا أدل على ذلك من فشل جميع الجهود البشرية التي سنت هذه القوانين الوضعية لضبط حياة الناس وحفظها، حتى أصبح الجميع ينادي بتطبيق الشريعة الإسلامية

---

١) البقرة: ٢١، ٢٢.
٢) مسلم: كتاب المساجد: باب: تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته رقم الحديث (١١٩٩) وهو عن معاوية بن الحكم السلمي ﷺ (نووي/٥/٢٦).
٣) مسلم: كتاب الإيمان: باب: بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال رقم الحديث (٢٤٤) وهو عن أبي هريرة ﷺ (نووي/٢/٢٦٠).
٤) (عقيدة المؤمن/٥٦، ٧٢).

حتى تخرجوا من هذا الضياع المستمر، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[1].

وهذه الشريعة التي عجز البشر أن يأتوا بمثلها هي من عند الله تعالى.

رابعًا: دلالة الحس

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله:

١- "وأما دلالة الحس على وجود الله، فإن الإنسان يدعو الله ﷻ يقول: يا رب! ويدعو بالشيء، ثم يُستجاب له فيه، وهذه دلالة حسية، هو نفسه لم يدعو إلا الله، واستجاب الله له، رأى ذلك رأي العين، وهذا أمر واقع يدل على وجود الخالق دلالة حسية"[2]، وفي القرآن كثير من هذا مثل:

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَـٰبِدِينَ﴾[3] وغير ذلك من الآيات كثير جدًا.

٢- عن أنس بن مالك أنه قال: "جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله هلكت المواشي، وتقطعت السبل فادع الله، فدعا الله فمطرنا من الجمعة إلى الجمعة، فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، تهدمت البيوت، وتقطعت السبل، وهلكت المواشي، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم

---

١) النمل: ١٤.
٢) (شرح العقيدة الواسطية/٤٣).
٣) الأنبياء: ٨٣-٨٤.

على ظهور الجبال والآكام وبطون الأودية ومنابت الشجر» فانجابت عن المدينة انجياب الثياب"[1].

٣- «ما آتى الله ﷻ رسله من معجزات خارقة لسنن الكون، وقوانين الحياة تدليلا على صدق نبوتهم وثبوت رسالتهم»[2]، ومن ذلك معجزة الخليل إبراهيم عليه السلام حين ألقاه قومه في النار فجعلها الله ﷻ عليه بردًا وسلامًا، وكشق البحر لموسى عليه السلام، وعصاه التي تنقلب حية بإذن الله، ونَصَره الله ﷻ بها على قومه يوم الجمع.

ومن ذلك معجزات عيسى عليه السلام التي يقر بها ملايين البشر من المسلمين والنصارى كإبرائه الأكمه والأبرص وإحيائه للموتى بإذن الله وكذا تكلمه في المهد!!

ومن ذلك أيضًا معجزات رسول الله ﷺ كرحلة الإسراء والمعراج، وانشقاق القمر، ورد عين قتادة بعد أن سقطت متدلية على وجنته وسلام الحصى والشجر عليه وغير ذلك كثير.

٤- ويلحق بذلك أيضًا كرامات الأولياء فإنها مؤيدة لما جاء به الأنبياء دالة على وجود الله سبحانه وتعالى.

---

١) البخاري: كتاب الاستسقاء: باب إذا استشفعوا إلى الإمام ليستسقي لهم لم يردهم رقم الحديث (١٠١٩) (فتح/٢/٦٤٧).
٢) (عقيدة المؤمن/٧٤).

المطلب الثالث: أثر توحيد الربوبية على العباد

تمهيد:

إن العبد المسلم الموفق هو الذي يستفيد من كل أمر يعلمه، صغيرًا كان أو كبيرًا، ويوظف هذه الإفادة لخدمة دينه، حتى يسعد في دنياه وأخراه، وكم من موفق استشف بروحه عظات وعبرًا من أمور لم تخطر لغيره على البال وكانت سببًا في زيادة هدايته، وكمال دينه.

وهكذا المسلم دائما، يحرص على ما ينفعه في ترسيخ إيمانه، وتثبيت أركانه وثباته على الحق دائمًا في وجه هذا الضلال المستبد، وإن لم يكن كذلك فليس هو المخاطب، لأنه بذلك ليس له كبير شأن في هذه الحياة التي هي مسرح كبير للتصارع بين الخير والشر ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾[1].

واعلم أخي أن كل مُنطلق ينطلق منه المسلم الصادق لزيادة إيمانه وتثبيته سوى التوحيد فمضمحل لا محالة، لأن من سلك هذا الطريق ضاع وتلقفته شياطين الإنس والجن.

فالمسلك الوحيد، الذي يضل من سلك غيره، هو التوحيد الذي أرسل الله به الرسل، وأوضح به السبل.

وإن توحيد الربوبية الذي سبق معناه، هو أحد أنواع التوحيد الذي لا ينفك عما سيأتي بعد ذلك من توحيد الألوهية والأسماء والصفات، فهو أحد

---

١) الإسراء: ٨٤.

هذه الأصول الثلاثة المكملة لبعضها، وبدون أحدها لا يدخل الإنسان في الإسلام.

والسؤال الذي يطرح نفسه. ما أثر هذا التوحيد "توحيد الربوبية" في حياة المسلم بالذات؟ هل عاشه بحسه ووجدانه حتى خالط لحمه ودمه؟ هل جعله نبراسًا يضيء له الطريق؟ أم صار ذلك العلم كلمات منقوشة في العقول لا تعدو أن تكون عبادات جافة يتحفَّز لها بإرهاق من يريد الوقوف على معناها؟!

هل من درَّس هذا العلم، كانت غايته الأخذ بالقلوب إلى علام الغيوب، أم أصبح ديدنه التقعر في الكلام، وإيراد الشبه على طلابه، حتى يسأموا هذا العلم، ويعدونه كالجمل الشارد الذي لا يكاد يقدر عليه أحد؟!

من هنا كان لزامًا على كل مسلم أن يربي نفسه ويزكيها تزكية صحيحة، وذلك بالاعتماد أولاً وآخرًا على هذا الأصل وهو التوحيد. فأيّ هذه الفوائد الغالية التي يجب على كل سائر إلى الله أن يعلمها؟ وأيّ هذه الحكم التي لا يتسنى لداعية أن يجهلها؟ هذا ما سأحاول أن أسلط عليه الضوء فيما سيأتي إن شاء الله تعالى.

النجاة من عذاب الحيرة والشك:

أول أثر من آثار توحيد الربوبية في نفس العبد المسلم هو النجاة من عذاب الحيرة والشك، الذي يودي بصاحبه في دائرة الهلاك.

"لقد عرف أن له ربًا –هو رب كل شيء– هو الذي خلقه فسوّاه، وكرمه وفضّله، وجعله في الأرض خليفة، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض جميعًا منه، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، فاطمأن إلى ربه، ولاذ بجواره،

واعتصم بحبله، فآوى بهذا -التوحيد- إلى ركن شديد، واستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها.

وعرف أن هذه الحياة القصيرة التي يعيشها الناس ممزوجة الخير بالشر، والعدل بالظلم، والحق بالباطل، واللذة بالألم، ليست هي الغاية ولا إليها المنتهى، إنما هي مزرعة لحياة أخرى هي خير وأبقى.

إن هذه المكاسب الهائلة التي غنمها "المسلم" واجتنى ثمارها، وقطوفها الدانية، لا يقدرها حق قدرها إلا من حرمها، أو تأمل بعين بصيرته حال من حرمها.

فالجاحدون "بربوبية الله" أو المرتابون فيه وفي لقائه يوم الحساب يحيون حياة لا طعم لها ولا معنى، حياة كلها قلق وحيرة كلها علامات استفهام، كلها أسئلة لا تجد لها عندهم جوابًا، إنهم لا يوقنون بشيء يطمئنون إليه، ويستريحون له في قضية وجودهم أنفسهم، ووجود الكون كله من حولهم، من أين جاؤوا؟ ومن جاء بهم؟ ولماذا جاء بهم؟ وإلى أين يذهبون بعد هذه المرحلة القصيرة، التي لم يفهموا لها سرًا، ولم يعرفوا لها غاية؟ وما هذا الكون؟ وما مبدؤه؟ وما غايته؟ وما علاقتهم به؟

إن عقولهم المحدودة لا تستطيع أن تجيبهم إجابة تشفي الصدور، وتنقع الغلّة، وتمحو بنورها ظلمات الشك والحيرة والاضطراب، ربما يهتدون في يوم إلى جواب عن هذه الأسئلة الحائرة المحيرة، ثم يعودون في اليوم الثاني فينقضون ما أبرموا، ويحلّون ما عقدوا، ويتبرّأون مما قالوا، لا يثبتون على قرار، ولا يستقرون على فكرة، ولا يدومون على وجهة أو طريق.

كريشة في مهب الريح طائرة   لا تستقرُّ على حال من القلق

إن هذا الشك والاضطراب والقلق الذي يتقلَّب على جمره الحائرون والمرتابون في وجود الله وحكمته، وعدله ورحمته وجزائه في الآخرة، ووحيه إلى رسله هذا الشك ليس شيئًا هيِّنًا، إنه عذاب أليم، وكوة من الجحيم فتحت على أهله، تلفحهم بنارها، وتشوي قلوبهم بحميمها، وكلما خف لهيبها هبت عليهم عواصف الشك من جديد فاشتعلت النار ليذوقوا العذاب"[1].

أما المسلم التقي قد استراح من هذا كله، فهو يؤمن بربوبية الله تعالى، وهذا الإيمان الواضح، يحل له جميع الألغاز الكبرى، حين عرف مبدأه ومصيره وغايته وهدفه في هذا الوجود، فانحلت عقد الشك من نفسه، وأصل هذا كله هو الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى، الذي سكن شغاف قلبه، وصار كتاب ربه برهانًا له على كل شيء[2].

قال تعالى مخاطبًا رسوله ﷺ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[3].

---

١) (الإيمان والحياة/٨٨-٩٢ بتصرف) للدكتور القرضاوي حفظه الله.
٢) (الإيمان والحياة/٨٨-٩٢ بتصرف) للدكتور القرضاوي حفظه الله.
٣) الأعراف: ١٥٨.

كفى بالسكينة راحة!

نعم، كفى بها والله راحة!!

علمت أن لك ربًا خالقًا ورازقًا ومدبرًا ومالكًا، ففزعت إليه وصار هو مطلوبك في الدنيا والآخرة، فأثمر هذا الشعور هذه السكينة والراحة حتى صارت بعد الله ﷻ عون المعين على النوائب وخير ملاذ بعده على المضي في هذا الطريق حتى تنال إحدى الحسنيين، وإن أهل السكينة الصادقة، هم أهل الإيمان، وبهم ينصر هذا الدين.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[1]، ثم كان ماذا؟ كان النصر بإذن الله.

وإن أهل السكينة هم أهل النجاة من الشدائد بإذن الله، قال تعالى:

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2].

أي فضل هذا؟! معية خاصة، وتأييد بالملائكة، ثم النجاة بأبهى تكريم وعز! وغير ذلك من فضل الله تعالى ونعمه على أهل السكينة قال تعالى:

---

١) التوبة: ٢٦.
٢) التوبة: ٤٠.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[1]. وغير ذلك من الآيات.

فالمسلم بغير سكينة إيمانية مسلم ضعيف جبان، سرعان ما ينكشف أمام المهام وأمام الأعداء، ولا يثبت أمام أدنى فتنة، وأقرب محنة، ولا يهدأ له بال، من أجل ذلك، كان رسول الله ﷺ يطلب من ربه السكينة والثبات إذا ما لاقى الأعداء، لأن من عدمها لا يقر له قرار.

فعن البراء بن عازب ﷺ قال: "كان النبي ﷺ يوم الأحزاب ينقل معنا التراب، ولقد وارى التراب بياض بطنه وهو يقول:

والله لولا أنت ما اهتـدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنــزلن ســكينة علــينا ... إن الأُلى قد أبوا علينا"[2]

وفي حديث سلمة بن الأكوع:

وأنزلن سكـينة علـينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا[3]

فما أحوج العبد الصادق إلى السكينة لأنها صديقة الضيق والحاجة فكم نصرت من عبد في وقت أحوج ما يكون فيه إلى نصرة!

فهي "إذا نزلت على القلب اطمأن بها، وسكنت إليها الجوارح وخشعت، واكتسبت الوقار، وأنطقت اللسان بالصواب والحكمة، وحالت بينه وبين قول

---

١) الفتح: ٤.
٢) مسلم: كتاب الجهاد، باب غزوة الأحزاب وهي الخندق رقم (٤٦٤٦)، (نووي/١٢/٣٧٩).
٣) مسلم: كتاب الجهاد: باب غزوة خيبر: رقم (٤٦٤٥) (نووي/١٢/٣٧٨).

الخنا والفحش، واللغو الهجر وكل باطل، وكثيرًا ما ينطق صاحب "السكينة" بكلام لم يكن عن فكرة منه، ولا روية ولا هبة، ويستغربه هو من نفسه، كما يستغربه السامع له، وربما لا يعلم بعد انقضائه بما صدر منه.

وأكثر ما يكون: هذا عند الحاجة، وصدق الرغبة من المسائل، والمجالس، وصدق الرغبة منه: هو إلى الله تعالى"[١].

كل شيء بيد الله فلا تخف غيره:

سبق معنا تعريف توحيد الربوبية فاستحضره في خاطرك كلما مررت بفائدة حتى تعرف كيف تستفيد من حفظ معناه.

فالله ﷻ هو الخالق الرازق المالك المدبر، مقاليد الأمور كلها بيده كما قال تعالى: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[٢].

فكل شيء بيده سبحانه ومن هذا الشيء النفع والضر، وقد ابتلي فئة من الأخيار بطلب النفع أو درء الضر عن أنفسهم ممن ليس بأيديهم شيء وهاتان العقبتان هما أشد الموانع في وجه الدعاة من السير في طريقهم المبارك، الذي اصطفاهم الله له.

ولست أكتب هنا هذا الكلام من فراغ، بل هو شيء عاينته أمامي وسمعته بأذني، ورأيت أثره الواضح على وجوه كثير من المصلحين أو ممن كانوا!!

---

١) (مدارج السالكين ٥٢٧/٢، ٥٢٨ بتصرف).
٢) الزمر: ٦٣.

ويا لله! تجد الواحد منهم، إذا ما ابتلي لا يصبر، ويذهب كل مذهب في اختلاق المعاذير التي جعلته يقرر الركون والكسل بل ويتعبد إلى الله بذلك!!

وكان أحمدَ له، أن يعترف بالتقصير، ويسأل الله الثبات، ويستمد منه العون والطول! وعندئذ سيجد إن شاء الله تعالى المعونة منه، ثم من إخوانه بل من نفسه، أما أن يتقوقع في بيته، ويهرب من إخوانه، ويحاول جاهدًا أن يغير من حاله التي كانت، إلى حالة يظن أنها من الإسلام ليستريح من عناء التكليف، فهذا ما لا يرضاه منهج ارتضاه لنفسه أول الطريق. ألم يكن من نهجه تقرير التوحيد في النفوس؟!

أين تقريره لتوحيد الربوبية، ومن ذلك ترداده وتكراره أنه تعالى النافع الضار، ألم تكن هذه عقيدته؟ فلماذا ميَّعها حتى كأنها سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا.

والعجيب أنه يستدل بنصوص يلوي أعناقها تبرئةً لنفسه، وإنه بذلك الفعل أخطأ مرتين، مرة في حق نفسه، وأخرى في حق دينه، والأخيرة لعمر الحق أشد وأسمع لأحدهم وهو يستدل عليك بحديث عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت»[1].

ووجه الدلالة عنده، أن مُضيَّه في هذا الطريق سيحرمه من قوت أولاده أي "الوظيفة" ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وهلمَّ جرًا! أو إنَّ ترك

---

١) حسن: رواه أبو داود، كتاب الزكاة، باب في صلة الرحم رقم (١٦٨٩) (عون ٥/٧٦)، مسند أحمد (٢/٢١٤) رقم (٦٤٩٢)، السنن الكبرى للبيهقي: باب وجوب النفقة للزوجة (٧/٤٦٧) مجمع الزوائد: كتاب النكاح: باب النفقات (٤/٣٢٥) شرح السنة للبغوي، كتاب العدة: باب نفقة المماليك (٩/٣٤٢) رقم (٢٤٠٤) وقال هذا حديث صحيح وقال قوله من يقوت: يريد من يلزمه قوته، وفيه بيان أن ليس للرجل أن يتصدق بما لا يفضل عن قوت أهله يلتمس به الثواب فإنه ينقلب إثما، والحديث صححه الألباني في الإرواء رقم (٩٨٩) وحسنه في صحيح الجامع رقم (٤٤٨١).

عمله الذي يستغرق جميع وقته إلى غيره مما يوفر له الرزق الضروري وبعض الكمالي حتى يعطي كل ذي حق حقه، وحتى لا يُسأل أمام الله عن هذه الطاقات الدعوية التي أوتيها وحرمها غيره، مما جعلت انطلاقه في ميدان الدعوة فرض عليه عليه دون غيره! ومع ذلك اختلق أيضًا المعاذير الواهية ثم راح يدندن لك حول هذا الحديث وغيره.

هذا الظاهر منه، والباطن يظهر حينًا بفلتات لسانه، نسأل الله جميعًا الثبات إلى الممات، اللهم آمين.

إلى هذا وأمثاله أذكره بتوحيده الذي علاه الرين فحجب عنه غالب النور، عن ابن عباس قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا، فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك... واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلامُ وجَفَّت الصحف»[1].

قال الإمام الحافظ ابن رجب -رحمه الله-:

فإن العبد إذا علم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له من خير وشر، ونفع وضر، وأن اجتهاد الخلق كلهم على خلاف المقدور غير مفيد البتة، علم حينئذ أن الله وحده هو الضار النافع، المعطي المانع، فأوجب ذلك للعبد توحيد ربه ﷻ، ولهذا ذم الله من يعبد من لا ينفع ولا يضر، ولا يغني عن عابده شيئًا[2].

---

١) صحيح: رواه الترمذي: أبواب صفة القيامة، باب (٢٢) رقم (٢٦٣٥) وقال هذا حديث حسن صحيح (تحفة٧/١٨٥) مستدرك الحاكم: كتاب معرفة الصحابة: باب تعليم النبي ﷺ ابن عباس رضي الله عنهما (٣/٥٤١) كنز العمال: التوكل(٣/١٠١) رقم (٥٦٩١) المسند للإمام أحمد (١/٤٦٤) رقم (٢٦٦٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٩٥٧).

٢) جامع العلوم والحكم (١/٤٨٤).

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله: الذي بيده الحول كله والقوة كلها التي يُرجى لأجلهما المخلوق ويُخاف إنما هو الله في الحقيقة، فكيف يُخاف ويُرجى من لا حول له ولا قوة؟! بل خوف المخلوق ورجاءه أحد أسباب الحرمان، ونزول المكروه بمن يرجوه ويخافه، فإنه على قدر خوفك من غير الله يسلط عليك وعلى قدر رجائك لغيره يكون الحرمان، فما شاء الله كان ولا بد، وما لم يشأ لم يكن ولو اتفقت عليه الخليقة[1].

ضمان الرزق وقود المسلم العامل:

إن القلب إذا ما اطمأن حقيقة أن الأرزاق بيد الله تعالى، وأن ربه لن يضيعه، استراح من عناء الهم والقلق، وتفرغ له عقله من كل شيء سوى الله سبحانه.

فهو عندئذ يلجأ إلى مسبب الأسباب ويسعى بها ولكن لا يلتفت إليها، فقلبه معلّق بمن أوجدها، لا يحزن على مفقود ولا يفرح بموجود، لأن من علم أن رزقه قد ضمن له، اطمأن إلى الضامن وعلم أن كل شيء بيده، فرضي به في جميع الأحوال يُسْرها وعُسْرها.

وإني لأتخيل صورة هذا العبد الذي نزع من قلبه، هذا التلهف والتشوق على قضية الرزق، وعلم أن ذلك كله بيد الله، ومع ذلك هو لا يألو جهدًا في حفظ رعيته، ويتقوّت لهم كما أُمر شرعًا، تتراءى أمامي صورة هذا المصلح في أبهى صورة يتمناها كل محتسب، أراه أمامي واثقًا بما عند الله أكثر من ثقته بما يراه، قد عقد قلبه بعزم ورشد نحو الهدف الذي يعيش من أجله، نحو الطريق

---

١) الفوائد ١٣١،١٣٢.

الذي يعلم قدر التعب والأهوال التي تحوطه ومع ذلك هو مصمم على تجاوزه مهما كان بإذن الله.

ومن هذه الأهوال تجويع أولاده! هكذا يخايل له الصاد عن الطريق "إبليس لعنه الله" فلا يلتفت إلى هذه الوساوس، ويعلم أن لهم رزقًا مضمونًا، فيزداد همة ونشاطًا على مواصلة السير، ولا بد من الرفقة في الطريق، لأن «يد الله مع الجماعة»[1]، وهي موجودة بفضل الله في كل مكان وزمان، وهذه الرفقة لا بد لهم من زاد، ومنهم الفقير والمسكين، بل منهم المعدوم الذي لا يجد قوت يومه، ومنهم أيضًا الغني وإذ بصاحبهم هذا، يجود عليهم بما تملك يداه، على فقيرهم ومسكينهم ومعدومهم بل وغنيهم وأعجب من هذا كله، أنه ربما كان أقل منهم شأنًا ويدًا، والأعجب والأعجب إذا ما رأيت أفراد هذه الجماعة كلهم ذاك الرجل ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2].

صورة تملأ القلوب والأبصار، وتقف أمامها الأعين خاشعة، أرأيت أخي الداعية ماذا يفعل التوحيد بقلوب أصحابه إذا ما عاشوه لفظًا ومعنى، ودعوة هؤلاء رجالها ممكنون إن شاء الله تعالى، وتوحيدُ هذا أثرُه ضائعٌ وخاسرٌ من فقده.

---

1) صحيح، مستدرك الحاكم، كتاب العلم، باب لا يجمع الله هذه الأمة على الضلالة أبدا (١١٥/١) كنز العمال، الباب الثاني في الاعتصام بالكتاب والسنة (٢٠٦/١) رقم (١٠٣١)، (١٠٣٢) كتاب السنة لابن أبي عاصم، ومعه في ظلال الجنة في تخريج السنة (٤٠/١) رقم (٨١) وصححه الألباني صحيح الجامع رقم (٨٠٦٥).

2) الحشر: ٩.

قال تعالى: ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]، قال الإمام ابن جرير الطبري: "يقول: ورزقكم حلال الرزق، ولذيذات المطاعم والمشارب، وقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ﴾ يقول تعالى ذكره: فالذي فعل هذه الأفعال، وأنعم عليكم أيها الناس هذه النعم، هو الله الذي لا ينبغي الألوهية إلا له، وربكم الذي لا تصلح الربوبية لغيره، لا الذي لا ينفع ولا يضر، ولا يخلق ولا يرزق"[2].

وغير هذه الآية عشرات الآيات من كتاب الله تعالى تحمل هذا المعنى "ولو أن الذين يحاولون أن يستدلوا على وحدانية الله تعالى بالأدلة التي كتبها علماء الكلام ولجأوا إلى القرآن الكريم واقتبسوا من أدلته وأفادوا من حججه لوضح لهم السبيل ووصلوا إلى الحق من أقرب طريق"[3].

ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك!

وهذه هي النتيجة الحتمية عند تأمل المسلم بالذات في ملكوت السموات والأرض وفي آيات الله تعالى الدالة عليه أن يقول بعد هذا التأمل والتفكر ربنا ما خلقت هذا باطلاً، لماذا؟ لأن تفكره غير تفكر الملحد الكافر بل إن منهم من هو مع مكابرته يقرّ أنه من المحال أن يوجد هذا الكون دون صانع، ومن أجل هذه المكابرة لا يستفيد من هذه النتائج التي وصل إليها رغمًا عنه، أما المسلم فلا، وكذلك فإن المسلم يقوده هذا التعايش الإيماني مع آيات الله أن يقول بعد ذلك، سبحانك فقنا عذاب النار، وهذه هي الثمرة الكبرى التي يقطفها كل

---

١) غافر: ٦٤.
٢) جامع البيان (٧٤/١١).
٣) (مباحث العقيدة في سورة الزمر/٣٥).

متفكر في آيات الله الدالة على ربوبيته على هذا النحو الذي أمر به شرعًا، بخلاف المسلم الساهي اللاهي تجده قد اعتاد على رؤية هذه الآيات دون أدنى تأمل، لذلك تجده متبلد الذهن، جاف المشاعر، غليظ الأحاسيس لا يرتدع إلا وهو على فراش الموت ينظر إلى أفول شمسه، وإلى كسوف ليله وأمسه وكله كآبة وضيق ورعب، فاللهم اجعلنا ممن ينتفعون برؤية آلائك ونعمائك، ومن الذين يذكرونك عند ذلك آمين.

وكم رئي من إنسان لا يتحرك قلبه خوفًا ولا وجلاً بل تجده متلبسًا بمعصية في وقت أن الناس يصلون فيه ويجأرون إلى الله أن ينكشف عنهم ما نزل بهم من كسوف شمس أو خسوف قمر، وهذه من أعظم الآيات التي يجب فيها على المسلم أن يكون من أشد الناس خوفًا عند ذلك، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾[1]، وهذه دعوة من الله تعالى لعباده أن يتفكروا في خلق السماوات والأرض تفكرًا يثمر لهم معرفة الغاية من وجودهم عند ذلك يسألونه تبارك وتعالى أن يقيهم عذاب النار، وأن يوقنوا بربوبيته ووحدانيته.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[2].

---

١) الإسراء: ٥٩.
٢) آل عمران: ١٩٠، ١٩١.

قال السعدي رحمه الله: يخبر تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ وفي ضمن ذلك، حث العباد على التفكر فيها، والتبصر بآياتها، وتدبر خلقها، وأبهم قوله "آيات" إشارة لكثرتها وعمومها؛ وذلك لأن فيها من الآيات العجيبة، ما يبهر الناظرين، ويقنع المتفكرين، ويجذب أفئدة الصادقين، وينبه العقول النيرة على جميع المطالب الإلهية.

فأما تفصيل ما اشتملت عليه، فلا يمكن مخلوقًا أن يحصره، ويحيط ببعضه، وفي الجملة فما فيها من العظمة والسعة، وانتظام السير والحركة، يدل على عظمة خالقها، وعظمة سلطانه، وشمول قدرته، وما فيها من الإحكام والإتقان، وبديع الصنع ولطائف الفعل، يدل على حكمة الله، ووضعه الأشياء مواضعها، وسعة علمه، وما فيها من المنافع للخلق، يدل على سعة رحمة الله وعموم فضله، وشمول برّه، ووجوب شكره.

وكل ذلك يدل على تعلق القلوب بخالقها ومبدعها، وبذل الجهد في مرضاته وأن لا يشرك به سواه، ممن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

وخص الله بالآيات، أولي الألباب، وهم أهل العقول، لأنهم هم المنتفعون بها الناظرون إليها بعقولهم لا بأبصارهم فقط.

ثم وصف أولي الألباب بأنهم..﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: ليستدلوا بها على المقصود منها، ودل هذا على أن التفكر عبادة من صفات أولياء الله العارفين، فإذا تفكروا فيها، عرفوا أن الله لم يخلقها عبثًا

فيقولون: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ﴾ عن كل ما لا يليق بجلالك، بالحق وللحق، بل خلقتها مشتملة على الحق"[1].

وقال الإمام أبو جعفر الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية: "وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره على قائل ذلك وعلى سائر خلقه بأنه المدبر المصرّف الأشياء والمسخر ما أحب... فقال جل ثناؤه، تدبروا أيها الناس واعتبروا، ففيما أنشأته فخلقته من السماوات والأرض لمعاشكم وأقواتكم وأرزاقكم، وفيما عقبت بينه من الليل والنهار، فجعلتهما يختلفان ويعتقبان عليكم، تتصرفون في هذا لمعاشكم، وتسكنون في هذا راحة لأجسادكم، ومُعْتَبر ومدّكر وآيات وعظات"[2].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: "فلا ريب أن خلق السماوات والأرض من أعظم الأدلة على وجود فاطرهما وكمال قدرته وعلمه وحكمته وانفراده بالربوبية والوحدانية، والله سبحانه إنما يذكر من مخلوقاته للدلالة عليه أشرفها وأظهرها للحس والعقل، وأبينها دلالة وأعجبها صنعة، كالسماء والأرض، والشمس والقمر والليل والنهار والنجوم والجبال والسحاب والمطر وغير ذلك من آياته"[3].

"وقد ذم الله تعالى من لا يعتبر بمخلوقاته الدالة على ذاته وصفاته وشرعه وقدره وآياته فقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ أي: يا من خلق الخلق بالحق والعدل، يا من هو منزه عن

---

١) تيسير الكريم الرحمن (٢٨٣/١، ٢٨٤).
٢) جامع البيان (٥٥٠/٣).
٣) مفتاح دار السعادة (١٩٦/٣، ١٩٧) بتصرف.

النقائص والعيب والعبث، قنا من عذاب النار بحولك وقوتك وقيضنا لأعمال ترضى بها عنا، ووفقنا لأعمال ترضى بها عنا ووفقنا لعمل صالح تهدينا به إلى جنات النعيم وتجيرنا من عذابك الأليم"[1].

وإن آيات الله الباهرة التي تأخذ بمجامع القلوب إلى علام الغيوب لا يعرف لذة النظر فيها إلا من عاينها بقلبه وفؤاده وحسه، وقدوتنا في ذلك رسول الله ﷺ.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "بت عند خالتي ميمونة، فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد، فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء فقال:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾. ثم قام فتوضأ واستن فصلى إحدى عشرة ركعة"[2].

محل الشاهد: فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر في السماء، والمراد من محل الشاهد قعد فنظر في السماء ووجه الترابط بين هذه الجملة والتي قبلها وهي "فلما كان ثلث الليل الآخر"، أنه في هذا الوقت يغلب على القلب صفاؤه ورواقه وشفافيته وفطرته السليمة فينعكس ذلك إلى أقرب ما يكون للقلب وهو الله تبارك ومن أعظم الآيات المقربة إليه في هذه الساعة الندية هي السماء التي تكون محط أنظار أهل الأسحار المتوجهة لمن على العرش فوقها، فتستوجب الدهش وشد الأنظار إليها، والتفكر فيها بما فيها، ربنا ما خلقت

---

١) تفسير ابن كثير (٤٤٨/١).

٢) البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الآية، رقم الحديث (٤٥٦٩)، فتح(٢٩٨/٨).

هذا باطلاً سبحانك، وإن السجود والركوع بعد هذا التأمل له مذاق خاص، يجعل صاحبه أهلاً لاستجابة دعائه على هذه الحال.

وآيات الله أكثر من أن تُحصى﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[١].

ومن أراد أن يقف على شيء من هذه الآيات المبهرات، الآخذات لقلوب المتفكرين فيها، الدالة على رب البريات بما تحويها فعليه بمطالعة بعض الكتب[٢] التي تحدثت عن شيء من ذلك مما يكون له أكبر الأثر في ربط القلوب بالله تعالى.

---

١) إبراهيم: ٣٤.

٢) من ذلك (مفتاح دار السعادة)، (نحلة تسبح الله)، (الزلزال الكوني الأعظم والإعجاز العلمي للقرآن الكريم)، (المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم)، (المعجزة القرآنية الإعجاز العلمي والغيبي)، (تأملات ابن القيم في الأنفس والآفاق) (العلم يدعو للإيمان) (انظر حولك)، (عبودية الكائنات لرب العالمين).

المبحث الثاني
توحيد الألوهية

المطلب الأول: تعريفه

المطلب الثاني: الأدلة لإثبات توحيد الألوهية

المطلب الثالث: أهمية توحيد الألوهية

المطلب الرابع: معنى لا إله إلا الله

المطلب الخامس: شروط لا إله إلا الله

المطلب السادس: نواقض لا إله إلا الله

المطلب السابع: أمثلة الشرك المنتشرة

المطلب الثامن: أثر توحيد الألوهية على العباد

المبحث الثاني
توحيد الألوهية

المطلب الأول: تعريفه

التوحيد: لغةً واصطلاحًا[١].

الألوهية لغة: الألوهية مشتقة من كلمة (إله) بمعنى: المعبود والمطاع، وهو يطلق على المعبود بحق كقوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾، ويطلق على المعبود بالباطل، كما في قوله سبحانه: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾، ثم غلب بعد ذلك استعماله على الإله الحق وصار معناه حينئذٍ، هو من تألهه القلوب حبًا وتعظيمًا وإجلالاً، وبذا يكون معناه يشتمل على أمرين:

الأول منهما: العبادة. والثاني: الطاعة[٢].

ومعنى توحيد الألوهية في الشرع: لا يخرج عن هذين المعنيين، فيكون تعريفه: هو إفراد الله بالعبادة والطاعة، أو هو توحيد الله بأفعال عباده، كالصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والذبح، والنذر، والخوف، والرجاء، والمحبة، على معنى أنهم يفعلونها طاعة له، وابتغاء مرضاته، ممتثلين في ذلك الأمر بالفعل للمأمور، ولنهيه، وذلك بترك المنهي عنه[٣].

---

١) سبق تعريفه.

٢) (المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية/١١٠) (تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد/٤٩٦ داخل الجامع الفريد) (اقتضاء الصراط المستقيم ٣٨٧/٢) (القاموس مادة: <أله> ١٢٤٢) (لسان العرب مادة: "أله" ١٨٨/١) (مختار الصحاح مادة "أله" ٩)، (تيسير العزيز الحميد/٣٦) (فتح المجيد/١١-١٢).

٣) (المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية/١١٠).

المعنى الإجمالي الجامع:

وعرّفه العلامة السعدي رحمه الله بتعريف شامل جامع، ذكر فيه حد هذا التعريف وكذا تفسيره وأركانه، فقال: فأما حده وتفسيره وأركانه فهو أن يعلم، ويعترف على وجه العلم واليقين، أن الله هو المألوه وحده، المعبود على الحقيقة، وأن صفات الألوهية ومعانيها، ليست موجودة بأحد من المخلوقات، ولا يستحقها إلا الله تعالى، فإذا عرف ذلك واعترف به حقًا أفرده بالعبادة كلها الظاهرة والباطنة، لا يقصد -بذلك- غرضًا من الأغراض غير رضا ربه وطلب ثوابه، متابعًا في ذلك رسول الله ﷺ فعقيدته ما دل عليه الكتاب والسنة، وأعماله ما شرعه الله ورسوله، وأخلاقه، وآدابه -الاقتداء بنبيه ﷺ- في هديه وسمته وكل أحواله[1].

المطلب الثاني: الأدلة على إثبات توحيد الألوهية

"لقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب إفراد الله بالعبادة "توحيد الألوهية" وتنوعت دلالاتها، فتارة تأتي نصوص الكتاب والسنة آمرة بتوحيد الله أمرًا مباشرًا، وتارة تأتي مبينة الغاية من خلق الجن والإنس، وتارة تأتي موضحة الهدف من إرسال الرسل وإنزال الكتب، وتارة تأتي محذرة من مخالفته، وتارة تأتي لبيان ثواب من عمل به في الدنيا والآخرة، وتارة لبيان عقوبة من تركه وتخلى عنه، أو ناوأه وحارب أهله"[2].

---

١) (توحيد الألوهية/١٠) (الفتاوى السعدية/٧-١٠).
٢) توحيد الألوهية/١٩.

الأدلة من القرآن:

١- قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١].

٢- وقال تعالى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾[٢].

٣- وقال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾[٣].

٤- وقال سبحانه: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[٤].

٥- وقال ﷻ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٥].

٦- وقال جل شأنه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٦].

وقال العماد بن كثير: وعبادته هي طاعته بفعل المأمور، وترك المحظور، وذلك هو حقيقة دين الإسلام، لأن معنى الإسلام: الاستسلام لله تعالى، المتضمن غاية الانقياد والذل والخضوع.

---

١) البقرة: ٢١.
٢) هود: ١٢٣.
٣) قريش: ٣.
٤) النساء: ٣٦.
٥) الأنعام: ١٥١.
٦) الذاريات: ٥٦.

وقال أيضًا في تفسير هذه الآية: ومعنى الآية: أن الله خلق الخلق ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وأخبر أنه غير محتاج إليهم، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، وهو خالقهم ورازقهم، وقال علي بن أبي طالب ﷺ في الآية: "إلا لآمرهم أن يعبدوني وأدعوهم إلى عبادتي" وقال مجاهد: "إلا لآمرهم وأنهاهم"، اختاره الزجاج وشيخ الإسلام. قال: ويدل على ذلك قوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[1]، ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ﴾[2]، فقد أمرهم بما خلقوا له، وأرسل الرسل بذلك، وهذا المعنى هو الذي قصد بالآية قطعا، وهو الذي يفهمه جماهير المسلمين ويحتجون بالآية عليه ا.هـ"[3].

قال ابن القيم -رحمه الله-: "وغالب سور القرآن، بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنواحي التوحيد شاهدة به داعية إليه، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأقواله، فهو التوحيد العملي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته وأمره ونهيه، فهو حقوق التوحيد ومكملاته... فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم"[4].

---

١) القيامة: ٣٦.
٢) النساء: ١.
٣) فتح المجيد: ٢١.
٤) فتح المجيد: ١٧-١٨ بتصرف.

الأدلة من السنَّة:

١- عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والحج وصوم رمضان**»[١].

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: والمقصود تمثيل الإسلام ببنيانه، ودعائم البنيان هذه الخمس، فلا يثبت البنيان بدونها، وبقية خصال الإسلام كتتمة البنيان، فإذا فقد منها شيء نقص البنيان وهو قائم لا ينتقض بنقض ذلك، بخلاف نقض هذه الدعائم الخمس، فإن الإسلام يزول بفقدها جميعها بغير إشكال، وكذلك يزول بفقد الشهادتين، والمراد بالشهادتين الإيمان بالله ورسوله[٢] اهـ، ولمسلم من طريق آخر: "على أن يوحد الله"[٣] ومن طريق آخر: "على أن يُعبد الله ويُكفر بما دونه"[٤].

فإن قيل: لم يذكر الإيمان بالأنبياء والملائكة وغير ذلك مما تضمنه سؤال جبريل عليه السلام، أجيب بأن المراد بالشهادة تصديق الرسول فيما جاء به فيستلزم جميع ما ذكر من المعتقدات[٥].

٢- عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ وحوله عصابة من أصحابه: «**بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا**» فبايعوه على ذلك[٦].

---

١) البخاري: كتاب الإيمان: باب دعاؤكم إيمانكم: رقم (٨) (فتح/١/٦٧).
٢) (جامع العلوم والحكم/١/١٤٥).
٣) مسلم: كتاب الإيمان، باب: بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام رقم (١١١) (نووي ١/١٢٨).
٤) مسلم: كتاب الإيمان، باب: بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام رقم (١١٢) (نووي/١/١٢٩).
٥) (فتح الباري/١/٦٩).
٦) البخاري: كتاب الإيمان: باب ١١، رقم (١٨) (فتح/١/٨٧).

٣- عن ابن عباس، أن معاذًا قال: بعثني رسول الله ﷺ قال: «**إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، فإن هم أطاعوك فأعلمهم أن الله ﷻ قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة**»[١].

"وفيه دليل أن توحيد العبادة هو الأول لأنه أساس الملة وأصل دين الإسلام"[٢].

٤- وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: بينا أنا رديف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا آخرة الرّحل فقال: «**يا معاذ، قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك... قال: هل تدري ما حق الله على عباده؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ بن جبل، قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق العباد على الله أن لا يعذبهم**»[٣]

قال العلامة السعدي رحمه الله: "حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا" أي: يخضعوا له محبة بطاعته وطاعة رسوله، فيشمل ذلك اعتقادات القلوب التي ترجع إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وأعمال القلوب التي مرجعها إلى الإنابة بالقلب إلى الله في الحب والخوف والرجاء، والرغبة والرهبة، وتوابع ذلك من أعمال الجوارح.

---

١) البخاري: كتاب الزكاة، باب: لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، رقم (١٤٥٨) (فتح٣/٤١١).
٢) (كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين٣٧).
٣) البخاري: كتاب الرقاق، باب من جاهد نفسه في طاعة الله رقم (٦٥٠٠) (فتح ١١/٤١٠).

وتحقيق جميع ذلك وتكميله، وحصول تمام مقصوده وروحه هو الإخلاص التام لله في جميع هذه العبادات، بأن يكون الداعي لها، والحامل للعبد على فعلها امتثال طاعة الله، وطاعة رسوله، وغايتها ومقصود صاحبها ابتغاء فضل الله ورضوانه، وبذلك يتحقق التوحيد الخالص الكامل وينتفي الشرك كله[1]. اهـ.

وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا وبيان ذلك أنه "ليس على الله حق واجب بالعقل كما تزعم المعتزلة، لكن هو سبحانه أحَقَّ ذلك على نفسه تفضلاً وإحسانًا على الموحدين المخلصين الذين لم يلتفتوا في إرادتهم ومهماتهم ورغباتهم ورهباتهم إلى أحد سواه ولم يتقربوا بما يقولونه ويعملونه من الطاعات إلا إليه وحده"[2].

٥- وعن عثمان ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ : «من مات وهو يعلم [انه] لا إله إلا الله دخل الجنة»[3].

فإن مات وهو مُصر على معصية لله تعالى تستوجب تفسيقه فأمره موكول إلى الله سبحانه إن شاء عذبه بقدر ذنبه ثم أدخله الجنة وإن شاء عفا عنه بمَنِّه وكرمه ورحمته، فعلم بذلك أن من مات وهو يعتقد أن لا إله إلا الله دخل الجنة قطعًا بإذن الله، بشرط عدم تلبسه بمعاصٍ توجب كفرًا بالله تعالى.

٦- عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :«يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال لا إله

---

١) (الفتاوى السعدية/٥-٦).
٢) (قرة عيون الموحدين/١٠).
٣) مسلم: كتاب الإيمان: باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا: رقم (١٣٥) (نووي١/١٦٥).

إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن بُرّة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه ما يزن من الخير ذرة»[1].

المطلب الثالث: أهمية توحيد الألوهية وبيان أن حاجة المسلم إليه أعظم من حاجته إلى الطعام والشراب والنفس بل وإلى الروح التي بين جنبيه

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: اعلم أن كل حي سوى الله فهو فقير إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضرّه، والمنفعة للحي من جنس النعيم، واللذة والمضرة من جنس الألم والعذاب، فلا بد له من أمرين: أحدهما هو المطلوب المقصود المحبوب الذي ينتفع به ويتلذذ به، والثاني هو المعين الموصل المحصّل لذلك المقصود والمانع لحصول المكروه والدافع له بعد وقوعه.

فهاهنا أربعة أشياء: أمر محبوب مطلوب الوجود، والثاني أمر مكروه مطلوب العدم، والثالث الوسيلة إلى حصول المحبوب، والرابع: الوسيلة إلى دفع المكروه.

فهذه الأمور الأربعة ضرورية للعبد، بل ولكل حي سوى الله، لا يقوم صلاحه إلا بها، إذا عرف هذا، فالله سبحانه وتعالى هو المطلوب المعبود المحبوب وحده لا شريك له، وهو وحده المعين للعبد على حصول مطلوبه، فلا معبود سواه، ولا معين على المطلوب غيره، وما سواه هو المكروه المطلوب بعده، وهو المعين على دفعه، فهو سبحانه الجامع للأمور الأربعة دون ما سواه، وهذا معنى قول العبد "إياك نعبد وإياك نستعين"، ولهذا كانت "لا إله إلا

---

١) البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ رقم (٧٣١٠) (فتح ٤٨٤/١٣).

الله" أفضل الحسنات، وكان توحيد الإلهية الذي كلمته لا إله إلا الله رأس الأمر لأن الإله هو الذي يُؤله فيُعبد محبة وإنابة وإجلالاً وإكرامًا، والرب هو الذي يربي عبده فيعطيه خلقه ثم يهديه إلى جميع أحواله ومصالحه التي بها كماله، ويهديه إلى اجتناب المفاسد التي بها فساده وهلاكه.

إذا عُرف هذا فاعلم أن حاجة العبد إلى أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا في محبته ولا في خوفه ولا في رجائه ولا في التوكل عليه ولا في العمل له ولا في الحلف به ولا في النذر له ولا في الخضوع له ولا في التذلل والتعظيم والسجود والتقرب أعظم من حاجة الجسد إلى روحه، والعين إلى نورها، بل ليس لهذه الحاجة نظير تُقاس به، فإن حقيقة العبد قلبه وروحه ولا صلاح لها إلا بإلهها الذي لا إله إلا هو، فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره وهي كادحة إليه كدحًا فملاقيته، ولا بد لها من لقائه، ولا صلاح لها إلا بمحبتها وعبوديتها له ورضاه وإكرامه لها.

ولو حصل للعبد من اللذات والسرور بغير الله ما حصل لم يدم له ذلك، بل ينتقل من نوع إلى نوع، ومن شخص إلى شخص، ويتنعم بهذا في وقت ثم يتعذب به ولا بد في وقت آخر.

والمقصود أن إله العبد الذي لا بد له منه في كل حالة وكل دقيقة وكل طرفة عين، فهو الإله الحق الذي كل ما سواه باطل، والذي أينما كان فهو معه، وضرورته إليه وحاجته إليه لا تشبههما ضرورة ولا حاجة بل هي فوق كل ضرورة وأعظم من كل حاجة[1] ا.هـ.

---

١) طريق الهجرتين/٥٦-٥٨ بتصرف.

وقال الشيخ السعدي -رحمه الله- مبينًا أهمية هذا النوع من التوحيد ما معناه: وهذا الأصل أعظم الأصول على الإطلاق وأكملها، وأفضلها، وأوجبها، وألزمها لصلاح الإنسانية، وهو الذي خلق الله الجن والإنس لأجله، وخلق المخلوقات، وشرع الشرائع لقيامه، وبوجوده يكون الصلاح، وبفقده يكون الشر والفساد، وجميع الآيات القرآنية إما أمر بحق من حقوقه أو نهي عن ضده، أو إقامة حجة عليه، أو بيان جزاء أهله في الدنيا والآخرة، أو بيان الفرق بينهم وبين المشركين[1] .ا.هـ.

"ومما يدل على أهميته أن قبول الأعمال متوقف عليه، وأنه يتضمن جميع أنواع التوحيد فكلها تدخل فيه، فمن اعتقده فهو معتقد لغيره من الربوبية والأسماء والصفات، ومن اكتفى بغيره لم يدخل في دين الإسلام"[2].

---

١) القواعد الحسان لتفسير القرآن/٢١-٢٢.
٢) توحيد الألوهية/١٨.

المطلب الرابع: معنى لا إله إلا الله وفضلها

قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾[1]، وقال رسول الله ﷺ: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»[2].

للشهادة ركنان:

١- نفي في قوله "لا إله".

٢- إثبات في قوله "إلا الله"، فلا إله نفت الألوهية عن كل ما سوى الله، وإلا الله أثبتت الألوهية لله وحده لا شريك له[3].

"فالعلم بمعنى هذه الكلمة العظيمة شرط في نفع صاحبها في الآخرة ودخوله الجنة، وإن كان العلم يتفاوت ومراتبه تختلف، فإن أصل العلم بمعنى كلمة التوحيد من إثبات الألوهية لله وحده ونفيها عن من دونه، ركن من أركان الإيمان باطنًا لا يثبت بدونه، وأما ظاهرًا فيجب إثبات الإسلام بنطقها وحمل أمر من ينطقها على السلامة، حتى يتبين ما يناقضها.

ومعنى لا إله إلا الله -أنه- لا معبود بحق إلا الله، ولا يلجأ العباد ويضرعون ويفزعون في كل ما ينوبهم إلا إلى الله.

وكذلك لا عظيم تحار العقول في عظمته ولا تدرك حقيقتها سواه سبحانه وتعالى، إذ كل من دونه حقير ذليل فقير إليه.

---

١) محمد: ١٩.
٢) سبق تخريجه.
٣) (لا إله إلا الله معناها أركانها فضائلها شروطها/٨).

ومن هنا تعلم خطأ من ظن أن معنى لا إله إلا الله لا خالق إلا الله، بل المشركون الذين أبوا أن يقولوا لا إله إلا الله، كانوا يقرون أن لا خالق إلا الله وكذلك من معاني "الإله" أنه الذي تشتاق إليه القلوب وتميل إليه فالقلوب إنما تستقر وتسكن بتوجهها إلى الله وحده.

فالقلب الإنساني فيه فقر وحاجة شديدة إلى إلهه الحق سبحانه لا يسدها سوى عبادته والتوجه إليه، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[1].

والحقيقة أن هذا الأمر، وهو طمأنينة القلب بالتوجه إلى الله دون ما سواه من أعظم أدلة توحيد الإلهية، ولكنه لا يشعر به ولا يجده إلا المؤمنون المحبون الصادقون الذين جربوا الفرق الهائل بين الحياة والموت، بين السعادة والشقاوة، بين النور والظلام، بين التوحيد والشرك وبين الإيمان والكفر"[2].

وهذه الشهادة "هي سبيل الفوز والسعادة، الفوز بدخول الجنة والنجاة من النار كما قال تعالى: ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾[3]، ولا سعادة في الدارين إلا عن طريقها، فهي الكلمة التي أرسل الله بها رسله، وأنزل بها كتبه، ولأجلها خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار، وفي شأنها تكون الشقاوة والسعادة، وبها تؤخذ الكتب باليمين والشمال، ويثقل الميزان أو يخف، وبها النجاة من النار بعد الورود، وبعدم التزامها البقاء في النار، وبها أخذ الله الميثاق، وعليها الجزاء والمحاسبة،

---

١) الرعد: ٢٨.
٢) لا إله إلا الله كلمة النجاة/١٣-١٦ بتصرف.
٣) آل عمران/١٨٥.

وهي أصل الدين وأساسه، ورأس أمره وساق شجرته، وعمود فسطاطه وبقية أركان الدين وفرائضه متفرعة عنها متشعبة منها مكملات لها، مقيدة بالتزام معناها، والعمل بمقتضاها"[1].

المطلب الخامس: شروط لا إله إلا الله

ذكر صاحب المعارج شروطًا سبعة لهذه الكلمة حتى تنفع صاحبها في الدنيا والآخرة وهي:

الأول: العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا: نفيًا للألوهية واستحقاق العبادة عن غير الله وهو الكفر بالطاغوت، وإثباتًا للألوهية لله وحده وهو الإيمان بالله، قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾[2].

الثاني: اليقين المنافي للشك، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[3].

الثالث: القبول المنافي للاستكبار، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾[4].

---

1) معارج القبول ٢/ ٤١٠-٤١١ بتصرف.
2) محمد: ١٩.
3) الحجرات: ١٥.
4) الصافات: ٣٥.

الرابع: الانقياد لما دلت عليه، قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[2].

الخامس: الصدق المنافي للكذب، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[3].

السادس: الإخلاص، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾[4].

السابع: المحبة، محبة الله ورسوله، والمؤمنين وبغض الكافرين والمنافقين، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[6][7].

---

١) الزمر: ٥٤.
٢) النساء: ٦٥.
٣) البقرة: ٨.
٤) البينة: ٥.
٥) البقرة: ١٦٥.
٦) المائدة: ٥٤.
٧) معارج القبول (٢/٤١٩-٤٢٧) بتصرف، ينظر.

"وزاد بعضهم شرطًا ثامنًا وهو الكفر بما يُعبد من دون الله "الكفر بالطاغوت"، قال ﷺ: «من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله؛ حرم ماله ودمه وحسابه على الله»[1]، فلا بد لعصمة الدم والمال مع قوله: "إنه لا إله إلا الله من الكفر بما يعبد من دون الله كائنًا من كان"[2].

مسائل هامة

الأولى: اعلم أن شروط كلمة التوحيد ليست منحصرة في الشروط السبعة السابقة، بل كل عمل من أعمال القلب الواجبة شرط في قبولها يوم القيامة كذلك.

كما يدل عليه القرآن: فالتوكل من شروطها، قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[3]، والخوف من الله من شروطها، قال تعالى: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[4]، والرجاء والرغبة إلى الله من شروطها، قال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾[5].

الثانية: هذه الشروط يتفاوت الناس فيها زيادةً ونقصانًا لأنها من الإيمان، والإيمان يزيد وينقص عند أهل السنة كما دل عليه القرآن والسنة وإجماع السلف.

---

١) مسلم: كتاب الإيمان: باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ... رقم (١٢٩) (نووي١/١٥٩).
٢) مختصر معارج القبول / ١٢٢.
٣) المائدة: ٢٣.
٤) آل عمران: ١٧٥.
٥) الأنبياء: ٩٠.

الثالثة: هذه الشروط ليست شروطًا في قبول الإسلام الظاهر في الدنيا، بل في نفع صاحبه في الآخرة.

وتأمل جميع الأدلة التي ذكرت في كون هذه الأعمال شروطًا تجدها إنما هي في أمر الآخرة: «حرمه الله على النار» [1]، «دخل الجنة»[2]، ونحو ذلك، وليس في ثبوت عصمة الدم والمال -بل النطق بها مع شهادة أن محمدًا رسول الله- كاف في عصمة الدم والمال وثبوت حكم الإسلام ظاهرًا، وجريان أحكام الإسلام على صاحبها في الدنيا.

واحذر مما وقع فيه أهل البدع من الخلط بين الأمرين، إلا أن يصرح من نطق بها -بكلامه الواضح الصريح- أنه قد انتفى من قلبه بشيء من هذه الشروط، فهو مرتد بهذا الكلام ولا يقبل منه إلا الإسلام أو السيف.

الرابعة: لا يلزم المسلم حفظ هذه الشروط وعدمها، بل المقصود وجودها في قلبه، ووجود كمالها الواجب في قلبه ولسانه وجوارحه"[3]،"فكم من عامي اجتمعت فيه والتزمها ولو قيل له اعددها لم يحسن ذلك، وكم حافظ لألفاظها يجري فيها كالسهم وتراه يقع كثيرًا فيما يناقضها، والتوفيق بيد الله، والله المستعان"[4].

---

١) مسلم: كتاب الإيمان: باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا. رقم (١٤١) (نووي/١/١٧٥) والحديث عن عبادة بن الصامت.

٢) سبق تخريجه.

٣) (لا إله إلا الله كلمة النجاة/٦٢-٦٦ بتصرف) د. ياسر برهامي حفظه الله.

٤) (معارج القبول/٢/٤١٨).

المطلب السادس: نواقض لا إله إلا الله

ذكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله وتبعه بعد ذلك جماعات من أهل العلم عشرة من نواقض لا إله إلا الله فقال رحمه الله:

الأول من النواقض العشرة: الشرك في عبادة الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾(٢).

ومن ذلك دعاء الأموات والاستغاثة بهم والنذر والذبح لهم.

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم، فقد كفر إجماعا.

الثالث: من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم؛ كفر.

الرابع: من اعتقد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكمه أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر.

الخامس: من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به، فقد كفر، لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾(٣).

---

١) النساء: ٤٨.
٢) المائدة: ٧٢.
٣) محمد: ٩.

السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۞ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾[1].

السابع: السحر ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالى:

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[2].

الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[3].

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ فهو كافر، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾[4].

---

١) التوبة: ٦٥،٦٦.
٢) البقرة: ١٠٢.
٣) المائدة: ٥١.
٤) آل عمران: ٨٥.

العاشر: الإعراض عن دين الله، لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾[1].

ولا فرق في جميع هذه النواقض، بين الهازل والجاد، والخائف إلا المكره، وكلها من أعظم ما يكون خطرًا، ومن أكثر ما يكون وقوعها، فينبغي للمسلم أن يحذرها، يخاف منها على نفسه، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه[2].ا.هـ.

يقول العلامة ابن باز رحمه الله: "ويدخل في القسم الرابع من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام أو أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين، أو أنه كان سببًا في تخلف المسلمين أو أن يحصر في علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شؤون الحياة الأخرى، ويدخل في الرابع أيضًا من يرى أن إنفاذ حكم الله في قطع يد السارق أو رجم الزاني المحصن لا يناسب العصر الحاضر، ويدخل في ذلك أيضًا كل من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات أو الحدود أو غيرها وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم الشريعة لأنه بذلك يكون قد استباح إجماعًا، وكل من

---

١) السجدة: ٢٢.
٢) (تيسير ذي الجلال والإكرام بشرح نواقض الإسلام/١٧-١٨)، (لا إله إلا الله كلمة النجاة/٦٧-٧٠)، (العقيدة الصحيحة ونواقض الإسلام/٥٧-٦٢)، ومن أراد التوسع في شرح هذه النواقض فليقرأ "تيسير ذي الجلال والإكرام بشرح نواقض الإسلام".

استباح ما حرم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة كالزنا والخمر والحكم بغير شريعة الله فهو كافر"[1][2].

المطلب السابع: أمثلة الشرك المنتشرة

١- دعاء الأموات[3]:

قال شيخ الإسلام: فكل من غلا في حي، أو في رجل صالح، وجعل فيه نوعًا من الإلهية، مثل أن يقول: يا سيدي فلان اغفر لي، أو ارحمني أو انصرني، أو ارزقني، أو أغثني، أو أجرني، أو توكلت عليك، أو أنت حسبي، أو أنا في حسبك أو نحو هذه الأقوال والأفعال، التي هي من خصائص -توحيده- التي

---

١) (العقيدة الصحيحة/٦٣-٦٤).

٢) "إني أسأل نفسي وأسأل كل من يوجه له السؤال: "أما لهذا الليل من آخر"؟ أجل هذا الليل المدلهم الحالك الطويل متى ينتهي؟ وهذه الغربة التي يعيشها المؤمنون متى تزول؟ إني أسأل فهل من يملك الجواب؟ أسأل كما سأله قبلي أولئك الذين خلوا من قبلنا من رسل الله وأتباعهم، فقالوا حين مستهم البأساء والضراء وزلزلوا "متى نصر الله"؟ "فيما يحكيه عنهم ربي جل جلاله" في قوله: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ﴾ الآية امتد عليهم الليل وطالت بهم المعاناة فصرخوا وجاءهم الجواب سريعًا حاسمًا من أحكم الحاكمين سبحانه ﴿ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ يعيد التاريخ نفسه، ويتكرر المشهد.. وتمس المسلمين اليوم البأساء والضراء، وتتزلزل الأرض من تحت أقدامهم -بما كسبت أيديهم- ويجأرون بالشكوى إلى ربهم ومولاهم "يا رب طالت بنا الغربة فمتى تزول؟ اللهم إن ليل الغرباء قد طال، فأنر دياجير ظلمته بنور اليقين بصدق وعدل، وإن أمة حبيبك ومصطفاك قد تمزقت بها السبل وتفرقت بها الأهواء فردها إليك ردًا جميلا، ألا إنه ليل مدلهم، وإنه لزمان الفتن التي كقطع الليل المظلم، هذا الذي نعيشه، فإليك ربنا نلتجئ وبك نعوذ من شرور أنفسنا ومن كيد الشيطان، ومن تآمر المتآمرين" (خطرات ونظرات/٩٣-٩٤ بتصرف).

٣) الأدعية البدعية على مراتب ثلاثة: إحداها: أن يدعو غير الله وهو ميت أو غائب، سواء كان من الأنبياء والصالحين وغيرهم فيقول: سيدي فلان أغثني ونحو ذلك، فهذا هو الشرك بالله.
الثانية: أن يقال للميت أو الغائب من الأنبياء والصالحين: ادع الله لي أو ادع لنا ربك أو اسأل الله لنا .. فهذا أيضًا لا يستريب عالم أنه غير جائز، وأنه من البدع التي لم يفعلها من سلف الأمة أحد.
الثالثة: أن يقال: أسألك بفلان، أو بجاه فلان عندك ونحو ذلك، فهذا منهي عنه وليس بمشهور عن الصحابة بل عدلوا عنه إلى التوسل بدعاء العباس وغيره (مجموع الفتاوى/١/٣٥٠-٣٥٦ بتصرف).

لا تصلح إلا لله تعالى، فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قتل، فإن الله إنما أرسل الرسل، وأنزل الكتب لنعبد الله وحده لا شريك له ولا نجعل مع الله إلهًا آخر[1].

٢- الاستغاثة بغير الله تعالى:

قال شيخ الإسلام: ولا يجوز لأحد أن يستغيث بأحد من المشايخ الغائبين، ولا الميتين، مثل أن يقول: يا سيدي فلانًا أغثني وانصرني ونحو ذلك، بل كل هذا من الشرك الذي حرم الله ورسوله، وتحريمه مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام، وهؤلاء المستغيثون بالغائبين والميتين عند قبورهم وغير قبورهم، لما كان من جنس عبّاد الأوثان، صار الشيطان يضلهم ويغويهم، كما يضل عبّاد الأوثان ويغويهم، فتتصور الشياطين في صور ذلك المستغاث به، وتخاطبهم بأشياء على سبيل المكاشفة، كما تخاطب الشياطين الكهان، وبعض ذلك صدق.

وقد تقضي الشياطين بعض حاجاتهم وتدفع عنهم بعض ما يكرهونه، فيظن أحدهم أن الشيخ هو الذي جاء من الغيب حتى فعل ذلك[2].

٣- النذر لغير الله تعالى:

قال تعالى:

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[3]، قال ابن كثير: يخبر تعالى أنه عالم بجميع ما يعمله

---

١) (مجموع الفتاوى/٣/٣٩٥).
٢) (مجموع الفتاوى/١/٣٥٩-٣٦٠).
٣) البقرة: ٢٧٠.

العاملون من الخيرات، من النفقات والمنذورات، وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين به ابتغاء وجهه[1].اهـ.

"وإذا علمت ذلك: فهذه النذور الواقعة من عباد القبور، تقربًا بها إليهم ليقضوا حوائجهم وليشفعوا لهم، كل ذلك شرك في العبادة بلا ريب"[2].

٤- الذبح لغير الله تعالى:

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: الذبح لغير الله شرك أكبر؛ لأن الذبح عبادة كما أمر الله به في قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾[3] فإذا ذبح الإنسان شيئًا لغير الله تعظيمًا له، وتذللاً، وتقربًا إليه كما يتقرب بذلك ويعظم ربه ﷻ كان مشركًا بالله، سواء ذبح ذلك لملك من الملائكة، أو لرسول من الرسل، أو لنبي من الأنبياء أو لخليفة من الخلفاء، أو لولي من الأولياء أو لعالم من العلماء، أو لقبور الذين يزعمون بأنهم أولياء، كل ذلك شرك بالله ﷻ ومخرج من الملة[4]. فعن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله»[5].

٥- الحلف بغير الله تعالى:

عن عمر بن الخطاب ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال:« من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[6].

---

١) (تفسير ابن كثير/١/٣٣٠).
٢) (فتح المجيد/١٦٩).
٣) الكوثر: ٢.
٤) (مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين).
٥) مسلم: كتاب الأضاحي: باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله، رقم (٥٠٩٧) (نووي١٣/١٤٢).
٦) صحيح: المسند رقم (٥٥٩٤) (٢/١١٧)، مستدرك الحاكم: كتاب الإيمان: من حلف بغير الله فقد أشرك (١/١٨) وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فقد احتجا بمثل هذا الإسناد وخرجاه في الكتاب وليس له علة ولم يخرجاه، أبو داود: كتاب الإيمان والنذور، باب كراهية الحلف بالآباء رقم (٣٢٤٩)

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: قوله: « من حلف بغير الله» يشمل كل محلوف به سوى الله، سواء بالكعبة أو الرسول ﷺ أو السماء أو غير ذلك، ولا يشمل الحلف بصفات الله، لأن الصفة تابعة للموصوف، وعلى هذا فيجوز أن تقول وعزة الله لأفعلن كذا، والحلف بغير الله شرك أكبر -إن اعتقد أن المحلوف به مساوٍ لله تعالى في التعظيم والعظمة، وإلا فهو شرك أصغر[1].

٦- الذهاب إلى الكهنة[2] والعرّافين[3] وتصديقهم:

عن صفية، عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«من أتى عرّافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة »[4].**

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ »[5].**

(عون/٩/٥٦-٥٧)، الترمذي: أبواب النذور والأيمان، باب ٨ رقم (١٥٧٤) (تحفة الأحوذي/٥/١١٣) وصححه الألباني في الإرواء (٢٥٦١) وصحيح الجامع رقم (٦٢٠٤) وكذا الصحيحة رقم (٢٠٤٢).

١) (القول المفيد/٢/٣٢٤-٣٢٥) بتصرف).

٢) الكهنة جمع كاهن والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل وقيل: الذي يخبر عما في الضمير. (القول السديد/٩٧) (القول المفيد/٢/٤٧) (لسان العرب مادة "كهن"/١٢/١٨٠).

٣) العرّافون: يقول ابن تيمية: العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم، ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق. (القول السديد/٩٧) (القول المفيد/٢/٤٨) وقال ابن عثيمين: وهذا المعنى أعم ويدل عليه الاشتقاق إذا هو مشتق من المعرفة، فيشمل كل من تعاطى هذه الأمور وادعى بها المعرفة. وقال في لسان العرب في مادة "عرف" (٩/١٥٤) العرّاف المنجم الذي يدّعي علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه.

٤) مسلم: كتاب السلام: باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، رقم (٥٧٨٢) (نووي/١٤/٤٤٦).

٥) صحيح: الترمذي: أبواب الطهارة: باب ما جاء في كراهية إتيان الحائض رقم (١٣٥) (تحفة/١/٣٥٥)، ابن ماجه: كتاب الطهارة وسننها: باب النهي عن إتيان الحائض رقم (٦٣٩) (حاشية السندي/١/٣٥٤)، أبو داود: كتاب الطب، باب في الكهان: رقم (٣٨٩٨) (عون/١٠/٢٨٣)، السنن الكبرى للنسائي: كتاب عشرة النساء: ذكر خلاف ألفاظ الناقلين لخبر أبي هريرة رقم (٩٠١٧) (٥/٣٢٣) مسند أحمد رقم (٩٢٦٣) (٢/٥٣٧)، السنن الكبرى للبيهقي: كتاب النكاح، باب إتيان النساء في أدبارهن (٧/١٩٨) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٦٤٤) والإرواء (٢٠٠٦) والمشكاة (٥٥١) وآداب الزفاف (١٣١).

"فالذي يصدق الكاهن في علم الغيب، وهو يعلم أنه لا يعلم الغيب إلا الله فهو كافر كفرًا أكبر مخرجًا عن الملة، وإن كان جاهلاً ولا يعتقد أن القرآن فيه كذب فكفره كفر دون كفر.

ويؤخذ من الحديث: تحريم إتيان العراف وسؤاله، لما في إتيانهم وسؤالهم من المفاسد العظيمة، وهم في الغالب يأتون بأشياء كلها باطلة"[1]

"فالواجب على المسلمين الحذر من ذلك والتواصي بتركه، والاعتماد على الله سبحانه، والتوكل عليه في كل الأمور، ولا بأس بتعاطي الرقى الشرعية والأدوية المباحة والعلاج عند الأطباء الذين يستعملون الكشف على المريض والتأكد من مرضه بالأسباب الحسية والمعقولة"[2].

٧- لبس الحلقة والخيط وتعليق التمائم ونحوها لرفع البلاء أو دفعه:

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[3].

"فهذه الآية وأمثالها تبطل تعلق القلب بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر وأنه شرك بالله، وفي الآية بيان أن الله تعالى وسم أهل الشرك بدعوة غير الله والرغبة إليه من دون الله، والتوحيد ضد ذلك، وهو أن الله لا يرغب إلا إليه

---

١) (القول المفيد/٢/٥٢-٥٥ بتصرف).
٢) (إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله/٣٥).
٣) الزمر: ٣٨.

ولا يتوكل إلا عليه، وكذا جميع أنواع العبادة لا يصلح منها شيء لغير الله دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها"[1].

وعن عمران بن حصين ﷺ: أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حَلْقة من صُفْر فقال ما هذه؟ قال: من الواهنة، فقال: «**انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا**»[2].

"فهذا الذي لبس الحلقة من الواهنة، لا تزيده إلا وهنًا، لأنه سوف يعتقد أنها ما دامت عليه فهو سالم فإذا نزعها عاد عليه الوهن وهذا بلا شك ضعف في النفس"[3].

وعن أبي بشير الأنصاري ﷺ: "أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولاً أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت"[4].

يستفاد من الحديث: "أنه لا يجوز أن تعلّق في أعناق الإبل أشياء تجعل سببًا في جلب منفعة أو دفع مضرة، وهي ليست كذلك لا شرعًا ولا قدرًا لأنه شرك، ولا يلزم أن تكون القلادة في الرقبة بل لو جعلت في اليد أو في الرجل،

---

١) (فتح المجيد/١٢٥).
٢) صحيح مسند أحمد رقم (١٩٩٤٣) (٥٩٣/٤) واللفظ له، وابن ماجه: كتاب الطب: باب: تعليق التمائم رقم (٣٥٣١) (١٢٩/٤) «وليس فيه فإنك لو مت.». إلخ، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: كتاب الرقى والتمائم رقم (٦٠٨٥) (٤٤٩/١٣. إحسان) وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات رجال الشيخين غير مبارك بن فضالة فقد روى له أصحاب السنن وعلق له البخاري وهو صدوق لكنه يدلس وقد عنعن، مستدرك الحاكم: كتاب الطب: إذا رأى أحدكم من نفسه أو أخيه ما يحب فليبرك (٢١٦/٤) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الشيخ عبدالقادر الأرنؤوط وهو حديث صحيح (فتح المجيد/١٢٥ بالهامش).
٣) (القول المفيد/١٦٧/١).
٤) البخاري: كتاب الجهاد والسير: باب ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل رقم (٣٠٠٥) (فتح/١٧٤/٦).

فلها حكم الرقبة، لأن العلة هي هذه القلادة، وليس مكان وضعها، فالمكان لا يؤثر "[1].

وعن عقبة بن عامر الجهني قال: قال رسول الله ﷺ: «من علق تميمة[2] فقد أشرك»[3].

قال أبو السعادات: إنما جعلها شركًا لأنهم أرادوا دفع المقادير المكتوبة عليهم وطلبوا دفع الأذى من غير الله الذي هو دافعه[4].

قال العلامة المحدث الألباني رحمه الله: ولا تزال هذه الضلالة فاشية بين البدو والفلاحين وبعض المدنيين، ومثلها الخرزات التي يضعها بعض السائقين أمامهم في السيارة يعلقونها على المرآة! وبعضهم يعلق نعلاً عتيقة! في مقدمة السيارة أو في مؤخرتها! وغيرهم يعلقون نعل فرس في واجهة الدار أو الدكان! كل ذلك لدفع العين –زعموا– وغير ذلك مما عم وطم بسبب الجهل بالتوحيد، وما ينافيه من الشركيات والوثنيات التي ما بعثت الرسل ولا أنزلت الكتب إلا من أجل إبطالها والقضاء عليها –وتعبيد الناس لرب العالمين– فإلى الله المشتكى

---

١) (القول المفيد/١/١٧٦-١٧٧).

٢) التميمة: قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب: هي شيء يعلق على الأولاد يتقون به العين قال الخلخالي: وهذا منهي عنه لأنه لا دافع لبلاء إلا الله ولا يطلب دفع المؤذيات إلا بالله وبأسمائه وصفاته (فتح المجيد/١٣٥،١٣٦).

٣) صحيح: مسند أحمد رقم (١٧٣٩٠) (٤/٢١٣) وهو في طبعة الرسائل برقم (١٧٤٢٣) (٢٨/٦٣٧) وقال المحققون إسناده قوي مستدرك الحاكم: كتاب الطب: أمسك النبي ﷺ عن بيعة رجل كانت في عضده تميمة (٤/٢١٩) وصححه الألباني رحمه الله رحمة واسعة وغفر ذنبه وستر عيبه ورزقه الجنة، في الصحيحة رقم (٤٩٢).

٤) (فتح المجيد/١٢٩).

من جهل المسلمين اليوم وبعدهم عن الدين، ولم يقف الأمر ببعضهم عند مجرَّد المخالفة، بل تعداه إلى التقرب بها إلى الله تعالى![1].

٨- التبرك بقبور الصالحين:

"لم يقف أصحاب بدع القبور عند حد السنة فيما يتعلق بالقبور وزيارة أصحابها بل تجاوزوا ذلك وأحدثوا بدعًا كثيرة وخطيرة، خاصة عند قبور الأولياء أو من يسمون بذلك.

يفعلون هذا كله باسم التبرك بالصالحين، واعتقاد منفعتهم، وتعظيمهم وتقديس أضرحتهم، مدعين أن ذلك من شرائع الدين، حتى صار من العادات الشائعة لدى بعض القبوريين التمسح بقبور الصالحين وما قد وضع عليها من الجدران والأبواب وتقبيلها، أو الاستشفاء بتربتها ونقل شيء منها لإهدائه للآخرين.

ومن العادات التي تقوم بها النساء خاصة: مسح ضريح الولي بالمناديل والملابس ثم يمسحن على رؤوسهن، ورؤوس أبنائهن، وقد يحتفظ بهذه المناديل دون غسلها، لتمسح بها بقية أفراد الأسرة، ممن لم يتمكنوا من الزيارة والأغرب من ذلك ما يحدث عند تغيير كسوة الضريح، حيث يسعى الجميع للحصول على قطع من هذه الكسوة للتبرك"[2].

---

١) السلسلة الصحيحة (١/٨٩٠) وافق نقلي لهذه الفقرة وفاة مؤلفها محدث العصر ناصر السنة وقامع البدعة ومجدد الأمة في علم الحديث العلامة محمد بن ناصر الدين الألباني فوداعًا يا شيخ السنة ويا فقيه الأمة حتى نلقاك في عرصات القيامة، رحمك الله رحمة واسعة.

٢) (التبرك أنواعه وأحكامه/٣٩٤-٣٩٩ بتصرف شديد).

"ومن المظاهر الأخرى للتبرك: العكوف عند قبور الصالحين والمجاورة عندها وسدانتها، وتعليق الستور عليها، كأنها بيت الله الكعبة، وإيقاد الشموع والقناديل عليها، وبناء المساجد والقباب عليها وزخرفتها وتشييدها"[1].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: فلو رأيت غُلاة المتخذين لها عيدًا وقد نزلوا عن الأكوار[2] والدواب إذا رأوها من مكان بعيد، فوضعوا لها الجباه، وقبلوا الأرض، وكشفوا الرؤوس، وارتفعت أصواتهم بالضجيج، وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج، ورأوا أنهم قد أربوا في الربح على الحجيج، حتى إذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين، ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر ولا أجر من صلى إلى القبلتين، فتراهم حول القبر رُكَّعًا سُجَّدًا يبتغون فضلا من الميت ورُضوانًا، وقد ملأوا أكفهم خيبةً وخسرانًا، فلغير الله، بل للشيطان ما يراق هناك من العبرات، ويرتفع من الأصوات[3] اهـ.

٩- التبرك بالشجر والحجر ونحوهما:

قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ * وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾[4].

قال ابن كثير: اللات كانت صخرة بيضاء منقوشة عليها بيت بالطائف له أستار وسدنة وحوله فناء معظم عند أهل الطائف[5].

---

١) (اقتضاء الصراط المستقيم).
٢) الأكوار: جمع كور بالضم وهو رحل الناقة بأداته، وهو كالسرج وآلته للفرس (لسان العرب: مادة "كور"/١٨٤/١٢) (القاموس المحيط: مادة "كور"/٧٢) (مختار الصحاح: مادة "كور"/٢٤٢).
٣) (إغاثة اللهفان/١/٢٨٣-٢٨٤).
٤) النجم: ١٩-٢٠.
٥) (تفسير ابن كثير/٤/٢٧١).

وأما العُزّى: فقال ابن جرير كانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة بين مكة والطائف، كانت قريش يعظمونها[١]، أما مناة: فهو صنم بين مكة والمدينة[٢]، ومعنى الآية كما قال القرطبي: إن فيها حذفًا تقديره: أفرأيتم هذه الآلهة أنفعت أو ضرت حتى تكون شركاء لله[٣].

عن أبي واقد الليثي: أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يُقال لها ذات أنواط يعلّقون عليها أسلحتهم، قالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ:**«سبحان الله، هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده لتركبن سُنَّة من كان قبلكم»**[٤].

قال السعدي رحمه الله: إن العلماء اتفقوا على أنه لا يشرع التبرك بشيء من الأحجار والأحجار والبقع والمشاهد وغيرها فإن هذا غلو فيها وذلك يتدرج به إلى دعائها وعبادتها وهذا هو الشرك الأكبر[٥].

١٠- صور أخرى للشرك الأصغر في الألوهية بإيجاز:

وهي في ثلاثة أمور ذكرها شارح نواقض الإسلام:

---

١) (جامع البيان/١١/٥٢٠).

٢) البخاري: كتاب التفسير: باب ومناة الثالثة الأخرى: رقم (٤٨٦١) وهو عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان رجال من الأنصار ممن كان يهل لمناة –ومناة صنم بين مكة والمدينة قالوا: يا نبي الله، كنا لا نطوف بين الصفا والمروة تعظيمًا لمناة" نحوه (فتح/٨/٧٨٩).

٣) (الجامع لأحكام القرآن/٩/٦٧).

٤) صحيح: رواه الترمذي: أبوا ب الفتن: باب لتركبن سُنن من كان قبلكم: رقم (٢٢٧١) وقال هذا حديث حسن صحيح، واللفظ له (تحفة/٦/٣٣٩)، مسند أحمد: رقم (٢١٨٩١) (٥/٢٧٦)، مسند الحميدي رقم (٨٤٨) (٢/٣٧٥)، السنة لابن أبي عاصم رقم (٧٦) وقال الألباني رحمه الله: إسناده حسن ورجاله ثقات رجال الشيخين غير يعقوب بن حميد وهو ثقة فيه ضعف يسير وقد توبع فالحديث صحيح.

٥) (القول السديد/٤٤).

الأول: شرك في الاعتقاد:

كأن يعتقد في شيء البركة والله لم يجعل فيه البركة، لأن طلب البركة لا تكون إلا بأمر شرعي معلوم، مثل القرآن، فمن بركته أن الحرف الواحد بعشر حسنات وإما بأمر حسي معلوم كالعلم، فمن بركته نيل الخير منه والثواب.

فعلم من هذا أن التبرك عبادة لأن الإنسان لا يفعله إلا لأجل الحصول على الأجر والثواب والخير من الله، والعبادة مبناها على التوقيف والاتباع.

قلت: ومن ذلك أيضًا الرياء والتصنع للخلق وإرادة الإنسان بعمله الدنيا.

الثاني: شرك في الأعمال:

كأن يتمسح بيده بشيء لم يجعل الله فيه البركة، وكتقبيل أبواب المساجد والتمسح بأعتابها، والاستشفاء بتربتها، ومثل ذلك التمسح بجدران الكعبة أو مقام إبراهيم، ومن ذلك الذهاب إلى القبور لا لقصد الزيارة، وإنما لقصد الدعاء عندها لأجل بركتها، واعتقاد أن الدعاء عندها أفضل.

قال ابن تيمية: فأما إذا قصد الرجل الصلاة عند بعض قبور الأنبياء، أو بعض الصالحين تبركًا بالصلاة في تلك البقعة، فهذا عين المحادة لله ورسوله والمخالفة لدينه وابتداع دين لم يأذن به الله.ا.هـ.

الثالث: شرك في الأقوال:

كالحلف بغير الله سواء بالكعبة، أو الرسول ﷺ، أو السماء، أو الحياة، أو الشرف، أو غير ذلك، لأن الحلف لا يكون إلا بالله أو صفاته، ولا يجوز الحلف بغيره.

وإن اعتقد أن المحلوف به بمنزلة الله في العظمة فهو شرك أكبر وإلا فهو شرك أصغر[1].

قلت: ومن ذلك ما يجري على ألسنة بعضهم كقولهم ما شاء الله وشئت، أتوكل على الله وعليك، مالي إلا الله وأنت.

---

١) (تيسير ذي الجلال والإكرام../٣٩-٣٠) ومن أراد التوسع في صور الشرك كبيرها وصغيرها فعليه بالرجوع إلى مظان ذلك من الكتب ومن ذلك (التبرك أنواعه وأحكامه/٣١٥-٥٠٢)، (إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله أو صدق الكهنة والعرافين) (القول المفيد على كتاب التوحيد)، و(شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين) (تيسير العزيز الحميد) (فتح المجيد) (شرح نونية ابن القيم لمحمد خليل خراس) (عقيدة المؤمن) وغير ذلك من الكتب، ونظرًا لأن مظاهر الشرك منثورة داخل هذه الكتب وغيرها، فعلى طالب الحق ا رلرجوع لفهارسها لأن ذكر ذلك يطول ويثقل الهوامش.

المطلب الثامن: أثر توحيد الألوهية على العباد

تمهيد:

مما لا شك فيه أن توحيد الألوهية هو صلب هذا الدين وقاعدته، فإن الله تبارك وتعالى ما خلق الجن والإنس إلا من أجل عبادته، والجنة جعلها الله لمن حقق هذا التوحيد والنار لمن لم يحققه، فالجنة والنار والقيامة والسماوات والأرض وجميع ما خلق الله وُظِّف من أجل خدمة هذا التوحيد وأهله.

من هنا نعلم أن السعادة والشقاء مترتبة على قدر تحقيق هذا التوحيد، لأن جميع أنواع العبادة لله تعالى هي معنى هذا التوحيد، ولأن تحقيق هذا النوع من أنواع التوحيد يتضمن النوعين الباقيين توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، فلا يتصور أن يكون هناك موحد كامل التوحيد إلا إذا جمع هذه الأنواع كلها في توحيد الألوهية.

وإذا كان الأمر كذلك، فإن آثار هذا التوحيد أكثر من أن تُحصى، فمن يستطيع حصر هذه الآثار على النفس البشرية من لحظة ولوجها هذا الكون حتى الخروج منه إلى الحياة البرزخية ثم القيامة ثم إلى جنة أو نار؟! أو الآثار التي لها في المجتمع الإسلامي والغربي، فجميع الفساد في هذه الحياة بشتى صوره ناتج من فقد تحقيق هذا التوحيد، وجميع مظاهر الخير والإصلاح ناتج من تحقيق هذا التوحيد قُصد ذلك أو لم يُقصد، فشجرة الإيمان إذا ما أينعت في القلب أورقت نعمًا لا تُعد ولا تُحصى، وبالضد من ذلك، إذا ما فُقِدَ هذا الإيمان ظهر الفساد في البر والبحر بما لا يعد أيضًا ولا يُحصى.

والحديث هنا، عن هذه الآثار والثمرات الحميدة التي يُعانيها العبد في الدنيا والآخرة وسأذكر بعون الله أظهرها وأشملها، حتى نتعلم جميعًا كيف نربط التوحيد بالواقع العملي، واقع النفس والحس والشعور به، أي الاطمئنان إليه، والرغبة فيه على أكمل وجه وأبهى صورة، والسعادة به إذا ما لاح في القلب صفاؤه ويسره وشموله، وواقع الحياة في محاولة إظهاره للناس على هذه الصورة السهلة المرغوبة بلا تعقيد ولا تنفير، وتجميع العباد حوله حتى يخرجوا من عبادة العباد، إلى عبادة رب العباد.

وحتى يعلم الجميع حقيقة التوحيد ويرى صورته المشرقة التي امتدت لتشمل كل ما فيه سعادة البشرية، وليس كما يظن بعضهم أن توحيد رب العالمين كلمات جوفاء لا أثر لها في دنيا الناس، بل إن بعضًا من الناس مزج التوحيد بالتصوف في أشنع صورة تراها واضحة في تجمعاتهم البدعية التي ما أنزل الله بها من سلطان وستتجلى لنا الصورة المشرقة للتوحيد غير ما سلف من الأصول والقواعد ما يكون كفيلاً للثبات على الحق إن شاء الله تعالى إلى الممات إذا ما حققناه فعلاً قولاً وعملاً، فإذا ما حصل ذلك ستسعد كما سعد غيرك من السلف الصالح بهذه الآثار والثمرات في الدنيا قبل الآخرة ومنها ما يلي:

أولا: من الآثار القلبية

١ - التوبة:

وهذه هي أول الآثار القلبية التي يجب أن يتصف بها الموحّد على الدوام، إن نام، نام على توبة، وإن قام، قام على توبة، فهو دائمًا يجدد إيمانه ويذوق

حلاوته بهذه التوبة. "ومنزلة التوبة أول المنازل، وأوسطها، وآخرها، فلا يفارقه العبد السالك، ولا يزال فيه إلى الممات"[١].

وقد حث الله تبارك وتعالى عليها في مواضع كثيرة من كتابه، فقال جل وعز: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢]، فهذا نداء لأهل التوحيد، بأن توبوا، فإن لم يتوبوا فما هم بموحدين مؤمنين.

وأخبر تعالى بأنه شرط على نفسه المغفرة لمن حقق التوحيد على أتم وجه فقال تبارك اسمه:

﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾[٣].

أ- شدة فرح الله بتوبة عبده:

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها، قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال: من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح»**[٤].

---

١) (تهذيب مدارج السالكين/١/١٨٥)
٢) التحريم: ٨.
٣) طه: ٨٢.
٤) مسلم: كتاب التوبة: باب: في الحض على التوبة والفرح بها، رقم (٦٨٩٥) (نووي/١٧/٦٧).

قال الدكتور محمد بن حسن عقيل حفظه الله: وقد ذكر الإمام ابن القيم كلامًا طويلاً في سبب الفرح ومعناه وحاصله أن الله –تعالى- موصوف بالجود والإحسان والبر والعبد الآبق متعرض لإغضاب الله وإسخاطه وانتقامه، وأن يصير غضبه وسخطه في موضع رضاه، وانتقامه وعقوبته في موضع كرمه وبره وعطائه، فاستدعى بمعصيته من أفعال الله ما سواه أحب إليه منه، وخلاف ما هو من لوازم ذاته من الجود والإحسان، فإذا رجع العبد إلى مولاه حصل الفرح الإلهي بعود الإحسان والجود والبر على عبده.

وهنا سر آخر للفرح الإلهي، وهو أن الله خلق الخلق ليعبدوه ويطيعوه، فإن خرج العبد عما خلق له من الطاعة والعبودية فقد خرج عن أحب الأشياء إلى الله، وعن الغاية التي خلق الخليقة من أجلها، فإن رجع العبد إلى الطاعة والعبودية فقد رجع إلى الغاية التي هي أحب الأشياء إلى الله خالقه وفاطره، فاشتدت محبة الله له، هذا حاصل كلام ابن القيم[1].

---

١) (العبادات القلبية وأثرها في حياة المؤمنين/٨٧).

ب- التوبة لبُّ العبودية وسرُّها:

وتفصيل ذلك كما ذكره ابن القيم رحمه الله:

أن صاحب البصيرة إذا صدرت منه الخطيئة، فله نظر إلى -هذه الأمور-:

أحدها: أن ينظر إلى أمر الله ونهيه، فيحدث له ذلك الاعتراف بكونها خطيئة والإقرار على نفسه بالذنب.

الثاني: أن ينظر إلى الوعد والوعيد، فيحدث له ذلك خوفًا وخشية، تحمله على التوبة.

الثالث: أن ينظر إلى تمكين الله له منها، وتخليته بينه وبينها، وتقدمها عليه وأنه لو شاء لعصمه منها، فيحدث له ذلك أنواعًا من المعرفة بالله وأسمائه وصفاته، وحكمته، ورحمته، وهذا المشهد يطلعه على رياض مُونِقة من المعارف والإيمان.

ومنها: أن يعرف برّه سبحانه في ستره عليه حال ارتكاب المعصية، مع كمال رؤيته له، ولو شاء لفضحه بين خلقه فحذروه.

ومنها: شهود حلم الله سبحانه في إمهال راكب الخطيئة، ولو شاء لعاجله بالعقوبة.

ومنها: معرفة العبد كرم ربه في قبول العذر منه، إذا اعتذر إليه.

ومنها: أن يشهد فضله في مغفرته، إن المغفرة فضل من الله، فيوجب لك أيضًا شكرًا له ومحبة، وإنابة إليه، وفرحًا وابتهاجًا به، وذلك أكمل في العبودية.

ومنها: أن يكمل لعبده مراتب الذل والخضوع والانكسار بين يديه، والافتقار إليه، وهي أربع مراتب:

المرتبة الأولى: مشتركة بين الخلق، وهي ذل الحاجة والفقر إلى الله.

المرتبة الثانية: ذل الطاعة، والعبودية، وهو ذل الاختيار، وهذا خاص بأهل طاعته، وهو سر العبودية.

المرتبة الثالثة: ذل المحبة.

المرتبة الرابعة: ذل المعصية والجناية.

فإذا اجتمعت هذه المراتب الأربع كان الذل لله والخضوع له أكمل وأتم، إذ يذل له خوفًا وخشية، ومحبة وإنابة، وطاعة، وفقرًا وفاقة.

وحقيقة ذلك: هو الفقر الذي يشير إليه القوم، وهذا المعنى أجل من أن يسمى بالفقر، بل هو لُبُّ العبودية وسرها وحصوله أنفع شيء للعبد، وأحب شيء إلى الله[1].

٢- الحياة الطيبة:

"اعلم –رحمك الله- أن التوحيد الذي لا يبقى معه في القلب شائبة شرك هو الذي يحقق للعبد السعادة والحياة الطيبة – في الدنيا والآخرة.

وذلك أن معنى التوحيد ألا يتوجه قلبك إلى سوى الله تعالى، فلا يكون فيه قصد ولا التجاء إلى غيره سبحانه وتعالى، فهو مالك الملك، وهو الذي بيده مقاليد السماوات والأرض، وبيده الخير، وهو المعطي والمانع، والضار والنافع يرفع من يشاء، ويخفض من يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء ليس له من شريك ولا ظهير.

---

١) (تهذيب مدارج السالكين/١/٢٠٤-٢٠٧) باختصار شديد.

فالعبد الذي يعلم -ذلك- ولا يتجه إلى غيره تعالى لكشف ضر أو جلب نفع أو لطلب حكم، فلا يدعو إلا الله، ولا يطيع إلا الله، فقد تحقق له الأمن والأمان وطمأنينة النفس لأنه يشعر بنعمة التوحيد"[1].

فمن كان كذلك، فهو من أهل الحياة الطيبة لأنه حقق أجلّ شيء وهو عبادة الله جل وعلا بجميع مظاهرها من العمل الصالح ولهذا قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: فلا بد لكل من عمل صالحًا وهو مؤمن أن يحييه الله حياة طيبة بحسب إيمانه وعمله.

ولكن يغلط الجفاة الأجلاف في مسمى الحياة، حيث يظنونها التنعيم في أنواع المآكل والمشارب، والملابس والمناكح، أو لذة الرياسة والمال وقهر الأعداء والتفنن بأنواع الشهوات، ولا ريب أن هذه لذة مشتركة بين البهائم، بل قد يكون حظ كثير من البهائم منها أكثر من حظ الإنسان، فمن لم تكن عنده إلا اللذة التي تشاركه فيها السباع والدواب والأنعام فذلك ممن ينادى عليه من مكان بعيد.

ولكن أين هذه اللذة من اللذة بأمر إذا خالط بشاشته القلوب سلا عن الأبناء والنساء والأوطان والأموال والإخوان والمساكن، ورضي بتركها كلها، والخروج منها رأسًا، وعرض نفسه لأنواع المكاره والمشاق، وهو متحلّ بهذا

---

١) (الحياة الطيبة/٣٦-٣٧ بتصرف).
٢) (النحل/٩٧).

منشرح الصدر به، يطيب له قتل ابنه وأبيه وصاحبته وأخيه، لا تأخذه في ذلك لومة لائم، حتى إن أحدهم ليتلقى الرمح بصدره ويقول: "فُـزت ورب الكعبة"[1] ويستطيل الآخر حياته حتى يُلقى قوته من يده ويقول: "إنها لحياة طويلة إن صبرت حتى آكلها"[2]، ثم يتقدم إلى الموت فرحًا مسرورًا. ويقول الآخر: إنه لتمر بالقلب أوقات يرقص فيها طربًا.

وقال بعض العارفين: إنه لتمر بي أوقات، أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي النعيم.

ومن تأمل قول النبي ﷺ لما نهاهم عن الوصال، فقالوا: إنك تواصل! فقال: **«إني لست كهيئتكم، إني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني»** [3] علم أن هذا طعام الأرواح وشرابها، وما يفيض علينا من أنواع البهجة واللذة والسرور والنعيم الذي يكون رسول الله ﷺ في الذروة العليا منه، وغيره إذا تعلق بغباره رأى ملك الدنيا ونعيمها بالنسبة إليه هباءً منثورًا، بل باطلاً وغرورًا.

والمقصود أن -توحيد رب العالمين- مستلزم لسعادة الدنيا، وطيب الحياة والنعيم العاجل، وهو أمر يشهد به الحس والوجد، وأما سعادة الآخرة فغيب يُعلم بالإيمان[4] .اهـ.

ولا شك أن العمل الصالح لا بد أن يكون له أصل يقوم عليه وإلا فلا، وهل هناك أصل وأساس غير توحيد الله ﷻ؟ اللهم لا!

---

١) البخاري: كتاب الجهاد والسير: باب من ينكب في سبيل الله رقم (٢٨٠١) (فتح/٦/٢٣).
٢) مسلم: كتاب الإمارة: باب ثبوت الجنة للشهيد رقم (٤٨٩٢) (نووي/١٣/٤٧).
٣) البخاري: كتاب التمني: باب ما يجوز من الـ (لو) رقم (٧٢٤٢) (فتح/١٣/٢٧٩).
٤) (مفتاح دار السعادة/١/١٨٢-١٨٦ بتصرف).

يقول الشيخ سيد قطب رحمه الله: "العمل الصالح لا بد له من القاعدة الأصيلة يرتكز عليها، قاعدة الإيمان بالله ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾[1] فبغير هذه القاعدة "وهو مؤمن" لا يقوم بناء، وبغير هذه الرابطة لا يتجمع شتاته، إنما هو هباء كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف.

والعقيدة هي المحور الذي تشد إليه الخيوط جميعًا، وإلا فهي أنكاث، فالعقيدة هي التي تجعل للعمل الصالح باعثًا وغاية، فتجعل الخير أصيلاً ثابتًا يستند إلى أصل كبير، لا عارضًا مزعزعًا يميل مع الشهوات والأهواء حيث تميل.

والعمل الصالح مع الإيمان جزاؤه حياة طيبة في هذه الأرض، لا يهم أن تكون ناعمة رغدة ثرية بالمال، فقد تكون به، وقد لا يكون معها، وفي الحياة أشياء كثيرة غير المال الكثير تطيب بها الحياة في حدود الكفاية: فيها الاتصال بالله والثقة به والاطمئنان إلى رعايته وستره ورضاه، وفيها الصحة والهدوء والرضى والبركة، وسكن البيوت ومودات القلوب، وفيها الفرح بالعمل الصالح وآثاره في الضمير وآثاره في الحياة.. وليس المال إلا عنصرًا واحدًا يكفي منه القليل، حين يتصل القلب بما هو أعظم وأزكى وأبقى عند الله"[2] .اهـ.

---

١) النحل: ٩٧.
٢) (في ظلال القرآن/٤/٢١٩٣).

٣- تذوق طعم الإيمان وحلاوته:

قال ابن القيم -رحمه الله-: نفى الله تعالى الإيمان عمن ادعاه، وليس له فيه ذوق، فقال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

فهؤلاء مسلمون، وليسوا بمؤمنين، لأنهم ليسوا ممن باشر الإيمان قلبه فذاق حلاوته وطعمه، وهذا حال أكثر المنتسبين إلى الإسلام، وليس هؤلاء كفارًا، فإنه سبحانه أثبت الإسلام بقوله: ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ ولم يرد قولوا بألسنتكم، من غير مواطأة القلب، فإنه فرق بين قولهم: "آمنا" وقولهم: "أسلمنا" ولكن لما لم يذوقوا طعم الإيمان، قال: "لم تؤمنوا" ووعدهم سبحانه وتعالى -مع ذلك- على طاعتهم أن لا ينقصهم من أجور أعمالهم شيئًا.

ثم ذكر أهل الإيمان الذين ذاقوا طعمه وهم الذين آمنوا به وبرسوله، ثم لم يرتابوا في إيمانهم فقال تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾(٢)، وإنما انتفى عنهم الريب، لأن الإيمان قد باشر قلوبهم، وخالطتها بشاشته فلم يبق للريب فيه موضع، وصدّق ذلك الذوق: بذلهم أحب شيء إليهم في رضا ربهم تعالى، وهو أموالهم وأنفسهم، ومن الممتنع: حصول هذا البذل من غير ذوق طعم

---

١) الحجرات: ١٤.
٢) الحجرات: ١٥.

الإيمان، ووجود حلاوته فإن ذلك إنما يحصل بصدق الذوق والوجد، كما قال الحسن: "ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن ما وقر في القلب، وصدقه العمل"[1] اهـ.

وعن العباس بن عبدالمطلب: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«ذاق طعم الإيمان من رضي الله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً»**[2].

قال الإمام النووي رحمه الله: قال صاحب التحرير: معنى رضيت بالشيء قنعت به واكتفيت به، ولم أطلب معه غيره، فمعنى الحديث: لم يطلب غير الله تعالى، ولم يسعَ في غير طريق الإسلام، ولم يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد ﷺ، ولا شك في أن من كانت هذه صفته فقد خلصت حلاوة الإيمان إلى قلبه، وذاق طعمه.

وقال القاضي عياض -رحمه الله-: معنى الحديث: صح إيمانه واطمأنت به نفسه وخامر باطنه، لأن رضاه بالمذكورات دليل لثبوت معرفته، ونفاذ بصيرته ومخالطة بشاشته قلبه، لأن من رضي أمرًا سهل عليه، فكذا المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سهل عليه طاعات الله تعالى ولذت له[3]. اهـ.

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاث من كن فيه وجد بهنّ حلاوة الإيمان»**، وفي رواية "وجد طعم الإيمان"[4] **«من كان الله ورسوله أحب**

---

١) (تهذيب مدارج السالكين/٢/٨٥٩).

٢) مسلم: كتاب الإيمان: باب: الدليل على أن من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولاً فهو مؤمن... رقم (١٥٠) (نووي/٢/١٩٣).

٣) (شرح النووي على صحيح مسلم/٢/١٩٣).

٤) مسلم: كتاب الإيمان، باب: بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان رقم (١٦٤) (نووي/٢/٢٠٤).

إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يُقذف في النار»[١].

قال النووي -رحمه الله-: هذا حديث عظيم أصل من أصول الإسلام، قال العلماء رحمهم الله: معنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في رضى الله ﷻ ورسوله ﷺ، وإيثار ذلك على عرض الدنيا، ومحبة العبد ربه سبحانه وتعالى بفعل طاعته وترك مخالفته، وكذلك محبة رسول الله ﷺ : قال القاضي رحمه الله: هذا الحديث بمعنى الحديث المتقدم: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، ومحمد ﷺ رسولاً»[٢] ا.هـ.[٣]

٤- معرفة الله ومحبته والحرص على طاعته جميع يومه:

للإمام ابن القيم رحمه الله من الكلام في هذا الشأن ما يكتب والله بمداد الذهب في وصف أهل التوحيد، وما هم عليه من طاعة الله ومعرفته ومحبته والإنابة إليه، ما يعظِّم والله شأن التوحيد في قلب كل مسلم، رزقنا الله جميعًا التوحيد الخالص، الذي يؤتي هذه الثمار الكبار التي وصفها لنا الإمام ابن القيم رحمه الله فقال:

وجملة أمرهم، أنهم قوم قد امتلأت قلوبهم من معرفة الله، وغُمرت بمحبته وخشيته وإجلاله ومراقبته، فسرت المحبة في أجزائهم، فلم يبق فيها عرق ولا مفصل إلا وقد دخله الحب، قد أنساهم حبه ذكر غيره، وأوحشهم أنسهم به ممن سواه، قد فنوا بحبه عن حب من سواه، وبذكره عن ذكر من سواه،

---

١) مسلم: كتاب الإيمان، باب: بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان رقم (١٦٣) (نووي/٢/٢٠٤).
٢) سبق تخريجه.
٣) (شرح النووي على صحيح مسلم/٢/٢٠٣).

وبخوفه ورجائه والرغبة إليه والرهبة منه والتوكل عليه والإنابة إليه والسكون إليه، والتذلل والانكسار بين يديه عن تعلق ذلك منهم بغيره، فإذا وضع أحدهم جنبه على مضجعه صعدت أنفاسه إلى إلهه ومولاه، واجتمع همه عليه، فبات جسمه في فراشه يتجافى عن مضجعه، وقلبه قد آوى إلى مولاه وحبيبه فآواه إليه، وأسجده بين يديه خاضعًا خاشعًا ذليلاً منكسرًا من كل جهة من جهاته فيا لها من سجدة ما أشرفها من سجدة، لا يرفع رأسه منها إلى يوم القيامة وقيل لبعض العارفين: أيسجد القلب بين يدي ربه؟

قال: أي والله، بسجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم القيامة.

وبالجملة فيبقى قلب –الذي هذا شأنه- عرشًا للمثل الأعلى، أي عرشًا لمعرفة محبوبه ومحبته وعظمته وجلاله وكبريائه، وناهيك بقلب هذا شأنه فيا له من قلب من ربه ما أدناه، ومن قربه ما أحظاه، فهو ينزه قلبه أن يساكن سواه أو يطمئن بغيره، فهؤلاء قلوبهم قد قطعت الأكوان وسجدت تحت العرش وأبدانهم في فرشهم، كما قال أبو الدرداء: إذا نام العبد المؤمن عرج بروحه حتى تسجد تحت العرش.

فإذا استيقظ أحدهم فأول ما يجري على لسانه ذكر محبوبه والتوجه إليه واستعطافه والتملق بين يديه والاستعانة به أن يخلي بينه وبين نفسه وأن لا يكله إليها فيكله إلى ضعة وعجز وذنب وخطيئة بل يكلؤه كلاءة الوليد الذي لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حيَاة ولا نشورًا فأول ما يبدأ به: "الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور"[1] متدبرًا لمعناها.

---

1) البخاري: كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا نام، رقم (٦٣١٢) (فتح/١١/١٣٦).

ثم يقوم إلى الوضوء بقلب حاضر مستصحب لما فيه، ثم يصلي ما كتب الله له صلاة محب ناصح لمحبوبه متذلل منكسر بين يديه، لا صلاة مدل بها عليه، يرى من أعظم نعم محبوبه عليه أن أقامه وأنام غيره، واستزاره وطرد غيره، فهو يزداد بذلك محبة إلى محبته، ويرى أن قرة عينه وحياة قلبه وجنة روحه ونعيمه ولذته وسروره في تلك الصلاة.

فإذا صلى ما كتب الله له جلس مطرقًا بين يدي ربه تعالى هيبة له وإجلالاً، واستغفره استغفار من قد تيقن أنه هالك إن لم يغفر له ويرحمه، فإذا قضى من الاستغفار وطرًا، اضطجع على شقه الأيمن مجمًّا نفسه مريحًا لها مقويًا لها على أداء وظيفة الفرض، فيستقبله نشيطًا بجده وهمته كأنه لم يزل نائمًا طول ليلته لم يعمل شيئا، فهو يريد أن يستدرك ما فاته في صلاة الفجر. فيصلي السنة، ويبتهل إلى الله بينها وبين الفريضة، فإنّ لذلك الوقت شأنًا يعرفه من عرفه.

فإذا فرغ من صلاة الصبح أقبل بكليته على ذكر الله، والتوجه إليه بالأذكار التي شرعت أول النهار، فيجعلها وردًا له لا يخل بها أبدًا، ثم يزيد عليها ما شاء من الأذكار الفاضلة أو قراءة القرآن حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت فإن شاء ركع ركعتي الضحى وزاد ما شاء، وإن شاء قام من غير ركوع ثم يذهب متضرعًا إلى ربه سائلاً له أن يكون ضامنًا عليه متصرفًا في مرضاته بقية يومه.

فإذا جاء فرض الظهر بادر إليه مكملاً له ناصحًا فيه لمعبوده كنصح المحب الصادق المحبة لمحبوبه، الذي قد طلب منه أن يعمل له شيئًا ما، فهو لا يبقى

مجهودًا، بل يبذل مقدوره في تحسينه وتزيينه وإصلاحه وإكماله ليقع موقعًا من محبوبه فينال به رضاه وقربه منه.

وبالجملة فهذا حال هذا العبد مع ربه في جميع أعماله، فهو يعلم أنه لا يوفي هذا المقام حقه، فهو أبدًا يستغفر الله عقيب كل عمل.

وجماع الأمر في ذلك، إنما هو بتكميل عبوديته لله ﷻ في الظاهر والباطن، فتكون حركات نفسه وجسمه كلها في محبوبات الله، فكمال عبودية العبد، موافقته لربه في محبته ما أحبه، وبذل الجهد في فعله وموافقته في كراهة ما كرهه وبذل الجهد في تركه.

فواأسفاه وواحسرتاه كيف ينقضي الزمان، وينفذ العمر والقلب محجوب ما شم لهذا رائحة، وخرج من الدنيا كما دخل إليها، وما ذاق أطيب ما فيها، بل عاش فيها عيش البهائم، وانتقل منها انتقال المفاليس فكانت حياته عجزًا، وموته كمدًا، ومعاده حسرةً وأسفًا، اللهم ولك الحمد وإليك المشتكى، وأنت المستعان، وبك المستغاث، وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بك[1]. اهـ باختصار شديد.

١) (طريق الهجرتين وباب السعادتين/٢١١-٢٢١).

٥- التوكل:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[١].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: لا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يلوذون إلا بجنابه، ولا يطلبون الحوائج إلا منه، ولا يرغبون إلا إليه، ويعلمون أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك وحده لا شريك له، ولا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب، ولهذا قال سعيد بن جبير: التوكل على الله جماع الإيمان[٢].

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[٤].

قال السعدي -رحمه الله-: "الله لا إله إلا هو" أي: هو المستحق للعبادة والألوهية، فكل معبود سواه فباطل "وعلى الله فليتوكل المؤمنون"، أي: فليعتمدوا عليه في كل أمر نابهم وفيما يريدون القيام به، فإنه لا يتيسر أمر من الأمور إلا بالله، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالاعتماد على الله، ولا يتم الاعتماد على الله، حتى يحسن العبد ظنه بربه، ويثق به في كفايته الأمر، الذي يعتمد عليه به، وبحسب إيمان العبد يكون توكله، قوة وضعفاً[٥].

---

١) الأنفال: ٢.
٢) (تفسير ابن كثير/٢/٢٩٨).
٣) المائدة: ٢٣.
٤) التغابن: ١٣.
٥) (تيسير الكريم الرحمن/٢/٨٨٠،٨٨١).

وقال رسل الله وأنبياؤه: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [(١)]، قال ابن القيم رحمه الله: فالعبد آفته إما من عدم الهداية، وإما من عدم التوكل، فإذا جمع التوكل إلى الهداية فقد جمع الإيمان كله[(٢)].

وفي الصحيحين -في حديث السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب- «..**هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون**» [(٣)].

قوله: "وعلى ربهم يتوكلون"."ذكر ﷺ الأصل الجامع الذي تفرعت عنه هذه الأفعال، وهو التوكل على الله، وصدق الالتجاء إليه والاعتماد بالقلب عليه، الذي هو خلاصة التفريد، ونهاية تحقيق التوحيد الذي يثمر كل مقام شريف من المحبة والخوف والرجاء، والرضى به ربًا وإلهًا والرضا بقضائه، بل ربما أوصل العبد إلى التلذذ بالبلاء وعدّه من النعماء، فسبحان من يتفضل على من يشاء بما يشاء والله ذو الفضل العظيم"[(٤)].

وعن ابن عباس: "حسبنا الله ونعم الوكيل" قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: "إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل"[(٥)].

---

١) إبراهيم: ١٢.
٢) (تهذيب مدارج السالكين/٢/٥٣٤).
٣) سبق تخريجه والحديث عن ابن عباس.
٤) (تيسير العزيز الحميد/١١٠).
٥) البخاري: كتاب التفسير، باب <الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم رقم (٤٥٦٣) (فتح/٨/٢٨٩).

إنه التوحيد الراسخ رسوخ الجبال، فالأول عليه السلام عرض على النار ورأى هولها، ونظر إليها وهي مشتعلة عالية، وأجلسوه في المنجنيق الذي من خلاله يقذفونه في النار، فما كان منه إلا أن قال حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلب بنعمة من الله وفضل لم يمسه سوء جزاء توحيده الذي جعله يثق بربه كل هذه الثقة ووطد نفسه على ذلك، علم أن الله معه ولن يضيعه فأوكل أمره إليه، فكان جل وعلا نعم الوكيل فأمر ناره أن تكون على عبده بردًا وسلامًا حتى لا يؤذيه بردها وهل الجزاء إلا من جنس العمل فقوة التوكل أثمرت هذه المعجزة.

والثاني رسول الله ﷺ حين علم بتوعد الناس له بالجمع وتكثير الأعداء لإرهابه وتخويفه وصده عن نشر دينه، فما اكترث لذلك، وما تزعزعت ثقته وتوكله على الله قيد أنملة، كيف ذلك وهو الذي علم أصحابه الشجاعة والإقدام وشدة البأس عند ملاقاة أعداء الله، وعلمهم أن النصرة على الأعداء إنما تكون بقوة الإيمان، وحسن التوكل عليه، وأن العدد والعدة لا تفعل شيئًا بدون تجريد التوحيد لله ﷻ، والتوكل على الله من أهم لوازم التوحيد، فما أجمل مقولة الصديق ﷺ، احرصوا على الموت توهب لكم الحياة.

وفي هذا الحديث درس للدعاة إلى الله تعالى، بأن جميع العقبات التي تواجههم في الدعوة إلى الله تعالى، لا يملك إزاحتها من طريقهم إلا هو سبحانه وكفّ هذه العوائق عنا يستلزم لها تحقيق التوحيد وصدق اللجأ والتوكل على الله تبارك وتعالى حتى يقينا شر هذه العوائق والمضايقات وإن لم تزل يرزقنا الثبات، وأن لا تزيدنا إلا إصرارًا في المضي قُدمًا في هذا الطريق الذي اصطفانا لأجله.

واعلم أن التوكل الحقيقي لا يستقيم لك حتى يصح لك توحيدك لرب العالمين، قال ابن القيم رحمه الله: فإنه لا يستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيده، بل حقيقة التوكل توحيد القلب، فما دامت فيه علائق الشرك فتوكله معلول مدخول، وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل، فإن العبد متى التفت إلى غير الله، أخذ ذلك الالتفات شعبة من شعب قلبه، فنقص من توكله بقدر ذهاب تلك الشعبة.

ومن هاهنا ظن من ظن أن التوكل لا يصح إلا برفض الأسباب، وهذا حق لكن رفضها عن القلب لا عن الجوارح، فالتوكل لا يتم إلا برفض الأسباب عن القلب، وتعلق الجوارح بها، فيكون منقطعًا منها متصلاً بها[١].

٦- الرجاء:

قال تعالى:

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورًا﴾[٢].

قال ابن القيم رحمه الله: فابتغاء الوسيلة إليه: طلب القرب منه بالعبودية والمحبة، فذكر مقامات الإيمان الثلاثة التي عليها بناؤه: الحب، والخوف والرجاء[٣].

---

١) (تهذيب مدارج السالكين/٢/٥٣٩-٥٤٠) ومن أراد التوسع في ذلك فعليه بالأصل وهو مدارج السالكين (٢/١١٦-١٤٣) والفوائد (٢١١-٢١٣).

٢) الإسراء: ٥٧.

٣) (تهذيب مدارج السالكين/١/٤٧٥).

وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾(١).

وعن جابر ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ قبل وفاته بثلاث، يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحسن بالله الظن»(٢).

قال النووي رحمه الله: قال العلماء: هذا تحذير من القنوط، وحث على الرجاء عند الخاتمة(٣).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ:« يقول الله تعالى:أنا عند ظن عبدي بي... »(٤)،"ولذلك ينبغي للمرء أن يجتهد في القيام بما عليه موقنًا بأن الله يقبله ويغفر له، لأنه وعد بذلك، وهو لا يخلف الميعاد، فإن اعتقد أو ظن أن الله لا يقبلها وأنها لا تنفعه، فهذا هو اليأس من رحمة الله وهو من الكبائر .. وأما ظن المغفرة مع الإصرار فذلك محض الجهل والغرة، وهو يجر إلى مذهب المُرجئة"(٥).

أ- أنواع الرجاء:

وهو ثلاثة أنواع كما في المدارج:

---

١) الكهف: ١١٠.
٢) مسلم: كتاب الجنة ونعيمها، باب: الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، رقم (٧١٥٨)، (نووي/١٨/٢٠٥).
٣) (شرح النووي على صحيح مسلم/١٨/٢٠٦).
٤) البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ رقم (٧٤٠٥) (فتح/١٣/٤٧٣).
٥) (فتح الباري/١٣/٤٧٦).

النوع الأول: رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله، فهو راجٍ لثوابه.

النوع الثاني: ورجل أذنب ذنوبا، ثم تاب منها فهو راجٍ لمغفرة الله تعالى وعفوه وإحسانه وجوده وحلمه وكرمه.

النوع الثالث: رجل متمادٍ في التفريط والخطايا، يرجو رحمة الله بلا عمل.

أما النوعان الأولان فمحمودان، وأما الثالث فهو الغرور والتمني والرجاء الكاذب، ولهذا أجمع العارفون على أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل[1].

ب- على قدر الرجاء تكون العبادة:

"فوائد الرجاء"

وهي كثيرة، قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-:

منها: إظهار العبودية والفاقة، والحاجة إلى ما يرجوه، ويستشرفه من إحسانه.

ومنها: أنه سبحانه يحب من عباده أن يؤملوه ويرجوه، ويسألوه من فضله.

ومنها: أن الرجاء حاد يحدو به في سيره إلى الله، ويطيب له المسير، ويحثه عليه فلولا الرجاء لما سار أحد، فإن الخوف وحده لا يحرك العبد.

ومنها: أن الرجاء يطرحه على عتبة المحبة، فإنه كلما اشتد رجاؤه وحصل له ما يرجوه، ازداد حبًا لله تعالى، وشكرًا له، ورضًا به وعنه.

ومنها: أنه يبعثه على أعلى المقامات، وهو مقام الشكر، الذي هو خلاصة العبودية.

---

١) (تهذيب مدارج السالكين/١/٤٧٦).

ومنها: أنه يوجب له المزيد من معرفة الله وأسمائه ومعانيها، والتعلق بها.

ومنها: أن الخوف مستلزم للرجاء، والرجاء مستلزم للخوف.

ومنها: أن الله سبحانه وتعالى يريد من عبده تكميل مراتب عبوديته، من الذل والرجاء والانكسار، والتوكل والاستعانة وغيرها.

ومنها: أن في الرجاء –من الانتظار والترقب والتوقع لفضل الله– ما يوجب تعلق القلب بذكره، إلى فوائد أخرى كثيرة، يطالعها من أحسن تأمله وتفكره في استخراجها[(١)].

ج- أفضل أنواع الرجاء:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وأعلى –أنواع– الرجاء: رجاء أرباب القلوب، وهو رجاء لقاء الخالق الباعث على الاشتياق، المبغّض المنغّص للعيش، المزهّد في الخلق.

هذا أفضل أنواع الرجاء وأعلاه، قال الله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[(٢)] وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَاتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[(٣)]، وهذا الرجاء هو محض الإيمان وزُبدَتُه، وإليه شخصت أبصار المشتاقين، ولذلك سلاهم الله تعالى بإتيان أجل لقائه، وضرب لهم أجلاً يسكن نفوسهم ويطمئنها[(٤)].

---

١) (تهذيب مدارج السالكين/١/٤٨٤-٤٨٧) باختصار شديد.
٢) الكهف: ١١٠.
٣) العنكبوت: ٥.
٤) (تهذيب مدارج السالكين/١/٤٨٩).

٧- الخوف من الله تعالى:

قال ابن القيم رحمه الله: وهو من أجلّ منازل الطريق، وأنفعها للقلب، وهو فرض على كل أحد[١]، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۞ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾[٤].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال:".. فجاء رسول الله ﷺ فقال:« أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له»."[٥].

قال ابن القيم رحمه الله: والخوف ليس مقصودًا لذاته، بل هو مقصود لغيره قصد الوسائل، ولهذا يزول بزوال المخوف، فإن أهل الجنة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والخوف يتعلق بالأفعال، والمحبة تتعلق بالذات والصفات[٦].

أ- حقيقة الخوف:

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وهو -أي الخوف- من المقامات العلية، وهو من لوازم الإيمان.. وكلما كان العبد أقرب إلى ربه كان أشد له خشية ممن

---

١) (تهذيب مدارج السالكين/١/٤٣١).
٢) آل عمران: ١٧٥.
٣) البقرة: ٤٠.
٤) المؤمنون: ٥٧-٦١.
٥) البخاري: كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح رقم (٥٠٦٣)، (فتح/٩/١٢٩).
٦) (تهذيب مدارج السالكين/١/٤٣٤).

دونه، وقد وصف الله تعالى الملائكة بقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[1]، والأنبياء بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾[2]، وإنما كان خوف المقربين أشد، لأنهم يطالبون بما لا يطالب به غيرهم فيراعون تلك المنزلة، ولأن العبد إن كان مستقيمًا فخوفه من سوء العاقبة لقوله تعالى: ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾[3] أو نقصان الدرجة بالنسبة، وإن كان مائلاً فخوفه من سوء فعله، وينفعه ذلك مع الندم والإقلاع، فإن الخوف ينشأ من معرفة قبح الجناية والتصديق بالوعيد عليها، وأن يحرم التوبة، أو لا يكون ممن شاء الله أن يغفر له، فهو مشفق من ذنبه طالب من ربه أن يدخله فيمن يغفر له[4].

---

١) النحل: ٥٠.
٢) الأحزاب: ٣٩.
٣) الأنفال: ٢٤.
٤) (فتح الباري/١١/٣٧٩).

ب- الخوف يقي من الفواحش:

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.... ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله»[1].

قال عياض: قال القرطبي: إنما يصدر ذلك عن شدة خوف من الله تعالى، ومتين تقوى وحياء[2]، وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم إذ أصابهم مطر، فأووا إلى غار فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه.. فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس إليّ، وأني راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار، فطلبتها حتى قدرت، فأتيتها بها فدفعتها إليها، فأمكنتني من نفسها، فلما قعدت بين رجليها فقالت اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركت المائة الدينار، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرِّج عنا، ففرَّج الله عنهم فخرجوا»[3].

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: وصاحب المرأة أفضلهم لأنه أفاد أنه كان في قلبه خشية ربه، وقد شهد الله لمن كان كذلك بأن له الجنة حيث قال:

---

١) البخاري: كتاب الأذان: باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة رقم (٦٦٠) (فتح/٢/١٨٢).
٢) (فتح الباري/٢/١٨٥).
٣) البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء: باب حديث الغار رقم (٣٤٦٥) (فتح/٦/٦٢٧).

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[1] [2].

ج- تكامل الخوف والرجاء:

قال ابن القيم رحمه الله: القلب في سيره إلى الله ﷻ، بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر ولكن السلف استحبوا أن يقوى في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا، يقوى جناح الرجاء على جناح الخوف، هذه طريقة أبي سليمان وغيره.

قال: ينبغي للقلب أن يكون الغالب عليه الخوف، فإن غلب عليه الرجاء فسد. وقال غيره: أكمل الأحوال: اعتدال الرجاء والخوف، وغلبة الحب، فالمحبة هي المركب، والرجاء حاد، والخوف سائق، والله الموصل بمنّه وكرمه[3].

٨- الإخلاص:

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾[4]، وقال تعالى:

---

١) النازعات: ٤٠-٤١.
٢) (فتح الباري/٦/٦٣٤).
٣) (تهذيب مدارج السالكين/١/٤٣٦).
٤) البينة: ٥.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾[1]، وقال لنبيه ﷺ:

﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ۝ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[2]، قال الفضيل بن عياض تحت هذه الآية:

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾[3] : هو أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي ما أخلصه، وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصًا، ولم يكن صوابًا، لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص: أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [4] [5]، عن سعد بن أبي وقاص ﷺ، قال: "فقلت يا رسول الله أخلّف بعد أصحابي؟ قال: «إنك لن تخلف فتعمل عملاً صالحًا إلا ازددت به درجة ورفعة..»"[6].

والعمل الصالح، لا يكون صالحًا إلا إذا كان خالصًا لوجه الله تبارك وتعالى، ولهذا، يكون ثوابه أن يزداد بذلك رفعة ودرجة في الدنيا والآخرة،

---

١) الزمر: ٢.
٢) الزمر: ١٤، ١٥.
٣) الملك: ٢.
٤) الكهف: ١١٠.
٥) تهذيب مدارج السالكين/١/٥١٣).
٦) البخاري: كتاب الجنائز: باب رثاء النبي ﷺ سعد بن خولة. رقم (١٢٩٥) (فتح/٣/٢١١).

وعن أبي موسى، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل رياءً فأي ذلك في سبيل الله؟ قال: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»(١).

والشاهد للإخلاص في هذا الحديث، هو قوله ﷺ، من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الله هي التوحيد كما قال ذلك العلماء، فمن كان قتاله على هذه الهيئة التي يبتغي بها وجه الله، فهو في سبيل الله، وهذه هي الثمرة العظمى للإخلاص الذي لا يحض عليه إلا محض الإيمان بالله تعالى، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:«**إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم**» وأشار بأصابعه إلى صدره(٢).

وفي رواية لمسلم أيضا: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»(٣).

والإخلاص مكانه بلا شك في القلب، ويتضح ذلك من إشارة النبي ﷺ بقوله وبفعله، والأجساد، والصور، والأموال والأعمال هي التي تعبر عما يستكن في ذلك القلب، فمدار الإخلاص إذاً، على ما في القلب من عزم وعقد عليه، لذلك يكون نظر الله ﷻ إلى القلب لشرف ما ينطوي عليه، لذلك قال

---

١) البخاري: كتاب التوحيد: باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ رقم (٧٤٥٨) (فتح/١٣/٥٤١).

٢) مسلم: كتاب البر والصلة: باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره... رقم (٦٤٨٨) (نووي/١٦/٣٣٧).

٣) مسلم: كتاب البر والصلة: باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره... رقم (٦٤٨٩) (نووي/١٦/٣٣٧).

النبي ﷺ في الحديث المتواتر المشهور: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**»[1].

والنية كما هو معلوم محلها القلب، وعليها مدار قبول العمل، فإن كانت الأعمال النية فيها أصلاً لوجه الله قبلها الله، على قدر إخلاص النية في ذلك العمل، وإلا فلا.

أ- أقوال وردت في الإخلاص ومنزلته:

قال ابن القيم -رحمه الله-: قد تنوعت عبارتهم في الإخلاص، فقيل: هو إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة، وقيل: تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين، وقيل: التوقي من ملاحظة الخلق حتى عن نفسك، وقيل: الإخلاص استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن، ومن كلام الفضيل: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

والإخلاص كما قال الجنيد: سر بين الله وبين العبد، لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله.

وقيل لسهل: أي شيء أشد على النفس؟ فقال الإخلاص؛ لأنه ليس لها فيه نصيب.

وقال مكحول: ما أخلص عبد قط أربعين يومًا إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.

---

١) البخاري: كتاب بدء الوحي: باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ رقم (١) (فتح/١/١١) والحديث عن عمر بن الخطاب ﷺ.

وقال أبو سليمان الداراني: إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوساوس والرياء[1].

ب- الإخلاص هو الدين:

يقول الدكتور عمر سليمان الأشقر حفظه الله: المقاصد التي يقصدها المكلفون بالعبادة تنحصر في مقصد واحد، هو قصد الله دون سواه، فالعمل الذي لا يتوجه به إلى الله ليس له قيمة، ومن يستقرئ نصوص الكتاب والسنة يعلم أن هذا هو القصد الوحيد الذي يرتضيه الإسلام.

فأول أمر في كتاب الله هو ما تضمنته هذه الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2]، وقال تعالى:

﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾[3].

والقرآن الكريم يطلق على هذا القصد اسم "الإخلاص"، والإخلاص لا يراد به التوجه إلى الله في عمل من الأعمال، بل المقصود به أن يتوجه المكلف بأعماله كلها إلى الله وحده، دون سواه، فلا يقصد بعبادته مَلَكًا ولا مَلِكًا، ولا يعبد شجرًا ولا حجرًا ولا شمسًا ولا قمرًا، الإخلاص يعني أن يتوجه بالأعمال القلبية لله وحده، كما يتوجه بالأعمال الظاهرة.

---

١) (تهذيب مدارج السالكين/١/٥١٥-٥١٦).
٢) البقرة: ٢١.
٣) البينة: ٥.

والإخلاص هو الدين الذي بعث الله به الرسل جميعًا، فكان محور دعوتهم ولبّها، وهو الدين الذي طالبت به الرسلُ الأمم التي أرسلت إليها: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [1] [2].

٩- يهديهم ربهم بإيمانهم:

إن أهل التوحيد يهديهم ربهم بإيمانهم به، إلى كل ما فيه هدايتهم على الوجه الأكمل، جزاء توحيدهم وإيمانهم به، فالحسنة جزاؤها عشر حسنات تفضُّلاً منه على عباده بمنه وكرمه. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾[3].

قال السعدي -رحمه الله-: يقول تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: جمعوا بين الإيمان والقيام بموجبه ومقتضاه من الأعمال الصالحة، المشتملة على أعمال القلوب وأعمال الجوارح على وجه الإخلاص والمتابعة.

﴿يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ﴾ أي: بسبب ما معهم من الإيمان، يثيبهم الله أعظم الثواب، وهو: الهداية، فيعلمهم ما ينفعهم، ويمن عليهم بالأعمال الناشئة عن الهداية، ويهديهم في هذه الدار، إلى الصراط المستقيم، وفي دار الجزاء إلى

---

١) البينة: ٥.
٢) (الإخلاص:١٥) لعمر الأشقر.
٣) يونس: ٩.

الصراط الموصل إلى جنات النعيم، ولهذا قال: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ الجارية على الدوام ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ أضافها الله إلى النعيم، لاشتمالها على النعيم التام، نعيم القلب بالفرح والسرور، والبهجة والحبور، ورؤية الرحمن، وسماع كلامه، والاغتباط برضاه وقربه، ولقاء الأحبة والإخوان .. ونحو ذلك، مما لا تعلمه النفوس، ولا خطر ببال أحد، أو قدر أن يصفه الواصفون[١]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[٢].

قال السعدي -رحمه الله-: وأما ما يتعلق بها من حيث العموم اللفظي، فإن الله أخبر أن كل من آمن، أي: الإيمان المأمور به، وهو الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وصدق إيمانه، بما يقتضيه الإيمان من لوازمه وواجباته، أن هذا السبب الذي قام به العبد أكبر سبب لهداية الله له في أقواله وأفعاله، وجميع أحواله وفي علمه وعمله.

وهذا أفضل جزاء، يعطيه الله لأهل الإيمان[٣]، وقال تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾[٤]، قال الإمام الطبري رحمه الله: يقول تعالى ذكره: وأما الذين وفقهم الله لاتباع الحق، وشرح صدورهم للإيمان به وبرسوله من الذين استمعوا إليك يا محمد، فإن ما تلوته عليهم، وسمعوه منك ﴿زَادَهُمْ هُدًى﴾ يقول: زادهم الله بذلك إيمانًا إلى إيمانهم، وبيانًا لحقيقة ما جئتهم به من عند الله إلى البيان الذي كان عندهم.

---

١) تيسير الكريم الرحمن/١/٧٤٥-٧٤٦).
٢) التغابن: ١١.
٣) (تيسير الكريم الرحمن/٢/٨٨٠)
٤) محمد: ١٧.

وقوله: ﴿وَأَتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ يقول تعالى ذكره: وأعطى الله هؤلاء المهتدين تقواهم، وذلك استعماله إياهم تقواهم إياه[1].

وقال الأديب الكبير سيد قطب رحمه الله: فالذين اهتدوا، بدأوا هم بالاهتداء، فكافأهم الله بزيادة الهدى، وكافأهم بما هو أعمق وأكمل: ﴿وَأَتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾.. والتقوى حالة في القلب تجعله أبدًا واجفًا من هيبة الله، شاعرًا برقابته، خائفًا من غضبه، متطلعًا لرضاه، متحرجًا من أن يراه الله على هيئة أو في حالة لا يرضاها –فهذه التقوى- مكافأة يؤتيها الله من يشاء من عباده، حين يهتدون وهم يرغبون في الوصول إلى رضى الله[2].

١٠- التسلية عند ورود المصائب والمكاره:

قال الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[3].

قال العلامة السعدي -رحمه الله-: قال بعض السلف: هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم.

ومن ثمرات الإيمان بالله أنه يسلي صاحبه عن المصائب والمكاره، والتي كل أحد عرضة لها في كل وقت، ومصاحبة الإيمان واليقين أعظم مسل عنها ومهون لها وذلك: لقوة إيمانه وقوة توكله، ولقوة رجائه بثواب ربه، وطمعه في فضله.

---

١) (جامع البيان في تأويل القرآن/١١/٣١٦).
٢) (في ظلال القرآن/٦/٣٢٩٤).
٣) التغابن: ١١.

فحلاوة الأجر تخفف مرارة الصبر قال تعالى: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[1]، ولهذا تجد اثنين: تصيبهم مصيبة واحدة أو متقاربة – وأحدهما عنده إيمانه والآخر فاقد له- تجد الفرق العظيم بين حاليهما، وتأثيرهما في ظاهرهما وباطنهما وهذا الفرق راجع إلى الإيمان والعمل بمقتضاه.

وكما أنه يسلي عند ورود المصائب والمكاره، فإنه يسلي عند فقد المحاب، فإذا فقد المؤمن حبيبه الذي تمكن حبه من قلبه من أهل وولد ومال، وصديق وشبهها، تسلى بحلاوة إيمانه، والإيمان خير عوض للمؤمن عن كل مفقود، كما هو مُشاهد مُجرب.

وفقد المحبوب –في الحقيقة- معدود من المصائب، ولولا أن يعقوب عليه الصلاة والسلام عنده من الإيمان ما يهون عليه مصيبته في فقد يوسف مع شدة حبه العظيم بحيث قال لإخوته لما طلبوا منه بعض يوم، أن يذهب معهم ليرتع ويلعب ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾[2]، فأخبر أن المانع له من إرساله، أنه لا يصبر على فراقه ولا ساعة من نهار، ولكنهم عاجلوه، وذكروا له الأسباب التي توجب له أن يرسله معهم، فأرسله ﴿لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾[3]، فمن هذه حاله، وهذا حبه البليغ الذي لا يمكن المعبر أن يعبر عنه، هل يدخل في الذهن أنه يبقى هذه المدة ا لطويلة على الوجود؟! بل يغلب على الظن أن الحب يفتت

---

١) النساء: ١٠٤.
٢) يوسف: ١٣.
٣) الأنفال: ٤٢.

كبده بأسرع وقت. ولكن: قوة الإيمان، وقوة الرجاء بالله أوجب له أن يتمسك كل هذه المدة حتى جاء الله بالفرج الذي وعد به المؤمنين.

وكذلك: أم موسى حين ذهب اليم بموسى، وأصبح فؤادها فارغًا من كل شيء إلا من الحزن على موسى ولولا أن الله ربط على قلبها بالإيمان وعلمت أن وعد الله حق، لكادت تبدي بما في قلبها، وتصرّح بمصيبتها، ولكن هو الإيمان المثبت عند الشدائد، المسلي عند المصائب، المقوي إذا وهنت القوى، المعزي إذا عز العزا.

وقال النبي ﷺ في وصيته العظيمة -في حديث أبي هريرة الصحيح- **«تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة»**[١].

أي تعرف إلى الله بالإيمان وأعمال الإيمان، وأنت صحيح غني يعرفك الله في الشدة، ويقويك الله على مباشرتها، ويعينك على معالجتها. فهذا الحديث بُشرى لكل مؤمن قد تعرف إلى ربه في رخائه، أن يعينه في ذلك المقام[٢].

١١- الانتفاع بالمواعظ والتذكير بالآيات:

قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤].

---

١) صحيح: رواه الإمام أحمد في مسنده، والطبراني في معجمه الكبير، والحاكم في مستدركه، وأبو نعيم في حليته وصححه الألباني في صحيح ا لجامع رقم (٢٩٦١) والسنة رقم (٣١٨).
٢) (التوضيح والبيان لشجرة الإيمان/٧٨).
٣) الذاريات: ٥٥.
٤) الحجر: ٧٧.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم، أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**»[1].

يعلق السعدي رحمه الله فيقول: ومفهوم هذه النصوص الصريحة المحكمة: أن فاقد الإيمان لا خير فيه لأنه إذا عُدم الإيمان: فإما أن يكون الشخص أحواله كلها شر وضرر على نفسه وعلى المجتمع من جميع الوجوه، وإما أن يكون فيه بعض الخير الذي قد انغمر بالشر، وغلب شره خيره، والمصالح إذا انغمرت واضمحلت في المفاسد، صارت شرًا، لأن الخير الذي معه يقابله شر نظيره فيتساقطان، ويبقى الشر الذي لا مقابل له من الخير يعمل عمله.

وهذا: لأن الإيمان يحمل صاحبه على التزام الحق واتباعه، علمًا وعملاً، وكذلك معه الآلة العظيمة والاستعداد لتلقي المواعظ النافعة والآيات الدالة على الحق، وليس عنده مانع يمنعه من قبول الحق ولا من العمل به، وأيضًا: فالإيمان يوجب سلامة الفطرة، وحسن القصد، ومن كان كذلك انتفع بالآيات، ومن لم يكن كذلك، فلا يُستغرب عدم قبوله للحق، واتباعه له[2].

١٢- ملجأ المؤمنين في كل ما يلم بهم:

قال العلامة السعدي رحمه الله: "الإيمان ملجأ المؤمنين في كل ما يلم بهم: من سرور وحزن وخوف وأمن وطاعة ومعصية، وغير ذلك من الأمور التي لا بد لكل أحد منها. فعند المحاب والسرور، يلجؤون إلى الإيمان، فيحمدون الله،

---

١) صحيح: رواه الإمام أحمد في مسنده، والترمذي في سننه، والبخاري في الأدب المفرد، وابن ماجه: كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، رقم (٤٠٣٢) (سندي/٤/٣٧٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٦٥١) والصحيحة رقم (٩٣٩).

٢) (التوضيح والبيان لشجرة الإيمان/٨٣).

ويثنون عليه ويستعملون النعم فيما يحب المنعم، وعند المكاره والأحزان، يلجؤون إلى الإيمان من جهات عديدة، يتسلون بإيمانهم وحلاوته، ويتسلون بما يترتب على ذلك: من الثواب، ويقابلون الأحزان والقلق: براحة القلب. والرجوع إلى الحياة الطيبة المقاومة للأحزان والأتراح.

ويلجؤون إلى الإيمان عند الخوف فيطمئنون إليه، ويزيدهم إيمانًا وثباتًا، وقوة وشجاعة، ويضمحل الخوف الذي أصابهم كما قال تعالى عن خيار الخلق:

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۞ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[1].

لقد اضمحل الخوف من قلوب هؤلاء الأخيار، وخَلَفَه قوة الإيمان وحلاوته وقوة التوكل على الله، والثقة بوعده، ويلجؤون إلى الإيمان عند الأمن: فلا يبطرهم ولا يحدث لهم الكبرياء، بل يتواضعون، ويعلمون أنه من الله، ومن فضله وتيسيره فيشكرون الذي أنعم بالسبب والمسبب الأمن وأسبابه، ويعلمون أنه إذا حصل لهم ظفر بالأعداء وعِز، أنه بحول الله وقوته وفضله، لا بحولهم وقوتهم.

ويلجؤون إلى الإيمان عند الطاعة والتوفيق للأعمال الصالحة، فيعترفون بنعمة الله عليهم بها، وأن نعمته عليهم فيها أعظم من نعم العافية والرزق، وكذلك يحرصون على تكميلها، وعمل كل سبب لقبولها وعدم ردها أو

---

١) آل عمران: ١٧٣-١٧٤.

نقصها، ويسألون الذي تفضل عليهم بالتوفيق لها: أن يتم عليهم نعمته بقبولها، ويلجؤون إلى الإيمان إذا ابتلوا بشيء من المعاصي بالمبادرة إلى التوبة منها وعمل ما يقدرون عليه من الحسنات لجبر نقصها.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[1].

فالمؤمنون في جميع تقلباتهم وتصرفاتهم ملجؤهم إلى الإيمان ومفزعهم إلى تحقيقه، ودفع ما ينافيه ويضاده وذلك من فضل الله عليهم ومنّه[2].

١٣- المنع من الوقوع في الموبقات المهلكة:

قال الشيخ السعدي رحمه الله: الإيمان الصحيح يمنع العبد من الوقوع في الموبقات المهلكة كما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن...»[3]. ومن وقعت منه: فإنه لضعف إيمانه، وذهاب نوره، وزوال الحياء ممن يراه حيث نهاه، وهذا معروف مُشاهد.

والإيمان الصادق الصحيح، يصحبه الحياء من الله، والحب له، والرجاء القوي لثوابه، والخوف من عقابه، والنور الذي يُنافي الظلمة، وهذه الأمور التي هي من مُكملات الإيمان لا ريب أنها تأمر صاحبها بكل خير، وتزجره عن كل قبيح، فأخبر أن الإيمان إذا صحبه عند وجود هذه الفواحش، فإن نور إيمانه

---

١) الأعراف: ٢٠١.
٢) (التوضيح والبيان لشجرة الإيمان/٩٤-٩٨).
٣) البخاري: كتاب الحدود، باب: الزنا وشرب الخمر، رقم (٦٧٧٢) (فتح/١٢/٦٩).

يمنعه من الوقوع فيها، فإن النور الذي يصحب الإيمان الصادق ووجود حلاوة الإيمان، والحياء من الله -الذي هو من أعظم شعب الإيمان بلا شك- يمنع من مواقعة هذه الفواحش[1].

ثانيا: من الآثار التعبدية البدنية

١- حقيقة العبادة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وجماع الدين أصلان، أن لا نعبد إلا الله، ولا نعبده إلا بما شرعه، لا نعبده بالبدع، كما قال تعالى:﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[2]، وذلك تحقيق الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدًا رسول الله.

ففي الأولى: أن لا نعبد إلا إياه، وفي الثانية: أن محمدًا ﷺ هو رسول الله المبلغ عنه، فعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره، وقد بين لنا ما نعبد الله به، ونهانا عن محدثات الأمور، وأخبر أنها ضلالة، قال تعالى:

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[3].

كما أننا مأمورون أن لا نخاف إلا الله ولا نتوكل إلا على الله، ولا نرغب إلا إلى الله، ولا نستعين إلا بالله، وأن لا تكون عبادتنا إلا لله، فكذلك نحن مأمورون أن نتبع الرسول ونطيعه ونتأسى به، فالحلال ما حلله، والحرام ما

---

١) (التوضيح والبيان لشجرة الإيمان/٩٨-٩٩).
٢) الكهف: ١١٠.
٣) البقرة: ١١٢.

حرمه والدين ما شرعه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾[1]، فجعل الإيتاء لله وللرسول، كما قال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[2].

وجعل التوكل على الله وحده بقوله: ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾[3]، ولم يقل: ورسوله، كما قال في وصف الصحابة رضي الله عنهم في الآية الأخرى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[4]، ومثله قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[5]، أي: حسبك وحسب المؤمنين كما قال: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾[6]، ثم قال: ﴿سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾[7]، فجعل الإيتاء لله وللرسول، وقدم ذكر الفضل لله، لأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وله الفضل على رسوله وعلى المؤمنين.

وقال: ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾[8]، فجعل الرغبة إلى الله وحده، كما في قوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾[9].

---

١) التوبة: ٥٩.
٢) الحشر: ٧.
٣) التوبة: ٥٩.
٤) آل عمران: ١٧٣.
٥) الأنفال: ٦٤.
٦) الزمر: ٣٦.
٧) التوبة: ٥٩.
٨) التوبة: ٥٩.
٩) الانشراح: ٧-٨.

وقال النبي ﷺ لابن عباس:«إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»[1].

والقرآن يدل على مثل هذا في غير موضع، فجعل العبادة والخشية والتقوى لله، وجعل الطاعة والمحبة لله ورسوله، كما في قول نوح عليه السلام: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾[2]، وقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾[3]. وأمثال ذلك، فالرسل أمروا بعبادته وحده، والرغبة إليه والتوكل عليه، والطاعة له، فأضل الشيطان النصارى، وأشباههم، فأشركوا بالله وعصوا الرسول، فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيح ابن مريم، فجعلوا يرغبون إليهم ويتوكلون عليهم، ويسألونهم، مع معصيتهم لأمرهم ومخالفتهم لسنتهم، وهدى الله المؤمنين المخلصين لله أهل الصراط المستقيم، الذين عرفوا الحق واتبعوه، فلم يكونوا من المغضوب عليهم ولا الضالين، فأخلصوا دينهم لله، وأسلموا وجوههم لله، وأنابوا إلى ربهم، وأحبوه ورجوه، وخافوه، وسألوه ورغبوا إليه، وفوَّضوا أمورهم إليه، وتوكلوا عليه وأطاعوا رسله، وعزروهم ووقروهم، وأحبوهم، ووالوهم، واتبعوهم، واقتفوا آثارهم، واهتدوا بمنارهم، وذلك هو دين الإسلام الذي بعث الله به الأولين والآخرين من الرسل، وهو الدين الذي لا يقبل الله من أحد دينًا إلا إياه، وهو حقيقة العبادة لرب العالمين، فنسأل الله العظيم أن يثبتنا عليه، ويكمله لنا، ويميتنا عليه، وسائر إخواننا المسلمين[4] اهـ

---

١) سبق تخريجه.

٢) نوح: ٣.

٣) النور: ٥٢.

٤) (العبودية/١٣٧-١٤٠)

٢- العبادة تسع الحياة كلها:

يقول الشيخ يوسف القرضاوي -حفظه الله-: إذا عرفنا أن الدين كله عبادة كما قال الإمام ابن تيمية، وعرفنا أن الدين قد جاء يرسم للإنسان منهج حياته، الظاهرة والباطنة، ويحدد سلوكه وعلاقاته، وفقًا لما يهدي إليه هذا المنهج الإلهي، عرفنا أن عبادة الله تسع الحياة كلها وتنتظم أمورها قاطبة: من أدب الأكل والشرب، وقضاء الحاجة، إلى بناء الدولة، وسياسة الحكم، وسياسة المال، وشؤون المعاملات والعقوبات، وأصول العلاقات الدولية في السلم والحرب.

ولهذا تجد كتاب الله الكريم يخاطب عباده المؤمنين، بأوامر تكليفية وأحكام شرعية، تتناول جوانب شتى من الحياة، وفي سورة واحدة هي سورة البقرة، تجد مجموعة من التكاليف كلها جاءت بصيغة واحدة «كتب عليكم»، ولنقرأ هذه الآيات الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[١]، ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[٣]، ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن

---

١) البقرة: ١٧٨.
٢) البقرة: ١٨٠.
٣) البقرة: ١٨٣.

تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1]، فهذه الأمور كلها من القصاص، والوصية، والصيام، والقتال، مكتوبة من الله على عباده، أي مفروضة عليهم، فعليهم أن يعبدوا الله بالتزامها والانقياد لها.

وبهذا البيان يتضح لنا حقيقة مهمة لا يزال يجهلها الكثيرون من المسلمين، فبعض الناس لا يفهم من كلمة «العبادة» إذا ذكرت إلا الصلاة والصيام والصدقة والحج والعمرة، ونحو ذلك من الأدعية والأذكار، ولا يحسب أن لها علاقة بالأخلاق والآداب، أو النظم والقوانين، أو العادات والتقاليد.

إن عبادة الله ليست محصورة -إذًا- في الصلاة والصيام والحج وما يلحق بها من التلاوة والذكر والدعاء والاستغفار، كما يتبادر إلى فهم كثير من المسلمين إذا دعوا إلى عبادة الله، وكما يحسب كثير من المتدينين أنهم إذا قاموا بهذه الشعائر فقد وفوا الإلهية حقها، وقاموا بواجب العبودية لله كاملاً.

إن هذه الشعائر العظيمة، والأركان الأساسية في بناء الإسلام -على منزلتها وأهميتها- إنما هي جزء من العبادة لله، وليست هي كل العبادة التي يريدها الله من عباده، والحق أن دائرة العبادة التي خلق الله لها الإنسان، وجعلها غايته في الحياة، ومهمته في الأرض، دائرة رحبة واسعة، إنها تشمل شئون الإنسان كلها، وتستوعب حياته جميعًا[2].

---

1) البقرة: ٢١٦.
2) (العبادة في الإسلام/٥١-٥٣).

٣- حفظ الفرج وتقويم الغريزة (العفة):

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ * ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾[1].

قال السعدي -رحمه الله-: «هذا تنويه من الله، بذكر عباده المؤمنين، وذكر فلاحهم وسعادتهم، وبأي شيء وصلوا إلى ذلك، وفي ضمن ذلك الحث على الاتصاف بصفاتهم، والترغيب فيها، فليزن العبد نفسه، وغيره، على هذه الآيات، يعرف بذلك ما معه، وما مع غيره من الإيمان زيادةً ونقصًا، كثرةً وقلةً.

فقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: فازوا وسعدوا ونجحوا، وأدركوا كل ما يروم المؤمنين، الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين الذين من صفاتهم أنهم ﴿لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ﴾ عن الزنا، ومن تمام حفظها تجنب ما يدعو إلى ذلك كالنظر واللمس ونحوهما، فحفظوا فروجهم عن كل أحد ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ﴾ من الإماء المملوكات ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ بقربهما لأن الله تعالى أحلهما.

---

١) المؤمنون: ١-١١.

﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ غير الزوجة والسرية ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ الذين تعدوا ما أحل الله إلى ما حرمه، المتجرئون على محارم الله»[1]، وبوب البخاري، باب: فضل من ترك الفواحش، وأورد تحته حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله: ... ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها قال: إني أخاف الله»[2].

قال النووي رحمه الله: قال القاضي: وخص ذات المنصب، والجمال لكثرة الرغبة فيها، وعسر حصولها وهي جامعة للمنصب والجمال، لا سيما وهي داعية إلى نفسها طالبة لذلك قد أغنت عن مشاق التوصل إلى مراودة ونحوها، فالصبر عنها لخوف الله تعالى، وقد دعت إلى نفسها مع جمعها المنصب والجمال من أكمل المراتب وأعظم الطاعات، فرتب الله تعالى عليه أن يظله في ظله، وذات المنصب هي ذات الحسب والنسب الشريف، ومعنى دعته أي: دعته إلى الزنا بها، هذا هو الصواب في معناه[3].

وعن سهل بن سعد الساعدي قال النبي ﷺ: **«من توكل لي ما بين رجليه وما بين لحييه توكلت له بالجنة»**[4].

قال ابن القيم رحمه الله: اللذة من حيث هي مطلوبة للإنسان ولكل حي، فلا تُذَم من جهة كونها لذة، وإنما تذم ويكون تركُها خيرًا من نيلها وأنفع إذا تضمنت فوات لذة أعظم منها وأكمل، أو أعقبت ألمًا حصوله أعظم من ألم فواتها، فها هنا يظهر الفرق بين العاقل الفطن، والأحمق الجاهل.

---

١) (تيسير الكريم الرحمن/٢/١١٣-١١٤).
٢) البخاري: كتاب الحدود، باب فضل من ترك الفواحش رقم (٦٨٠٦)
٣) (شرح النووي على صحيح مسلم/٧/١٢٣).
٤) البخاري: كتاب الحدود، باب: فضل من ترك الفواحش رقم (٦٨٠٧) (فتح/١٢/١٣٥).

فمتى عرف العقل التفاوت بين اللذتين والألمين، وأنه لا نسبة لأحدهما إلى الآخر، هان عليه ترك أدنى اللذتين لتحصيل أعلاهما، واحتمال أيسر الألمين لدفع أعلاهما.

وإذا تقررت هذه القاعدة، فلذة الآخرة أعظم وأدوم، ولذة الدنيا أصغر وأقصر، وكذلك ألم الآخرة وألم الدنيا.

والمعول في ذلك على الإيمان واليقين، فإذا قوي -توحيد العبد ويقينه- وباشر القلب، آثر الأعلى على الأدنى في جانب اللذة، واحتمل الألم الأسهل على الأصعب[1].

ويقول الدكتور يوسف القرضاوي -حفظه الله-: لا ريب أن للغرائز في دفع الإنسان سلطانًا لا ينكر، ولكن المُثل العليا التي يعيش لها المؤمن تعلو به على الغرائز وسلطانها.

وفي الشباب تتجلى هذه الغريزة على أشدها، فالشباب شعلة متوهجة لعظم طاقته الحيوية، وقوة دوافعه النفسية، وقلة علمه وتجاربه في الحياة، بجانب أحلامه، وخيالاته الكثيرة، فماذا يمنع الشاب الناضر الفتوة، القوي الغريزة أن يقضي شهوة جنسية مع امرأة لا تحل له إذا تيسرت له أسبابها، وتهيأت وسائلها دون خشية من عقاب أو قانون أو أعين الناس.

لا شيء يمنعه إلا الإيمان، فالإيمان قوة قاهرة غلاّبة، أقوى من الغرائز والشهوات، وأقوى من سلطان العادات، وأقوى من كل المؤثرات[2].

---

١) (الفوائد/٤٣٦).
٢) (الإيمان والحياة/١٨٢) وإن أردت زيادة إيضاح فعليك بـ (ذم الهوى) كله لابن الجوزي و(ترطيب الأفواه بذكر من يظلهم الله/١/٤١١-٤٧٠) د/ سيد بن حسين العفاني.

٤- رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه:

قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾(١).

قال السعدي رحمه الله: قوله: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: وفوا به، وأتموه وأكملوه، فبذلوا مهجهم في مرضاته، وسبَّلوا نفوسهم في طاعته، ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ أي: إرادته ومطلوبه، وما عليه من الحق، فقتل في سبيل الله، أو مات مؤديًا لحقه، لم ينقصه شيئًا.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ تكميل ما عليه، فهو شارع في قضاء ما عليه، ووفاء نحبه ولما يكمله، وهو رجاء تكميله، ساع في ذلك، مجد.

﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ كما بدل غيرهم، بل لم يزالوا على العهد، لا يلوون، ولا يتغيرون، فهؤلاء هم الرجال على الحقيقة، ومن عداهم، فصورهم صور رجال، وأما الصفات فقد قصرت عن صفات الرجال(٢) .اهـ.

وأي فترة في تاريخ المسلمين تخلو من هؤلاء الرجال، فهي فترة لا تخلو من الذل المتتابع حتى يقيض الله لعباده من يخرجهم من الظلمات إلى النور، ظلمات الهزائم الساحقة يوم أن اندثرت راية الجهاد، فاستأسد لذلك إخوان القردة والخنازير حتى أجروا دماء المسلمين كأنها أنهار، ويا للعجب لا تسمع منا إلا الإنكار والتنديد!! أتدري لماذا؟ لغياب هؤلاء الرجال الذين حُفرت أسماؤهم بمداد من نور إلى يوم القيامة إن شاء الله تعالى.

---

١) الأحزاب: ٢٣.
٢) (تيسير الكريم الرحمن/٣٨٣).

وأي حقبة في تاريخ المسلمين تخلو من هؤلاء الرجال، فهي حقبة قد ملئت بأشواك الجهل والخرافات والشبهات والأباطيل! أتدري لماذا؟! لغياب هؤلاء الدعاة الذين نذروا أنفسهم وأوقاتهم وأموالهم لإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، فالعلماء والدعاة هم مصابيح الدُجى ومشاعل الهداية والإيمان في كل زمان ومكان، فإن فُقِدوا، فُقِد ذلك النور، والنبراس المضيء، وساد الظلام الدامس، وصار الناس يتخبطون في طرقهم يوم أن فقد هُداة الطريق إلى رب العالمين، إلى غير ذلك من هذه الثغرات التي لا يسدها إلا هؤلاء الرجال، فجهاد بلا رجال معناه نكسات وهزائم ونفاذ أرواح، ودعوة بلا رجال معناها، بدع وضلالات وخرافات وعبادة هوى، وبذل بلا رجال فهو منٌّ بالعطية، ورياء وسمعة، وتقييد رقاب الضعفاء، وتضحية غير الرجال لا تعدو أن تكون مدعاة للفخر والإقدام وشراء الشهرة بأي ثمن إلى غير ذلك من هذه الصور التي لا تتجلى إلا بهؤلاء الرجال وفيما يأتي صور من صور كثيرة، عز على المسلمين فقدها في جميع المجالات، حتى صرنا عبرة وأي عبرة!!

ففي مجال الجهاد:

أ- منهم من اشترى نفسه في سبيل الله وصدق ما عاهد الله عليه:

عن أنس ﷺ قال: "غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال يا رسول الله، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني أصحابه، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء، يعني المشركين، ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول

الله ما صنع. قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه، قال أنس: كنا نرى -أو نظن- أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه:
﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[1] إلى آخر الآية"[2].

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: وفي قصة أنس بن النضر من الفوائد جواز بذل النفس في الجهاد، وفضل الوفاء بالعهد ولو شق على النفس حتى يصل إلى إهلاكها، وأن طلب الشهادة في الجهاد لا يتناوله النهي عن الإلقاء في التهلكة، وفيه فضيلة ظاهرة لأنس بن النضر، وما كان عليه من الإيمان والتورع وقوة اليقين[3].

فرحمك الله يا أنس ورضي الله عنك، يوم أن نصرت الله فنصرك، وصدقت الله فنلت ما وعدك، بل صار اسمك يذكر إذا ما تلي كتاب الله، كم نحن بحاجة إلى وجود من يحذو حذوك، ويطلب طلبك، ويصدق صدقك فرايات مجد الإسلام ما ارتفعت إلا بوجود أمثالك، فرضي الله عنك يوم أن صرت مثالا لكل مؤمن يرجو نواله.

أرأيتم يا شباب الصحوة، ماذا يفعل الإيمان إذا ما خالطت بشاشته القلوب أرأيتم!!

---

١) الأحزاب: ٢٣.
٢) البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب: قول الله ﷻ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ رقم (٢٨٠٥) (فتح/٦/٢٦).
٣) (فتح الباري/٦/٢٧).

إنه يجعل المؤمن يرى الغيب كالعيان، بل ويرى وعد الله تمثل أمامه حتى يصبح عنده كالشيء المحسوس "إني أجد ريحها من دون أحد" أي إيمان هذا! أفلا نتعلم أيها الإخوة! أفلا نتعلم!

اللهم يا رافع السماء بلا عمد، امنن على أمة الإسلام بأمثال الصادق أنس بن النضر، حتى نُعزّ كما كنا، وتصبح الدائرة بعد ذلك لمن آمن بك كما كان في العهد الأول، اللهم آمين.

ب- يا شباب التوحيد هذا هو مصعب بن عمير:

عن خباب ﷺ قال: "هاجرنا مع النبي ﷺ نلتمس وجه الله، فوقع أجرنا على الله، فمنا من مات لم يأكل من أجره شيئًا، منهم مصعب بن عمير، .. قتل يوم أحد فلم نجد ما نكفنه إلا بردة إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطينا رجليه خرج رأسه، فأمرنا النبي ﷺ أن نغطي رأسه، وأن نجعل على رجليه من الإذخر"[1].

يقول الدكتور القرضاوي -حفظه الله-:

وهذا نموذج من نماذج التضحية: نموذج التضحية بالراحة والثروة، والاستمتاع بالحياة الرضية الناعمة، وارتضاء الحرمان والمشقة والبلاء والأذى في سبيل الله، فتى كمصعب بن عمير، نشأ في الحلية، وربّى في الرفاهية والنعمة، بين أبوين يحبانه أشد الحب، ويحنوان عليه أعظم الحنوّ، يغذوانه بأطيب الطعام، ويكسوانه بأحسن اللباس، وينشران عليه أجنحة العطف والإيثار والرعاية والتدليل، فتىً منعم مدلَّل كهذا، ما الذي يجعله يدع هذه

---

[1] البخاري: كتاب الجنائز، باب إذا لم يجد كفنا إلا ما يواري رأسه أو قدميه غطى رأسه، رقم (١٢٧٦) (فتح/٣/١٨٣).

الحياة اللذيذة الهادئة الهانئة، إلى حياة خشونة وبأساء، وزلزلة وجهاد، وغربة وهجرة؟؟

ما الذي جعله يرضى بمفارقة الأهل والوطن، ويرغب عن الثروة والجاه، ويفر بدينه مهاجرًا إلى الحبشة ثم إلى المدينة، حتى يموت في دار الهجرة شهيدًا في غزوة أحد فلا يجد المسلمون له ثوبًا يكفي لغطاء جسده، كل الذي وجدوه ثوب قصير إذا غطى رأسه بانت رجلاه، وإذا غطى به رجلاه بانت رأسه؟ لا شيء إلا الإيمان[١].

وفي مجال البذل والإيثار:

قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٢].

تالله لمجتمع قام على هذا التجرد الإيماني فيما بينهم، لمجتمع منصور وممكن له بإذن الله تعالى.

نفسي فداء للأنصار الذين نزلت فيهم هذه الآية، والذين لهم القدح المعلى بأروع الأمثلة المسجلة في السنة الشريفة، والتي نوّه إليها كتاب ربنا تعالى قبل ذلك، ومنها كمّ هائل في سير هؤلاء القوم فرضي الله عنهم.

إن الإيثار تجاه الإخوان لهو من أسمى ا لحقوق السامقة التي لا يقدر على بذلها إلا من عرف معنى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٣] وذاق معناها، وارتقى

---

١) (الإيمان والحياة/٢٢٣).
٢) الحشر: ٩.
٣) الحجرات: ١٠.

فوق شهوات النفوس، وخلع جذور الشح من قلبه، وزرع مكانه البذل والإيثار، لا الأثرة التي أودت بصاحبها في سجل البخلاء الطامعين.

أ- من بذل وإيثار قدوتنا ﷺ:

وهذا هو رسول الله ﷺ يعلمنا البذل والإيثار بما يحتاج إليه ولا يملك مثله، وهذا هو الإيثار الذي تنهزم أمامه كل متطلبات الحياة البراقة ومغرياتها الأخاذة، فعن سهل بن سعد ﷺ قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ببردة فقال سهل للقوم: أتدرون ما البردة؟ فقال القوم: هي شملة، فقال سهل هي شملة منسوجة فيها حاشيتها – فقالت: يا رسول الله، أكسوك هذه، فأخذها النبي ﷺ محتاجًا إليها فلبسها، فرآها عليه رجل من الصحابة فقال: يا رسول الله، ما أحسن هذه، فاكسنيها. فقال: نعم. فلما قام النبي ﷺ لامه أصحابه فقالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي ﷺ أخذها محتاجًا إليها ثم سألته إياها، وقد عرفت أنه لا يُسأل شيئًا فيمنعه. فقال: رجوت بركتها حين لبسها النبي ﷺ لعلي أكفّن فيها"[1].

---

١) البخاري: كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل رقم (٦٠٣٦) (فتح/١٠/٥٥٩).

ب- الأشعريون:

عن أبي موسى قال: قال النبي ﷺ: «**إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم**»(١).

قال الإمام النووي رحمه الله: وفي هذا الحديث فضيلة الأشعريين، وفضيلة الإيثار والمواساة(٢).

ج- بنفسي أنتم:

قال ابن الأعرابي رحمه الله: استشهد باليرموك عكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو بن الحارث بن هشام، وجماعة من بني المغيرة فأتوا وهم صرعى، فتدافعوه حتى ماتوا ولم يذوقوه.

أتى عكرمة بالماء فنظر إلى الحارث بن هشام ينظر إليه، فقال: ابدءوا به، فنظر سهيل إلى الحارث بن هشام ينظر إليه فقال ابدءوا بهذا، فماتوا كلهم قبل أن يشربوا، فمر بهم خالد بن الوليد فقال بنفسي أنتم(٣).

د- من يطيق ذلك؟

قال منصور الغضاري رحمه الله: شاهدت الحافظ عبدالغني المقدسي في الغلاء بمصر وهو ثلاث ليالي يؤثر بعشائه ويطوي(٤).

---

١) البخاري: كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام والنهد والعروض رقم (٢٤٨٦) (فتح/٥/١٦٢).
٢) (شرح النووي على صحيح مسلم/١٦/٢٧٨).
٣) (صلاح الأمة في علو الهمة/٢/٦٤٤،٦٤٥).
٤) (صلاح الأمة في علو الهمة/٢/٦٤٤،٦٤٥).

في شتى المجالات:

لو ذهبتُ أتتبع أغلب هذه الصور بل جميعها لهؤلاء الرجال الصادقين، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه في جميع المجالات لطال الأمر جدًا، وخير كتاب رأيته في هذا المجال، يجمع هذه الصور الرائعة لهؤلاء الرجال في معظم المجالات، في الدعوة إلى الله تعالى، وفي العلم، وفي الجهاد، وفي الدعاء، وفي الصيام، وفي الصلاة والزكاة والحج، وغير ذلك هو كتاب الدكتور سيد بن حسين العفاني حفظه الله وبارك في عمره وجعله من العلماء الربانيين، فهو من أفضل الكتب في هذا المجال حسب علمي، بل هو موسوعة لا يستغني عنها مسلم، واسم الكتاب "صلاح الأمة في علو الهمة" وأيضًا له في هذا المجال "ترطيب الأفواه بذكر من يظلهم الله."

يقول الدكتور عمر الأشقر حفظه الله: لقد كان الرعيل الأول صادقين في إيمانهم، وفي أقوالهم يصدرون عن عقيدة قوية، وعزيمة ماضية، ولو ذهبنا نتتبع هذا الصنف من -الرجال- الذين يقولون ويفعلون، لرأينا المئات بل الآلاف من النماذج الرائعة، ولقد حققوا قول الله فيهم: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[1].

إننا بحاجة إلى هذا الصنف الكريم من المؤمنين الذين تصدق أقوالهم معتقداتهم وتصدق الأعمال القول والعقيدة، يعلمون أنهم إذ ينسبون إلى الإسلام فعليهم أن يخلعوا عنهم ثوب الجاهلية، ويدخلوا في الإسلام بقلوبهم

١) الأحزاب: ٢٣.

ومشاعرهم وأحاسيسهم وسلوكهم، وآمالهم وآلامهم، ويقيمون علاقاتهم مع غيرهم حبًا وبغضًا على هدي من كتاب الله، إننا بحاجة إلى هذا الصنف من المسلمين -والرجال المؤمنين- فهل نحن منهم؟! نرجو أن نكون، وإلا فلنحاول والله المستعان[1].

ثالثا: من آثار توحيد الألوهية على المجتمع

تمهيد:

يقول الشيخ يوسف القرضاوي -حفظه الله-: الحدود بين الفرد والمجتمع متداخلة متشابكة، وليس من المستطاع بسهولة أن يقال: هذا أمر يؤثر في الفرد، وهذا أمر يؤثر في المجتمع، فما المجتمع في واقع أمره إلا أفراد ربطت بينهم روابط مشتركة .. وكل جهد يبذل لتكوين الفرد الصالح، هو عمل أصيل لتكوين المجتمع الصالح.

ومثل المجتمع البشري كمثل البنيان المرصوص، ومثل الأفراد فيه كمثل اللبنات للبنيان، فإذا كانت اللبنات قوية متينة، وكانت المادة التي تربط بينهما قوية الربط، وإحكام الالتحام والتماسك بينها، قام منها بناء قوي مكين، فالعمل الأول في البناء، يجب أن يتجه إلى اللبنات وإعدادها.

وإذا نظرنا إلى ما تقدم -من أثر توحيد الألوهية في حياة الفرد- نجد أن الفرد الذي يتمتع بسكينة النفس، وأمن الروح، ويتذوق طعم الإيمان ونعمة الرضا ويستروح نسمات الأمل، ويحيا في ظلال الحب الفسيح، ويحس بالقوة ويشعر بالكرامة، إنما هو إنسان اجتماعي راق، ولبنة صالحة لأن يقوم عليها بناء اجتماعي سليم.

---

1) (مواقف ذات عبر/٩٥).

والمجتمع الذي تشيع بين أفراده السكينة والأمن، والرضا والأمل، والحب والشعور بالكرامة، مجتمع يشق طريقه إلى السعادة والرقي والاستقرار[1].

١- تحكيم شرع الله تعالى

يقول الشيخ محمد حسان حفظه الله: الإسلام عقيدة تنبثق منها شريعة تنظم شؤون الحياة، فالعقيدة هي الأصل الذي ترتكز عليه دعائم الشريعة، ولن يقبل الله من الناس الشريعة إلا إذا صلحت عقيدتهم وآمنوا بالله ﷻ وبوحدانيته في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وأفعاله، واستيقنوا بعالم الغيب والدار الآخرة، وما فيها من حساب وجنة ونار.

وإذا رسخت العقيدة في النفس، أمكن بناء المجتمع الذي يلتزم في حياته شرع الله في علاقته بربه، وعلاقته بالإنسان، وعلاقته بالكون والحياة، ولهذا كانت العقيدة أول ما دعا إليه الرسل عليهم جميعًا الصلاة والسلام.

فالإسلام ليس مجرد عقيدة وجدانية منعزلة عن الحياة البشرية، فالعقيدة أصل الدين، ومنها تنبثق الشريعة التي تنظم شؤون الحياة، مثلها في شجرة الإسلام الوارفة الظلال، كالجذع من الأغصان والثمار... فإذا صحت العقيدة ورسخت في القلب، اشتد ساقها، وامتدت أغصانها وأورقت فروعها، وأزهرت وأثمرت، وآتت أكلها في الحياة الإنسانية بالاستقامة على منهج الله، والوقوف عند حدوده، والالتزام بشرائعه، والسلوك الإسلامي القويم.

وإنما يرسل الله رسله بالعقيدة إلى عباده ليعلنوا توحيدهم لله تعالى، وبراءتهم من الشركاء والأنداد وليذعنوا لمقتضاها في الامتثال لأمر الله ونهيه

---

١) (الإيمان والحياة/١٦٧).

والانقياد لشرعه عملاً وسلوكًا ولولا هذا لكانت العقيدة دعوى لا يصدقها الواقع .. بل كانت متناقضة مع السلوك وأنظمة المجتمع، وكان ادعاؤها كذبًا وزورًا، إذ ما قيمة الإيمان بألوهية الله وحده وبعبودية الإنسان له، إذا كان أصحاب هذا الإيمان أحرارًا بعد ذلك، في أن يدينوا في أنظمة الحكم لغير الله، ولا يخضع سلطانهم لشرع الله ﷻ؟!

والحياة في ضوء الإسلام: نظام خُلقي يقوم على إشاعة الفضيلة، واستئصال الرذيلة، ونظام سياسي أساسه إقامة العدل بين الناس، ونظام اجتماعي نواته الأسرة الصالحة وعماده التكافل بين أبناء المجتمع. ونظام اقتصادي لحمته العمل والإنتاج وفق التصور الإسلامي ومنهج متكامل للنشاط البشري كله، ومن ثم فعقيدة التوحيد تقتضي وجوب تحكيم الشريعة الإسلامية الغراء والعمل بأحكام الشريعة من مقتضيات التوحيد[1] .اهـ.

أ- من أحسن من الله حكما؟

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[2]، يقول المفكر العملاق سيد قطب رحمه الله: ومن ذا الذي يجرؤ على ادعاء أنه يُشرّع للناس ويحكم فيهم خيرًا مما يشرّع الله لهم، ويحكم فيهم؟ وأية حُجة يملك أن يسوقها بين يدي الادعاء العريض؟

أيستطيع أن يقول: إنه أعلم بالناس من خالق الناس؟

أيستطيع أن يقول: إنه أرحم بالناس من رب الناس؟

---

١) (حقيقة التوحيد/٨٩-٩١) باختصار يسير، وقال الشيخ محمد حسان: استفدت هذه المقدمة من كتاب وجوب تحكيم الشريعة الإسلامية للشيخ مناع القطان -رحمه الله- طباعة إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود.

٢) المائدة: ٥٠.

أيستطيع أن يقول: إنه أعرف بمصالح الناس من إله الناس؟

أيستطيع أن يقول: إن الله -سبحانه- وهو يشرع شريعته الأخيرة، ويرسل رسوله الأخير، ويجعل رسوله خاتم النبيين، ويجعل رسالته خاتمة الرسالات، ويجعل شريعته شريعة الأبد.. كان -سبحانه- يجهل والعياذ بالله - أن أحوالاً ستطرأ، وأن حاجات ستستجد، وأن ملابسات ستقع، فلم يحسب حسابها في شريعته لأنها كانت خافية عليه، حتى انكشفت للناس في آخر الزمان؟

ما الذي يستطيع أن يقوله من يُنحّي شريعة الله عن حكم الحياة ويستبدل بها شريعة الجاهلية وحكم الجاهلية، ويجعل هواه هُوَ أو هوى شعب من الشعوب، أو هوى جيل من أجيال البشر فوق حكم الله وفوق شريعة الله؟

ما الذي يستطيع أن يقوله.. وبخاصة إذا كان يدَّعي أنه من المسلمين؟! الظروف؟ الملابسات؟ عدم رغبة الناس؟ الخوف من الأعداء؟ ألم يكن هذا كله في علم الله وهو يأمر المسلمين أن يقيموا بينهم شريعته وأن يسيروا على منهجه، وألا يفتنوا عن بعض ما أنزله[1].اهـ.

"يا لها من فتنة خطيرة .. يا لها من انتكاسة مفجعة .. إن الأمر جد خطير .. وما سقطت الأمة المسلمة من القمة السامقة الشامخة، إلى الحضيض من الخزي والذل والهوان والعار إلا يوم أن تخلت عن كتاب ربها، وعن سُنّة نبيِّها، وراحت تلهث وراء الشرق الملحد تارة، والغرب الكافر تارة أخرى، وبين يديها المنهل العذب، والنبع الصافي، والحبل المتين، والنور المبين، ومصدر العز والشرف والسيادة والقيادة!! ووالله لن تعود للأمة هويتها وكرامتها وقيادتها

١) (في ظلال القرآن/٢/٩٠٥).

وسيادتها، إلا إذا عادت وانقادت واستسلمت لله، خالقها، وبارئها، بكليتها وفي جميع شؤون حياتها"[1].

ب- المنكر الأعظم:

وقال أيضًا الشيخ محمد حسان -حفظه الله-: وبالرغم من هذا كله، فقد وقع المنكر الأعظم، الذي لم يكن يخطر البتة لأحد على بال.. وذلك بتنحية شريعة الله جل وعلا، وأدهى من ذلك وأمر أن رميت الشريعة بالعجز والضعف والقصور والجمود، وأنها لم تعد قادرة على مواكبة ومسايرة روح العصر، وما فيه من تقدم وتطور مُطرد!!

وبالفعل لم يقتصر الأمر على حد القول فقط، بل تعداه إلى إقصاء الشريعة وإبعادها عن حياة المسلمين -إلا من رحم ربك- وحل محلها القانون الوضعي الفرنسي والأمريكي والإنجليزي والاشتراكي وَ وَ وَ..إلخ هذه القوانين الفاجرة.

ومثلهم في ذلك كمثل الجُعل يتأذى من رائحة المسك الفواح، ويسعد بل ويحيا برائحة العفن والنتن في المُستراح!!

وهكذا ظن كثير من الأغبياء أن تشريع البشر من ملاحدة وزنادقة وعلمانيين وشيوعيين واشتراكيين ورأسماليين وديمقراطيين وبعثيين وَ وَ وَ... ممن تتحكم فيهم الأهواء وتسيطر عليهم الشهوات والشبهات ظنوا أن تشريع هؤلاء، وأن نظام هؤلاء هو قارب النجاة وسط هذه الرياح الهوجاء، والأمواج

---

١) (حقيقة التوحيد/٩٣).

المتلاطمة، والفتن العاتية، والظلمات الحالكة، التي يترنح فيها كثير من الناس كترنح من يتخبطه الشيطان من المس.. وخابوا وخسروا!!(١).

٢- الاستخلاف في الأرض والتمكين والعزة

قال الله تعالى:﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾(٢).

قال الشيخ سيد قطب رحمه الله: ذلك وعد الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات من أمة محمد ﷺ أن يستخلفهم في الأرض، وأن يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وأن يبدلهم من بعد خوفهم أمنًا.. ذلك وعد الله، ووعد الله حق، ووعد الله واقع، ولن يخلف الله وعده.. فما حقيقة ذلك الإيمان؟ وما حقيقة هذا الاستخلاف؟

إن حقيقة الإيمان التي يتحقق بها وعد الله حقيقة تستغرق النشاط الإنساني كله، وتوجه النشاط الإنساني كله، فما تكاد تستقر في القلب حتى تعلن عن نفسها في صورة عمل ونشاط وبناء وإنشاء موجه كله إلى الله، لا يبتغي به صاحبه إلا وجهه، وهي طاعة الله واستسلامه لأمره، لا يبقى معها هوى في النفس، ولا شهوة في القلب، ولا ميل في الفطرة إلا وهي تبع لما جاء به رسول الله ﷺ من عند الله، فهو الإيمان الذي يستغرق الإنسان كله، بخواطر نفسه،

---

١) (حقيقة التوحيد/٩١-٩٢).
٢) النور: ٥٥.

وخلجات قلبه، وأشواق روحه، وميول فطرته، وحركات جسمه، ولفتات جوارحه، وسلوكه مع ربه في أهله، ومع الناس جميعًا.. يتوجه بهذا كله إلى الله .. يتمثل هذا في قول الله سبحانه في الآية نفسها تعليلا للاستخلاف والتمكين والأمن: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾، والشرك مداخل وألوان، والتوجه إلى غير الله بعمل أو شعور هو لون من ألوان الشرك بالله.

ذلك الإيمان منهج حياة كامل، يتضمن كل ما أمر الله به، ويدخل فيما أمر الله به توفير الأسباب، وإعداد العدة، والأخذ بالوسائل والتهيؤ لحمل الأمانة الكبرى في الأرض.. أمانة الاستخلاف..

فما حقيقة الاستخلاف في الأرض؟

إنها ليست مجرد الملك والقهر والغلبة والحكم.. إنما هي هذا كله على شرط استخدامه في الإصلاح والتعمير والبناء، وتحقيق المنهج الذي رسمه الله للبشرية كي تسير عليه، وتصل عن طريقه إلى مستوى الكمال المقدر لها في الأرض، اللائق بخليقة أكرمها الله.

وهذا الاستخلاف هو الذي وعده الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات.. وعدهم الله أن يستخلفهم في الأرض -كما استخلف المؤمنين الصالحين قبلهم- ليحققوا النهج الذي أراده الله، ويقرروا العدل الذي أراده الله، ويسيروا بالبشرية خطوات في طريق الكمال المقدر لها يوم أنشأها الله.

آية هذا الفهم لحقيقة الاستخلاف قوله تعالى بعده ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾.. وتمكين الدين يتم بتمكينه في القلوب، كما يتم

بتمكينه في تصريف الحياة وتدبيرها، فقد وعدهم الله إذن أن يستخلفهم في الأرض، وأن يجعل دينهم الذي ارتضى لهم يهيمن على الأرض[١] اهـ.

وقال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: هذا من وعوده الصادقة، التي شوهد تأويلها ومخبرها، فإنه وعد من قام بالإيمان والعمل الصالح من هذه الأمة، أن يستخلفهم في الأرض، فيكونون هم الخلفاء فيها المتصرفون في تدبيرها، وأن يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وهو دين الإسلام الذي فاق الأديان كلها، ارتضاه لهذه الأمة، لفضلها وشرفها ونعمته عليها، بأن يتمكنوا من إقامته، وإقامة شرائعه الظاهرة والباطنة في أنفسهم وفي غيرهم..

فوعدهم الله هذه الأمور، وقت نزول الآية، وهي لم تشاهد الاستخلاف في الأرض، والتمكين فيها، والتمكين من إقامة الدين الإسلامي، والأمن التام، بحيث يعبدون الله، ولا يشركون به شيئًا، ولا يخافون أحدًا إلا الله، فقام صدر هذه الأمة، من الإيمان والعمل الصالح بما يفوق على غيرهم، فمكنهم من البلاد والعباد، وفتحت مشارق الأرض ومغاربها، وحصل الأمن التام، والتمكين التام.

فهذا من آيات الله العجيبة الباهرة، ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة، مهما قاموا بالإيمان، والعمل الصالح، فلا بد أن يوجد ما وعدهم الله. وإنما يسلط الله عليهم الكفار والمنافقين، ويديلهم في بعض الأحيان، بسبب إخلال المسلمين بالإيمان والعمل الصالح[٢] .اهـ.

---

١) (في ظلال القرآن/٤/٢٥٢٨-٢٥٢٩).
٢) (تيسير الكريم الرحمن/٢/١٧٠-١٧١).

٣- حصول نعمة الأمن

قال تعالى فيما ذكر عن نبيه وخليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(١).

ثم فصل القضية فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾(٢).

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: فأبان سبحانه: أن أهل الشرك هم أهل الخوف، وهم أولى بالخوف، وعدم الأمن، لأنهم أشركوا بالله، وظلموا عباد الله، وتعدوا حدوده، فصاروا أولى بالخوف، وعدم الأمن، ولهذا لا أمن لهم، فهم مهددون بالعقوبة والنقمات في سائر الأوقات، قال جل وعلا: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾(٣).

فهم لا يزالون في أنواع البلايا والمحن والنقمات بأسباب كفرهم وضلالهم، وعنادهم للحق، واستكبارهم عن طاعة الله ﷻ.

أ- الأمن لأهل الإيمان:

أما أهل الإيمان والتقوى فلهم الأمن العاجل والآجل، والذين آمنوا ووحدوا الله، وأخلصوا له العبادة واستقاموا على أمره، ولم يلبسوا إيمانهم

---

١) الأنعام: ٨١.
٢) الأنعام: ٨٢.
٣) الرعد: ٣١.

بظلم: المعنى ولم يخلطوا إيمانهم بظلم أي: بشرك. فإذا سلم العبد من أنواع الظلم: ظلم الشرك، وظلم المعاصي، وظلم العباد في أنفسهم أو أموالهم وأعراضهم، حصل له الأمن الكامل والاهتداء الكامل في الدنيا والآخرة.

أما إن سلم من الظلم الأكبر وهو الشرك، ولكن بقي معه شيء من الظلم الأصغر، وهو ظلم العباد، وظلمه لنفسه بالانغماس في المعاصي فإن هذا يكون معه أصل الأمن، ومعه أصل الهداية، وأصل النجاة من الخلود في النار، ولكنه على خطر في دنياه وفي أخراه، على خطر من العقوبات في الدنيا وفي الآخرة، فليس له أمن كامل، ولا اهتداء كامل، بسبب ما معه من أنواع المعاصي وظلم العباد[1].

ب- تطبيق الشريعة من أعظم أسباب كمال الأمن:

وقال أيضًا رحمه الله: وبهذا يعلم أن تطبيق الشريعة، والعناية بذلك واستكماله، من أعظم أسباب كمال الأمن، وكمال الهداية وكمال السلامة والحياة الكريمة، ولا ريب أن من تطبيق الشريعة إقامة الحدود على المجرمين، وتعزير العصاة والأخذ على أيدي السفهاء، وإلزام الناس بالحق، وبهذا تصان الدماء والحقوق ويأمن الناس، ويعطى الحق لصاحبه، ويمنع الظالم عن ظلمه، وبهذا يأمن الناس والعباد في نفوسهم وأموالهم وأعراضهم، وبهذا تستقيم أحوالهم المعيشية، وتتحسن حياتهم، ويتمكنون من المكاسب الصالحة، والحياة الكريمة في ظل الأمن في ظل تطبيق الشريعة، في العبادات والمعاملات، والحدود وغير ذلك.

---

١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة/٢/٢٦٣-٢٦٥) باختصار.

ولا يستقيم أمر للعباد ولا حياة كريمة، ولا أمن، مع إضاعتهم لحدود الله، وعدم قيامهم بأمره، وارتكابهم لمحارمه، فإن ذلك له أسباب تسليط الله عليهم، ومن أسباب وجود أنواع المخاوف، وعدم الاطمئنان، ومن أسباب تسليط بعضهم على بعض، حتى لا يتمكن الناس من الحياة الكريمة، والأسباب المفيدة من الزراعة والتجارة وغير ذلك؛ لأن الخوف الذي أصيبوا به بسبب أعمالهم الخبيثة، ومعاصيهم يمنعهم من كثير من الأسباب التي تنفعهم في الدنيا والآخرة، ويجعلهم في حياة قلقة، غير مطمئنة، فلا يطمئنون إلى الأكساب الطيبة، والأرزاق السليمة، لا من طريق التجارة، ولا من طريق الزراعة، ولا من الطرق الأخرى، بسبب ما لديهم من المخاوف والعدوان من بعضهم على بعض.

وهذا مُجرب قديمًا وحديثًا، وكل بلاد استقامت على أمر الله، وحكّم حكامها شريعة الله، تطمئن ويقل فيها الخوف ويسود فيها الأمن، وتحصل فيها الحياة الكريمة، وتسهل الأرزاق، ويعيش الناس في أمن وعافية وطمأنينة في كل شيء[1].

وقال الدكتور عبدالعظيم فودة –رحمه الله-: والإسلام حين يبني تشريعه ومنهجه للحياة على هذا الأساس، إنما يهدف إلى غاية يعمل على تحقيقها في كل جوانب الحياة، هذه الغاية هي صلاح المجتمع الإسلامي، وتحقق الخير والفلاح له في كل شؤون حياته، ودفع الضرر والفساد الذي يصيب الفرد أو المجتمع إذا أعرض عن هدي الله وخالف أمره[2].

---

١) (مجموع فتاوى ومقالات متنوعة/٢/٢٦٥-٢٦٧) باختصار.
٢) (الحكم بما أنزل الله/٢١) والكتاب رسالة دكتوراه بعنوان: صلاح المجتمع في تطبيق الشريعة الإسلامية، ومن أراد أن يطالع شيئًا من حياة الغرب الكافر، ليعرف نعمة الإسلام، وليعرف أنه هو الدين

ج- نظرة عابرة لعالمنا الإسلامي:

هذه نظرة عابرة سريعة لأحوال عالمنا الإسلامي، وأمتنا الضائعة التائهة، حتى يعرف كل منا قدر المسؤولية التي يجب عليه أن يتحملها، لإزاحة هذا الظلام الكثيف عن أمته، وحتى يعرف أيضًا أن التوحيد يوم ضاع صفائه ضعنا، وليقارن بين جيل استمسك بالعروة الوثقى في صدر هذه الأمة، وجيلنا الحاضر، فسيجد الفارق واضحًا أمامه لا يحتاج لمزيد بيان، ومع ذلك الحال كما هو، الكل مصاب -إلا من رحم ربك- بمرض اللامبالاة، وصار كأن الأمر لا يعنينا.

فهذه نظرة خاطفة لأوضاع عالمنا الإسلامي، عسى أن يتحرك لها قلب، أو تذرف دمعة صادقة، فتقود صاحبها بإذن الله إلى التغيير على قدر ما يستطيع.

يقول الدكتور مجدي الهلالي حفظه الله: فالناظر المتفحص لأحوالنا يرى غربة الإسلام في داره، لقد أصبحنا معشر المسلمين أضيع من الأيتام على مائدة اللئام ... كل القوى تحالفت ضدنا من صليبيين وشيوعيين وصهاينة ووثنيين، أصبحنا أذل أهل الأرض.. استباحوا أعراضنا وأموالنا ودماءنا حتى صار دم المسلم في نظرهم أرخص دم.. دم بلا صاحب ولا ثمن، بل إنهم يكافئون من يريقه.

يقولون لنا جاء وقت تصفية الحساب، ويرفعون شعار "دمروا الإسلام أبيدوا أهله".. يكفي أن يضع أي منا إصبعه عشوائيًا على أي مكان في خريطة العالم فسيقع على خط أحمر ينزف بدماء المسلمين أو يقرأ الصحف، فيكتشف

الوحيد الذي يكفل الأمن لجميع البشر، فعليه بمطالعة الكتب التي تحدثت عن ذلك، ولقد عفّ لساني وتراجعت يدي عن تسجيل ما قرأته من نماذج صارخة فاضحة، ومن ذلك "المجتمع العاري" "السقوط من الداخل ترجمات ودراسات في المجتمع الأميركي إلى غير ذلك من كتب كثيرة جدا.

مذبحة جديدة للمسلمين في لبنان أو كشمير أو أفغانستان أو إريتريا أو بلغاريا أو البوسنة والهرسك أو كوسوفا أو الشيشان، كم من شباب مات تحت المشانق.. وكم من امرأة هتكوا عرضها.. وكم من طفل رضيع فقد أباه.. وكم من شيخ مات كمدًا.

هدمت مساجدنا.. حرقت مصاحفنا.. فتشت منازلنا.. قتل الراكعون الساجدون.. والمسلمون نائمون!!.

هذا هو حالنا في بلاد كثيرة تحارب المسلمين جهارًا نهارًا، أما في البلاد التي تدعي أنها تطبق الإسلام فليس حالها بأحسن من غيرها -إلا من رحم ربك-: فالفسق والفجور يعلن عن نفسه في هذه البلاد ليل نهار، والراقصات والمومسات هن نجوم المجتمع.

أصبح الفسق والتعري والفجور هو الاعتدال، أما التدين فهو التطرف والتخلف والأدهى من ذلك أن الجميع قد شمر عن ساعديه لمحاربة المتدينين، فإما رجعوا عن تدينهم، وإلا أذاقوهم صنوف العذاب، وضيقوا عليهم في أعمالهم وأرزاقهم.

... إن هذا الواقع المرير الذي يحياه المسلمون في كل مكان يفرض على كل مسلم أن يعمل على تغيير هذا الواقع، وكل مسلم يلقى الله ولم يعمل على نصرة دينه وإعلاء كلمته فهو آثم مهما حاول أن يختلق المعاذير.

ليتخيل كل منا نفسه وهو بين يدي الله ﷻ يحاسبه ويسأله عما فعله من أجل إعلاء كلمته وتقرير حاكميته وتحرير ديار المسلمين المغتصبة. هل سيقول له يا رب لم أقتنع بأن العمل من أجل ذلك فرض عين عليّ؟ أم سيقول له يا

رب لم أجد وقتًا أعمل فيه من أجلك؟ أم سيقول له يا رب لقد جبنت وسرى الخوف في أوصالي لأني أعلم أن العمل من أجلك شاق ومليء بالأشواك؟ أم ماذا سيقول؟؟؟[1].

فهذه دعوة صادقة لنفسي أولاً، ثم لجميع إخواني في الله أن يعملوا جاهدين على تغيير هذا الواقع المرير الذي تحياه الأمة، ولو عمل كل منا على قدر استطاعته، فوالله الذي لا إله إلا هو لن يمضي وقت طويل إن شاء الله، حتى نجد ما وعدنا الله تعالى به من التمكين في البلاد والعباد.

وليعلم الجميع أن التوحيد هو المنطلق الواسع لمجدنا في الدنيا والآخرة، وصدق الإمام مالك رحمه الله في مقولته بل قاعدته النورانية التي صارت منهج في كلمة أنه "لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها".

ومما لا يُنكر، أن أول أمر هذه الأمة هو التوحيد، الذي صار الأساس والقاعدة التي انطلقت منها أمجاد المسلمين، ممثلة في فتوحات لم يشهد لها التاريخ مثيلا، وممثلة في أبطال صاروا كالطود الشامخ الصلب المتين حول دينهم ورسالتهم ومناهجهم، وأيضًا أمجاد ممثلة في دعاة صادقين وقادة نابهين، وحكام عادلين، سيرهم محمودة، ومناقبهم مشهودة لا تحصى ولا تُعد.

فهذا هو الطريق، فلنسر جميعًا، ونسأله التوفيق، ونستلهمه الرشد سبحانه وتعالى بيده كل شيء، وهو العليم القدير.

---

١) (واجبات الشاب المسلم/٤٤-٤٧).

رابعًا: من الآثار الأخروية

١- حسن الخاتمة:

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع عن الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة، أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من فيِّ السقاء، فيأخذها»[١].

وعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»[٢].

قال ابن القيم رحمه الله: لشهادة أن لا إله إلا الله عند الموت تأثير عظيم في تكفير السيئات وإحباطها لأنها شهادة من عبد، موقن بها، عارف بمضمونها، قد ماتت منه الشهوات ولانت نفسه المتمردة، وانقادت بعد إبائها واستعصائها، وأقبلت بعد إعراضها، وذلّت بعد عزها، وخرج منها حرصها على الدنيا وفضولها، واستخذت بين يدي ربها وفاطرها ومولاها الحق أذلَّ ما كانت له وأرجى ما كانت لعفوه ومغفرته ورحمته، وتجرد منها التوحيد بانقطاع أسباب الشرك، وتحقق بطلانه، فزالت منها تلك المنازعات التي كانت مشغولة

---

١) صحيح: رواه الإمام أحمد في مسنده رقم (١٨٤٩١) (٣٨٩/٤) ورواه أبو داود وابن خزيمة والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان والضياء في المختارة وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٦٧٦) والجنائز /١٥٥.

٢) صحيح: رواه الحاكم، كتاب الجنائز، من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة (٣٥١/١) وأبو داود: كتاب الجنائز، باب في التلقين، رقم (٣١١٤) (عون/٢٦٧/٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٤٧٩) والإرواء رقم (٦٨٧) والمشكاة رقم (١٦٢١).

بها، واجتمع همها على من أيقنت بالقدوم عليه والمصير إليه، فوجَّه العبد وجهه بكلِّيّته إليه.

وأقبل بقلبه وروحه وهمه عليه، فاستسلم له وحده ظاهرًا وباطنًا، واستوى سره وعلانيته، فقال: لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه، وقد تخلص قلبه من التعلق بغيره والالتفات إلى ما سواه، قد خرجت الدنيا كلها من قلبه، وشارف القدوم على ربه، وخمدت نيران شهوته، وامتلأ قلبه من الآخرة، فصارت نصب عينيه، وصارت الدنيا وراء ظهره، فكانت تلك الشهادة الخالصة خاتمة عمله، فطهرته من ذنوبه، وأدخلته على ربه، لأنه لقي ربه بشهادة صادقة خالصة، وافق ظاهرها باطنها وسرها علانيتها[١].

ثم قال رحمه الله: واعلم أن سوء الخاتمة –أعاذنا الله تعالى منها- لا تكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه، ما سُمع بهذا ولا عُلم به ولله الحمد، وإنما تكون لمن له فساد في الأصل أو إصرار على الكبائر وإقدام على العظائم، فربما غلب ذلك عليه، حتى ينزل به الموت قبل التوبة، فيُأخذ قبل إصلاح الطوية[٢]، ويُصطلَم [٣] قبل الإنابة، فيظفر به الشيطان عند تلك الصدمة، ويختطفه عند تلك الدهشة والعياذ بالله[٤].

---

١) (الفوائد/١٤٠-١٤١).
٢) الطوية/ الضمير والنية (لسان العرب/٨/٢٣١).
٣) اصطلم / استُؤصِل.
٤) (الداء والدواء/٤٠٤).

أ- تخفيف سكرات الموت:

سبق معنا حديث البراء بن عازب وقول الملائكة «أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من فيّ السقاء، فيأخذها...»[1] .

وتأمل في قوله ﷺ فتسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، وهذا يدل على سهولة خروجها ويسرها بالنسبة للمؤمن مهما كانت شديدة وذلك مقارنة بخروج نفس الكافر فإنها تُنتزع كما يُنتزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبلول فتقطع معها العروق والعصب وذلك أيضًا في حديث البراء بن عازب السابق.

ب- والشهيد يخفف عنه سكرات الموت:

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة**»[2]، وجهاد أعداء الله من الكفار والمشركين من أصول هذا التوحيد، وهذا شيء مقرر، والذي جعل نفسه رخيصة في سبيل إعلاء كلمة الله وتقرب إلى الله بدمائه قد وصل إلى أعلى مراتب الإيمان بالله، ومن كان هذا هو حاله لا يجد عند استشهاده عناء سكرات الموت، وذلك جزاء ما كان عليه من إيمان راسخ، وولاء وبراء وجهاد في سبيل

---

١) سبق تخريجه.

٢) صحيح: الترمذي: كتاب فضائل الجهاد، باب بدون، رقم (١٧١٩)، (تحفة الأحوذي/٥/٢٥٣)، النسائي كتاب الجهاد: باب ما يجد الشهيد من الألم، رقم (٣١٦١)، (سندي/٦/٣٤٣) ابن ماجه: كتاب الجهاد: باب: فضل الشهادة في سبيل الله رقم (٢٨٠٢)، (سندي/٣/٣٦٢) واللفظ للترمذي وقال هذا حديث حسن غريب صحيح وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٩٦٠) وصحيح ابن ماجه رقم (٢٢٧٨) وصحيح الجامع رقم (٣٧٤٦).

الله وهذا من أجلّ مراتب التوحيد، فخفف الله عنه سكرات الموت بذلك، نسأل الله ذلك.

٢- النجاة من عذاب القبر:

أ- المؤمن يُثبّت عند السؤال:

قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾[1].

قال السعدي رحمه الله: يخبر الله تعالى أنه يثبت عباده المؤمنين أي: الذين قاموا بما عليهم من الإيمان القلبي التام، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا ... وفي الآخرة عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي، والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين، للجواب الصحيح، إذا قيل للميت "من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟" هداهم للجواب الصحيح بأن يقول المؤمن: "الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد نبيي"[2].

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**إذا أقعد المؤمن في قبره أُتِيَ ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا** رسول الله، **فذلك قوله** ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾»[3] [4].

وإذا ما ثبت المؤمن عند السؤال كان في ذلك الفوز الأكبر وهو النعيم وتيسير أمره بعد ذلك.

---

١) إبراهيم: ٢٧.
٢) (تيسير الكريم الرحمن/١/٨٩٦).
٣) إبراهيم: ٢٧.
٤) البخاري: كتاب الجنائز: باب: ما جاء في عذاب القبر رقم (١٣٦٩) (فتح/٣/٢٩٧).

ب- المؤمن ينعم ويسعد في قبره:

عن البراء بن عازب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة بيض الوجوه ... فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، ليقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة، فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرّك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة، رب أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلي ومالي»**[1].

فانظر أخي إلى أثر التوحيد على صاحبه في قبره، تجد أنه في سعادة ونعيم وراحة واستقرار إلى يوم القيامة، وذلك لا يكون إلا لأهل التوحيد ففي الحديث إن العبد "المؤمن"إذًا، العبد المؤمن فقط هو الجدير بكل هذا النعيم والسرور والنجاة من أهوال القبور، التي نستعيذ منها في كل صلاة ودعاء.

فانظر أخي وتمعن في هذه الآثار التي تكون لصاحب التوحيد في قبره، ينجو من الخوف والرعب عند السؤال، ويجيب على الأسئلة بكل ثبات ويقين وصدق ثم يأتيه التصديق من ربه جل وعلا، وهل بعد هذه منقبة؟ اللهم لا .. ثم يفرش له من الجنة، ويُلْبس منها، وفتح له وهو في قبره باب إلى الجنة،

---

١) سبق تخريجه.

ويأتيه من روحها وعبيرها وطيبها وشذاها ما يتنعم به إلى القيامة، ويفسح له في قبره مد البصر، ويأتيه عمله الصالح، وهو ذلك الرجل حسن الوجه، حسن الثياب، فيبشره بما يسره، فيدخل عليه الفرح والسرور، والأنس بعمله.

كل ذلك أخي وغيره، هو ثواب هذا التوحيد وثمرته، فصاحب التوحيد لا عذاب عليه في القبر، ولا ضمة تختلف منها أضلاعه، ولن يذوق صنوف التنكيل والتوبيخ والعذاب الهائل، والذي يُغَلّ فيه أصحاب الشرك ليلاً ونهارًا، فأهل التوحيد في مأمن من ذلك، فحمدًا لله أن وفقنا إلى توحيده وعبادته وحمدًا لله على نعمة الإسلام.

ج- فرح صاحب التوحيد ونومه في قبره نومة العروس:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان... فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا.. ثم يقال له: نم. فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم؟ فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحبّ أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»**[1].

وتأمل في هذا الحديث تجد عجبا. تجد هناك حياة، ولكنها برزخية لا يعلم كنهها إلا الله، ولكننا نعلم منها ما أخبرنا به رسولنا ﷺ، فبعد الاختبار، واجتيازه بسلام، تجد صاحب التوحيد من شدة فرحه، يريد أن يرجع إلى الدنيا مرة أخرى ليخبر أهله بما أكرمه الله به في قبره جزاء توحيده، وليحثهم على ما

١) صحيح: أخرجه الترمذي: كتاب الجنائز: باب ما جاء في عذاب القبر، رقم (١٠٧٧) (تحفة/٤/١٥٥) وقال حديث حسن غريب، قال الألباني رحمه الله: وإسناده جيد، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم، وفي ابن إسحاق وهو ا لعامري القرشي مولاهم كلام لا يضر، وصححه في الصحيحة رقم (١٣٩١) وفي كتاب السنة لابن أبي عاصم رقم (٨٦٤) وفي صحيح الجامع رقم (٧٢٤) ولفظ الحديث للترمذي.

فيه نجاتهم من أهوال القبور، كما قال صاحب آل ياسين لما قتله قوم: ﴿يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾[١].

قال السعدي رحمه الله: ﴿وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ بأنواع المثوبات والمسرات أي: لو وصل علم ذلك إلى قلوبهم -أي قلوب قومه- لم يقيموا على شركهم[٢]. ولكنه وعد الله وأمره وحكمته التي جعلته لا يلبي له طلبه، وإلا فما هي فائدة الإيمان بالغيب؟

فيكون الجواب، أن نم في قبرك بل روضتك نومة العروس الذي امتلأ قلبه بهجة وفرحة وسرورًا لما قد ناله مما كان يتمناه ويرجو حصوله ونواله، ثم نومة العروس الذي ارتاح بعد عناء وشقاء، حتى وصل إلى جني الثمرة التي ينسى بتذوقها كل ما كان فيه من مشقة وعنت.

نم نومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحبّ أهله إليه، وهذا شيء معروف في دنيانا، أنه لا يجرؤ أحد على إيقاظ العروس من ليلته تلك إلا أحب أهله إليه، ليبارك له على فرحه ونعمة الله عليه أن يسر له ما هو فيه من راحة واستقرار ورضى بما هو عليه، مع الفارق في التشبيه، يكون ذلك مع صاحب التوحيد في قبره، بما هو أشرق وأبهى وأسعد، فهناك فوز بعده كل الفوز وجميع أنواع النجاة، يظل صاحب التوحيد، على هذه الهيئة الكريمة في قبره، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك إلى الجنة بإذن الله، نسأل الله ذلك.

---

١) يس: ٢٦، ٢٧.
٢) تيسير الكريم الرحمن/٢/٤٥٨.

٣- الأمن التام يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَـٰلِدُونَ * لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[١]، فهم في مأمن تام بعيدًا عن النار لا يسمعون حسيسها ولا يحزنهم ولا يفزعهم الفزع الأكبر عندما يبعثون من قبورهم.

وفي ذلك اليوم العصيب على المشركين ينادي مناد الرحمن أولياء الرحمن مؤمِّنًا لهم ومطمئنًا ﴿يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾[٢].

وقال في موضع آخر: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ * لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٣].

يقول الدكتور عمر الأشقر حفظه الله: وكلما كان العبد أكثر إخلاصًا لربه تبارك وتعالى، كان أكثر أمانًا في يوم القيامة، فالموحدون الذين لم يلبسوا إيمانهم بشيء من الشرك، لهم الأمن التام يوم القيامة، يدلك على هذا جواب إبراهيم –عليه السلام– لقومه عندما خوفوه بأصنامهم فأجابهم قائلا[٤]:

---

١) الأنبياء: ١٠١-١٠٣.
٢) الزخرف: ٦٨-٦٩.
٣) يونس: ٦٢-٦٤.
٤) (اليوم الآخر، القيامة الكبرى/١٥٨).

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[(1)].

وعن شداد بن أوس أن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله ﷻ: وعزتي وجلالي، لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين، إن هو أمنني في الدنيا أخفته يوم أجمع فيه عبادي، وإن هو خافني في الدنيا أمنته يوم أجمع فيه عبادي**»[(2)].

٤- تكفيره للذنوب:

عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**»[(3)].

قال الحافظ رحمه الله: معنى قوله: "على ما كان من العمل" أي من صلاح أو فساد، لأن أهل التوحيد لا بد لهم من دخول الجنة، ويحتمل أن يكون معنى قوله: "على ما كان من العمل" أي يدخل أهل الجنة على حسب أعمال كل منهم في الدرجات"[(4)].

---

١) الأنعام: ٨١-٨٢.
٢) صحيح: السلسلة الصحيحة رقم (٧٤٢) وصحيح الجامع رقم (٤٣٣٢).
٣) البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء: باب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ رقم (٣٤٣٥) (فتح/٦/٥٨٦).
٤) (فتح الباري/٦/٥٨٨).

وقال القاضي عياض رحمه الله: ما ورد في حديث عبادة يكون مخصوصًا لمن قال ما ذكره النبي ﷺ وقرن بالشهادتين حقيقة الإيمان والتوحيد الذي ورد في حديثه، فيكون له من الأجر ما يرجح على سيئاته، ويوجب له المغفرة والرحمة، ودخول الجنة لأول وهلة[1].

وقال ابن القيم رحمه الله:. ولهذا من رجحت حسناته على سيئاته أفلح ولم يُعذَّب، ووهبت له سيئاته لأجل حسناته، ولأجل هذا يغفر لصاحب التوحيد ما لا يغفر لصاحب الإشراك، لأنه قد قام به مما يحبه الله ما اقتضى أن يغفر له، ويسامحه ما لا يسامح به المشرك، وكلما كان توحيد العبد أعظم، كانت مغفرة الله له أتم، فمن لقيه لا يشرك به شيئًا البتة غفر له ذنوبه كلها، كائنة ما كانت ولم يعذب بها.

ولسنا نقول: إنه لا يدخل النار أحد من أهل التوحيد، بل كثير منهم يدخل بذنوبه، ويعذب على مقدار جرمه، ثم يخرج منها، ولا تنافي بين الأمرين لمن أحاط علمًا بما قدمناه.

ونزيد ها هنا إيضاحًا لعظم هذا المقام من شدة الحاجة إليه.

اعلم أن أشعة "لا إله إلا الله" تبدد من ضباب الذنوب وغيومها بقدر قوة ذلك الشعاع وضعفه، فلها نور، وتفاوت أهلها في ذلك النور-قوة وضعفا- لا يحصيه إلا الله تعالى.

فمن الناس: من نور هذه الكلمة في قلبه كالشمس.

ومنهم: من نورها في قلبه كالكوكب الدري.

ومنهم: من نورها في قلبه كالمشعل العظيم.

---

١) (شرح الإمام النووي على صحيح مسلم/١/١٦٨).

وآخر: كالسراج المضيء، وآخر كالسراج الضعيف.

ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بأيمانهم، وبين أيديهم، على هذا المقدار، بحسب ما في قلوبهم من نور هذه الكلمة، علمًا وعملاً، معرفةً وحالاً، وكلما عظم نور هذه الكلمة واشتد: أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته وشدته، حتى إنه ربما وصل إلى حال لا يصادف معها شبهة ولا شهوة ولا ذنبًا إلا أحرقه، وهذا حال الصادق في توحيده الذي لا يشرك بالله شيئًا[1].

عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسولِ الله ﷺ:« يقول الله ﷻ:.. ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يُشرك بي شيئا، لقيته بمثلها مغفرة»[2].

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: ومن أسباب المغفرة: التوحيد، وهو السبب الأعظم، فمن فقده، فقد المغفرة، ومن جاء به، فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾[3]، فمن جاء مع التوحيد بقراب الأرض خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة، لكن هذا مع مشيئة الله ﷻ، فإن شاء غفر له، وإن شاء أخذه، بذنوبه، ثم كان عاقبته أن لا يخلد في النار، بل يخرج منها، ثم يدخل الجنة.

---

١) (مدارج السالكين/١/٣٥٧-٣٥٨).
٢) مسلم: كتاب الدعوات، الذكر والدعاء: باب فضل الذكر والدعاء، والتقرب إلى الله تعالى رقم (٦٧٧٤) (نووي/١٧/١٥).
٣) (النساء: ٤٨).

فإن كمل توحيد العبد وإخلاصه لله فيه، وقام بشروطه كلها بقلبه ولسانه وجوارحه، أو بقلبه ولسانه عند الموت، أوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلها، ومنعه من دخول النار بالكلية.

فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه، أخرجت منه كل ما سوى الله محبة وتعظيمًا وإجلالاً ومهابة، وخشية، ورجاءً وتوكلاً، وحينئذ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها ولو كانت مثل زبد البحر، وربما قلبتها حسنات، كما سبق ذكره في تبديل السيئات حسنات، فإن هذا التوحيد هو الأكسير الأعظم، فلو وضع ذرة منها على جبال الذنوب والخطايا لقلبها حسنات[1].

فاحرص يا عبد الله على تحقيق التوحيد على أتم وجه، فسعادة الدنيا والآخرة أبت أن تجتمع إلا فيه وهل سعادة الدنيا والآخرة بما في ذلك مغفرة الذنوب إلا من آثاره.

٥- النجاة من هول الصراط:

قال الشيخ أبو بكر الجزائري حفظه الله: والصراط هو جسر دقيق منصوب على ظهر جهنم وهي عقبة كأداء في طريق الذاهبين إلى دار السلام، وممر خطير للغاية يشهد لخطورته أن الرسول ﷺ يقف على جنباته والناس يمرون وهو: يدعو: «ربِّ سلِّم سلِّم»[2].

أ- كلٌّ يمر بحسب عمله: ويكون مرور الناس بحسب أعمالهم في الدنيا، فمنهم من يمر بسرعة مدهشة حتى لكأنه البرق الخاطف –وذلك لا يكون إلا لأهل التوحيد الكامل– ومنهم من يمر دون ذلك إلى أن ينجو من ينجو ولو

---

١) (جامع العلوم والحكم/٤١٦٢-٤١٧).
٢) مسلم: كتاب الإيمان، باب: حديث الشفاعة، رقم (٤٨١) (نووي/٣/٦٦).

حبوًا على يديه وركبتيه، ويهلك من يهلك بسقوطه في جهنم دار الشقاء، والهوان، والبوار، والخسران[1].

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**فيأتون محمدًا ﷺ فيقوم فيؤذن له، وتُرسَل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يمينًا وشمالاً، فيمر أولكم كالبرق**». قال: قلت: بأبي أنت وأمي! أي شيء كمر البرق؟ قال: «**ألم تروا إلى البرق كيف يمرّ ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمرِّ الريح ثم كمرِّ الطير وشد الرجال، تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط فيقول: ربِّ سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفًا. قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة، مأمورة، تأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج، ومكدوس في النار**»

والذي نفس أبي هريرة بيده! إن قعر جهنم لسبعون خريفًا[2].

تصور معي أيها الموحد حالك في هذا المكان، ما الذي كنت ستفعله إن كنت مع هؤلاء المشركين، بالطبع مكانك هناك في قعر جهنم نسأل الله العافية.

من هنا تعلم، ومن هذا البيان المحمدي تفهم، أن الإنسان يمر في هذا الهول الكامل على قدر إيمانه في الحياة الدنيا، فمن كان كامل الإيمان كان كامل المرور، وذلك يكون في مروره كالبرق، ومن كان ناقص الإيمان، نقص بالطبع مقدار مروره، حتى إن الأمر لكما وصفه رسول الله ﷺ، حتى تعجز أعمال العباد بهم فوق هذا الموطن الرهيب الخطير، حتى إن بعضهم ليلتصق بالصراط يزحف فوقه خوفًا من السقوط في هذه الهوة السحيقة التي عمقها سبعون

---

١) (عقيدة المؤمن/٣٦٠).
٢) مسلم: كتاب الإيمان، باب: حديث الشفاعة، رقم (٤٨١) (نووي/٣/٦٦).

خريفًا، ولا تنسى الكلاليب المأمورة في حافتي الصراط، تأخذ من أمرت به، فمن نقص توحيده بملابسته لبعض الكبائر والذنوب خُدش على قدر ذلك ثم ينجو، أما أهل النار من عُصاة المؤمنين فلن يخلدوا فيها، إذًا فالنجاة الكاملة لأهل التوحيد دون غيرهم.

ب- المؤمن نوره كالجبل فوق الصراط يسعى به:

وروى البيهقي بسنده عن مسروق عن عبدالله قال: "يجمع الله الناس يوم القيامة" إلى أن قال: "فيعطون نورهم على قدر أعمالهم، قال: فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يعطي نوره فوق ذلك، ومنهم من يعطي نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطي دون ذلك بيمينه، حتى يكون آخر من يعطي نوره على إبهام قدميه، يضيء مرة ويطفأ مرة، إذا أضاء قدم قدمه، وإذا طفئ قام... فيقال لهم: امضوا على قدر نوركم"[1].

وقد حدثنا الحق تبارك وتعالى عن مشهد مرورهم على تلك الحال فقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَـٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ

---

١) صحيح: رواه الحاكم، كتاب التفسير، تفسير آية ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا﴾ (٢/٣٧٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٨٠٢٥) وفي تحقيقه للطحاوية رقم (٥٦٢).

أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[1].

يقول الدكتور عمر الأشقر حفظه الله: فالحق يخبر أن المؤمنين والمؤمنات الذين استناروا بهذا الدين العظيم في الدنيا، وعاشوا في ضوئه، يعطون في يوم القيامة نورًا يكشف لهم الطريق الموصلة إلى جنات النعيم، ويحرم المنافقون الذين كانوا يزعمون في الدنيا أنهم مع المؤمنين، وأنهم منهم.. كما حرموا أنفسهم في الدنيا من نور القرآن العظيم.

وقد أخبر الحق أن دعاء المؤمنين عندما يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم هو (ربنا أتمم لنا نورنا)، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2].

قال مجاهد والضحاك والحسن البصري وغيرهم: هذا يقوله المؤمنون حين يرون يوم القيامة نور المنافقين قد طفئ[3]. فكل موحد يعطى نوره على قدر توحيده كما ورد في الحديث، ويقال لهم امضوا على قدر نوركم، نسأل الله أن يكمل لنا ذلك النور في هذا المكان آمين.

---

١) الحديد: ١٢-١٥.
٢) التحريم: ٨.
٣) (القيامة الكبرى/٢٧٤).

٦- النجاة من النار:

عن عتبان بن مالك مرفوعًا أن رسول الله ﷺ قال:«..فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»[١].

"وهذا صريح في أن المقصود من لا إله إلا الله ليس مجرد قولها، بل ينبغي أن يقصد بقولها وجه الله، أي ينفي الآلهة من حيث الجملة، ويثبت الألوهية للأحد الواحد الصمد القيوم المعبود"[٢].

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: فلا بد من قول القلب واللسان، وقول القلب يتضمن معرفتها، والتصديق بها، ومعرفة حقيقة ما تضمنت من النفي والإثبات، وقيام هذا المعنى بالقلب علمًا ومعرفةً ويقينًا وحالاً ما يوجب تحريم قائلها من النار.

وليس من قالها بلسانه، غافلا عن معناها، معرضًا عن تدبرها، ولم يواطئ قلبه لسانه، ولا عرف قدرها وحقيقتها، راجيًا مع ذلك ثوابها حطت خطاياه، بل على حسب ما في قلبه، فإن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلب، فتكون صورة العملين واحدة، وبينهما من التفاضل كما بين السماء والأرض[٣] .اهـ.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: فإنه إذا قالها بإخلاص ويقين تام، لم يكن في هذه الحال مصرًا على ذنب أصلاً، فإن كمال إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله أحب إليه من كل شيء، فإذًا لا يبقى في قلبه إرادة لما حرم الله، ولا كراهة

---

١) البخاري: كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت رقم (٤٢٥) (فتح/١/٦٨٣).
٢) (فتح الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد/١١٤).
٣) (فتح الله الحميد المجيد.../١٢٨).

لما أمر الله، وهذا هو الذي يحرم على النار، وإن كانت له ذنوب قبل ذلك فإن هذا الإيمان وهذا الإخلاص وهذه التوبة وهذه المحبة وهذا اليقين، لا تترك له ذنبًا إلا محي عنه كما يمحو الليل النهار.

فإذا قالها على وجه الكمال المانع من الشرك الأكبر والأصغر، فهذا غير مصرّ على ذنب أصلاً، فيغفر له ويحرم على النار، وإن قالها على وجه خلص به من الشرك الأكبر دون الأصغر، ولم يأت بعدها بما يناقض ذلك، فهذه الحسنة لا يقاومها شيء من السيئات، فيرجع بها ميزان الحسنات، كما في حديث البطاقة فيحرم على النار، ولكن تنقص درجته في الجنة بقدر ذنوبه[1] ا.هـ.

إذًا لا بد لمن قال هذه الكلمة كلمة التوحيد الخالص أن يبتغي بها وجه الله تعالى، حتى ينال هذه الثمرة العظمى وهي النجاة من هذه النار، التي أرّقت مضاجع الصالحين، وأسهرت ليلهم، لأنهم يعرفون حقيقتها فهربوا منها، وتحصنوا بجناب التوحيد، فصاروا في عزة ومنعة، ووقاهم الله شر هذه النار المهولة الرهيبة يوم أن حققوا هذا الإيمان بشروطه المعتبرة، فحرّمت عليهم تحريمًا مطلقًا.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: إن المبتغي -أي بلا إله إلا الله وجه الله- لا بد أن يكمل وسائل البغية، وإذا أكملها حرّمت عليه النار تحريمًا مطلقًا، فإذا أتى بالحسنات على الوجه الأكمل فإن النار تحرم عليه تحريمًا مطلقًا[2].

---

١) (فتح المجيد/٥٤).
٢) (القول المفيد/١/٧٤).

٧- دخول الجنة بغير حساب:

وهذه أمنية الأمان وأغلاها، وحلم الحياة وأرجاها، دخول الجنة بغير حساب!! من يصدق ذلك إذا ما عاينت ببصري المهالك، وأيقنت من رؤية الأهوال أني هالك، وارتعدت فرائصي إذا ما رأيت مالك، ورأيت الأمم قد جثت على الركب، وصار العصاة وقبلهم الكفار للنار حطبًا، وعلا الصراخ، ودوّى الأنين، وغرق الناس في العرق! وأنا بين هذه الأهوال مشفق على نفسي أن يصيبني ما أصاب هؤلاء! فإذا بقطيع هائل يحشر إلى النار، فخشيت على نفسي من الأوزار! ولكن الرحيم الغفار هو الذي يُرجى في هذا اليوم، فإذ بي أجد من الأنس واللطف حجابًا عن كل هذه المصائب كأني بحضرة بساط الأنس أمام رب الأرباب، وإذ بكل هذا يكون حقيقة ظل فوق رأسي وغيري يتقيظ لهيبًا وجمرًا، ري وشبع وغيري ينضوي جوعًا وعطشًا، في سكينة واطمئنان وغيري ترتعد منه الأركان، في منعة وأمان وغيري ينتظر النيران، أخذت كتابي بيميني وغيري تلقفه بشماله، يا للفرحة صرت جار الرحمن بلا حساب ولا عذاب ولا تأنيب، من يصدق؟ ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ﴾، فها أنا الآن ﴿فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ﴾[1]، آكل وأشرب بفضل الله وبرحمته ثم بما أسلفت في الأيام الخالية، فكان ذلك سببًا لنيل رحمة أرحم الراحمين.

إنها الجنة التي طالما حلمت بها وتمنيتها ورجوت الله أن يدخلني إياها! إنها الجنة التي أسهرت ليلي من أجلها، وأغبرت قدمي في سبيل الله، لدخولها، صمت نهاري وأفطرت بدمعي لنيلها، إنها الجنة التي آمنت بها ولم أرها، ولكني

---

١) الحاقة: ١٩-٢٣.

شممت ريحها وشذاها واليوم أنعم بكل ما فيها! حمدًا لله يا من هديتني إليها، يوم أن حرمت غيري منها، حمدًا لك حمدًا وشكرًا لك شكرًا شكرًا.

إن الجنة غالية الثمن، وكلنا يرجو دخولها بلا حساب ولا عذاب، وهذه الأمنية لا تتحقق إلا لأهل التوحيد الخالص، الذين حققوا التوحيد حتى صاروا أهلاً لدخول الجنة على هذه الهيئة المشرفة المكرمة ومعنى تحقيق التوحيد هو "تهذيبه وتصفيته من الشرك الأكبر والأصغر، ومن البدع القولية الاعتقادية، والبدع الفعلية العملية، ومن المعاصي وذلك بكمال الإخلاص لله في الأقوال والأفعال والإرادات، وبالسلامة من الشرك الأكبر المناقض لأصل التوحيد، ومن الشرك الأصغر المنافي لكماله، وبالسلامة من البدع والمعاصي التي تكدر التوحيد وتمنع كماله، وتعوقه عن حصول آثاره، فمن حقق توحيده بأن امتلأ قلبه من الإيمان والتوحيد والإخلاص وصدقته الأعمال، بأن انقادت لأوامر الله طائعة منيبة مخبتة إلى الله ولم يجرح ذلك بالإصرار على شيء من المعاصي.

فهذا الذي يدخل الجنة بغير حساب ويكون من السابقين إلى دخولها وإلى تبوء المنازل منها"(١).

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٢)، "وصف الله تعالى إبراهيم عليه السلام في هذه الآية بهذه الصفات الجلية التي هي أعلى درجات تحقيق التوحيد، ترغيبًا في اتباعه في

١) (القول السديد/٢٠-٢٢).
٢) النحل: ١٢٠.

التوحيد، وتحقيق العبودية باتباع الأوامر، وترك النواهي، فمن اتبعه في ذلك، فإنه يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب كما يدخلها إبراهيم عليه السلام"[1].

وعن حصين قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال: حدثني ابن عباس قال: قال النبي: «عرضت عليّ الأمم، فأخذ النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير، قلت: يا جبريل هؤلاء أمتي؟ قال: لا، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد كثير، قال: هؤلاء أمتك، وهؤلاء سبعون ألفًا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب. قلت: ولم؟ قال: كانوا لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون فقام إليه عكاشة بن محصن»[2].

قوله: "وعلى ربهم يتوكلون"."ذكر الأصل الجامع الذي تفرعت عنه هذه الأفعال، وهو التوكل على الله، وصدق الالتجاء إليه، والاعتماد بالقلب عليه، الذي هو خلاصة التفريد، ونهاية تحقيق التوحيد الذي يثمر كل مقام شريف من المحبة والخوف والرجاء، والرضى به ربًا وإلهًا، والرضى بقضائه، بل ربما أوصل العبد إلى التلذذ بالبلاء وعده من النعماء، فسبحان من يتفضل على من يشاء بما يشاء والله ذو الفضل العظيم.

واعلم أن الحديث لا يدل على أنهم لا يباشرون الأسباب أصلاً كما يظنه الجهلة، فإن مباشرة الأسباب في الجملة أمر فطري ضروري لا انفكاك لأحد

---

١) (تيسير العزيز الحميد/٩٩).
٢) البخاري: كتاب الرقاق: باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب: رقم (٦٥٤١) (فتح/١١/٤٩٤).

عنه حتى الحيوان البهيم، بل نفس التوكل مباشرة لأعظم الأسباب كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ أي: كافيه"[1].

وجاء في وصف هذه الزمرة الموحدة عند دخولها الجنة، ما يحفّز العبد على أن يسلك مسلكهم، عسى أن يكون منهم بمنّ الله وكرمه تبارك وتعالى، فعن سعيد بن المسيب: أن أبا هريرة حدثه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفًا تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر»[2].

ومع هذه الوضاءة والإشراقة التي صارت كالقمر ليلة البدر، انظر لوصف آخر لهم، يأخذ بمجامع القلوب ويأسرها، ويستدر معه دمع المشتاقين، ذلك أن الله نزع من قلوبهم الغل والحقد والحسد والجفاء، وزرع مكان ذلك الحب والرأفة والرحمة ونظافة القلب من كل هذه الأدغال وهذا كله تستشفه من هذا الوصف الذي وصفه لهم رسول الله ﷺ بأبي هو وأمي لحظة دخولهم الجنة فقال: **«ليدخُلَنّ الجنة من أمتي سبعون ألفًا -أو سبعمائة ألف شك في أحدهما- (أي الراوي) متماسكين آخذ بعضهم ببعض، حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة ووجوههم على ضوء القمر ليلة البدر»**[3].

إن من وجد في قلبه مثقال حبة من إيمان لا يملك دمعه حيال هذا الوصف الحقيقي الدقيق ليوم الفرح والسعادة الأبدية، ليوم الجزاء الأكبر الذي طالما

---

١) (تيسير العزيز الحميد/١١٠).
٢) البخاري: كتاب الرقاق: باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب رقم (٦٥٤٢) (فتح/١١/٤٩٥).
٣) البخاري: كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب رقم (٦٥٤٣) (فتح/١١/٤٩٥).

انتظره هؤلاء الموحدون، الراكعون الساجدون، الذاكرون الصائمون، الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، فهنيئًا لهم، ربحوا البيع والله.

علموا حق الله عليهم فوفوا له أحسن وفاء، فأجزل الله لهم العطاء، فما عذبهم، ولا أنبهم، ولكن برحمته رحمهم، جزاء توحيدهم، فتوحيد هذا أثره، حريّ بنا أن نعض عليه بالنواجذ مهما كلفنا ذلك، نعم، مهما كلفنا ذلك.

وقد يقول قائل، أليس هذا العدد قليل بالنسبة لسواد أمة محمد ﷺ قلت ليس هذا العدد وحده بل هناك بشرى رسول الله ﷺ يحسن ذكرها هنا، لكي يجتهد كل منا أن يكون من هذا العدد الهائل.

فعن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وعدني ربي أن يُدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفًا وثلاثُ حَثَياتٍ من حَثَيات ربي»[1]، وتأمل أخي في جملة وثلاث حثيات من حثيات ربي، نسأل الله تعالى أن نكون من هذه الطائفة الناجية. آمين.

---

١) صحيح، رواه الترمذي، أبواب صفة القيامة، باب منه رقم ١١، رقم الحديث (٢٥٥٤) (تحفة/١٠٩/٧)، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب صفة أمة محمد ﷺ رقم (٤٢٨٦) (حاشية السندي/٥١١/٤) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه رقم (٣٤٧٨) والصحيحة تحت رقم (٢١٧٩).

٨- منع الخلود في النار:

قال الإمام الصابوني -رحمه الله-: ويعتقد أهل السنة: أن المؤمن وإن أذنب ذنوبًا كثيرة، صغائر وكبائر فإنه لا يكفر، وإن خرج عن الدنيا، غير تائب منها، ومات على التوحيد والإخلاص، فإن أمره إلى الله ﷻ : إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة، سالمًا غانمًا، غير مبتلى بالنار، ولا معاقب على ما ارتكبه واكتسبه من الآثام والأوزار، وإن شاء عاقبه وعذبه مدة بعذاب النار وإذا عذبه لم يخلده فيها، بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار.

وكان شيخنا سهل بن محمد رحمه الله يقول:" المؤمن المذنب وإن عذب بالنار فإنه لا يلقى فيها إلقاء الكفار، ولا يبقى فيها بقاء الكفار، ولا يشقى فيها شقاء الكفار"

ومعنى ذلك: أن الكافر يسحب على وجهه إلى النار، ويلقى فيها منكوسًا، في السلاسل والأغلال والأنكال الثقال، والمؤمن المذنب إذا ابتلي بالنار، فإنه يدخل النار كما يدخل المجرم في الدنيا السجن على الرجل من غير إلقاء وتنكيس.

ومعنى قوله: "لا يلقى في النار إلقاء الكفار" أن الكافر يحرق بدنه كله، كلما نضج جلده بدل جلدًا غيره ليذوق العذاب، كما بينه الله في كتابه في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَـٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾[1].

---

١) النساء: ٥٦.

وأما المؤمنون فلا تلفح وجوههم النار، ولا تحرق أعضاء السجود منهم، إذ حرم الله على النار أعضاء سجوده"[١].

ومعنى قوله: "لا يبقى في النار بقاء الكفار" أن الكافر يخلد فيها ولا يخرج منها أبدًا، ولا يخلد الله من مذنبي المؤمنين في النار أحدًا.

ومعنى قوله: "ولا يشقى بالنار شقاء الكفار"أن الكفار يؤيسون فيها من رحمة الله، ولا يُرجُّون راحة بحال، وأما المؤمنون فلا ينقطع طمعهم من رحمة الله في كل حال، وعاقبة المؤمنين كلهم الجنة، لأنهم خلقوا لها، وخلقت لهم فضلاً من الله ومنة"[٢] .اهـ.

يقول إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل في اعتقاده الذي ذكره اللالكائي: ولا يشهد على أهل القبلة بعمل يعمله بجنة ولا نار، يرجو للصالح ويخاف عليه، ويخاف على المسيء المذنب ويرجو له رحمة الله...

ومن لقي الله بذنب يجب له به النار تائبًا غير مصر عليه، فإن الله ﷻ يتوب عليه ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، ومن لقيه وقد أقيم عليه حد ذلك في الدنيا فهو كفارة، ومن لقيه مصرًا غير تائب من الذنوب التي

---

١) أي المؤمنون: فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ في الحديث الطويل عن يوم القيامة وفيه:« ثم يتجلى حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئًا ممن أراد أن يرحمه ممن يشهد أن لا إله إلا الله، فيعرفون في النار بأثر السجود، تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود...» البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ رقم (٧٤٣٤) (فتح/١٣/٥١٤).

٢) (عقيدة السلف وأصحاب الحديث/٢٧٦-٢٧٨).

استوجب بها العقوبة، فأمره إلى الله ﷻ إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له، ومن لقيه كافرًا عذبه ولم يغفر له[1] .اهـ.

فالقول الذي يعتقده أهل السنة والجماعة، وندين به جميعًا لله تعالى هو أن أهل الكبائر ممن ماتوا على التوحيد أمرهم موكول إلى الله تعالى إن شاء عذبهم، وإن شاء عفا عنهم.

ويشهد لذلك قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[2]، فالآية نص في أن الله تبارك وتعالى يغفر كل ذنب سوى الشرك بالله بما في ذلك الكبائر.

ويدل عليه قول المصطفى ﷺ في حديث عبادة بن الصامت ﷺ: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه»[3].

والحديث نص أيضًا في دخول من مات على شيء من الكبائر، تحت مشيئة الله تعالى.

---

١) (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة/١/١٦٢).
٢) النساء: ٤٨، ١١٦.
٣) البخاري: كتاب الإيمان، باب ١٠، رقم (١٨) (فتح/١/٨٧).

وأما قولهم[1] رحمهم الله تعالى: إنه لا يخلد في النار إذا دخلها، وأنه لا بد أن يخرج منها ويدخل الجنة، فهو مأخوذ من مثل قوله ﷺ: «**يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون في نهر الحيا -أوالحياة، شك مالك- أحد رواة الحديث - فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل**» [2].

"فدل الحديث على خروج من في قلبه مثقال حبة من إيمان، من النار وإدخالهم الجنة، ومعلوم أن أصحاب الكبائر مؤمنون، مع كثير منهم مثقال أو مثاقيل من الإيمان، فلا شك في خروجهم، والحديث يتضمن أيضًا الرد على المرجئة الخالصة في قولهم: "لا يضر مع الإيمان ذنب" إذ يثبت الحديث أن من المؤمنين من تضره المعاصي فيدخل النار ثم يخرج منها، فخروجه دل على أنه ليس بكافر، وإنما هو مؤمن عذب بقدر ذنبه ثم أخرج إلى الجنة" [3].

ومع ذلك من هذا الفضل الكبير الذي يتفضل الله تعالى به على عباده الموحدين بإخراجهم من النار وإدخالهم الجنة احذر أخي الحبيب أن تكون من أهل النار ولو يومًا واحدًا! احذر أخي ذلك!! فإن النار حرها شديد، ومقامعها حديد، وقعرها بعيد، من دخلها لا يموت فيها ولا يحيا.

يقول الدكتور مجدي الهلالي حفظه الله: ليسأل كل منا نفسه: أيحب أن يكون من أهل النار -ولو يومًا واحدًا- مع إبليس وجنوده؟ ومع فرعون وهامان؟؟

---

١) أي أهل السنة والجماعة.
٢) البخاري: كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، رقم (٢٢)، (فتح/١/٩٨).
٣) (وسطية أهل السنة بين الفرق/٣٥٢).

ليتخيل كل منا نفسه وهو يسحب في النار، تخيل الجلد وهو يشوى، ألم تر قبل ذلك شاة تشوى؟! أسمعت أزيز جلدها عندما تلامسه النار سيصدر من الجسد مثل هذا الصوت عندما تلامسه النار -سيصدر ذلك يا أخي-!! تخيل النار وهي تحيط بصاحبها من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته -وإن كان أقل عذابًا من الكفار، فهو يتعذب على بلواه وجرمه وما كسبت يداه -طعامه نار وشرابه نار ولباسه من النار ونومه من النار، يتفجر الصديد من فمه، ويتساقط اللحم من فوق عظامه.. أقصى ما يتمناه أن يموت.. ولن يموت ...

الوجه أسود، والجلود ممزقة والعظام مكسرة، والأيدي مغلولة إلى الأعناق .. وهو يبكي ويولول ويصرخ، ويتمنى أن يرجع إلى الدنيا ولو ساعة ليكون أخشى الناس[1] .اهـ. ويستدرك ذنوبه التي أوبقته هذا الموبق بالتوبة النصوح الصادقة ولكن ولات ساعة مندم.

فاحذر أيها الموحد من الذنوب والكبائر فهي سبب لدخول جهنم للتمحيص فيها بقدر جرمك، ثم اعلم أيضًا أن التوحيد لا يعادله شيء، وسيعلم ذلك العصاة عندما يقاسون من العذاب أشده وأنكاه، وهم بين طبقات النيران على أسوأ حال، إذ بربهم جل وعلا يخرجهم من هذا الدمار الهائل بفضله ورحمته ثم بسبب توحيدهم، فإذا ما خرجوا منها حمدوا الله على العافية من الخلود فيها، ثم بعد ذلك يدخلون الجنة على ما كان من العمل، ويعطيهم ربهم ﷻ فيها ما يشتهون، فما أعظم آثار وثمرات توحيد رب العالمين.

---

١) (طوق النجاة/١٥،١٦).

المبحث الثالث

توحيد الأسماء والصفات

المطلب الأول: معنى الاسم والصفة

المطلب الثاني: إثبات توحيد الأسماء والصفات

المطلب الثالث: أهمية توحيد الأسماء والصفات

المطلب الرابع: طريقة أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته

المطلب الخامس: قواعد في أسماء الله تعالى

المطلب السادس: قواعد في صفات الله تعالى

المطلب السابع: بعض صفات الذات

المطلب الثامن: بعض صفات الأفعال

المطلب التاسع: رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الآخرة

المطلب العاشر: أثر توحيد الأسماء والصفات على العباد

المبحث الثالث

توحيد الأسماء والصفات

المطلب الأول: معنى الاسم والصفة:

الاسم: "هو ما دل على معنى في نفسه"[1]،"وأسماء الأشياء هي الألفاظ الدالة عليها"[2]، "وقيل: الاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل"[3].

الصفة: "هي الاسم الدال على بعض أحوال الذات"[4]،"وهي ما وقع الوصف مشتقًا منها، وهو دال عليها، وذلك مثل العلم والقدرة ونحوه"[5].

وقال ابن فارس: "الصفة: الأمارة اللازمة للشيء"[6]، وقال: "النعت: وصفك الشيء بما فيه من حسن"[7].

التعريف الإجمالي لتوحيد الأسماء والصفات:

قال العلامة السعدي رحمه الله: توحيد الأسماء والصفات هو اعتقاد انفراد الرب -جل جلاله- بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة والجلال والجمال، التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه. وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ، من جميع الأسماء والصفات،

---

١) (التعريفات/٢٤).
٢) (مجموع الفتاوى/٦/١٩٥).
٣) (الكليات/٨٣) لأبي البقاء الكفوي.
٤) (التعريفات/١٣٣).
٥) (الكليات/٥٤٦) ويعني بالوصف هنا الاسم، فالعلم صفة، والعالم وصف دال عليها، والقدرة صفة، والقادر وصف دال عليها. (صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة/١٥).
٦) (معجم مقاييس اللغة/٥/٤٤٨).
٧) (معجم مقاييس اللغة/٦/١١٥).

ومعانيها وأحكامها، الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله من غير نفي لشيء منها، ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تمثيل[1].

مسألة

الفرق بين الاسم والصفة

سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء عن الفرق بين الاسم والصفة؟ فأجابت بما يلي:

أسماء الله كل ما دل على ذات الله مع صفات الكمال القائمة به، مثل: القادر، العليم، الحكيم، السميع، البصير، فإن هذه الأسماء دلت على ذات الله، وعلى ما قام بها من العلم والحكمة والسمع والبصر.

أما الصفات، فهي نعوت الكمال القائمة بالذات، كالعلم والحكمة والسمع والبصر، فالاسم دل على أمرين، والصفة دلت على أمر واحد.

ويقال: الاسم متضمن للصفة، والصفة مستلزمة للاسم[2]، ولمعرفة ما يميز الاسم عن الصفة، والصفة عن الاسم أمور، منها:

أولاً: "أن الأسماء يشتق منها صفات، أما الصفات فلا يشتق منها أسماء، فتشتق من أسماء الله الرحيم والقادر والعظيم، صفات الرحمة والقدرة والعظمة، لكن لا نشتق من صفات الإرادة والمجيء والمكر اسم المريد والجائي والماكر"[3].

---

١) (القول السديد/١٠).
٢) (فتاوى اللجنة الدائمة/٣/١١٦ ـ فتوى رقم ٨٩٤٢).
٣) (صفات الله ﷻ.../١٦).

ثانيًا: ما ذكره الإمام ابن القيم رحمه الله: أن الاسم لا يشتق من أفعال، فلا نشتق من كونه يحب ويكره ويغضب، اسم المحب والكاره والغاضب، أما صفاته فتشتق من أفعاله، فنثبت له صفة المحبة والكره والغضب ونحوها من تلك الأفعال، لذلك قيل: باب الصفات أوسع من باب الأسماء(1).

ثالثًا: ما ذكره الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: أن أسماء الله ﷻ وصفاته تشترك في الاستعاذة بها والحلف بها، لكن تختلف في التعبد والدعاء، فيتعبد الله بأسمائه فنقول، عبدالكريم، وعبدالرحمن، وعبد العزيز، لكن لا يتعبد بصفاته فلا نقول: عبدالكرم، وعبدالرحمة، وعبدالعزة، كما أنه يُدعى بأسماء فنقول: يا رحيم ارحمنا .. لكن لا ندعو صفاته فنقول يا رحمة الله ارحمينا... ذلك أن الصفة ليست هي الموصوف، فالرحمة ليست هي الله، بل هي صفة لله، وكذلك العزة، وغيرها، فهذه صفات الله وليست هي الله، ولا يجوز التعبد إلا لله ، ولا يجوز دعاء إلا الله؛ لقوله تعالى: ﴿يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾(2)، وقوله: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾(3).. وغيرها من الآيات(4).

---

1) (مدارج السالكين/٣/٤٣٣).
2) النور: ٥٥.
3) غافر: ٦٠.
4) (فتاوى الشيخ ابن عثيمين/١/٢٦).

المطلب الثاني: إثبات توحيد الأسماء والصفات:

أولاً: من القرآن:

١- قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[١]، قال العلامة السعدي رحمه الله: هذا بيان لعظيم جلاله، وسعة أوصافه، بأن له الأسماء الحسنى، أي: له كل اسم حسن وضابطه: أنه كل اسم حسن دال على صفة كمال عظيمة، وبذلك كانت حسنى، فإنها لو دلت على غير صفة: بل كانت علمًا محضًا، لم تكن حسنى وكذلك لو دلت على صفة ليست بصفة كمال: بل إما صفة نقص أو صفة منقسمة إلى المدح والقدح، لم تكن حسنى، فكل اسم من أسمائه، دال على جميع الصفة التي اشتق منها، مستغرق لجميع معناها[٢].

٢- وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا﴾[٣].

٣- وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۞ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۞ هُوَ ٱللَّهُ

---

١) الأعراف: ١٨٠.
٢) (تيسير الكريم الرحمن.../١/٦٣٢).
٣) الإسراء: ١١٠.

ﭐلْخَٰلِقُ ﭐلْبَارِئُ ﭐلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ﭐلْأَسْمَآءُ ﭐلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ﭐلسَّمَٰوَٰتِ وَﭐلْأَرْضِۖ وَهُوَ ﭐلْعَزِيزُ ﭐلْحَكِيمُ﴾[1].

٤- وكل آية ذكر فيها اسم من أسماء الله الحسنى أو صفة من صفاته فهي دليل على إثبات توحيد الأسماء والصفات، وكما سبق معنا آنفًا من كلام السعدي رحمه الله أن كل اسم من أسمائه تعالى، دال على جميع الصفة التي اشتق منها مستغرق لجميع معناها. إذن، فجميع أسماء الله دالة كذلك على أوصافه تبارك وتعالى[2].

ثانيًا: من السنة:

١- عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة»[3].

الشاهد من الحديث: الشطر الأول منه وهو أن لله تسعة وتسعين اسمًا، فدل ذلك على أن لله تبارك وتعالى أسماء يُتسمى بها.

٢- وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أصاب أحدًا قط هم ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ في حكمك، عدل فيّ قضائك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به

---

١) الحشر: ٢٢-٢٤.

٢) ومن أراد أن يستقرئ ما ورد في كتاب الله تعالى من أسماء الله تعالى وتحديدها مفردة أو مضافة فلينظر كتاب الشيخ عمر الأشقر حفظه الله (أسماء الله وصفاته/٦٥-٧٢).

٣) مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب: في أسماء الله تعالى، وفضل من أحصاها رقم (٦٧٥١) (نووي/١٧/٨).

نفسك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي»[1].

الشاهد من الحديث: قوله ﷺ أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك.

٣- وعن أسماء بنت يزيد، قالت: قال رسول الله ﷺ: «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾، وفاتحة سورة آل عمران»[2].

الشاهد من الحديث: قوله ﷺ اسم الله الأعظم، في هاتين الآيتين.

٤- وكل حديث ورد فيه ذكر اسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته فهو دليل على توحيد الأسماء والصفات، وهي كثيرة[3].

المطلب الثالث: أهمية توحيد الأسماء والصفات

قال الشيخ: محمد إبراهيم الحمد حفظه الله: للعلم بتوحيد الأسماء والصفات والإيمان به أهمية عظيمة، ومما يدل على أهميته ما يلي:

١- أن الإيمان به داخل في الإيمان بالله ﷻ إذ لا يستقيم الإيمان بالله، حتى يؤمن العبد بأسماء الله وصفاته.

---

١) صحيح: رواه الإمام أحمد في مسنده، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه وأبو يعلى، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/١٣٦) ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهمي وقد وثقه ابن حبان، وصحح الحديث الألباني في الصحيحة رقم (١٩٩).

٢) حسن: أخرجه الترمذي: كتاب الدعوات، باب ٦٥ بدون، رقم (٣٧٠٧) (تحفة/٩/٣١٤)، وأبو داود، كتاب تفريع أبواب الوتر، باب الدعاء، رقم (١٤٩٣) (عون/٤/٢٥٥)، وابن ماجه: كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم، رقم (٣٨٥٥) (سندي/٤/٢٧٥)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود رقم (١٣٤٣) وصحيح ابن ماجه، رقم (٣١٢٣).

٣) ومن أراد أن يقف على شيء من ذلك فليطالع (أسماء الله وصفاته/٧٢-٧٧).

٢- أن معرفة توحيد الأسماء والصفات والإيمان به كما آمن السلف الصالح عبادة لله ﷻ فالله أمرنا بذلك، وطاعته واجبة.

٣- الإيمان به كما آمن السلف الصالح طريق سلامة من الانحراف والزلل الذي وقع فيه أهل التعطيل، والتمثيل، وغيرهم ممن انحرف في هذا الباب.

٤- الإيمان به على الوجه الحقيقي سلامة من وعيد الله، قال تعالى: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[1].

٥- أن هذا العلم أشرف العلوم، وأجلها على الإطلاق، فالاشتغال بفهمه، والبحث فيه، اشتغال بأعلى المطالب، وأشرف المواهب.

٦- أن أعظم آية في القرآن هي آية الكرسي، وإنما كانت أعظم آية لاشتمالها على هذا النوع من أنواع التوحيد.

٧- أن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن، لأنها أخلصت في وصف الله ﷻ.

٨- أن الإيمان به يثمر ثمرات عظيمة وعبوديات متنوعة، ويتبين لنا شيء من ذلك عند الحديث عن ثمرات الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات[2].

---

١) الأعراف: ١٨٠.
٢) (رسائل في العقيدة/١٤٨).

المطلب الرابع: طريقة أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته[1]:

قال الشيخ محمد إبراهيم الحمد حفظه الله: أهل السنة والجماعة هم الذين اجتمعوا على الأخذ بسنة النبي ﷺ والعمل بها ظاهرًا وباطنًا في القول والعمل والاعتقاد، وطريقتهم في أسماء الله وصفاته كما يأتي:

١- في الإثبات: يثبتون ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

٢- في النفي: ينفون ما نفاه الله عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ مع اعتقادهم ثبوت كمال ضده لله تعالى إذ أن كل ما نفاه الله عن نفسه فهو صفات نقص تنافي كماله الواجب، فجميع صفات النقص كالعجز والنوم والموت ممتنعة على الله تعالى لوجوب كماله، وما نفاه عن نفسه، فالمراد به انتفاء تلك الصفة المنفية، وإثبات كمال ضدها، وذلك أن النفي المحض لا يدل على الكمال حتى يكون متضمنًا لصفة ثبوتية يحمد عليها كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[2]، وقوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[3].

فالله سبحانه وتعالى في آية الكرسي نفى عن نفسه "السِّنة والنوم" لكمال حياته وقيوميته، وفي الآية الثانية نفى عن نفسه "اللغوب" وهو التعب لكمال قوته وقدرته، فالنفي هنا متضمن لصفة كمال.

---

١) انظر (رسائل في العقيدة/١٥٣-١٥٥)، (التوحيد لابن منده/٢/١٠٢)، (ومنهاج السنة لابن تيمية/٢/١٠٥، ١٠٩-١١١، ١٣٢، ١٩٢، ١٩٨، ٢١١، ٥٥٤-٥٥٦)، (مجموع الفتاوى/٣/٣٥-٤٠، ٥/٢٦) (فتح رب البرية بتلخيص الحموية/١٢-١٥).

٢) البقرة: ٢٥٥.

٣) ق: ٣٨.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وينبغي أن يعلم أن النفي ليس فيه مدح ولا كمال إلا إذا تضمن إثباتًا، وإلا فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال، لأن النفي المحض عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء، وما ليس بشيء فهو كما قيل: ليس بشيء، فضلاً عن أن يكون مدحًا أو كمالاً.

ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم، والممتنع، والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال[1] اهـ.

٣- التوقف: وذلك فيما لم يرد إثباته أو نفيه مما تنازع الناس فيه كالجسم مثلاً، والحيز، والجهة ونحو ذلك، فطريقتهم فيه التوقف في لفظه فلا يثبتونه ولا ينفونه، لعدم ورود النص بذلك.

أما معناه فيستفصلون عنه، فإن أريد به معنى باطل يُنزَّه الله عنه ردوه، وإن أريد به معنى حق لا يمتنع على الله قبلوه، فلفظة "الجسم" مثلا يتوقفون في اللفظ، أما المعنى فيستفصلون، فإن أريد به الشيء المحدث المركب المفتقر كل جزء منه إلى الآخر فهذا ممتنع على الرب الحي القيوم.

وإن أريد بالجسم ما يقوم بنفسه، ويتصف بما يليق به فهذا غير ممتنع على الله سبحانه، فإنه سبحانه قائم بنفسه متصف بالصفات الكاملة التي تليق به، وهكذا شأنهم في الألفاظ المجملة[2].

---

١) (مجموع الفتاوى/٣/٣٥).
٢) (رسائل في العقيدة/١٥٣-١٥٥) وانظر أيضا (العقيدة الإسلامية/٣٩، ٤٠).

المطلب الخامس: قواعد في أسماء الله تعالى[1]

القاعدة الأولى: أسماء الله تعالى كلها حسنى[2].

أي: بالغة في الحسن غايته.

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[3]، وذلك لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه لا احتمالاً ولا تقديرًا.

مثال ذلك: "الحي" اسم من أسماء الله تعالى متضمن للحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم، ولا يلحقها زوال، الحياة المستلزمة لكمال الصفات من العلم والقدرة والسمع والبصر، وغيرها.

ومثال آخر: "العليم" اسم من أسماء الله متضمن للعلم الكامل الذي لم يسبق بجهل ولا يلحقه نسيان.

قال تعالى: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾[4]، العلم الواسع المحيط بكل شيء جملة وتفصيلاً سواء ما يتعلق بأفعاله أو أفعال

---

١) وقد لخصتها من القواعد المثلى للعلامة ابن عثيمين -رحمه الله- ومن أراد مزيد شرح فلينظر إلى كل من القواعد المثلى كاملاً بتحقيق أشرف عبدالمقصود، (مجموع الفتاوى/٦/٧١) (بدائع الفوائد/١٧٥-١٨٦) (توضيح الكافية الشافية/١٣٢) (معارج القبول/١/١١٧-١٢٠) وغير ذلك.

٢) ذكر هذه القاعدة الحافظ ابن القيم في <بدائع الفوائد: ١/١٨٠> فقال: "الحادي عشر إن أسماءه كلها حسنى ليس فيها اسم غير ذلك أصلا..." وراجع (مجموع الفتاوى: ٨/٩٤-٩٨).

٣) الأعراف: ١٨٠.

٤) طه: ٥٢.

خلقه. وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[1].

ومثال ثالث: "الرحمن" اسم من أسماء الله تعالى متضمن للرحمة الكاملة التي قال عنها رسول الله ﷺ: «لله أرحم بعباده من هذه بولدها»[2]، والحسن في أسماء الله تعالى يكون باعتبار كل اسم على انفراده، ويكون باعتبار جمعه إلى غيره، فيحصل بجمع الاسم إلى الآخر كمال فوق كمال[3].

القاعدة الثانية: أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف[4]

أعلام: باعتبار دلالتها على الذات.

وأوصاف: باعتبار ما دلت عليه من المعاني.

وهي بالاعتبار الأول: مترادفة، لدلالتها على مسمى واحد وهو الله ﷻ، وبالاعتبار الثاني: متباينة، لدلالة كل واحد منها على معناه الخاص، فـ"الحي" "العليم" "القدير" "السميع" "البصير" "الرحمن" "الرحيم" "العزيز" "الحكيم" كلها أسماء لمسمى واحد وهو الله سبحانه وتعالى، لكن معنى "الحي" غير معنى "العليم"، ومعنى "العليم" غير معنى "القدير" وهكذا.

---

١) التغابن: ٤.

٢) البخاري: كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم (٥٩٩٩)، (فتح/١٠/٥٢٣)، من حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: "قدم على النبي ﷺ سبي، فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبيًا في السبي، فأخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي ﷺ، أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا وهي تقدر على أن لا تطرحه فقال..." فذكره.

٣) فائدة: قال الحافظ ابن القيم في "البدائع ١/١٧٧"، "وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن، فإن "الغني" صفة كمال، و"الحمد" كذلك، واجتماع "الغني" مع "الحمد" كمال آخر، فله ثناء من غناه، وثناء من حمده، وثناء من اجتماعهما وكذلك "العفو القدير" و"الحميد المجيد" و"العزيز الحكيم" فتأمله فإنه من أشرف المعارف".

٤) ذكر هذه القاعدة ابن القيم في "البدائع/١/١٧٨" فقال: "الرابع أن أسماءه الحسنى هي أعلام وأوصاف، والموصف بها لا ينافي العَلَمية، بخلاف أوصاف العباد فإنها تنافي علميتهم، لأن أوصافهم مشتركة فنافتها العلمية المختصة بخلاف أوصافه تعالى".

وإنما قلنا بأنها أعلام وأوصاف لدلالة القرآن عليه: كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1]، وقوله: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾[2]، فإن الآية الثانية دلت على أن الرحيم هو المتصف بالرحمة، ولإجماع أهل اللغة والعرف أنه لا يقال: عليم إلا لمن له علم ولا سميع إلا لمن له سمع، ولا بصير إلا لمن له بصر، وهذا أمر بين من أن يحتاج إلى دليل.

وبهذا: علم ضلال من سلبوا أسماء الله تعالى معانيها من أهل التعطيل، وقالوا: إن الله سميع بلا سمع، وبصير بلا بصر وعزيز بلا عزة، وهكذا.

القاعدة الثالثة: أسماء الله تعالى إن دلت على وصف متعد تضمنت ثلاثة أمور:

أحدها: ثبوت ذلك الاسم لله ﷻ.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنتها لله.ﷻ

الثالث: ثبوت حكمها ومقتضاها[3].

مثال ذلك: "السميع" يتضمن:

- إثبات "السميع" اسمًا لله تعالى.
- وإثبات السمع صفة له.
- وإثبات حكم ذلك ومقتضاه وهو: أنه يسمع السرَّ والنجوى.

كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[4]، وإن دلت على وصف غير متعدٍّ تضمنت أمرين:

---

١) الأحقاف: ٨.
٢) الكهف: ٥٨.
٣) راجع (شرح لمعة الاعتقاد/٢٥-٢٧).
٤) المجادلة: ١.

أحدهما: ثبوت ذلك الاسم لله.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنتها لله ﷻ.

مثال ذلك: "الحي" يتضمن:

- إثبات"الحي" اسمًا لله ﷻ

- إثبات الحياة صفة له.

القاعدة الرابعة:دلالة أسماء الله تعالى على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة[1]، وبالتضمن[2]، وبالالتزام[3]:

مثال ذلك: "الخالق يدل على ذات الله، وعلى صفة الخلق بالمطابقة، ويدل على الذات وحدها، وعلى صفة الخلق وحدها بالتضمن، ويدل على صفتي "العلم" و"القدرة" بالالتزام[4]، ولهذا لما ذكر الله خلق السماوات والأرض قال: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾[5].

ودلالة الالتزام: مفيدة جدًا لطالب العلم إذا تدبر المعنى ووفقه الله تعالى فهمًا للتلازم، فإنه بذلك يحصل من الدليل الواحد على مسائل كثيرة.

---

١) دلالة المطابقة: تفسير الاسم بجميع مدلوله، أو دلالته على جميع معناه.

٢) دلالة التضمن: تفسير الاسم ببعض مدلوله أو بجزء معناه.

٣) دلالة الالتزام: الاستدلال بالاسم على غيره من الأسماء التي يتوقف هذا الاسم عليها، أو على لازم خارج عنها (رسائل في العقيدة/١٦٣) وانظر أيضا (شرح العقيدة الواسطية/٩٨-٩٩) لابن عثيمين -رحمه الله-.

٤) قال العلامة ابن عثيمين -رحمه الله-: ولنضرب مثلاً حسيًا تتبين فيه أنواع هذه الدلالات: لو قلت: لي بيت، فكلمة "بيت" فيها الدلالات الثلاث، فتفهم من "بيت" أنها تدل على كل البيت دلالة مطابقة، وتدل على مجلس الرجال وحده، وعلى الحمامات وحدها، وعلى الصالة وحدها، دلالة تضمن، لأن هذه الأشياء جزء من البيت ودلالة اللفظ على جزء معناه دلالة تضمن، وتدل على أن هناك بانيًا بناه دلالة التزام، لأنه ما من بيت، إلا وله بان. اهـ (شرح العقيدة الواسطية/٩٩-١٠٠).

٥) الطلاق: ١٢.

واعلم أن اللازم من قول الله تعالى وقول رسوله ﷺ إذا صح أن يكون لازماً، فهو حق، وذلك لأن كلام الله ورسوله حق ولازم الحق حق، ولأن الله تعالى بما يكون لازمًا من كلامه وكلام رسوله فيكون مرادًا.

القاعدة الخامسة: أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها، وعلى هذا: فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزاد فيها ولا يُنقص، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على النص، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[1].

وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2] [3].

ولأن تسميته تعالى بما لم يسم به نفسه أو إنكار ما سمّى به نفسه جناية في حقه تعالى، فوجب سلوك الأدب في ذلك والاقتصار على ما جاء به النص.

---

١) الإسراء: ٣٦.

٢) الأعراف: ٣٣.

٣) قال ابن القيم ـرحمه اللهـ مبينًا خطورة القول على الله بلا علم بعد أن ذكر الشرك وأنواعه ومفاسده "ويلي ذلك في كبر المفسدة: القول على الله بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله، ووصفه بضد ما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله، فهو أشد، شيء مناقضة ومنافاة لحكمة من له الخلق والأمر، وقدح في نفس الربوبية وخصائص الرب، فإن صدر ذلك عن علم فهو عناد أقبح من الشرك وأعظم إثمًا عند الله، فإن المشرك المُقرّ بصفات الرب خير من الجاحد لصفات كماله، كما أن من أقر لمالك بالملك، ولم يجحده مُلكه ولا الصفات التي استحق بها الملك، لكن جعل معه شريكًا في بعض الأمور يقرُّ به إليه، خير ممن جحد صفات الملك، وما يكون به ملكا، هذا أمر مستقر في سائر الفِطر والعقول..." اهـ (الجواب الكافي/٣٤٤).

القاعدة السادسة: أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين:

لقوله ﷺ في الحديث المشهور: «أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك»[١] الحديث.

وما استأثر الله تعالى به في علم الغيب، لا يمكن لأحد حصره، ولا الإحاطة به.

فأما قوله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا من أحصاها[٢] دخل الجنة فلا يدل على حصر الأسماء بهذا العدد»[٣].

ولو كان المراد الحصر، لكانت العبارة: "إن أسماء الله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة" أو نحو ذلك. إذا: فمعنى الحديث: أن هذا العدد من شأنه أن من أحصاها دخل الجنة.

---

١) سبق تخريجه.

٢) قال العلامة ابن القيم رحمه الله: "الثاني عشر في بيان مراتب إحصاء أسمائه التي من أحصاها دخل الجنة، وهذا هو قطب السعادة ومدارج النجاة والفلاح.

المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها.

المرتبة الثالثة: دعاؤه بها، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ (الأعراف:١٨٠) وهو مرتبتان: إحداهما: دعاء ثناء وعبادة، والثاني دعاء طلب ومسألة: فلا يثني عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وكذلك لا يسأل إلا بها، فلا يقال: يا موجود ا، يا شيء أو يا ذات اغفر لي وارحمني، بل يسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضيًا لذلك المطلوب، فيكون السائل متوسلاً إليه بذلك الاسم، ومن تأمل أدعية الرسل ولا سيما خاتمهم وإمامهم وجدها مطابقة لهذا" اهـ (بدائع الفوائد/١/١٨٠).

٣) قال شيخ الإسلام رحمه الله:" إن الذي عليه جماهير المسلمين: أن أسماء الله أكثر من تسعة وتسعين قالوا ومنهم الخطابي قوله: "إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها> التقييد بالعدد عائد إلى الأسماء الموصوفة بأنها هي هذه الأسماء ... والتقدير: إن لله أسماء بقدر هذا العدد من أحصاها دخل الجنة، كما يقول القائل: إن لي مائة غلام أعددتهم للعتق، وألف درهم أعددتها للحج، فالتقييد بالعدد هو في الموصوف بهذه الصفة لا في أصل استحقاقه لذلك العدد، فإنه لم يقل: إن أسماء الله تسعة وتسعون.." اهـ (مجموع الفتاوى/٦/٣٨١) (درء تعارض العقل والنقل/٣/٣٣٢) (شفاء العليل/٢/٧٥٨) وانظر تخريج القواعد المثلى للشيخ/أشرف عبدالمقصود حفظه الله(٣٥-٤٨).

وعلى هذا: فيكون قوله ﷺ: «من أحصاها دخل الجنة» جملة مكملة لما قبلها وليست مستقلة. ونظير هذا أن تقول: عندي مائة درهم أعددتها للصدقة، فإنه لا يمنع أن يكون عندك دراهم أخرى لم تعدها للصدقة.

القاعدة السابعة: الإلحاد في أسماء الله تعالى هو الميل بها عما يجب فيها وهو أنواع:

الأول: أن ينكر شيئًا منهما أو مما دلت عليه الصفات والأحكام: كما فعل أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم. وإنما كان ذلك إلحادًا، لوجوب الإيمان بها وبما دلت عليه من الأحكام، والصفات اللائقة بالله، فإنكار شيء من ذلك ميل بها عما يجب فيها.

الثاني: أن يجعلها دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين: كما فعل أهل التشبيه.

الثالث: أن يسمي الله تعالى بما لم يسم به نفسه: كتسمية النصارى له: "الأب". وتسمية الفلاسفة إياه: "العلة الفاعلة"، وذلك لأن أسماء الله تعالى توقيفية، فتسمية الله تعالى بما لم يُسم به نفسه ميل بها عما يجب فيها، كما أن هذه الأسماء التي سموه بها نفسها باطلة ينزه الله تعالى عنها.

الرابع: أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام. كما فعل المشركون في اشتقاق "العزى" من "العزيز" واشتقاق "اللات" من الإله، على أحد القولين، فسموا بها أصنامهم، وذلك لأن أسماء الله تعالى مختصة به لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[1].

---

١) الأعراف: ١٨٠.

فتسمية غيره بها على الوجه الذي يختص بالله ﷻ ميل بها عما يجب فيها، ومنه: ما يكون شركًا أو كفرًا حسبما تقتضيه الأدلة الشرعية.

المطلب السادس: قواعد في صفات الله تعالى[1]

القاعدة الأولى: صفات الله تعالى كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

كـ: "الحياة" و"العلم" و"القدرة" و"السمع" و"البصر" و"الرحمة" و"العزة" و"الحكمة" و"العلو" و"العظمة" وغير ذلك .. وقد دل على هذا "السمع" و"العقل" و"الفطرة".

أما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2]، والمثل الأعلى: هو الوصف الأعلى.

وأما العقل: فوجهه أن كل موجود حقيقة فلا بد أن تكون له صفة إما صفة كمال وإما صفة نقص، والثاني باطل بالنسبة إلى الرب الكامل المستحق للعبادة ولهذا أظهر الله بطلان ألوهية الأصنام باتصافها بالنقص والعجز.

---

١) وقد لخصتها من القواعد المثلى، وانظر إلى (صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة) علوي السقاف فقد جمع إحدى وعشرين قاعدة (١٩-٢٥) وانظر أيضا (بدائع الفوائد/١/١٨٤) و(الشيخ عبدالرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة ١١٢-١٢٥)، (منهج السلف في الأسماء والصفات/٣٧-٤٥) وانظر (أسماء الله وصفاته/٩٣-١٣٩) و(مجموع الفتاوى/٥/١١٣-١١٨) و(مختصر الصواعق المرسلة/١/١٢٩-١٣٢).

٢) النحل: ٦٠.

قال تعالى عن إبراهيم وهو يحتج على أبيه: ﴿يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾[1]، ثم إنه قد ثبت بالحس والمشاهدة: أن للمخلوق صفات كمال وهي من الله تعالى فمعطي الكمال أولى به.

وأما الفطرة: فلأن النفوس السليمة مجبولة على محبة الله وتعظيمه وعبادته وهل تحب وتعظم وتعبد إلا من علمت أنه بصفات الكمال اللائقة بربوبيته وألوهيته؟ وإذا كانت الصفة نقصًا لا كمال فيها: فهي ممتنعة في حق الله تعالى كـ: "الموت" و"الجهل" و"النسيان" و"العجز" و"العمى" و"الصمم" ونحوها.

القاعدة الثانية: باب الصفات أوسع من باب الأسماء[2]

وذلك لأن كل اسم متضمن لصفة، كما سبق في القاعدة الثالثة من قواعد الأسماء، ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله، وأفعاله لا منتهى لها، كما أن أقواله لا منتهى لها.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾[3].

ومن أمثلة ذلك: أن من صفات الله تعالى: "المجيء" و"الإتيان" و"الأخذ" و"الإمساك" و"البطش" إلى غير ذلك من الصفات التي لا تُحصى، فنصف الله تعالى بهذه الصفات على الوجه الوارد، ولا نسميه بها، فلا نقول

---

١) مريم: ٤٢.
٢) وانظر (القول المفيد/٢/٢٩٦).
٣) لقمان: ٢٧.

إن من أسمائه: الجائي، والآتي، والآخذ، والممسك، والباطش والمريد، والنازل، ونحو ذلك وإن كنا نخبر بذلك عنه ونصفه به.

القاعدة الثالثة: صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين: ثبوتية وسلبية[١] :

فالثبوتية: ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه كـ"الحياة"و"العلم" و"القدرة" و"الاستواء على العرش" و"النزول إلى السماء الدنيا" و"الوجه" و"اليدين" ونحو ذلك، فيجب إثباتها لله تعالى حقيقة على الوجه اللائق بها.

والصفات السلبية: ما نفاها الله سبحانه عن نفسه، في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، وكلها صفات نقص في حقه. كـ: "الموت" و"النوم" و"الجهل" و"النسيان" و"العجز" و"التعب" فيجب نفيها عن الله تعالى، مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل، وذلك لأن ما نفاه الله تعالى عن نفسه فالمراد به بيان انتفائه، لثبوت كمال ضده لا لمجرد نفيه، لأن النفي ليس بكمال إلا أن يتضمن ما يدل على الكمال، وذلك لأن النفي عدم والعدم ليس بشيء فضلاً عن أن يكون كمالاً، ولأن النفي قد يكون لعدم قابلية المحل له، فلا يكون كمالا كما لو قلت: "الجدار لا يظلم".

---

١) قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "إن الله سبحانه لما نفا عن نفسه ما يناقض الإثبات، ويضاد ثبوت الصفات والأفعال، فلم يبق الأمر عدميًا أو ما يستلزم العدم، كنفي السنة والنوم المستلزم لعدم كمال الحياة والقيومية، ونفي الظلم المستلزم لعدم كمال الغنى والقهر والملك... وكذلك نفي الحاجة والأكل والشرب عنه سبحانه، لاستلزام ذلك عدم كمال غناه، وإذا كان نفى عن نفسه العدم أو ما يستلزم العدم، علم أنه أحق بكل وجود وثبوت لا يستلزم عدمًا ولا نقصا، وهذا هو الذي دل عليه صريح العقل ... فعاد النفي الصحيح إلى نفي النقائص ونفي المماثلة في الكمال وعاد الأمران إلى نفي النقص، وحقيقة ذلك نفي العدم، وما يستلزم نفي العدم، فتأمل..." (مختصر الصواعق المرسلة/١/١٣٠-١٣١).

وقد يكون للعجز عن القيام به فيكون نقصا، مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[1]، فنفي العجز عنه يتضمن كمال علمه وقدرته ولهذا قال بعده: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[2]، لأن العجز سببه إما الجهل بأسباب الإيجاد، وإما قصور القدرة عنه، فلكمال علم الله تعالى وقدرته لم يكن ليعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض، وبهذا المثال: علمنا أن "الصفة السلبية" قد تتضمن أكثر من كمال.

القاعدة الرابعة: الصفات الثبوتية صفات مدح وكمال:

فكلما كثرت وتنوعت دلالاتها ظهر من كمال الموصوف بها ما هو أكثر، ولهذا كانت "الصفات الثبوتية" التي أخبر بها عن نفسه أكثر، بكثير من "الصفات السلبية" كما هو معلوم. أما "الصفات السلبية" فلم تذكر غالبًا إلا في الأحوال التالية:

الأولى: بيان عموم كماله: كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[3]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[4].

الثانية: نفي ما ادعاه في حقه الكاذبون، كما في قوله: ﴿أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾[5] .

---

١) فاطر: ٤٤.
٢) فاطر: ٤٤.
٣) الشورى: ١١.
٤) الإخلاص: ٤.
٥) مريم: ٩١، ٩٢.

الثالثة: دفع توهم نقص من كماله فيما يتعلق بهذا الأمر المعين: كما في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾[1]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[2].

١) الدخان: ٣٨.
٢) ق: ٣٨.

القاعدة الخامسة: الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: ذاتية وفعلية:

فالذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفًا بها كـ: "العلم" و"القدرة" "السمع و"البصر" و"العزة" و"الحكمة" و"العلو" و"العظمة"، ومنها الصفات الخبرية كـ: "الوجه و"اليدين و"العينين".

والفعلية: هي التي تتعلق بمشيئة إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها كـ: "الاستواء على العرش". و"النزول إلى السماء الدنيا".

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين، كـ"الكلام": فإنه باعتبار أصله. "صفة ذاتية"، لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلمًا، وباعتبار آحاد الكلام "صفة فعلية"، لأن الكلام يتعلق بمشيئة، يتكلم متى شاء بما شاء، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1]، وكل صفة تعلقت بمشيئته تعالى فإنها تابعة لحكمته، وقد تكون الحكمة معلومة لنا، وقد نعجز عن إدراكها لكننا نعلم علم اليقين أنه سبحانه لا يشاء شيئًا إلا وهو موافق للحكمة، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[2].

القاعدة السادسة: يلزم في إثبات الصفات التخلي عن محذورين عظيمين: أحدها: التمثيل، والثاني: التكييف:

فأما التمثيل: فهو اعتقاد المُثبت أن ما أثبته من صفات الله تعالى مماثل لصفات المخلوقين، وهذا اعتقاد باطل بدليل "السمع" و"العقل".

---

١) يس: ٨٢.
٢) الإنسان: ٣٠.

أما السمع: فمنه قوله تعالى:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1]، وقوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[2].

وأما العقل: فمن وجوه:

الأول: أنه قد علم بالضرورة أن بين الخالق والمخلوق تباينًا في الذات، وهذا يستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات.

الثاني: أن يقال كيف يكون الرب الخالق الكامل من جميع الوجوه، مشابهًا في صفاته للمخلوق في المربوب الناقص المفتقر إلى من يكمله، وهل اعتقاد ذلك إلا تنقص لحق الخالق؟ فإن تشبيه الكامل بالناقص يجعله ناقصًا.

الثالث: أننا نشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية، فنشاهد أن للإنسان يدًا ليست كـ"يد الفيل" وله قوة ليست كـ"قوة الجمل" مع الاتفاق في الاسم.. فعلم بذلك أن الاتفاق في الاسم لا يلزم منه الاتفاق في الحقيقة.

وأما التكييف: فهو أن يعتقد المُثبت أن كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا من غير أن يُقيدها بمماثل، وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[3].

---

1) الشورى: ١١.
2) النحل: ١٧.
3) طه: ١١٠.

وأما العقل: فلأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته، أو العلم بنظيره المساوي له، أو بالخبر الصادق عنه، وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله ﷻ، فوجب بطلان تكييفها، وأي كيفية تقدرها في ذهنك فالله أعظم وأجل من ذلك! وأي كيفية تقدرها لصفات الله تعالى، فإنك ستكون كاذبًا فيها لأنه لا علم لك بذلك!، وحينئذ يجب الكف عن التكييف تقديرًا بالجنان، أو تقريرًا باللسان، أو تحريرًا بالبنان.

القاعدة السابعة: صفات الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها:

فلا نثبت لله تعالى من الصفات إلا ما دل الكتاب والسنة على ثبوته، قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى:"لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث" [1]، ولدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة أوجه:

الأول: التصريح بالصفة كـ"العزة" و"القوة" و"الرحمة" و"البطش" و"الوجه" و"اليدين" ونحوهما..

الثاني: تضمن الاسم لها مثل: "الغفور" متضمن للمغفرة و"السميع" متضمن للسمع ونحو ذلك.

الثالث: التصريح بفعل أو وصف دال عليها:

كـ: "الاستواء على العرش" و"النزول إلى السماء الدنيا" و"المجيء للفصل بين العباد يوم القيامة" و"الانتقام من المجرمين". الدال عليها على

١) (العقيدة للإمام أحمد بن حنبل/٤١، ٤٥)، وانظر القاعدة الخامسة في الأسماء.

الترتيب: قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[1]، وقول النبي ﷺ: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا»[2]، وقول الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾[3]، وقوله: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾[4].

المطلب السابع: بعض صفات الذات

أولاً: العلو[5]:

علو الله تعالى من صفاته الذاتية، وينقسم إلى قسمين:

١- علو ذات. ٢- وعلو صفات

فأما علو الصفات فمعناه: أنه ما من صفة كمال إلا ولله تعالى أعلاها وأكملها، سواء كانت من صفات المجد والقهر، أم من صفات الجمال والقدر.

وأما علو الذات فمعناه: أن الله بذاته فوق جميع خلقه.

إثبات صفة العلو من الكتاب:

فأما الكتاب والسنة فإنهما مملوءان بما هو صريح، أو ظاهر في إثبات علو الله تعالى بذاته فوق خلقه، وقد تنوعت دلالتهما على ذلك:

---

١) طه: ٥.
٢) البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل رقم (١١٤٥) (فتح/٣/٣٦).
٣) الفجر: ٢٢.
٤) السجدة: ٢٢.
٥) انظر (العقيدة الإسلامية/٤٥، ٤٧)، (مختصر الصواعق المرسلة/٣٠٦-٣٢٢) فقد ذكر ابن القيم إثنا وأربعين وجهًا للتدليل على صفة العلو (مختصر العلو)، (إثبات صفة العلو)، (إثبات علو الله على خلقه والرد على المخالفين)، (علو الله على خلقه)، (نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد.../١/٤٣٤-٤٦١)، (معارج القبول/١/١٤٤-٢٠٧)، (رسالة إلى أهل الثغر/٢٣٢-٢٣٦)، (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة/٣/٣٨٧-٤٠٢) (شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين/٤١٨-٤٢٣).

١- فتارة بذكر العلو، والفوقية، والاستواء على العرش، وكونه في السماء مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[١]، ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[٢]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٣]، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[٤]، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾[٥].

٢- وتارة بصعود الأشياء وعروجها ورفعها إليه، مثل قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[٦]، ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[٧]، ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾[٨].

٣- وتارة بنزول الأشياء منه ونحو ذلك مثل قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٩]، ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[١٠]، وغير ذلك كثير جدًا.

---

١) البقرة: ٢٥٥.
٢) الأعلى: ١.
٣) النحل: ٥٠.
٤) طه: ٥.
٥) الملك: ١٦.
٦) فاطر: ١٠.
٧) المعارج: ٤.
٨) النساء: ١٥٨.
٩) الواقعة: ٨٠.
١٠) النحل: ١٠٢.

وإثبات صفة العلو من السنة:

١- قوله ﷺ:« ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء »[١].

٢- حديث النزول قال ﷺ: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا»[٢].

٣- معراج النبي ﷺ إلى سدرة المنتهى إلى حيث شاء الله تعالى، كما ثبتت بذلك الأحاديث الصحيحة المشهورة.

٤- حديث الجارية عندما سألها الرسول ﷺ: «أين الله؟» قالت في السماء. قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله قال: أعتقها، فإنها مؤمنة» [٣]، وغير ذلك من الأحاديث والآثار كثير جدًا أيضًا.

الإجماع:

أجمع الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وأئمة أهل السنة على أن الله تعالى فوق سمواته مستو على عرشه، وكلامهم مملوء بذلك نصًا وظاهرًا.

قال الأوزاعي: كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما جاءت به السنة من الصفات، قال الأوزاعي هذا بعد ظهور مذهب جهم النافي لصفات الله وعلوه ليعرف الناس أن مذهب السلف كان يخالف مذهب جهم، ولم يقل أحد من السلف قط: إن الله ليس في السماء، ولا أنه بذاته في كل مكان ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء[٤].

---

١) البخاري: كتاب المغازي: باب بعث علي بن أبي طالب عليه السلام، وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع، رقم (٤٣٥١) (فتح/٨/٨٤).

٢) سبق تخريجه.

٣) مسلم: كتاب المساجد، باب:تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته، رقم (١١٩٩) (نووي/٥/٢٣).

٤) (العقيدة الإسلامية/٤٦).

ثانيًا: اليدان[١]:

"صفة ذاتية خبرية لله ﷻ، نثبتها كما نثبت باقي صفاته تعالى من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل"[٢]، وهذا هو "مذهب أهل السنة والجماعة أن لله تعالى يدين اثنين، مبسوطتين بالعطاء والنعم وهما من صفاته الذاتية الثابتة له حقيقة على الوجه اللائق به"[٣].

الدليل من الكتاب:

١- قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[٤].

٢- وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾[٥].

---

١) انظر (رسالة إلى أهل الثغر/٢٢٥-٢٢٦)، (الثمرات الزكية في العقائد السلفية/٣٩-٤١)، (معتقد الإمام أبي الحسن الأشعري/٨٤-٨٥) وعمر الأشقر، (العقيدة الإسلامية ٤٩-٥٠) د عبدالعزيز بن جبرين، (صفات الله ﷻ.../٢٧٤-٢٧٦)، (الإبانة عن أصول الديانة/٤٠)، (شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين/٢٤٤-٢٥٩)، (نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد علي المريسي الجهمي العنيد/٢/٦٩٤-٧٠٢)، (مختصر الصواعق المرسلة/٣٢٢-٣٣٥) (اعتقاد أئمة الحديث/٥١) أبو بكر الإسماعيلي وغير ذلك.

٢) (صفات الله ﷻ .../٢٧٤).

٣) (العقيدة الإسلامية/٤٩).

٤) (المائدة/٦٤).

٥) سورة ص: ٧٥.

٣- وقوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1] وغير ذلك من الأدلة.

الدليل من السنة:

١- حديث أبي موسى الأشعري ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إن الله ﷻيبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»[2].

٢- حديث الشفاعة وهو عن أبي هريرة ﷺ قال: «فيأتونه فيقولون يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه»[3].

٣- عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:« يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار.. وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع»[4] وغير ذلك من الأحاديث كثير.

الإجماع:

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله: "وأجمعوا على أنه ﷻ يسمع ويرى، وأن له تعالى يدين مبسوطتين وأن الأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه"[5].

---

١) الزمر: ٦٧.
٢) مسلم:كتاب التوبة، باب: قبول التوبة من الذنوب، وإن تكررت الذنوب والتوبة رقم (٦٩٢١) (نووي/١٧/٧٩).
٣) البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ (هود/٢٥)، رقم (٣٣٤٠) (فتح/٦/٤٥٨).
٤) البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ رقم (٧٤١١) (فتح/١٣/٤٨٤).
٥) (رسالة إلى أهل الثغر/٢٢٥).

ثالثًا: الوجه[1]

صفة ذاتية خبرية ثابتة بالكتاب والسنة.

الدليل من الكتاب:

١- قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[2].

٢- وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[3].

الدليل من السنة:

١- حديث ابن مسعود ﷺ وفيه: **«قال رجل والله إن هذه القسمة ما عُدل فيها وما أريد بها وجه الله»**[4].

٢- حديث ابن عمر رضي الله عنهما في الثلاثة الذين حبسوا في الغار فقال كل واحد منهم: **«اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، ففرج عنا ما نحن فيه»**[5].

---

١) انظر: (صفات الله ﷻ.../٢٦٨-٢٧٠)، (معتقد الإمام أبي الحسن الأشعري ومنهجه/٨٠-٨١)، (شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين/٢٣٦-٢٤٣)، (نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد/٧٠٣-٧٢٧)، (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة/٣/٤١٢-٤١٣)، (الإبانة عن أصول الديانة/٤٠)، (القول المفيد/٣/١١٧-١١٨)، (العقيدة للإمام أحمد بن حنبل/١٠٣)، (فتح المجيد/٥٥٥)، (تيسير العزيز الحميد/٦٦٠).

٢) البقرة: ٢٧٢

٣) الرعد: ٢٢.

٤) البخاري: كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحو.. رقم(٣١٥٠)، (فتح/٦/٣٠٩).

٥) البخاري: كتاب الإجارة، باب من استأجر أجيرًا فترك أجره... رقم (٢٢٧٢) (فتح/٤/٥٦٦).

٣- حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ وفيه:« فقال لن تخلف بعدي فتعمل عملاً تريد به وجه الله إلا ازددت به رفعة ودرجة»[١].

قال الإمام ابن حزم: "فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر، مذهبنا: أن نثبت لله ما أثبته الله لنفسه، ونقر بذلك بألسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، عز ربنا عن أن يشبه المخلوقين، وجل ربنا عن مقالة المعطلين"[٢].

رابعًا وخامسًا: القدم والساق[٣]

وهما أيضًا من الصفات الذاتية الخبرية الثابتة لله ﷻ.

الدليل من الكتاب:

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾[٤].

الدليل من السنة:

١- حديث أبي هريرة ﷺ في تحاجج الجنة والنار وفيه:«فأما النار فلا تمتلئ، حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله (وعند مسلم قدمه) فتقول قط قط»[٥].

---

١) البخاري: كتاب الفرائض، باب ميراث البنات. رقم: (٦٧٣٣) (فتح/١٢/١٥).
٢) (التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ/١/٢٥).
٣) راجع (نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد علي المريسي الجهمي العنيد../١/٣٩٤-٣٩٦) (الصواعق المرسلة../١/٢٥٢)، (التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ/١/٢٠٢)، (شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري/١/١٥٦) (شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين/٢/٤١٢-٤١٥)، (العقيدة الإسلامية/٥١).
٤) القلم: ٤٢.
٥) البخاري: كتاب التفسير، باب "وتقول هل من مزيد" رقم (٤٨٥٠) (فتح/٨/٧٦٥)، ومسلم: كتاب الجنة ونعيمها، باب: النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، رقم (٧١٠٢) (نووي/١٧/١٧٩).

٢- عن أبي سعيد ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رئاءً وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقًا واحدًا»[١].

قال العلامة ابن عثيمين -رحمه الله-: لله ﷻ رجل وقدم حقيقة لا تماثل أرجل المخلوقين، ويسمى أهل السنة هذه الصفة الذاتية الخبرية، لأنها لم تعلم إلا بالخبر، ولأن مسماها أبعاض لنا وأجزاء، ولكن لا نقول بالنسبة لله: إنها أبعاض وأجزاء، لأن هذا ممتنع على الله ﷻ "[٢].

وقال شيخ الإسلام في إثبات الساق لله ﷻ :..وقد يقال: إن ظاهر القرآن يدل على ذلك من جهة أنه أخبر أنه يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود، والسجود لا يصلح إلا لله، فعلم أن هو الكاشف عن ساقه، وأيضًا فحملُ ذلك على الشدة لا يصح[٣]، وتنكير الساق الواردة في الحديث السابق له فائدة ذكرها الإمام ابن القيم فقال: وتنكيره للتعظيم والتفخيم، كأنه قال: يكشف عن ساق عظيمة جلت عظمتها، وتعالى شأنها أن يكون لها نظير أو مثيل أو شبيه. اهـ[٤].

---

١) البخاري: كتاب التفسير، باب: "يوم يُكشف عن ساق". رقم (٤٩١٩) (فتح/٨/٨٥٧).
٢) (شرح العقيدة الواسطية/٤١٤).
٣) (صفات الله ﷻ.../١٣٨) عن نقض أساس التقديس ورقة/٢٦١).
٤) (الصواعق المرسلة/١/٢٥٢).

سادسًا وسابعًا: السمع والبصر[1]

وهما أيضًا من الصفات الذاتية الخبرية الثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة.

-الدليل من الكتاب:

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾[2].

٢- وقوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[3].

٣- وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾[4].

٤- وقوله تعالى: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾[5].

الدليل من السنة:

١- حديث عائشة رضي الله عنها، أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد

---

١) راجع (علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين/٥١)، (رسالة إلى أهل الثغر/٢٢٥)، (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة/٣/٤٠٧-٤١١)، (معارج القبول/١/٢٣٣-٢٣٧)، (الإبانة عن أصول الديانة/٤٠١-١٠٥)، (شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين،٢٧١-٢٧٩)، (العقيدة للإمام أحمد بن حنبل/١٠٢-١٠٣).

٢) طه: ٤٦.

٣) الشورى: ١١.

٤) النساء: ٥٨.

٥) المجادلة: ١.

ما لقيت منهم يوم العقبة... فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: **إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك**»[1].

٢- حديث عائشة رضي الله عنها في قصة المجادلة وقولها: "الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات"[2].

٣- عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فكنا إذا علونا كبرنا، فقال النبي ﷺ: «**أيها الناس أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبا، ولكن تدعون سميعًا بصيرًا**»[3].

الإجماع:

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله: "وأجمعوا على انه ﷻ يسمع ويرى"[4].

مسألة هامة

القرآن كلام الله غير مخلوق[5]

قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله: إن لله ﷻ كلامًا هو به متكلم، وذلك صفة له في ذاته.. وحكي عن ابن مسعود وابن عباس: أنهما

---

١) البخاري: كتاب بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم "آمين" والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه. رقم (٣٢٣١) (فتح/٦/٣٨٤).

٢) البخاري، كتاب التوحيد، باب: "وكان الله سميعًا بصيرا"، قبل رقم (٧٣٨٦) تعليقا، (فتح/١٣/٤٦٠)، (صحيح سنن ابن ماجه للألباني رقم١٥٦)، والظلال له رقم (٦٢٥) والإرواء (١٧٥/٧).

٣) البخاري: كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا علا عقبة . رقم (٦٣٨٤) (فتح/١١/٢٢٤).

٤) (رسالة إلى أهل الثغر/٢٢٥).

٥) راجع (شرح العقيدة الطحاوية/١/١٧٢-٢٠٤)، (شرح أصول اعتقاد اهل السنة والجماعة/٢/٢١٦-٣٦٩)، (٣/٣٧٩-٣٨٦) و(معارج القبول/٢٥٨-٢٨٤) الإمام أبي سعيد بن سعيد علي المريسي الجهمي العنيد/٢/٨٣٢-٨٣٨)، (مختصر الصواعق المرسلة/٢/٤١٦-٤٣٢) (العقيدة للإمام أحمد/١٠٦-١٠٧)، (معتقد الإمام أبي الحسن الأشعري ومنهجه/٨٥-٨٦)، (الإبانة عن أصول الديانة/٧٢-٩٦) وهو أطول أبواب الكتاب (الحيدة والاعتدال في الرد على من قال بخلق القرآن) وهو مناظرة رائعة جدًا ومفيدة.

فسرا قوله ﷻ: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[1] قالا: غير مخلوق.

وكان يقول: إن القرآن كيف تصرف غير مخلوق، وأن الله تعالى تكلم بالصوت والحرف[2].

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله: وإن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحيًا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقًا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه، وأوعده بسقر[3].

قال الشارح ابن أبي العز رحمه الله: هذه قاعدة شريفة وأصل كبير من أصول الدين، ضل فيه طوائف كثيرة من الناس وهذا الذي حكاه والطحاوي رحمه الله هو الحق الذي دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة لمن تدبرها وشهدت به الفطرة السليمة التي لم تُغيَّر بالشبهات والشكوك، والآراء الباطلة.

وبالجملة فأهل السنة كلهم من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم من السلف والخلف متفقون على أن القرآن كلام الله غير مخلوق[4].

وقال الدكتور عبدالله بن عبدالعزيز بن جبرين حفظه الله: فالقرآن كلامه حقيقة، حروفه ومعانيه، ليس كلامه الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف، قال تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ فالسمع مخلوق، والمسموع

---

١) الزمر: ٢٨.
٢) (العقيدة للإمام أحمد/١٠٦-١٠٧).
٣) (شرح العقيدة الطحاوية/١/١٧٢).
٤) (شرح العقيدة الطحاوية/١/١٧٢، ١٨٥).

–وهو القرآن– غير مخلوق، فصوت القارئ مخلوق، ولكن المتلو غير مخلوق، والكتابة مخلوقة، والمكتوب غير مخلوق[١].

ثامنًا: الكلام[٢]

"يعتقد أهل السنة والجماعة أن الله ﷻ يتكلم ويتحدث وينادي، وأن كلامه بصوت وحرف، وأن القرآن كلامه، منزل غير مخلوق، وكلام الله صفة ذاتية اختيارية"[٣] [٤].

الدليل من الكتاب:

١- قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[٥].

٢- وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[٦].

---

١) (العقيدة الإسلامية/٤٧).

٢) راجع (صفات الله ﷻ.../٢١٦-٢١٩)، (العقيدة الإسلامية/٤٦-٤٧)، (معارج القبول/١/٢٤٧-٢٥٨) (رسالة أهل الثغر/٢١٤)، (مجموع الفتاوى/١٢/٣٠٤، ٦/٥١٣-٥٤٥)، (شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري/٢/٣٠٧-٣١٦)، (العقيدة السلفية في كلام رب البرية)، (السنة لابن أبي عاصم/١/٢٢٥)، (خلق أفعال العباد/١٤٩) (شرح الواسطية لابن عثيمين/٤١٦-٤١٨) (العقيدة للإمام أحمد/١٠٦-١٠٧).

٣) (صفات الله ﷻ../٢١٦).

٤) قال ابن عثيمين حفظه الله: وقد تكون الصفة ذاتية فعليه باعتبارين كالكلام فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية، لأن الله تعالى لم يزل متكلمًا ولا يزال متكلمًا وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية لأن الكلام يتعلق بالمشيئة يتكلم متى شاء بما شاء (القواعد المثلى/٦٣).

٥) النساء: ١٦٤.

٦) الأعراف: ١٤٣.

٣- وقوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾[(١)].

٤- وقوله تعالى: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾[(٢)].

الدليل من السنة:

١- عن طاوس سمعت أبا هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:« احتج آدم وموسى.. **قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه**»[(٣)].

٢- عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال النبي ﷺ: « **يقول الله: يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك! فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار**»[(٤)].

٣- عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال النبي ﷺ: « **إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول: هل** رضيتم؟»[(٥)].

قال الإمام البخاري رحمه الله: إن الله ﷻ ينادي بصوت يسمعه من بَعُد كما يسمعه من قرب، فليس هذا لغير الله جل ذكره، وفي هذا دليل أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق، لأن صوت الله جل ذكره يُسمع من بعد كما يُسمع من قرب[(٦)].

---

١) التوبة: ٦.
٢) النساء: ٧٨.
٣) البخاري: كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله رقم (٦٦١٤)، (فتح/١١/٦١٨).
٤) البخاري: كتاب التوحيد، باب بدون (٣٢) رقم (٧٤٨٣)، (فتح/١٣/٥٥٥).
٥) البخاري: كتاب التوحيد: باب كلام الرب مع أهل الجنة، رقم (٧٥١٨)، (فتح/١٣/٥٩٦).
٦) (خلق أفعال العباد/١٤٩).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: واستفاضت الآثار عن الرسول ﷺ والصحابة ومن بعدهم من أئمة السنة، أنه سبحانه ينادي بصوت، وينادي عباده يوم القيامة بصوت، ويتكلم بالوحي بصوت[(١)].

تاسعًا: العلم[(٢)]

العلم صفة ذاتية لله ثابتة بالكتاب والسُّنة.

الدليل من الكتاب:

١- قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[(٣)].

٢- وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[(٤)].

٣- وقوله: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[(٥)].

٤- وقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[(٦)].

الدليل من السنة:

١- عن جابر ﷺ قال: كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها... ثم يقول: «**اللهم إني أستخيرك بعلمك**»[(٧)].

---

١) (مجموع الفتاوى/١٢/٣٠٤).
٢) راجع (المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة/١/٢٨٣-٢٨٤)، (صفات الله ﷻ .../١٨٤-١٨٦)، (الثمرات الزكية في العقائد السلفية /٤٥-٥٠)، (معارج القبول/١/٢٣٧-٢٤٣)، (الحيدة والاعتدال.../٤٣-٥٠)، (شرح العقيدة الطحاوية/١/١٣٢-١٣٣)، (شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري/١/١٠٣).
٣) البقرة: ٢٥٥.
٤) المائدة: ٩٧.
٥) البقرة: ٣٢.
٦) الأنعام: ٧٣.
٧) البخاري: كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة، رقم (٦٣٨٢) (فتح/١١/٢١٨).

٢- وفي قصة موسى والخضر، أن الخضر قال لموسى: «يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمك الله لا أعلمه.. قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر»[١].

قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله: إذا قال الرجل: العلم مخلوق، فهو كافر، لأنه يزعم أن الله لم يكن له علم حتى خلقه.

وقال: هو يعلم ما في السماوات السبع، والأرضين السبع، وما بينهما وما تحت الثرى، وما في قعر البحار، ومنبت كل شعرة وكل شجرة وكل زرع وكل نبات، ومسقط كل ورقة، وعدد ذلك، وعدد الحصى والرمل والتراب، ومثاقيل الجبال، وأعمال العباد وآثارهم، وكلامهم، وأنفاسهم ويعلم كل شيء لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو على العرش فوق السماء السابعة[٢] .اهـ.

عاشرًا: الحياة والقيومية:

وهما صفتان ذاتيتان ثابتتان بالكتاب والسنة:

الدليل من الكتاب:

جاءت هاتان الصفتان مقترنتان في ثلاثة مواضع من كتاب الله ﷻ.

١- قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا

---

١) البخاري: كتاب التفسير، باب: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ رقم (٤٧٢٥) (فتح/٨/٥٢٢).

٢) (المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة/١/٢٨٣، ٢٨٤).

بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾[1].

٢- قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۞ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[2].

٣- وقال تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾[3].

قال السعدي رحمه الله: وأنه "الحي" الذي له جميع معاني الحياة الكاملة، من السمع والبصر، والقدرة، والإرادة، وغيرها، والصفات الذاتية، كما أن "القيوم" تدخل فيه جميع صفات الأفعال، لأنه القيوم الذي قام بنفسه، واستغنى عن جميع مخلوقاته، وقام بجميع الموجودات فأوجدها وأبقاها، وأمدها بجميع ما تحتاج إليه في وجودها وبقائها[4] .اهـ.

الدليل من السنة:

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ كان يقول: «..اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت.. أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون»[5].

---

١) البقرة: ٢٥٥.
٢) آل عمران: ١-٢.
٣) طه: ١١١.
٤) (تيسير الكريم الرحمن/١/١٩١).
٥) مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر مالم يعمل، رقم (٦٨٣٧) (نووي/١٧/٤١).

- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يدعو من الليل: «اللهم لك الحمد، أنت رب السماوات والأرض، لك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن»[1].

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: فعلى هذين الاسمين -أي الحي القيوم- مدار الأسماء الحسنى كلها، وإليهما ترجع معانيها، فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، فلا يتخلف عنها صفة منها، إلا لضعف الحياة، فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمها، استلزم إثباتها إثبات كل كمال يضاد نفيه كمال الحياة، وأما القيوم فهو متضمن كمال غناه وكمال قدرته، فإنه قائم بنفسه، فلا يحتاج إلى غيره بوجه من الوجوه، المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته، فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال أتم انتظام[2] اهـ.

المطلب الثامن: بعض صفات الأفعال

أولاً: الاستواء على العرش[3]

وهو صفة فعلية ثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة.

الدليل من الكتاب:

١ - قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[4].- وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾[5].

---

١) البخاري: كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾رقم (٧٣٨٥) (فتح/١٣/٤٥٩).

٢) (تقريب وترتيب شرح العقيدة الطحاوية/١/٤٤٠).

٣) راجع (اجتماع الجيوش الإسلامية/١٠٧-١١٠) (صفات الله ﷻ.../٥٢-٥٣)، (شرح العقيدة الطحاوية/٢/٣٦٤-٣٧٥)، (معارج القبول/١/١٤٨-١٥٤)، (العقيدة الإسلامية/٤٧-٤٩)، (شرح أصول اعتقاد أهل السنة/٣/٣٨٧-٤٠٢)، (الإبانة عن أصول الديانة/٩٧-١٠٣)، (رسالة في الاستواء والفوقية) للجويني (نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد/١/٤٥٠-٤٨٤).

٤) طه: ٥.

٥) الأعراف: ٥٤، يونس: ٣، الرعد: ٢، الفرقان: ٥٩، السجدة: ٤، الحديد: ٤.

الدليل من السُّنة:

١- حديث أبي هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ أخذ بيده، فقال:« يا أبا هريرة! إن الله خلق السماوات والأرضين وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش»[١].

٢- عن قتادة بن النعمان ﷺ، قال:سمعت رسول الله ﷺ يقول:« لما فرغ الله من خلقه، استوى على عرشه»[٢].

الإجماع:

وقد أجمع أهل السنة على أن الله تعالى فوق عرشه، ولم يقل أحد منهم إنه ليس على العرش، ولا يمكن لأحد أن ينقل عنهم ذلك لا نصًا ولا ظاهرا[٣].

ثانيًا: النزول[٤] :

صفة فعلية ثابتة لله ﷻ بالسنة الصحيحة المتواترة.

الدليل من السنة:

عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال:« يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخرة فيقول»[٥] .

---

١) حسن: رواه النسائي في التفسير (٤١٢) وانظر مختصر العلو (٧١).

٢) قال ابن القيم في (اجتماع الجيوش الإسلامية/١٠٨) رواه الخلال في "كتاب السنة"،بإسناد صحيح على شرط البخاري، وقال الذهبي في العلو رواته ثقات وسكت عنه الألباني في "مختصر العلو".

٣) (العقيدة الإسلامية/٤٨).

٤) راجع (شرح العقيدة الطحاوية/١/٢٦٩-٢٧٠)، (معتقد الإمام أبي الحسن الأشعري ومنهجه/٨٩)، (صفات الله ﷻ .../٢٤٩-٢٥٠)، (فضل علم السلف على الخلف/٧)، (العقائد السلفية/٧٦)، (رسالة إلى أهل الثغر/٢٢٩-٢٣١) (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة/٣/٤٣٤-٤٥٣) (معارج القبول/١٦٦-١٦٧)، (نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد علي المريسي الجهمي العنيد١/٤٩٣-٥٠٧)، (مختصر الصواعق المرسلة/٣٦٣-٣٨٥).

٥) سبق تخريجه.

قال أبو سعيد الدارمي -رحمه الله- بعد أن ذكر ما يثبت النزول من أحاديث رسول الله ﷺ: فهذه الأحاديث قد جاءت كلها وأكثر منها في نزول الرب تبارك وتعالى في هذه المواطن، وعلى تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، لا ينكرها منهم أحد، ولا يمتنع من روايتها[1] ا.هـ.

وقال الإمام ابن خزيمة رحمه الله: باب: ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام، رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي ﷺ في نزول الرب جل وعلا إلى السماء الدنيا كل ليلة. نشهد شهادة مقر بلسانه، مصدق بقلبه، مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب، من غير أن نصف الكيفية، لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل.

والله جل وعلا لم يترك ولا نبيه عليه السلام بيان ما بالمسلمين الحاجة إليه من أمر دينهم.

فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول، غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية، إذ النبي ﷺ لم يصف لنا كيفية النزول، وفي هذه الأخبار ما بان وثبت وصح أن الله جل وعلا فوق سماء الدنيا الذي أخبرنا نبينا ﷺ أنه ينزل إليه، إذ محال في لغة العرب أن يقول: نزل من أسفل إلى أعلى، ومفهوم في الخطاب، أن النزول من أعلى إلى أسفل[2] اهـ.

الإجماع: قال الإمام أبو الحسن الأشعري: وأجمعوا أنه ينزل إلى السماء الدنيا[3].

١) (الرد على الجهمية/٧٩).
٢) (التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ/١/٢٨٩).
٣) (رسالة إلى أهل الثغر/٢٢٩).

ثالثًا ورابعًا: الإتيان والمجيء[1]:

وهما صفتان فعليتان ثابتتان بالكتاب والسنة.

الدليل من الكتاب:

١- قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾[2].

٢- وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[3].

٣- وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[4].

الدليل من السُّنة:

١- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: يقول الله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي.. وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»[5].

٢- حديث أبي سعيد الخدري ﷺ في الرؤية: «قال فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول أنا ربكم»[6].

---

١) راجع (صفات الله ﷻ.../٣٨-٤٠)، (رسالة إلى أهل الثغر/٢٢٧-٢٢٨)، (الفتوى الحموية الكبرى/٣٥-٣٦) (مختصر الصواعق المرسلة/٣٨٨-٣٩١) (نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد علي المريسي الجهمي العنيد/٢/٦٧٥-٦٨٢) (معارج القبول/٣٠٣-٣٠٥) (شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين/٢٢٩-٢٣٦).

٢) البقرة: ٢١٠.

٣) الأنعام: ١٥٨.

٤) الفجر: ٢٢.

٥) البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ رقم (٧٤٠٥) (فتح/١٣/٤٧٣).

٦) البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ رقم (٧٤٣٩) (فتح/١٣/٥١٧).

٣- حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعا: «..وإذا تلقاني بباع جئته أتيته بأسرع»[١].

قال النووي بعد هذا الحديث الذي جمع هاتان الصفتان، الإتيان والمجيء: هكذا هو في أكثر النسخ: "جئته أتيته"، وفي بعضها: "جئته بأسرع" فقط وفي بعضها: "أتيته" وهاتان ظاهرتان، والأول صحيح أيضا، والجمع بينهما للتوكيد، وهو حسن، لا سيما عند اختلاف اللفظ والله أعلم[٢] اهـ.

قال الشيخ محمد خليل الهراس رحمه الله: في هذه الآيات إثبات صفتين من صفات الفعل، وهما صفتا الإتيان والمجيء، والذي عليه أهل السنة والجماعة الإيمان بذلك على حقيقته[٣] .اهـ.

الإجماع:

قال أبو الحسن الأشعري: وأجمعوا على أنه يجيء يوم القيامة والملك صفًا صفًا. اهـ[٤].

خامسًا وسادسًا: الرضى والغضب[٥]:

وهما صفتان فعليتان ثابتتان بالكتاب والسنة.

---

١) مسلم: كتاب الذكر والدعاء: الحث على ذكر الله تعالى، رقم (٦٧٤٨) (نووي/١٧/٦).
٢) (صحيح مسلم بشرح النووي/١٧/٦).
٣) شرح الواسطية/١١٢)
٤) (رسالة إلى أهل الثغر/٢٢٧).
٥) راجع (شرح العقيدة الطحاوية/٢/٦٨٤-٦٨٩) (صفات الله ﷻ.../١٨٩-١٩٠/١٢٨-١٢٩) (شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين/٢١٥-٢٢٩) (مختصر الصواعق المرسلة/١٧٧-١٧٨) (التدمرية/٢٦) (شرح لمعة الاعتقاد/٥٣، ٥٥).

الدليل من الكتاب:

١ - قوله تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[١].

٢- وقوله: ﴿لَّقَدۡ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحًا قَرِيبًا﴾[٢].

٣- وقوله: ﴿وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٣].

٤- وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ﴾[٤].

الدليل من السنة:

١ - حديث عائشة رضي الله عنها.. **اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك»**[٥].

٢- عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا»**[٦].

٣- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي»**[٧].

---

١) المائدة: ١١٩.
٢) الفتح: ١٨.
٣) النور: ٩.
٤) الممتحنة: ١٣.
٥) مسلم: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم (١٠٩٠) (نووي/٤/٤٢٦).
٦) مسلم: كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة... رقم (٤٤٥٦) (نووي/١٢/٢٣٦).
٧) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ..﴾. رقم (٣١٩٤) (فتح/٦/٣٥٢).

٤- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ:«. فيأتونه فيقولون يا آدم .. ألا تشفع لنا إلى ربك؟.. فيقول: ربي غضب غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله»[١].

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله- في عقيدته: والله يغضب ويرضى لا كأحد من الورى[٢].

قال الشارح ابن أبي العز رحمه الله: ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب والرضى والعداوة والولاية و الحب والبغض ونحو ذلك من الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى[٣] .اهـ.

الإجماع: وأجمع السلف على إثبات الرضى والغضب لله تعالى[٤].

سابعًا وثامنًا: الغيرة والفرح[٥]:

وهما صفتان فعليتان ثابتتان بالأحاديث الصحيحة.

الدليل من السنة:

١- عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:«إن الله يغار وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله»[٦].

---

١) البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله ﷻ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ..﴾. رقم (٣٣٤٠) (فتح/٦/٤٥٨).

٢) (شرح العقيدة الطحاوية/٦٨٤-٦٨٨).

٣) (شرح العقيدة الطحاوية/٦٨٤-٦٨٨).

٤) (شرح لمعة الاعتقاد/٥٣، ٥٥).

٥) (صفات الله ﷻ.../١٩٣-١٩٤/١٩٥-١٩٦) (شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين/٤٠٣-٤٠٥) (شرح العقيدة الواسطية/١٦٦) للهراس (إبطال التأويلات/١/١٦٥) للفراء (مجموع الفتاوى/٦/١١٩-١٢٠) و(٤/١٨١).

٦) البخاري: كتاب النكاح: باب الغيرة. رقم (٥٢٢٣)، (فتح/٩/٣٩٩).

٢- عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة»[١].

قال الشيخ الغنيمان في "الشرح": وغيرة الله تعالى من جنس صفاته التي يختص بها، فهي ليست مماثلة لغيرة المخلوق، بل هي صفة تليق بعظمته، مثل الغضب والرضى... ونحو ذلك من خصائصه التي لا يشاركه الخلق فيها. اهـ.

وقال الشيخ محمد خليل الهراس رحمه الله في إثبات صفة الفرح: وفي هذا الحديث إثبات صفة الفرح لله ﷻ، والكلام فيه كالكلام في غيره من الصفات، أنه صفة حقيقية لله ﷻ، على ما يليق به، وهو من صفات الفعل التابعة لمشيئته تعالى وقدرته.

وإذا كان الفرح في المخلوق على أنواع، فقد يكون فرح خفة وسرور وطرب وقد يكون فرح أشر وبطر، فالله ﷻ منزه عن ذلك كله، ففرحه لا يشبه فرح أحد من خلقه، لا في ذاته، ولا في أسبابه، ولا في غاياته، فسببه كمال رحمته وإحسانه التي يحب من عباده أن يتعرضوا لها[٢] اهـ.

---

١) البخاري: كتاب الدعوات، باب التوبة، رقم (٦٣٠٩)، (فتح/١١/١٢٣).
٢) (شرح العقيدة الواسطية/١٦٦).

المطلب التاسع: رؤية المؤمنين ربهم ﷻ في الآخرة[1]

قال الإمام الطحاوي رحمه الله: والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعلمه.

وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن الرسول ﷺ فهو كما قال، ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم الله ﷻ ولرسوله ﷺ، ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه[2] اهـ.

الأدلة من الكتاب على الرؤية:

١ - قوله ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[3].

٢ - وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[4].

قال السعدي رحمه الله: فهؤلاء الذين أحسنوا لهم "الحسنى" وهي: الجنة الكاملة في حسنها و"زيادة" وهي: النظر إلى وجه الله الكريم، وسماع كلامه[5].

---

١) (راجع (شرح العقيدة الطحاوية/١/٢٠٧-٢٢٥) (شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري/٢/٨) (دلالة القرآن والأثر على رؤية الله تعالى بالبصر) (الشريعة للآجري/٢٥٨-٢٧٦) (التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة) للآجري (رسالة إلى أهل الثغر/٢٣٧-٢٤٠) (نقض الإمام أبي سعيد... على المريسي.../٢/٨١٠-٨٢٦) (الإبانة عن أصول الديانة/٥٨-٧١) (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة/٣/٤٥٤-٥٢٣).

٢) شرح العقيدة الطحاوية/١/٢٠٧).

٣) القيامة: ٢٢، ٢٣.

٤) يونس: ٢٦

٥) (تيسير الكريم الرحمن/١/٧٥٣).

٣- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ * عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾[١].

قال السعدي رحمه الله: "ينظرون" إلى ما أعد الله لهم من النعيم، وينظرون إلى وجه ربهم الكريم[٢].

الأدلة من السُّنة على الرؤية:

١- عن جرير ﷺ قال: كنا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة -يعني البدر- فقال: **« إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته»**[٣].

٢- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال أناس يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: **«هل تضارّون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: هل تضارّون في القمر ليلة البدر ليس دون سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك»**[٤].

٣- عن صهيب ﷺ عن النبي ﷺ قال: **« إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجّنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أُعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ»**[٥].

---

١) المطففين/٢٢، ٢٣.
٢) (تيسير الكريم الرحمن/٢/١٠٠٣).
٣) البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، رقم (٥٥٤) (فتح/٢/٤١).
٤) البخاري: كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم. رقم (٦٥٧٣) (فتح/١١/٥٤٣).
٥) مسلم: كتاب الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى. رقم (٤٤٨) (نووي/٣/١٩).

الإجماع:

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله: وأجمعوا على أن المؤمنين يرون الله ﷻ يوم القيامة بأعين وجوههم على ما أخبر به تعالى.. وقد بين معنى ذلك النبي ﷺ ودفع إشكاله فيه .. فبين أن رؤيته تعالى بأعين الوجوه[1].

المطلب العاشر: أثر توحيد الأسماء والصفات على العباد

تمهيد:

يقول الدكتور عمر الأشقر حفظه الله: لقد تحدث العارفون بالله والعالمون بجلاله وكماله عن الخير الكبير الذي عاد عليهم من وراء العلم بالله وصفاته وأسمائه، وعلى الرغم مما بهروا به العقول ببيانهم، فإن علمهم الذي أناروا به القلوب، وهدوا به العقول يبقى قطرة من بحر، وشربة من نهر.

ووراء النصوص من الأسرار والأنوار ما يبهر العقول ويضيء النفوس.

وحسبك أنّ أعرف الخلق بربه، الذي هو أخشاهم لله وأتقاهم له قرر فيما أخبر به أنه لا يستطيع أن يحصي المحامد والمدائح التي يستحقها رب العباد، فقد قال في خطابه لربه "لا أحصي ثناءً عليك"[2] [3] اهـ. لو أراد أحد أن يحصي جميع الآثار المستفادة، والثمرات المستطابة، من توحيد الأسماء والصفات، لما استطاع إلى ذلك سبيلا.

كيف لا وأسماء الله تعالى لم يرد نص قاطع في تحديد عددها وهي كثيرة من الكثرة بمكان، ولا سبيل لأحد لمعرفة ما استأثر الله به من أسمائه في علم

---

١) (رسالة إلى أهل الثغر/٢٣٧) وانظر إلى (الفرق بين الفرق/٢٥٩).
٢) سبق تخريجه.
٣) (أسماء الله وصفاته../١٦).

الغيب عنده، والأسماء المعلومة لنا جميعا، كل اسم ربما احتوى على أكثر من صفة لله تبارك وتعالى تليق بعظمته وجلالته، وكلما وفّقَ العالم في الاستنباط وسعة العلم وبُعْد النظر وقف على صفات كثيرة ومعان نبيلة وفوائد جليلة من الاسم الواحد.

وآثار الأسماء والصفات مباركة لمن تدبر معناها، ووقف على فحواها، وهي من العظمة والجلال والكمال ما يعجز عن وصفها الواصفون، وعن بيان حقيقتها العارفون من هنا فليس بمستغرب ما فعله إبليس لعنه الله بالعباد، لذلك تجد أكثر من ضلوا في أبواب الاعتقاد، ضلوا في توحيد الأسماء والصفات مما يدل على أهمية هذا القسم من أقسام التوحيد.

والأسماء والصفات ليست أعلامًا جافة والعياذ بالله، كما زعم أهل التعطيل، بل هي أسماء حقيقية وصفات حقيقية أيضا، تدلنا على ما لله من صفات الكمال، وليست هي جُملاً إنشائية للحفظ والتكرار، بل هي مع ذلك لكي نتعبد إلى الله بها وبمقتضاها، حتى يكون العبد على صلة بالله تعالى دائمًا إذا ما تذكر أسماء الله وصفاته وتذكر ما تدل عليه من آثار وثمرات يحيا بها إلى أن يلقى الله تعالى.

١- تزكية النفوس وإقامتها على منهج العبودية:

"إن الشريعة المنزلة من عند الله تهدف إلى إصلاح الإنسان، وطريق الصلاح هو إقامة العباد على منهج العبودية الحقة لله الواحد الأحد، ولقد كان المفتاح الذي فتح به الرسل قلوب العباد هو آيات الله التي تحدثهم عن ربه، وتربط قلوبهم به، وبذلك تتجه قلوبهم ووجوههم إلى الواحد الأحد.

لقد كان المحور الذي يدور حوله القرآن كله هو الحديث عن الله تبارك وتعالى وصفاته وفعله في الكون وبيان عظمته وجلاله، والدعوة إلى الاستجابة لشرعه، والابتعاد عن مقته وغضبه، وبيان فعله بأهل طاعته وأهل معصيته.

ولقد كان هذا الحديث على هذا النحو -ولا يزال- هو الذي يهز النفوس، ويحرك القلوب، ويزيل الأدران والأرجاس، التي تحبس الإنسان عن الخير"[1].

إن العلم بأسماء الله وصفاته على الوجه الذي ينبغي شرعا، يقود العباد إلى ما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة، فعلم تزكية النفوس جميعه مقتضى من مقتضيات العلم بأسماء الله وصفاته، فمهما ترقيت في منازل تزكية نفسك، وإقامتها على الصراط السوي، فأنت بذلك ما عبدت ربك وهذبت نفسك إلا بآثار هذه الأسماء والصفات له تبارك وتعالى وهذه الآثار كثيرة.

٢- الخوف من الله:

وقد ذكرت ذلك في آثار توحيد الألوهية فمن أراد استزادة فليرجع إلى هناك.

وهنا أذكر ذلك باقتضاب، فالعبد يخاف الله تبارك وتعالى إذا علم أن من أسمائه وصفاته الجبار، القابض، القادر، القدير، القهار القوي الكبير، المتكبر المتين، المهيمن وهذه الأسماء حق على حقيقتها بصفاتها.

---

١) (أسماء الله وصفاته/١٩).

ويخاف العبد من الله إذا علم أن من صفاته، الانتقام من المجرمين، والاستهزاء بالكافرين، والغضب، والجبروت، والخداع لمن خدعه، والسخط، والشدة، والغلبة، والقهر، والمكر على من يمكر به، والهيمنة، وغير ذلك.

إذا ما علم العبد أن إلهه الذي يعبده هذه أسماؤه وهذه صفاته، لم يتوان في الإتيان بالطاعات، والبعد عن المحرمات، وعلم أن الله أخذه أليم شديد، وأنه قادر على مجازاة المجرمين والفسقة والكافرين.

٣- آثار الأسماء والصفات في العبودية:

قال ابن القيم رحمه الله: والأسماء الحسنى والصفات العلا مقتضية لآثارها من العبودية والأمر اقتضاءها لآثارها من الخلق والتكوين.

فلكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها، أعني من موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها، وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح(١).

أ- التعبد بأسماء الله تعالى وصفاته:

ويقول أيضا: فعلم العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة يثمر له عبودية التوكل عليه باطنًا، ولوازم التوكل وثمراته ظاهرًا.

وعلمه بسمعه تعالى وبصره، وعلمه أنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض فإنه يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضى الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه، فيثمر له ذلك

---

١) (مفتاح دار السعادة/٢/٥١٠-٥١١).

الحياء باطنا، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح. ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبره وإحسانه ورحمته توجب له سعة الرجاء، ويثمر له ذلك من أنواع العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه.

وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعزته تثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة. وكذلك علمه بكماله وجماله وصفاته العلى يوجب له محبة خاصة بمنزلة أنواع العبودية فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات[1] .

ويقول الشيخ أحمد فريد حفظه الله: وعلم التعبد بأسماء الله ﷻ علم عزيز في الخلق، فإذا وقفت على شيء منه من علماء السلف فعض عليه بالنواجذ، وأحضر قلبك معانيه، فلا تشرق شمس الإيمان في قلوب العباد كما تشرق بمعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته، والذين فتح لهم في هذا العلم أفراد من العباد، جمعوا بين علم السلف والزهد والعبادة والسعادة، وعلى رأس هؤلاء شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية[2].

ب- التعبد بأسمائه "الأول والآخر والظاهر والباطن":

يقول ابن القيم رحمه الله: والتعبد بهذه الأسماء رتبتان:

الرتبة الأولى: أن تشهد الأولية منه تعالى في كل شيء، والآخرية بعد كل شيء، والعلو والفوقية فوق كل شيء، والقرب والدنو دون كل شيء، فالمخلوق يحجبه مثله عما هو دونه، فيصير الحاجب بينه وبين المحجوب، والرب جل جلاله ليس دونه شيء أقرب إلى الخلق منه.

---

١) (مفتاح دار السعادة/٢/٥١٠-٥١١).
٢) (طريق السعادة/١٢٢).

والمرتبة الثانية من التعبد: أن يعامل كل اسم بمقتضاه، فيعامل سبقه تعالى بأوليته لكل شيء، وسبقه بفضله وإحسانه الأسباب كلها بما يقتضيه ذلك من إفراده وعدم الالتفات إلى غيره، والوثوق بسواه والتوكل على غيره. فمن ذا الذي شفع لك في الأزل حيث لم تكن شيئًا مذكورًا حتى سماك باسم الإسلام، ووسمك بسمة الإيمان، وجعلك من أهل قبضة اليمين، فعصمك عن العبادة للعبيد، وأعتقك من التزام الرق لمن له شكل ونديد، ثم وجه وجهة قلبك إليه سبحانه دون ما سواه.

فاضرع إلى الذي عصمك من السجود للصنم، وقضى لك بقدم الصدق في القِدَم، أن يتم عليك نعمة هو ابتدأها، وكانت أوليتها منه بلا سبب منك، واسْمُ بهمتك عن ملاحظة الاختيار، ولا تركنن إلى الرسوم والآثار، ولا تقنع بالخسيس الدون، وعليك بالمطالب العالية، والمراتب السامية التي لا تُنال إلا بطاعة الله، فإن الله سبحانه قضى أن لا ينال ما عنده إلا بطاعته.

ومن كان لله كما يريد كان الله له فوق ما يريد، فمن أقبل إليه تلقاه من بعيد، ومن تصرف بحوله وقوته ألان له الحديد، ومن ترك لأجله أعطاه فوق المزيد، ومن أراد مراده الديني أراد ما يريد، ثم اسْمُ بسرك إلى المطلب الأعلى، واقصر حبك على من سبق فضله وإحسانه إليك كل سبب منك، بل هو الذي جاء عليك بالأسباب، وهيأ لك وصرف عنك موانعها، وأوصلك بها إلى غايتك المحمودة، فتوكل عليه وحده، وعامله وحده، وآثر رضاه وحده، واجعل حبه ورضاه هو كعبة قلبك التي لا تزال طائفًا بها، مستلمًا لأركانها.

فيا فوزك ويا سعادتك إن اطلع سبحانه على ذلك من قلبك، ماذا يفيض عليك من ملابس نعمه، وخلع أفضاله: اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما

منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد سبحانك وبحمدك. ثم تعبد باسمه "الآخر" بأن تجعله وحده غايتك التي لا غاية لك سواه، ولا مطلوب لك وراءه، فكما انتهت إليه الأواخر، وكان بعد كل آخر، فكذلك اجعل نهايتك إليه، فإن إلى ربك المنتهى، إليه انتهت الأسباب والغايات، فليس وراءه مرمى ينتهي إليه، والتعبد باسمه "الظاهر" يجمع القلب على المعبود، ويجعل له ربًا يقصده، وصمدًا يصمد إليه في حوائجه، وملجأ يلجأ إليه.

فإذا استقر ذلك في قلبه وعرف ربه باسمه الظاهر استقامت له عبوديته، وصار له معقل وموئل يلجأ إليه ويهرب إليه ويفر كل وقت إليه.

وأما التعبد باسمه "الباطن" فإذا شهدت إحاطته بالعوالم، وقرب العبيد منه، وظهور البواطن له، وبُدُوّ السرائر، وأنه لا شيء بينه وبينها، فعامله بمقتضى الشهود، وطهر له سريرتك، فإنها عنده علانية وأصلح له غيبك، فإنه عنده شهادة، وزك له باطنك فإنه عنده ظاهر.

فانظر كيف كانت هذه الأسماء الأربعة جماع المعرفة بالله، وجماع العبودية له، فهنا وقفت شهادة العبد مع فضل خالقه ومنته، فلا يرى لغيره شيئًا إلا به وبحوله وقوته، وغاب بفضل مولاه الحق عن جميع ما منه هو مما كان يستند إليه أو يتحلى به[1] اهـ.

ج- التعبد بما يحب الله التعبد به من معاني أسمائه وصفاته:

قال ابن القيم رحمه الله: القرآن الكريم كلام الله، وقد تجلى فيه لعباده بصفاته، فتارة يتجلى في جلباب الهيبة والعظمة والجلال، فتخضع الأعناق،

---

١) (طريق الهجرتين../١٨-٢٥).

وتنكسر النفوس، وتخشع الأصوات، ويذوب الكبر كما يذوب الملح في الماء، وتارة يتجلى في صفات الجمال والكمال، وهو كمال الأسماء، وجمال الصفات وجمال الأفعال الدالة على كمال الذات، فيستنفذ حبه من قلب العبد قوة الحب كلها، بحسب ما عرفه من صفات جماله، ونعوت كماله، فيصبح فؤاد عبده فارغًا إلا من محبته، فإذا أراد منه الغير أن يعلق تلك المحبة به، أبى قلبه وأحشاؤه ذلك كل الإباء كما قيل:

يُرادُ من القلبِ نِسْيانُكُمْ ... وتأبى الطِّباعُ على الناقِلِ

فتبقى المحبة له طبعًا لا تكلفًا.

وإذا تجلى بصفات الرحمة والبر واللطف والإحسان، انبعثت قوة الرجاء من العبد، وانبسط أمله، وقوي طمعه، وسار إلى ربه وحادي الرجاء يحدو ركاب سيره، وكلما قوي الرجاء جدَّ في العمل، كما أن الباذر كلما قوي طمعُه في المغَلِّ غلَّق أرضه بالبذر وإذا ضعف رجاؤه قصَّر في البذر.

وإذا تجلى بصفات العدل والانتقام والغضب والسخط والعقوبة، انقمعت النفس الأمارة، وبطلت أو ضعفت قواها من الشهوة والغضب واللهو واللعب والحرص على المحرمات، وانقبضت أعِنَّة رعوناتها، فأحضرت المطية حظها من الخوف والخشية والحذر.

وإذا تجلى بصفات الأمر والنهي والعهد والوصية وإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وشرع الشرائع، انبعثت منها قوة الامتثال والتنفيذ لأوامره والتبليغ لها، والتواصي بها، وذكرها وتذكيرها، والتصديق بالخبر والامتثال للطلب والاجتناب للنهي.

وإذا تجلى بصفة السمع والبصر والعلم، انبعث من العبد قوة الحياء فيستحي ربه أن يراه على ما يكره، أو يسمع منه ما يكره، أو يخفي في سريرته ما يمقته عليه، فتبقى حركاته وأقواله وخواطره موزونة بميزان الشرع، غير مهملة ولا مرسلة تحت حكم الطبيعة والهوى. وإذا تجلى بصفات الكفاية والحسب والقيام بمصالح العباد، وسوق أرزاقهم إليهم، ودفع المصائب عنهم، ونصرُه لأوليائه وحمايته لهم، ومعيته الخاصة لهم، انبعث من العبد قوة التوكل عليه، والتفويض إليه، والرضا به، وما في كل ما يجريه على عبده ويقيمه فيه مما يرضى به هو سبحانه.

والتوكل معنى يلتئم من علم العبد بكفاية الله وحسن اختياره لعبده وثقته به ورضاه بما يفعله به ويختاره له، وإذا تجلى بصفات العز والكبرياء أعطت نفسه المطمئنة ما وصلت إليه من الذل لعظمته، والانكسار لعزته، والخضوع لكبريائه، وخشوع القلب والجوارح له، فتعلوه السكينة والوقار في قلبه ولسانه وجوارحه وسمته، ويذهب طيشه وقوته وحدته.

وجماع ذلك أنه سبحانه يتعرف إلى العبد بصفات إلهيته تارة، وبصفات ربوبيته تارة، فيوجب له شهود صفات الإلهية الصحبة الخالصة، والشوق إلى لقائه والأنس والفرح به، والسرور بخدمته، والمنافسة في قربه، والتودد إليه بطاعته، واللهج بذكره، والفرار من الخلق إليه، ويصير هو وحده همه دون ما سواه، ويوجب له شهود صفات الربوبية، التوكل عليه، والاستعانة به، والذل والخضوع والانكسار له، وكمال ذلك أن يشهد ربوبيته في إلهيته، وإلهيته في ربوبيته، وحمده في ملكه، وعزه في عفوه، وحكمته في قضائه وقدره، ونعمته في بلائه، وعطاءه في منعه، وبره ولطفه وإحسانه، ورحمته في قيوميته، وعدله في

انتقامه، وجوده وكرمه في مغفرته، وستره وتجاوزه، ويشهد حكمته ونعمته في أمره ونهيه، وعزه في رضاه وغضبه، وحلمه في إمهاله، وكرمه في إقباله، وغناه في إعراضه[1] اهـ.

يقول الشيخ أحمد فريد حفظه الله: والعجب من ابن القيم رحمه الله الذي صدر منه هذا الكلام الذي يدل على علو كعبه في الإيمان، وارتفاع رتبته وسمو درجته يقول هضمًا لنفسه [2] في "طريق الهجرتين": فوا أسفاه، وواحسرتاه، كيف ينقضي الزمان وينفذ العمر والقلب محجوب ما شم لهذا رائحة، وخرج من الدنيا كما دخل إليها، وما ذاق أطيب ما فيها، بل عاش فيها عيش البهائم وانتقل منها انتقال المفاليس، فكانت حياته عجزًا، وموته كمدًا، ومعاده حسرة وأسفًا، فاللهم فلك الحمد، وإليك المشتكى، وأنت المستعان، وبك المستغاث، وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بك[3] اهـ.

د- التخلق بما يحب الله التخلق به من معاني أسمائه وصفاته:

وهذه من أجل الآثار الناتجة عن الإيمان بأسماء الله وصفاته ذكرها العلامة ابن باز رحمه الله ووضحها فقال في معرض جوابه على سؤال وجِّه له مفاده.

هل يجوز ما قاله بعض الخطباء في خطبة الجمعة من الحث على الاتصاف بصفات الله، والتخلق بأخلاقه، هل لها محمل؟ وهل سبق أن قالها أ حد...؟

فقال -رحمه الله-: الجواب: هذا التعبير غير لائق، ولكن له محمل صحيح، وهو الحث على التخلق بمقتضى صفات الله وأسمائه وموجبها، وذلك بالنظر

١) (الفوائد/١٧٣-١٧٦).
٢) (طريق السعادة/١٣٠).
٣) (طريق الهجرتين/٢١٦).

إلى الصفات التي يحسن من المخلوق أن يتصف بمقتضاها، بخلاف الصفات المختصة بالله كالخلاق والرزاق والإله ونحو ذلك، فإن هذا شيء لا يمكن أن يتصف به المخلوق، ولا يجوز أن يدعيه، وهكذا ما أشبه هذه الصفات، وإنما المقصود الصفات التي يحب الله من عباده أن يتصفوا بمقتضاها، كالعلم والقوة في الحق، والرحمة والحلم والكرم والجود والعفو وأشباه ذلك.

فهو سبحانه عليم يحب العلماء، قوي يحب المؤمن القوي، أكثر من حبه للمؤمن الضعيف، كريم يحب الكرماء، رحيم يحب الرحماء، عفو يحب العفو، إلخ، لكن الذي لله سبحانه من هذه الصفات وغيرها أكمل وأعظم من الذي للمخلوق، بل لا مقارنة بينهما، لأنه سبحانه ليس كمثله شيء في صفاته وأفعاله، كما أنه لا مثيل له في ذاته.

وإنما حسب المخلوق أن يكون له نصيب من معاني هذه الصفات، يليق به ويناسبه على الحد الشرعي، فلو تجاوز الحد صار مسرفًا، ولو تجاوز في الرحمة الحد عطل الحدود والتعزيرات الشرعية، وهكذا لو زاد في العفو على الحد الشرعي وضعه في غير موضعه[1] اهـ.

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: ولما كان سبحانه هو الشكور على الحقيقة كان أحب خلقه إليه من اتصف بصفة الشكر، كما أن أبغض خلقه إليه من عطلها واتصف بضدها، وهذا شأن أسمائه الحسنى أحب خلقه إليه من اتصف بموجبها، وأبغضهم إليه من اتصف بأضدادها، ولهذا يبغض الكفور والظالم والجاهل والقاسي القلب والبخيل والجبان والمهين واللئيم، وهو سبحانه جميل

---

١) (مجموع فتاوى ومقالات متنوعة/١/١٣٨، ١٣٩).

يحب الجمال، عليم يحب العلماء... وتر يحب الوتر، وكل ما يحبه فهو من آثار أسمائه وصفاته وموجبها، وكل ما يبغضه فهو مما يضادها وينافيها. اهـ.

٤- العلم بأسماء الله وصفاته هو الطريق إلى معرفة الله:

قال الدكتور عمر الأشقر حفظه الله:

إذا شاء العباد أن يعرفوا ربهم ويزدادوا به علمًا فليس أمامهم من طريق إلا التعرف إليه عبر النصوص الواصفة له، والمصرحة بأفعاله وأسمائه، لأن الله غيب لا يُرى في الحياة الدنيا.

انظر إلى قوله تعالى معرفًا بنفسه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾[1].

وانظر إلى قوله تعالى:

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۞ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[2].

---

١) البقرة: ٢٥٥.
٢) الحشر: ٢٢، ٢٣.

وعندما سأل فرعون موسى -عليه السلام- عن ربه الذي أرسله عرفه بأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ * قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1].

والنصوص الواردة في هذا كثيرة، بل القرآن كله حديث عن الله تبارك وتعالى، وقد أوجز القرآن خلاصة الرسالات السماوية في آية واحدة من كتابه، هي قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[2].

وقال موجزًا خلاصة ما أوحاه الله إلى رسوله ﷺ:

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[3]، ولا يستطيع العباد إدراك حقيقة العبودية وتحقيقها قولاً وعملاً إذا لم يعرفوا صفات الباري جل وعلا.

ومن هنا ندرك عظم جناية الذين ينفون عن الله صفاته وأسماءه وأفعاله أو شيئًا منها، لأنهم بذلك يغلقون باب المعرفة بالله تبارك وتعالى، فالموجود إذا جهلت صفاته وأسماؤه وأفعاله، أصبح فكرة مجردة لا يكاد صاحبها ينتفع بها.

---

١) الشعراء: ٢٣-٢٨.
٢) الأنبياء: ٢٥.
٣) الأنبياء: ١٠٨.

والذين انحرف بهم المسار فنفوا عن الله صفاته أغلقوا من باب المعرفة الإلهية بمقدار ما نفوه من الأسماء والصفات فإنه يمتنع كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: معرفة ذات الله بدون معرفة شيء من أسمائه وصفاته الثبوتية والسلبية، ولو قدر ذلك أو فرض العبد في نفسه ذاتًا مجردة عن جميع القيود السلبية والثبوتية فليس ذلك معرفة بالله البتة.

وقد أخطأ خطأ عظيمًا من ظن أن رب العالمين ذات مجردة عن كل أمر سلبي أو ثبوتي، ولهذا لم يتجه هذا الاتجاه، أعني السلب الكلي لما هو ثبوتي أو عدمي إلا القرامطة الباطنية ويقررون فيما يقررونه من باطل عدم جواز إطلاق الوجود أو العدم على الله، وكذلك يأبون أن يطلق على الله كونه عالمًا أو ليس بعالم، أو قادرًا أو ليس بقادر[1].

٥- أثر عقيدة الفوقية في قلب المؤمن:

قال أبو محمد الجويني رحمه الله ما ملخصه: العبد إذا أيقن أن الله تعالى فوق السماء عالٍ على عرشه بلا حصر ولا كيفية، وأنه الآن في صفاته كما كان في قدمه، صار لقلبه قبلة في صلاته وتوجهه ودعائه.

ومن لا يعرف ربه بأنه فوق سماواته على عرشه، فإنه يبقى ضائعًا لا يعرف وجهة معبوده، لكن لو عرفه بسمعه وبصره وقدمه، وتلك بلا هذا الإيقان معرفة ناقصة بخلاف من عرف أن إلهه الذي يعبده فوق الأشياء فإذا دخل في الصلاة وكبر، توجه قلبه إلى جهة العرش منزهًا ربه تعالى عن الحصر مفردًا له، كما أفرده في قِدَمه وأزليته، ويعتقد أنه في علوه قريب من خلقه، هو

---

١) (مجموع الفتاوى/١٧/١٠٥) (أسماء الله وصفاته../١٦-١٨).

معهم بعلمه وسمعه وبصره وإحاطته وقدرته ومشيئته، وذاته فوق الأشياء، فوق العرش.

ومتى شعر قلبه بذلك في الصلاة أو التوجه أشرق قلبه واستنار وأضاء بأنوار المعرفة والإيمان، وعكسته أشعة العظمة على عقله وروحه ونفسه، فانشرح لذلك صدره وقوي إيمانه ونزه ربه عن صفات خلقه من الحصر والحلول وذاق حين ذلك من أذواق السابقين المقربين بخلاف من لا يعرف وجهة معبوده، وتكون الجارية راعية الغنم أعلم بالله منه فإنها قالت: "في السماء" عرفت بأنه على السماء، فإن "في" بمعنى على، فمن ثم تكون راعية الغنم أعلم بالله منه، لكونه لا يعرف وجهة معبوده، فإنه لا يزال مظلم القلب لا يستنير بأنوار المعرفة والإيمان."[1] .اهـ.

٦- العلم بأسماء الله وصفاته أصل للعلم بكل ما سواه:

"العلم بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا أصل للعلم بكل معلوم، فإن المعلومات غير الله -تبارك وتعالى- قسمان:

الأول: المخلوقات التي أنشأها الله -تبارك وتعالى- وكوّنها وأوجدها.

والثاني: الأوامر التي أمر بها، وهي قسمان: الأمر الكوني الذي خلق به الخلق، والأمر الشرعي الديني.

١) قال الشيخ أحمد فريد: نقلا عن مقدمة الألباني لكتاب (مختصر العلو) ونسبه رحمه الله للجويني في رسالة الاستواء والفوقية، وحقق بعض إخواننا نسبة هذه الرسالة وصحح أنها منسوبة لابن شيخ الحزامين ص(٧٧، ٧٨) انظر (الثمرات الزكية/٦٢).

والله -تبارك وتعالى- هو صاحب الخلق والأمر ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[1] ومصدر الخلق والأمر عن أسمائه الحسنى، وهما مرتبطان بالأسماء الحسنى ارتباط المقتضى بمقتضيه.

فالأمر كله مصدره عن أسمائه الحسنى، وهذا كله حسن لا يخرج عن مصالح العباد والرأفة والرحمة بهم، والإحسان إليهم بتكميلهم بما أمرهم به، ونهاهم عنه، فأمره كله مصلحة وحكمة ورحمة ولطف وإحسان، إذ مصدره أسماؤه الحسنى.

وفعل الله لا يخرج عن العدل والحكمة والمصلحة والرحمة، إذ مصدره أسماؤه الحسنى، فلا تفاوت في خلقه ولا عبث، ولم يخلق خلقه باطلاً ولا سُدى ولا عبثًا، وكما أن كل موجود سواه فبإيجاده، فوجود سواه تابع لوجوده، تبع المفعول المخلوق لخالقه، فكذلك العلم به أصل للعلم بكل ما سواه، فالعلم بأسمائه وإحصاؤها أصل لسائر العلوم، فمن أحصى أسماءه كما ينبغي للمخلوق أحصى جميع العلوم، إذ إحصاء أسمائه أصل لإحصاء كل معلوم، لأن المعلومات هي من مقتضاها ومرتبطة بها.

وتأمل صدور الخلق والأمر عن علمه وحكمته تعالى، ولهذا لا تجد فيها خللاً ولا تفاوتًا، لأن الخلل الواقع فيما يأمر به العبد أو يفعله، إما أن يكون لجهل به، أو لعدم حكمته، وأما الرب تعالى فهو العليم الحكيم، فلا يلحق فعله ولا أمره خلل ولا تفاوت ولا تناقض"[2] اهـ.

---

١) الأعراف: ٥٤.
٢) (أسماء الله وصفاته./٢٤-٢٥).

٧- زيادة الإيمان:

"الإيمان يزيد بالعلم والعمل، فكلما علم العبد عن الله وآياته شيئًا ازداد إيمانًا، وكذلك إذا استجاب العبد لما أمره الله به ازداد إيمانًا.

وينقص الإيمان بنقص العلم والعمل، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾[1].

فالمؤمنون يصدقون بآيات الله المنزلة وما تضمنته من علوم وتشريعات مع عزمهم على الامتثال لما دعتهم إليه، وهذا يزيد إيمانهم، أما المنافقون فإنها تزيدهم كفرًا بسبب تكذيبهم واستكبارهم عن الاستجابة لله.

ولا شك أن من أعظم ما جاءت به النصوص وبينته: أسماء الله وصفاته، فمن آمن بها وَفقِه معناها، وعمل بمقتضاها، فإن إيمانه يزداد زيادة عظيمة.

إن العلم بأسماء الله وصفاته والفقه لمعناها والعمل بمقتضاها، وسؤال الله بها يوجد في قلوب العابدين تعظيم الباري، وتقديسه ومحبته، ورجاءه، وخوفه والتوكل عليه، والإنابة إليه، بحيث يصبح الباري في قلوبهم المثل الأعلى الذي لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته، وليس لأحد مثل هذه المكانة التي في قلوبهم، وبذلك يحقق العبد التوحيد القلبي، وتتحقق العبودية لله، وتخضع القلوب لجلاله، وتسكن النفوس لعظمته"[2].

---

١) التوبة: ١٢٤-١٢٥.

٢) (أسماء الله وصفاته./٢٥-٢٦).

٨- ذكر الله بذكر أسمائه وصفاته:

قال الشيخ: عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر حفظه الله: إن من أجلّ الذكر وأفضله، ذكر الرب تبارك وتعالى بذكر أسمائه الحسنى وصفاته العظيمة، والثناء عليه بما هو أهله، بما أثنى به على نفسه، وبما أثنى عليه به عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم من نعوت الجلال وصفات الكمال وأنواع المحامد ونحو ذلك، إذ أن الذكر نوعان:

أحدهما: ذكر أسماء الرب الحسنى وصفاته العظيمة والثناء عليه بها، وتنزيهه سبحانه وتقديسه عما لا يليق به تبارك وتعالى، وهذا أيضًا نوعان:

أحدهما: إنشاء الثناء عليه بها من الذاكر، وهذا النوع هو المذكور في الأحاديث المشتملة على الحث على حمد الله وتكبيره وتسبيحه وحسن الثناء عليه.

ومن ذلك قوله ﷺ: «أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»(١)، وقوله ﷺ: «من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حُطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»(٢).

وكذلك قوله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله و بحمده، سبحان الله العظيم»(٣).

---

١) مسلم: كتاب الآداب، باب: كراهة التسمية بالأسماء القبيحة، وبنافع ونحوه، رقم (٥٥٦٦) (نووي/١٤/٣٤٣).

٢) البخاري: كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، رقم (٦٤٠٥) (فتح/١١/٢٤٦).

٣) البخاري: كتاب الأيمان والنذور، باب: إذا قال والله لا أتكلم اليوم فصلى أو قرأ أو سبح أو حمد أو هلل فهو على نيته. رقم (٦٦٨٢) (فتح/١١/٦٩٤).

وأفضل هذا النوع أجمعه للثناء وأعمُّه نحو قول: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته، فهذا أفضل من مجرد: سبحان الله.

وكذلك قول: الحمد لله عدد ما خلق، والحمد لله ملء ما خلق، والحمد لله عدد ما في السماوات والأرض، والحمد لله ملء ما في السماوات والأرض، فهذا أفضل من مجرد قول: الحمد لله.

عن جويرية رضي الله عنها أن النبي ﷺ خرج من عندها بُكرة حين صلى الصبح، وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى، وهي جالسة، فقال:«ما زلت على الحال التي فارقْتُكِ عليها؟» قالت: نعم. قال النبي ﷺ: « لقد قلت بعدك أربع كلمات، ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن، سبحان الله وبحمده، عدد خلقه ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته»[1].

وعن أبي أمامة الباهلي أن رسول الله ﷺ مر به وهو يحرك شفتيه فقال: «ماذا تقول يا أبا أمامة؟» قال: أذكر ربي. قال:«ألا أخبرك بأكثر وأفضل من ذكر الليل مع النهار والنهار مع الليل أن تقول: سبحان الله عدد ما خلق، وسبحان الله ملء ما خلق، وسبحان الله عدد ما في الأرض والسماء، وسبحان الله ملء ما في الأرض والسماء، وسبحان الله عدد ما أحصى كتابه، وسبحان الله عدد كل شيء، وسبحان الله ملء كل شيء، وتقول: الحمد لله مثل ذلك»[2].

---

١) مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التسبيح أول النهار وعند النوم رقم (٦٨٥١) (نووي/١٧/٤٦).

٢) صحيح: رواه الإمام أحمد في المسند، والطبراني في الكبير، والحاكم في المستدرك، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٦١٥).

فهذا جميعه من ذكر أسماء الرب وصفاته.

والنوع الثاني من هذا: هو الخبر عن الرب تعالى بأحكام أسمائه وصفاته نحو قولك: الله ﷻ يسمع أصوات عباده، ويرى حركاتهم، ولا تخفى عليه من أعمالهم خافية، وهو أرحم به من آبائهم وأمهاتهم وهو على كل شيء قدير، وهو أفرح بتوبة عبده من الفاقد راحلته، ونحو ذلك من الثناء عليه بما هو أهله مما أثنى به على نفسه، وما أثنى به عليه عبده ورسوله محمد ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل.

وهذا النوع يندرج تحته ثلاثة أنواع: حمد وثناء وتمجيد. فالحمد: الإخبار عنه بصفات كماله سبحانه وتعالى مع محبته والرضى به، فلا يكون المحب الساكت حامدًا، ولا المثني بلا محبة حامدًا حتى يجمع له المحبة والثناء، فإن كرر الحامد شيئًا بعد شيء كانت ثناءً، فإن كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك كان مجدًا.

وقد جمع الله تعالى الأنواع الثلاثة في أول سورة الفاتحة، فإذا قال العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال الله: أثنى علي عبدي، وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ قال الله: مجدني عبدي[1].

إن ما تقدم هو النوع الأول من أنواع الذكر، وهو ذكر الرب بذكر أسمائه وصفاته، وهو نوعان كما سبق.

أما النوع الثاني: فهو ذكر أمر الرب ونهيه وأحكامه. وهو أيضًا نوعان:

---

١) مسلم: كتاب الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ... رقم (٨٧٦) (نووي/٤/٣٢٤).

أحدهما: ذكره سبحانه بذلك إخبارًا عنه بأنه أمر بكذا، ونهي عن كذا، وأحب كذا، وسخط كذا، ورضي كذا، فكل هذا من ذكر الله تبارك وتعالى، ولهذا فإن مجالس العلم التي يبين فيها الحلال والحرام، وتوضح فيها الأحكام مجالس ذكر لله، قال عطاء الخرساني: "مجالس الذكر مجالس الحلال والحرام، كيف تشتري وتبيع، وتصلي وتصوم، وتنكح وتطلق وتحج وأشباه هذا"

فليست مجالس الذكر مختصة بالمجالس التي يذكر فيها اسم الرب بالتسبيح والتحميد والتكبير ونحو هذا، بل هي شاملة للمجالس التي يذكر فيها أمره ونهيه وحلاله وحرامه، وما يحبه ويرضاه، وما يكرهه ويأباه، بل ربما كان هذا الذكر أنفع من ذلك.

والنوع الثاني: ذكره سبحانه عند أمره فيبادر إليه، وعند نهيه فيهرب منه، فامتثال العبد لأوامر الله وانقياده لشرعه وإذعانه لحكمه واجتنابه لنواهيه، كل ذلك من إقامة ذكر الله تعالى، فذكر أمره ونهيه شيء، وذكره عند أمره ونهيه شيء آخر[1].

٩- أعظم موجبات الحمد العلم بأسماء الرب وصفاته:

قال ابن القيم رحمه الله: "لا ريب أن الحمد كله لله رب العالمين، فإنه سبحانه المحمود على كل شيء، وهو المحمود على ما خلقه وأمر به ونهى عنه، والحمد أوسع الصفات وأعم المدائح وأعظم الثناء، والطرق إلى العلم به في غاية الكثرة، لأن جميع أسمائه تبارك وتعالى حمد، وصفاته حمد، وأفعاله حمد، وأحكامه حمد، وعدله حمد، وانتقامه من أعدائه حمد، وفضله وإحسانه إلى أوليائه حمد، والخلق والأمر إنما قام بحمده، ووجد بحمده، وظهر بحمده، وكان

---

١) (فقه الأدعية والأذكار/١١٤-١١٨) عن (الوابل الصيب لابن القيم).

الغاية منه هي حمده، فحمده سبحانه سبب ذلك وغايته ومظهره وحامله، فحمده روح كل شيء، وقيام كل شيء بحمده، وسريان حمده في الموجودات وظهور آثاره أمر مشهود بالأبصار والبصائر.

وقد نبه سبحانه على شمول حمده لخلقه وأمره بأن حمد نفسه في أول الخلق وآخره، وعند الأمر والشرع، وحمد نفسه على ربوبيته للعالمين، وحمد نفسه على تفرده بالإلهية وعلى حياته، وحمد نفسه على امتناع اتصافه بما لا يليق به من اتخاذ الولد والشريك إلى غير ذلك من أنواع ما حمد الله به نفسه في كتابه.

ولهذا فإن من الطرق العظيمة الدالة على شمول معنى الحمد وتناوله لجميع الأشياء معرفة العبد لأسماء الرب تبارك وتعالى وصفاته وإقراره بأن للعالم إلهًا حيًا جامعًا لكل صفة كمال، واسم حسن وثناء جميل وفعل كريم. وهو سبحانه يحب أسماءه وصفاته ويحب المتعبدين له بها، ويحب من يسأله ويمدحه بها، ويحب من يعرفها ويعقلها ويثني عليه بها، ويحمده ويمدحه بها.

كما في الصحيح عن النبي ﷺ قال:.« **ليس أحد أحب إليه المدح من الله، من أجل ذلك مدح نفسه، وليس أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش**»[1] [2].

قال الشيخ عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر -حفظه الله-:

---

١) مسلم: كتاب التوبة، باب: غيرة الله تعالى، وتحريم الفواحش، رقم (٦٩٢٣) (نووي/١٧/٧٩).
٢) (طريق الهجرتين/١٢٩-١٣٣).

وبهذا يُعلم أن من كان له نصيب من معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العليا الواردة في كتابه وسنة رسوله ﷺ علم تمام العلم أن الله لا يكون له من ذلك إلا ما يوجب الحمد والثناء.

فالحمد موجب أسمائه الحسنى وصفاته العليا وأفعاله الحميدة، ولا يُخْبَرُ عنه سبحانه إلا بالحمد، ولا يُثنى عليه إلا بأحسن الثناء، كما لا يسمى إلا بأحسن الأسماء.

فكل صفة عليا واسم حسن وثناء جميل، وكل حمد ومدح وتسبيح وتنزيه وتقديس وإجلال وإكرام، فهو لله ﷻ على أكمل الوجوه وأتمها وأدومها.

فسبحان الله وبحمده لا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثنى به عليه خلقه، فله الحمد أولاً وآخرًا حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا الكريم ويرضى[1].

١٠- محبة الله تعالى:

وهذه المحبة هي من أعظم ثمرات الإيمان بأسماء الله وصفاته تعالى، وذلك "أن المؤمن متى شاهد بعين فؤاده وبصيرته عظيم قدرة الله تعالى وحكمته، وعلمه وعظمته، ومتى آمن باتصاف الله تعالى بكل جمال وكمال، وتنزهه عن كل عيب، ومتى رأى بعين بصيرته نعوت الجلال والكمال لله تعالى، ومتى ما رأى حلم الله تعالى، وعدم معاجلته للعصاة بالعقوبة، بل يمهلهم، ويصبر عليهم، ومتى شاهد رحمة الله الواسعة حيث يرزق عباده، مؤمنهم وكافرهم، ولا يقطع عنهم رزقه بذنوبهم، متى ما رأى المؤمن ويشاهد كل ذلك، وآمن به،

---

١) (فقه الأدعية والأذكار/٢٤٧-٢٤٨).

ووقر ذلك في نفسه، امتلأ قلبه بمحبة الله تعالى، بحيث لا تقاربها أو تدانيها محبة.

كما قال تعالى عن المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[1]، فتغلب محبة الله تعالى محبة الزوجة والولد، بل ومحبة النفس، كما في الحديث الصحيح: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»[2].

بل وتكون جميع محابه فرعًا من محبة الله وتبعًا لها، فلا يحب إلا بالله، ولله، وفي الله، وهذه المحبة تجعله يحب الصالحين، لأنهم أهل لمحبة الله تعالى، ويحب العمل الصالح لأنه محبوب لله تعالى، ومعين على محبة الله تعالى، وهكذا تكون محبة الله تعالى هي المستولية على العبد والمؤثرة في جميع محابّه.

وينبغي للعبد أن يعلم أنه لن يحب الله تعالى إلا إذا كان قد سبقت له المحبة من الله تعالى، فإن الله ﷻ إذا أحب عبده وفقه لمحبته، وأعانه على تحصيلها، وإذا اجتهد العبد في تحصيل هذه المحبة، ازدادت محبة الله تعالى له، كما قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[3] فبدأ سبحانه وتعالى بذكر محبته لهم قبل ذكر محبتهم له، هذا مع أن حرف الواو لا يفيد الترتيب ضرورة، لكن في الترتيب الوارد في الآية إشارة إلى ما ذكرنا. والله أعلم.

---

١) البقرة: ١٦٥.
٢) سبق تخريجه.
٣) المائدة: ٥٤.

وكيف لا تغلب محبة الله في قلب المؤمن كل محبة؟ وكيف لا يمتلئ بها قلبه حتى تشغله عن محبة ما سواه؟ والله تعالى هو أكثر شيء إحسانًا إلى الإنسان وإنعامًا عليه، وصفحًا عن خطئه، وحلمًا عن جهله، وإكرامًا وتفضيلاً له على سائر الخلق، وهو الذي أوجده من العدم، ومتعه بسائر صنوف النعم، أفلا يوجب كل ذلك المحبة الكاملة الخالصة له تعالى في قلوب عباده المؤمنين؟

ولهذه المحبة ثمرات ونتائج عديدة، منها:

١- أن لا يحب المؤمن إلا الصالحين من الناس، لأنهم أهل محبة الله تعالى.

٢- أن يحب المؤمن الأعمال الصالحة، من أعمال الخير والبر والطاعات، لأنها محبوبة لله، ولأنها هي التي تعينه على تحصيل محبة الله تعالى.

٣- أن يبغض المؤمن كل ما يبغضه الله تعالى، من الكفار والمنافقين والعصاة، والأعمال الخبيثة وغير ذلك، لأن الله تعالى يبغض كل ذلك، ويكرهه، ويكره أهله، ولأن من أحب شيئًا كان هواه دائرًا مع رضى محبوبه.

٤- المسارعة إلى أداء الفرائض؛ لأنها مأمور بها من الله تعالى، وعدم التقاعس عنها، ثم المبادرة إلى الاستزادة من النوافل، والاستكثار منها، لأن كل ذلك معين على محبة الله تعالى كما في الحديث القدسي الشريف:«.. **وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها»**[1] الحديث.

---

١) البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع. رقم (٦٥٠٢) (فتح/١١/٤١٤).

٥- اجتناب المعاصي وكل ما يغضب الله تعالى، لأن كل ذلك مكروه عند الله ﷻ، والمحب حقيقة لا يمكنه أن يعصي محبوبه أو أن يأتي ما يغضبه، وقد أحسن من قال:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه — هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقًا لأطعته — إن المحب لمن يحب مطيع

٦- الحرص على اتباع النبي ﷺ، ولزوم سننه، وعدم هجرها، لأن ذلك برهان على صدق محبة الله تعالى، ومعين على تحصيلها، كما قال تعالى:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، والحذر أشد الحذر من مخالفة سنته ﷺ، أو الوقوع فيما يضادها.

٧- كثرة ذكر الله تعالى، وذلك لأن من أحب شيئًا وازدادت محبته له أكثر من ذكره، ولم يغب محبوبه عن باله لحظة، وهذا الذكر من أعظم ما يقرب إلى الله تعالى، ومن أنفع الأشياء لقلب العبد المؤمن، ولاستقامة جوارحه، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[2].

٨- حفظ الله للعبد المؤمن، لأن من أحب الله تعالى، وصدق في محبته، أحبه الله ﷻ، ومن أحبه الله تعالى، حفظه من كل مكروه وسوء، ومن حفظ الله تعالى في أمره ونهيه حفظه الله ﷻ، كما قال النبي ﷺ:

---

١) آل عمران: ٣١.
٢) الرعد: ٢٨.

« احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك»[1].

٩- إجابة الله تعالى لسؤال عبده المؤمن، وإعطاؤه ما يسأله، وهذا من ثمرات محبة الله تعالى لعبده، والتي هي من لوازم محبة العبد لربه، أن يعطيه الله تعالى ما يسأل، ويعيذه مما استعاذ منه، ويبعد عنه ما يكره -إلا ما لا بد منه- وتصديق ذلك قوله تعالى في الحديث القدسي الجليل: «ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»[2].

وهذا كله لا يأتي إلا بعد أن يحصّل العبد محبة الله تعالى[3]. اهـ.

١١- الاستحياء من الله تعالى:

"وهذه من أعظم ثمرات الإيمان بالله تعالى، فإن المؤمن متى وقر في نفسه أن الله ﷻ سميع لكل كلام، بصير بكل عمل، عالم بكل سر وعلن، رقيب عليه، مطلع إليه، قائم على كل نفس بما كسبت، حينئذ يستحي من الله تعالى أن يراه متكلمًا بسوء، أو فاعلاً لشر، أو ساعيًا في فساد.

ويكون هذا الاستحياء من الله تعالى ملازمًا له في كل أحواله، لا ينفك عنه، ولا يفارقه أبدًا، ولا سيما في الخلوات، إذا خلا الإنسان بعيدًا عن أعين الخلق، وانفرد بنفسه إذا به يستشعر معية الله تعالى له، فيستحي منه، وهذا الاستحياء من أنفع الأشياء للعبد، وله آثار عظيمة، منها:

---

١) رواه الإمام أحمد في المسند، والترمذي في سننه، والحاكم في مستدركه، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٩٥٧) والمشكاة رقم (٥٣٠٢)، والسنة (٣١٦-٣١٨).

٢) سبق تخريجه.

٣) (العقيدة الإسلامية الميسرة../٣٢-٣٦).

١- المسارعة إلى الطاعة، والبعد عن المعاصي، وذلك حياءً من الله تعالى، أن يطلع على عبده المؤمن وهو تارك للأمر، مرتكب للنهي، فإن المؤمن يستحي من الله ﷻ أن يراه كذلك.

٢- استحياء الله من العبد، فإن الجزاء من جنس العمل، فمن استحيا من الله أن يعصيه، استحيا الله تعالى منه أن يعذبه يوم القيامة، وفي الحديث النبوي الشريف: **«أما أحدهم فآوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه»**(١).

٣- غرس خلق الحياء في المؤمن: فإنه من اعتاد الحياء من الله تعالى، وزجره ذلك الحياء عن فعل القبيح، فإن الحياء يصير سجية له، وطبيعة فيه، لا تفارقه، فيصبح حييًا مع الناس، ويزجره ذلك الحياء عن فعل ما يستقبح، والحياء من الإيمان، كما قال ﷺ: **«...والحياء شعبة من الإيمان»**(٢). اهـ(٣).

١٢- تواضع النفس وانكسارها وافتقارها لخالقها:

"وذلك لما يشاهده العبد المؤمن من حكمة الله تعالى، ومن قوة الله ﷻ التي لا مقاوم لها، ومن مظاهر عزة الله تبارك وتعالى، ومن دلائل غناه عن خلقه، وقيوميته في ملكه، وعظمته الباهرة، ثم يرجع المؤمن بالفكر إلى نفسه، وإلى جميع خلق الله ﷻ، فيجدهم على النقيض من ذلك، وبالضد منه، فهم أذلة، ضعفاء، فقراء، متصفون بالنقص، مفتقرون إلى الله ﷻ في جميع أمور معاشهم، لا يستغنون عنه طرفة عين، قد كتب عليهم جميعًا الفناء.

---

١) البخاري: كتاب العلم، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس، ومن رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، رقم (٦) (فتح/١/٢٠٧).

٢) مسلم: كتاب الإيمان، باب عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء، وكونه من الإيمان، رقم (١٥١) (نووي/٢/١٩٤).

٣) (العقيدة الإسلامية الميسرة.../٤٠-٤١).

فإذا استشعر المؤمن كل ذلك في نفسه، وفيما حوله، ازداد لله خضوعًا، وانكسارًا، وذلاً، وتواضعًا، وافتقارًا، ولجوءًا إليه تعالى، ليجبر كسره، ويسد خلَلَه، ويغفر زلَلَه، ويقوّم علَلَه"[1].

"هنا يشعر الموحد أنه يأوي إلى ركن شديد، وأنه في سعادة عظيمة، كيف لا؟! وهو يشعر بذله وانكساره، وافتقاره وعبوديته لملك الملوك.

الكثير من أهل التوحيد غفلوا اليوم عن هذا الأثر.

إننا ضعفاء ومساكين، لا حول لنا ولا قوة إلا بربنا جل وعلا، إلا بالواحد الأحد، فمن منا جعل له ساعة يخلو فيها مع ربه، يعترف له بضعفه، وذله وفقره، يرفع يديه يناجي ربه بتواضع ونفس منكسرة لله؟ القلب يخفق، العين تدمع، اللسان يلهج فيقول:

أنت الذي صورتني وخلقتني ... وهديتني لشرائع الإيمان
أنت الذي علمتني ورحمتني ... وجعلت صدري واعي القرآن
أنت الذي أطعمتني وسقيتني ... من غير كسب يد ولا دكان
وجبرتني وسترتني ونصرتني ... وغمرتني بالفضل والإحسان
أنت الذي آويتني وحبوتني ... وهديتني من حيرة الخذلان
وزرعت لي بين القلوب مودة ... والعطف منك برحمة وحنان
ونشرت لي في العالمين محاسنًا ... وسترت عن أبصارهم عصياني
وجعلت ذكري في البرية شائعًا ... حتى جعلت جميعهم إخواني

---

١) (العقيدة الإسلامية الميسرة.../٣٩).

والله لو علموا قبيح سريرتي ... لأبى السلام عليّ من يلقاني
ولأعرضوا عني وملّوا صحبتي ... ولبؤت بعد كرامةٍ بهوان
لكن سترت معايبي ومثالبي ... وحلمت عن سخطي وعن طغياني
فلك المحامد والمدائح كلها ... بخواطري وجوانحي ولساني

هذه الثمرة من أعظم ثمرات التوحيد على النفوس، حرمهما الكثير منا، فراحة النفس وسعادة القلب في الذل والانكسار للخالق سبحانه وتعالى، والافتقار إليه، والانكسار بين يديه"[١].. فلنلجأ إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته ففيها النجاة لمن أراد.

١) (التوحيد وأثره في النفوس) شريط ابراهيم الدرويش.

الفصل الثاني

الإيمان بالملائكة

تمهيد:

المبحث الأول: تعريف الملائكة

المبحث الثاني: إثبات الإيمان بالملائكة

المبحث الثالث: الصفات الخلقية والخُلُقية وما يتعلق بها

المبحث الرابع: أقسام الملائكة وخصائصهم.

المبحث الخامس: أثر الإيمان بالملائكة على العباد

الفصل الثاني

الإيمان بالملائكة

تمهيد:

يقول العلامة الجزائري حفظه الله تعالى: قبل البحث في هذا الركن من أركان العقيدة نقدم بيان الحقائق الثلاث التالية:

الأولى: أن الكون كله ينقسم إلى غيب، وشهادة.

فالغيب: ما غاب من الموجودات عن أعين الناظرين، وإن كانت حقيقة محصلة في صدورهم، لا تغيب عن خواطرهم، وذلك ككل الموجودات الأرضية والسماوية.

والشهادة: خلاف الغيب وهي كل ما كان من الموجودات أمام نظر الإنسان يشاهده ويراه، أو كان بحيث يدركه بإحدى حواسه التي هي السمع، والبصر، واللمس، والشم، والذوق.

الثانية: أن الإنسان بحكم طبيعة الحياة مقدر له الإيمان بالغيب مفروض عليه، لا يستطيع التخلص منه بحال، اللهم إلا من سفه نفسه، وأراد التخلي عن كرامته الآدمية، وعن شرفه الإنساني ليصبح بعد ذلك حيوانًا هابطًا لا خير فيه، أو آلة صماء لا وعي لها، ولا إدراك!!

وذلك لأن الإنسان كائن متحيز متى وجد في مكان استحال عليه أن يوجد في مكان آخر مع بقائه في مكانه الذي هو فيه، ومن هنا ستصبح سائر الأمكنة التي تخلو منه بعده عنها غيبًا له، وليست بشهادة عنده، ولا بد له من

أن يؤمن بها، وبما فيها من أشياء متى وجدت آثار تدل على ذلك، أو أخبار صادقة تنبئ به.

ثم إن حواس الإنسان التي يحصل له العلم بها، محدودة القوة محصورة الإدراك في مجال معين لا تتعداه، فسمعه مقيد في السماع بالأصوات العالية، فإذا انخفضت درجة معينة تعذر عليه أن يسمع، وبصره مقيد برؤية الأجسام الكبيرة، فإذا صغرت ودقت، وبلغت حدًا معينًا من الصغر والدقة عجز عن رؤيتها، ولمسه كذلك، فإنه يحس بالأجسام الكثيفة، فإذا خفت انقطع إحساسه بها، وحتى عقله فإنه يكل عن إدراك أشياء معقولة، ويعيا عن تصورها تمامًا.

ومن هنا كان لا بد للإنسان من الإيمان والتصديق بأشياء لم يشاهدها ولم يحس بها، بأية حاسة من حواسه، ولم يدرك حتى تصورها بعقله، ولا خيار له في ذلك.

وكيف ننكر هذه الحقيقة، ونحن نرى أن الإنسان يعيش في بلد ما ولم يخرج منه أبدًا وهو يؤمن بعشرات البلاد، ويصدق بوجودها وهو لم يرها، ولم ير من رآها قط.

الثالثة: أن الإنسان يكتسب علمه بالموجودات عن طريق عقله وحواسه معًا، فبعقله يدرك سائر التصورات العقلية، وبالحواس يدرك سائر الماديات من مرئي، ومسموع، ومحسوس، ومشموم، ومطعوم.

وهكذا يتحصل الإنسان على معرفته بالموجودات بقسميها، الغيب والشهادة بواسطة العقل والحواس، بيد أن ما كان من الموجودات غيبًا محضًا

فإن طريق الحصول على معرفته، والإيمان به، هو السماع به أو مشاهدة آثاره الدالة عليه.

وهكذا يؤمن الإنسان بالغيب، ويحصل فيه على اليقين الكامل بواسطة خبر الثقات، أو آثار الأشياء التي آمن بها، وصدق بوجودها لدلالة آثارها عليها.

ومن هنا كان الإيمان بوجود الملائكة أمرًا معقولاً، ومطلبًا سهلاً ميسورًا، فالملائكة وإن كانوا غيبا، فقد دل على وجودهم الدليل الذي تثبت به كل الموجودات الغيبية عندالإنسان، والذي هو خبر الثقات وآثار الموجودات[1]. اهـ.

---

١) (عقيدة المؤمن/١٨٦-١٨٩) باختصار.

المبحث الأول

تعريف الملائكة

التعريف اللغوي:

"الملائكة جمع ملاك" نقلت حركة الهمزة فيه إلى الساكن قبله، ثم حذفت الهمزة تخفيفًا فصارت "ملكًا" وهو مشتق من كلمة "الألوكة" التي هي الرسالة والجمع "ملائك" و"ملائكة"[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- تعالى: والملك في اللغة: حامل الألوكة وهي الرسالة[(٢)].

والذي نستفيده من التعريف اللغوي: أن الملائكة هم سفراء الله إلى أنبيائه ورسله في تبليغ الوحي والشرائع[(٣)].

أما التعريف الاصطلاحي:

فالملائكة: "أجسام نورانية لطيفة أعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة ومسكنها السماوات، وأبطل من قال: أنها الكواكب أو أنها الأنفس الخيرة التي فارقت أجسادها وغير ذلك من الأقوال التي لا يوجد في الأدلة السمعية شيء منها"[(٤)].

---

١) (لسان العرب/١٣/١٨٥-١٨٦ مادة "ملك")، (القاموس المحيط/٩٥٤ مادة <ملك>)، (مباحث العقيدة في سورة الزمر/٤٣٥)، (شرح العقيدة الواسطية/٤٥).

٢) (النبوات/٢٥٧).

٣) (مباحث العقيدة../٤٣٥).

٤) (التعريفات/٢٢٩).

المعنى العام:

ما ذكره السيوطي -رحمه الله-: أن الإيمان بالملائكة ينتظم في معانٍ:

أحدها: التصديق بوجودهم.

الثاني: إنزالهم منازلهم، وإثبات أنهم عباد الله وخلقه، كالإنس والجن مأمورون مكلفون، لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله عليه، والموت عليهم جائز، ولكن الله تعالى جعل لهم أمدًا بعيدًا، فلا يتوفاهم حتى يبلغوه، ولا يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به إلى إشراكهم بالله تعالى، ولا يدعون آلهة كما دعتهم الأوائل.

الثالث: الاعتراف بأن منهم رسلاً يرسلهم إلى من يشاء من البشر، وقد يجوز أن يرسل بعضهم إلى بعض، ويتبع ذلك الاعتراف بأن منهم حملة العرش، ومنهم الصافون، ومنهم خزنة الجنة.. فقد ورد القرآن بذلك كله أو بأكثره[1].

اهـ.

١) (عالم الملائكة الأبرار/٨).

المبحث الثاني

إثبات الإيمان بالملائكة

أولاً: من القرآن:

الأدلة على الإيمان بوجود الملائكة في القرآن الكريم كثيرة جدًا، فتارة يذكر الله تعالى صفاتهم وعبادتهم له تعالى، وتارة ذكر عروجهم ونزولهم وتنزيلهم للكتب السماوية، وتارة ذكر أن منهم رسلاً، وتارة ذكر تسجيلهم لأعمال الإنسان، وأخرى لحفظهم له، وذكرهم عند سجودهم لآدم عليه السلام، وذكر توكيل بعضهم بقبض الأرواح، وذكرهم أيضًا عند إمداد المسلمين بهم في بعض الغزوات، وذكرهم أيضًا عندما نهى عن معاداتهم والقول بأنهم إناث أو بنات الله أو أولاده، وعندما نهى عن اتخاذهم أربابًا، وغير ذلك من المواطن التي ذكرهم الله تعالى بها في كتابه، وهذه كلها أدلة على إثبات وجودهم، وعلى الإيمان بهم، ومن هذه الآيات التي تقرر وجودهم وتحض على الإيمان بهم:

قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟

وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾[1].

١- وقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[2].

٢- وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾[3].

٣- وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾[4].

ثانيا: من السُّنة:

الأدلة من السنة على إثبات وجود الملائكة كثيرة جدًا، ومن هذه الأدلة ما يلي:

١- عن أبي هريرة ﷺ قال: كان النبي ﷺ بارزًا يومًا للناس، فأتاه رجل فقال: ما الإيمان؟ قال: «الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته وبلقائه، ورسله»[5].

---

١) البقرة: ١٧٧.
٢) البقرة: ٢٨٥.
٣) النساء: ١٣٦.
٤) البقرة: ٩٨.
٥) البخاري: كتاب الإيمان: باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة وبيان النبي ﷺ رقم (٥٠) (فتح/١/١٥٣).

٢- عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:«يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم -وهو أعلم بهم-: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون»[١].

٣- عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن - وفي رواية - وقرينه من الملائكة»[٢]، قالوا: وإياك يا رسول الله؟! قال: «وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير»[٣].

٤- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« قالت الملائكة: رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة -وهو أبصر به- فقال: ارقبوه. فإن عملها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة إنما تركها من جرّاي»[٤].

---

١) البخاري: كتاب مواقيت الصلاة: باب فضل صلاة العصر رقم (٥٥٥) (فتح/٢/٤٢).
٢) مسلم: كتاب صفات المنافقين، باب تحريش الشيطان، وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرينًا رقم (٧٠٤٠) ورقم (٧٠٣٩) (نووي/١٧/١٥٥، ١٥٦).
٣) مسلم: كتاب صفات المنافقين، باب تحريش الشيطان، وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرينًا رقم (٧٠٤٠) ورقم (٧٠٣٩) (نووي/١٧/١٥٥، ١٥٦).
٤) مسلم: كتاب الإيمان: باب: إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب رقم (٣٣٣) (نووي/٢/٣٣١).

المبحث الثالث

الصفات الخَلْقية والخُلُقية وما يتعلق بها

المطلب الأول: مادة خلقهم ووقته

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:«خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»[1].

قال الدكتور عمر الأشقر حفظه الله: إن المادة التي خلقوا منها هي النور، ولم يبين لنا الرسول ﷺ أي نور هذا الذي خلقوا منه، ولذلك فإننا لا نستطيع أن نخوض في هذا الأمر لمزيد من التحديد، لأنه غيب لم يرد فيه ما يوضحه أكثر من هذا الحديث.

ولا ندري متى خلقوا، فالله سبحانه لم يخبرنا بذلك، ولكننا نعلم أن خلقهم سابق على خلق آدم أبي البشر، فقد أخبرنا الله أنه أعلم ملائكته أنه جاعل في الأرض خليفة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2]، والمراد بالخليفة آدم عليه السلام، وأمرهم بالسجود له حين خلقه، ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾[3].

---

١) مسلم: كتاب الزهد: باب في أحاديث متفرقة رقم (٧٤٢٠) (نووي/١٨/٣٢٣).
٢) البقرة: ٣٠.
٣) الحجر: ٢٩.

المطلب الثاني: بعض صفاتهم الخَلْقية

١- عظم خلقهم:

قال تعالى في ملائكة النار: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[1].

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: "﴿عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ﴾ أي طباعهم غليظة قد نزعت من قلوبهم الرحمة بالكافرين بالله شِدَادٌ أن تركيبهم في غاية الشدة والكثافة والمنظر المزعج"[2].

٢- عظم خلق جبريل عليه السلام:

رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام على صورته الملائكية التي خلقه الله عليها مرتين، هما المذكورتان في قوله تعالى:

﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾[3]، وفي قوله: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ﴾[4]، عندما عرج به إلى السماوات العلا[5]، وقد ورد في صحيح مسلم أن عائشة رضي الله عنها سألت الرسول ﷺ عن هاتين الآيتين فقال ﷺ: «إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خلق

---

١) التحريم: ٦.
٢) (تفسير ابن كثير/٤/٤١٧).
٣) التكوير: ٢٣.
٤) النجم: ١٣-١٥.
٥) (عالم الملائكة الأبرار/١١).

عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطًا من السماء، سادًا عِظَمُ خلقه ما بين السماء إلى الأرض"[1].

عن الشيباني قال: سألت زرًا عن قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ قال: أخبرنا عبدالله أنه محمد ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح"[2].

٣- عظم خِلْقة حملة العرش:

عن جابر بن عبدالله عن رسول الله ﷺ قال: **«أُذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام»**[3].

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش، رجلاه في الأرض السفلى، وعلى قرنه العرش، وبين شحمة أذنيه وعاتقه خفقان الطير سبعمائة عام، يقول ذلك الملك: سبحانك حيث كنت»[4].

---

١) مسلم: كتاب الإيمان، باب معنى قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾. رقم (٤٣٨) (نووي/٣/١١).

٢) البخاري: كتاب التفسير: باب ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ رقم (٤٨٥٧) (فتح/٨/٧٨٥).

٣) صحيح: أبو داود: كتاب السنة: باب في الجهمية والمعتزلة. رقم (٤٧١٢) (عون/١٣/٢٦) وصححه الألباني في صحيح أبي داود رقم (٩٣٥٣) والصحيحة رقم (١٥١) وصحيح الجامع (٨٥٤) وتخريج الطحاوية رقم (٢٩٨).

٤) صحيح: رواه الطبراني في الأوسط، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، (٤/١٨٠-١٨١) ورجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٨٥٣) والصحيحة رقم (١٥٠).

٤- أجنحة الملائكة:

يقول الدكتور عمر الأشقر حفظه الله: للملائكة أجنحة كما أخبرنا الله تعالى، فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، أو أربعة، ومنهم من له أكثر من ذلك. قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

والمعنى أن الله جعلهم أصحاب أجنحة، بعضهم له جناحان، وبعضهم له ثلاثة أو أربعة، أو أكثر من ذلك، وقد سبق ذكر الأحاديث التي يخبر فيها الرسول ﷺ أن لجبريل ستمائة جناح[1].

٥- جمال الملائكة:

"خلقهم الله على صور جميلة كريمة، كما قال تعالى في جبريل: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾.[2]، قال ابن عباس: "ذو مر"ذو منظر حسن، وقال قتادة: ذو خلق طويل حسن. وقيل: "ذو مرة" ذو قوة، ولا منافاة بين القولين، فهو قوي وحسن المنظر.

وقد تقرر عند الناس وصف الملائكة بالجمال، كما تقرر عندهم وصف الشياطين بالقبح، ولذلك تراهم يشبهون الجميل من البشر بالملك، انظر إلى ما قالته النسوة في يوسف الصديق عليه السلام عندما رأينه:

---

١) (عالم الملائكة الأبرار/١٤).
٢) النجم: ٥-٦.

﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[1][2].

٦- تفاوتهم في الخلق والمقدار:

"الملائكة ليسوا على درجة واحدة في الخلق والمقدار، فبعض الملائكة له جناحان، وبعضهم له ثلاثة، وجبريل له ستمائة جناح، ولهم عند ربهم مقامات متفاوتة معلومة: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾[3]، وقال تعالى في جبريل: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾[4] أي له مكانة ومنزلة عالية رفيعة عند الله.

وأفضل الملائكة هم الذين شهدوا معركة بدر، ففي صحيح البخاري عن رفاعة بن رافع، أن جبريل جاء للنبي ﷺ فقال: **«ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين، أو كلمة نحوها، قال: وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة»**[5][6].

---

١) يوسف: ٣١.
٢) (عالم الملائكة الأبرار/١٤).
٣) الصافات: ١٦٤.
٤) التكوير: ١٩-٢٠.
٥) البخاري: كتاب المغازي، باب: شهود الملائكة بدرا، رقم (٣٩٩٢) (فتح/٧/٣٩٥).
٦) (عالم الملائكة الأبرار/١٥).

المطلب الثالث: بعض صفاتهم الخُلُقية

١- الملائكة كرام بررة:

"وصف الله الملائكة بأنهم كرام بررة: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[١]، أي القرآن بأيدي سفرة: أي الملائكة لأنهم سفراء الله إلى رسله وأنبيائه"[٢].

"وقد وصف الله تعالى هؤلاء الملائكة بأنهم ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ أي خلقهم كريم حسن شريف، وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة، ومن هنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد"[٣]، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:« مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ القرآن وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران»[٤].

٢- استحياء الملائكة:

قال رسول الله ﷺ فيما روته عنه عائشة رضي الله عنها: « ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»[٥].

قال النووي -رحمه الله-: وفيه فضيلة ظاهرة لعثمان، وجلالته عند الملائكة، وأن الحياء صفة جميلة من صفات الملائكة[٦].

---

١) عبس: ١٥-١٦.
٢) (عالم الملائكة الأبرار/٢٤).
٣) (تفسير ابن كثير/٤/٣/٥٠٣).
٤) البخاري: كتاب التفسير: سورة عبس رقم (٤٩٣٧) (فتح/٨/٨٩٥).
٥) مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل عثمان بن عفان ﷺ رقم (٦١٥٩) (نووي/١٥/١٦٥).
٦) (شرح النووي على صحيح مسلم/١٥/١٦٥).

٣- الملائكة تتأذى مما يتأذى منه ابن آدم:

وذلك ثابت بالأحاديث الصحيحة عنه ﷺ، فهم يتأذون من الرائحة الكريهة، وكذا الأقذار والأوساخ، فوجب على كل مسلم أن يبتعد عن أذيتهم وذلك من الإيمان.

ومن هذه الروائح التي يتأذون منها الثوم والبصل والكراث، ومما لا شك فيه أن الروائح الخبيثة كالدخان وروائح الخمور بأنواعها تأخذ نفس الحكم، والملائكة تتأذى منها أيضا، كالثوم والبصل والكراث.

عن جابر بن عبدالله عن النبي ﷺ قال:« **من أكل من هذه البقلة، الثوم** وقال مرة: **من أكل البصل والثوم والكراث -فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم**»[1].

والملائكة تتأذى أيضًا من الكلاب التي تقبع في البيوت ولا تدخلها، وكذلك تتأذى من الصور، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت أبا طلحة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة**»[2].

قال الإمام النووي -رحمه الله-: قال العلماء: سبب امتناعهم من بيت فيه صورة، كونها معصية فاحشة وفيها مضاهاة لخلق الله تعالى، وبعضها في صورة ما يعبد من دون الله تعالى، وسبب امتناعهم من بيت فيه كلب لكثرة أكله

١) مسلم: كتاب المساجد: باب نهي من أكل ثومًا أو بصلاً أو كراثًا أو نحوها. رقم (١٢٥٤) (نووي/٥/٥٢).

٢) مسلم: كتاب اللباس والزينة: باب تحريم تصوير صورة الحيوان... وأن الملائكة عليهم السلام لا يدخلون بيتًا فيه صورة ولا كلب. رقم (٥٤٨٢) (نووي/١٤/٣١٠).

النجاسات، ولأن بعضها يسمى شيطانًا كما جاء به الحديث والملائكة ضد الشياطين، ولقبح رائحة الكلب، والملائكة تكره الرائحة القبيحة.

قال الخطابي: وإنما لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب أو صورة مما يحرم اقتناؤه من الكلاب والصور، فأما ما ليس بحرام من كلب الصيد والزرع والماشية والصورة التي تمتهن في البساط والوسادة وغيرهما فلا يمتنع دخول الملائكة بسببه.

وأشار القاضي إلى نحو ما قاله الخطابي. والأظهرأنه عام في كل كلب وكل صورة، وأنهم يمتنعون من الجميع لإطلاق الأحاديث[1] اهـ.

المطلب الرابع: بعض صفاتهم التعبدية

١- التسبيح: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾[3].

قال العلامة السعدي -رحمه الله- في هذه الآية: أي: مستغرقون في العبادة والتسبيح في جميع أوقاتهم فليس في أوقاتهم وقت فارغ ولا خال منها، وهم على كثرتهم بهذه الصفة، وفي هذا من بيان عظمته وجلالة سلطانه وكمال علمه وحكمته، ما يوجب أن لا يعبد إلا هو، ولا تصرف العبادة لغيره[4].

١) (شرح النووي على صحيح مسلم/١٤/٣٠٩-٣١٠).
٢) الأعراف: ٢٠٦.
٣) الأنبياء: ٢٠.
٤) (تيسير الكريم الرحمن/٢/٤٨).

وقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

وعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله**» قلت: يا رسول الله أخبرني بأحب الكلام إلى الله، فقال: «**إن أحب الكلام إلى الله، سبحان الله وبحمده**»[2]. وهذا الذكر الذي هو أحب الكلام إلى الله تعالى هو ديدن الملائكة عليهم السلام ليل نهار. فعن أبي ذر أيضًا ﷺ أن رسول الله ﷺ سُئل أي الكلام أفضل؟ قال: «**ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده: سبحان الله وبحمده**»[3] فأفضل التسبيح وأحبه إلى الله ﷻ ما ذكره رسول الله ﷺ سبحان الله وبحمده فبها تلهج الملائكة ليلاً ونهارًا وهم عن ذلك لا يفترون ولا يملون.

٢- خوفهم من الله تعالى وخشيتهم له:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۞ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[4].

---

١) الزمر: ٧٥.
٢) مسلم: كتاب الذكر والدعاء: باب: فضل سبحان الله وبحمده: رقم (٦٨٦٣) ورقم (٦٨٦٢) (نووي/١٧/٥٠).
٣) مسلم: كتاب الذكر والدعاء: باب: فضل سبحان الله وبحمده: رقم (٦٨٦٣) ورقم (٦٨٦٢) (نووي/١٧/٥٠).
٤) النحل: ٤٩، ٥٠.

قال العلامة السعدي -رحمه الله-: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ لما مدحهم بكثرة الطاعة، والخضوع لله، مدحهم بالخوف من الله الذي هو فوقهم بالذات والقهر، وكمال الأوصاف، فهم أذلاء تحت قهره"(1).

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾(2).

قال السعدي -رحمه الله-: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ أي: خائفون وجلون، قد خضعوا لجلاله، وعنت وجوههم لعزه وجماله(3).

وانظر إلى شدة خوفهم ووجلهم من ربهم تعالى في هذا الحديث الصحيح، عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله، كالسلسلة على صفوان» قال علي، وقال غيره: صفوان ينفُذُهم ذلك، فإذا فزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير(4)، وانظر إلى خوف جبريل عليه السلام وخشيته من ربه تبارك وتعالى، فعن جابر ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «مررت ليلة أسري بي بالملأ الأعلى، وجبريل كالحلس البالي من خشية الله تعالى»(5).

---

1) (تيسير الكريم الرحمن../1/931).
2) الأنبياء: 28.
3) (تيسير الكريم الرحمن../2/51).
4) البخاري: كتاب التفسير: باب إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين رقم (4701) (فتح/8/484).
5) حسن: رواه الطبراني في الأوسط وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (5864) والصحيحة رقم (2289) والسنة في تخريجه عليها رقم (821).

٣- الحج[١]:

للملائكة كعبة في السماء السابعة يحجون إليها، هذه الكعبة هي التي أسماها الله تعالى: البيت المعمور، وأقسم به في سورة الطور ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾[٢]، قال الإمام ابن كثير -رحمه الله- عند تفسير هذه الآية: ثبت في الصحيحين: أن رسول الله ﷺ: قال في حديث الإسراء، بعد مجاوزته السماء السابعة: «**ثم رفع بي إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفًا، لا يعودون إليه آخر ما عليهم**»[٣].

يعني يتعبدون فيه، ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم، والبيت المعمور هو كعبة أهل السماء السابعة، ولهذا وجد إبراهيم الخليل -عليه الصلاة والسلام- مسندًا ظهره إلى البيت المعمور، لأنه باني الكعبة الأرضية، والجزاء من جنس العمل[٤] . اهـ.

فائدة: ذكر ابن كثير -رحمه الله-: أن البيت المعمور بحيال الكعبة، أي فوقها، لو وقع لوقع عليها، وذكر أن في كل سماء بيتًا يتعبد فيه أهلها، ويصلون إليه، والذي في السماء الدنيا يقال له: بيت العزة[٥]، وهذا الذي ذكره ابن كثير من أن البيت المعمور بحيال الكعبة مروي عن علي بن أبي طالب ﷺ.

---

١) (عالم الملائكة الأبرار/٣٦-٣٧).
٢) الطور: ٤.
٣) البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة رقم (٣٢٠٧) (فتح/٦/٣٧٢)، ومسلم: كتاب الإيمان: باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات رقم (٤١٥)، (نووي/٢/٣٩٤) وفي اللفظ بعض الاختلاف عما هو في الصحيحين.
٤) (تفسير ابن كثير/٤/٢٥٦).
٥) (تفسير ابن كثير/٤/٢٥٦).

أخرج ابن جرير من طريق خالد بن عرعرة: أن رجلاً قال لعلي ﷺ ما البيت المعمور؟ قال: "بيت في السماء بحيال البيت، حرمة هذا في السماء، كحرمة هذا في الأرض، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ولا يعودون إليه".

قال فيه العلامة ناصر الدين الألباني -رحمه الله-: ورجاله ثقات غير خالد بن عرعرة وهو مستور. ثم قال -رحمه الله-: وجملة القول أن هذه الزيادة"حيال الكعبة" ثابتة بمجموع طرقها[1]. اهـ.

---

١) (السلسلة الصحيحة ٨٦٠/١) تحت الحديث رقم (٤٧٧).

المبحث الرابع
أقسام الملائكة وخصائصهم

قال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي -رحمه الله-: هم بالنسبة إلى ما هيأهم الله تعالى له ووكلهم به على أقسام:

١- فمنهم الموكل بالوحي من الله تعالى إلى رسله عليهم الصلاة والسلام، وهو الروح الأمين جبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[2].

٢- ومنهم الموكل بالقَطْر وتصاريفه إلى حيث أمره الله ﷻ وهو ميكائيل عليه السلام، وهو ذو مكانة عالية، ومنزلة رفيعة، وشرف عند ربه ﷻ ، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه ﷻ، ويصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الله ﷻ .

٣- ومنهم الموكل بالصُور، وهو إسرافيل عليه السلام، ينفخ فيه ثلاث نفخات بأمر ربه عز وجل: الأولى: نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«وكيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن، واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ، فكأن**

---

١) الشعراء: ١٩٣-١٩٥.
٢) النحل: ١٠٢.

ذلك ثقل على أصحاب النبي ﷺ، فقال لهم: قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا»[1].

٤- ومنهم الموكل بقبض الأرواح، وهو ملك الموت وأعوانه، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[2]، وقد جاء في الأحاديث أن أعوانه يأتون العبد بحسب عمله، إن كان محسنًا ففي أحسن هيئة وأجمل صورة بأعظم بشارة. وإن كان مسيئًا ففي أشنع هيئة، وأفظع منظر، بأغلظ وعيد.

٥- ومنهم الموكل بحفظ العبد في حله وارتحاله، وفي نومه ويقظته، وفي كل حالاته، وهم المعقبات، قال تعالى: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ * لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾[3].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: والمعقبات من الله هم الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله تعالى خلوا عنه. وقال تعالى:

﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾[4].

---

١) حسن: الترمذي: أبواب صفة القيامة، باب ما جاء في الصور، رقم (٢٥٤٨)، (تحفة/٧/٩٩) وقال الترمذي هذا حديث حسن وانظر الصحيحة رقم (١٠٧٩).

٢) السجدة: ١١.

٣) الرعد: ١٠-١١.

٤) الأنبياء: ٤٢.

قال ابن كثير -رحمه الله-: أي بدل الرحمن، يمتنّ سبحانه وتعالى بنعمته على عبيده، وحفظه لهم بالليل والنهار، وكلاءته وحراسته لهم، بعينه التي لا تنام.

٦- ومنهم الموكل بحفظ عمل العبد من خير وشر، وهم الكرام الكاتبون، وهؤلاء يشملهم مع ما قبلهم قوله ﷻ: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[١].

قال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[٢] فالذي عن اليمين يكتب الحسنات والذي عن الشمال يكتب السيئات.

وقال تعالى:

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ * كِرَامًا كَٰتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم -وهو أعلم بهم- كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون»**[٤].

---

١) الأنعام: ٦١.
٢) ق: ١٧-١٨.
٣) الانفطار: ١٠-١٢.
٤) سبق تخريجه، وهو عند البخاري.

٧- ومنهم خزنة الجنة، ومقدمهم رضوان عليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾(١).

٨- ومنهم خزنة جهنم عياذًا بالله منها، وهم الزبانية ورؤساؤهم تسعة عشر، ومقدمهم مالك عليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾(٢).

وفي صحيح مسلم قال النبي ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرّونها»(٣).

٩- ومنهم الموكلون بالنطفة في الرحم: عن ابن مسعود ﷺ قال: «حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق - قال: إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربع: برزقه وأجله، وشقي أو سعيد»(٤).

١٠- ومنهم حملة العرش، وهم الذين قال الله تعالى فيهم:

---

١) الزمر: ٧٣.
٢) الزخرف: ٧٧.
٣) مسلم: كتاب الجنة ونعيمها: باب في شدة حر نار جهنم، وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين، رقم (٧٠٩٣) (نووي/١٧/١٧٦).
٤) البخاري: كتاب القدر، ١- باب بدون رقم (٦٥٩٤) (فتح/١١/٥٨٣).

﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾[1].

١١- ومنهم الموكل بالجبال، وقد ثبت ذكره في حديث خروج النبي ﷺ إلى بني عبد ياليل وعوده منهم وفيه قول جبريل له ﷺ: "إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم عليّ ثم قال: يا محمد، فقال ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين" فقال النبي ﷺ:«بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا»[2].

١٢- ومنهم غير ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ﴾[3]. اهـ[4].

---

١) غافر: ٧.
٢) البخاري: كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم (آمين) والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، رقم (٣٢٣١) (فتح/٦/٣٨٤).
٣) المدثر: ٣١.
٤) (معارج القبول/٢/٦٥٨-٦٧١) بتصرف واختصار.

المبحث الخامس
أثر الإيمان بالملائكة على العباد

تمهيد:

إن الإيمان بالملائكة له علاقة وطيدة بحياة عباد الله، فهم بيننا ومعنا كل الأوقات، وإن الإيمان بهم، والاعتقاد بوجودهم يغير كثيرًا من أحوال الناس في غالب الأمور التي تتعلق بالعبادة وغير العبادة كذلك، إلى الأحسن دائمًا، بخلاف هؤلاء الذين لا يؤمنون بهم، أو يعتقدون بوجودهم ولكن على خلاف معتقد أهل السنة والجماعة الذي سبق معنا، فهؤلاء لا ينتفعون بما انتفع به غيرهم ممن آمنوا بالملائكة على أحسن الوجوه وأتمها.

وسيجد هؤلاء الجاحدون آثارًا سلبية ضد الآثار الحميدة التي ينتفع بها المؤمنون؛ لأن الإيمان بالملائكة الكرام البررة، له آثار وثمرات يانعة، عزبت عن كثير من المسلمين اليوم، ولو استحضر كل عبد اعتقاده السليم في الملائكة لاهتدى إلى آثار مباركة ما كانت تخطر على باله قبل ذلك، ويمكن أن أقول، إن النتائج التي يحصل عليها المسلم، والحسنات التي يكتسبها من وراء إيمانه بالملائكة، تمثل له منهج حياة كامل يقوده إن شاء الله إلى جنات النعيم.

ولا تستغرب من هذا الكلام، وسترى بعون الله تعالى كيف أن هذا الكلام حقيقي لا مبالغة فيه فيما يأتي.

وإن المستغرب من ذلك يعذر بجهله، لأن الصورة التي تعلمنا بها التوحيد، ما تعدت عند الكثير مجرد جُمَل تُحفَظ وتُكرَّر، بدون النظر إلى واقع هذه النصوص العقائدية في حياتنا، وهذه مصيبة، لأن المقصود من دراسة التوحيد

أن نتعبد الله تعالى به، وبما يدعو إليه. وهذا هو السر وراء صعوبة مباحث التوحيد عند البعض، فإذا ما عشناه واقعًا حيًا ملموسًا وتخلل سائر نظم حياتنا، زالت هذه الالتباسات ، وتلذذنا به، ونحن نتعلمه علمًا وعملاً.

وآثار الإيمان بالملائكة تشمل غالب إن لم يكن جميع أنواع الطاعات، بهيئات مختلفة، فكيف نربط الإيمان بهم وبثمراتهم في هذه الجزئيات المتعددة. هذا ما سنراه واضحًا فيما يأتي:

١- استشعار عظمة الله تعالى:

يقول الأستاذ محمد قطب -حفظه الله-: بيّن الله تعالى لنا أن خلق الملائكة، وتعدد أشكالهم هو من آياته الدالة على قدرته سبحانه وتعالى، ومعرفتنا بآيات الله تزيدنا إيمانًا به سبحانه وتعالى، فنعظمه ونوقره سبحانه بما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، ونعبده حق عبادته، فنفوز برضاه وجنته.

ولا شك أن في عالمنا المحسوس آيات كثيرة تدل على قدرة الله المعجزة، كل منها كفيل بأن يهدي البصيرة المتفتحة إلى عظمة الله، لذلك يوجهنا الله إليها في كتابه الكريم ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ * وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[1].

ولكن إيماننا بعظمة الله وقدرته المعجزة يزداد ولا شك حين نعلم أنه ليس العالم المحسوس وحده هو كل ما خلق الله من كائنات، وأن هناك عوالم أخرى غير مرئية لنا هي من خلق الله كذلك، وأن فيها من العجائب بالنسبة لتقديرنا البشري ما يعجز الخيال عن تصوره فضلاً عن استيعابه.

---

١) الذاريات: ٢٠، ٢١.

فإذا علمنا فوق ذلك أن هذه المخلوقات ذوات أجنحة، فإن حسّنا ليؤخذ -خاصة بعد أن نعرف مهامها وأعمالها- لأن المخلوقات ذوات الأجنحة المعلومة لنا في عالمنا المحسوس من طيور أو حشرات طائرة، مختلفة تمامًا عن هذه المخلوقات التي تقوم بأعمال هائلة في السماوات والأرض، فمعرفة الإنسان بأن هذه المخلوقات الهائلة تطير مباشرة بأجنحتها يهز وجدانه بلا ريب، ويجعله يحس -من خلال عجزه- بالقدرة المعجزة التي خلق الله بها الملائكة.

فإذا زاد علمه أكثر من ذلك فعرف أن الملائكة ليسوا على مرتبة واحدة من حيث عدد أجنحتهم، فمنهم ذوو أجنحة مثنى وثلاث ورباع، فإنه يزداد تعظيمًا لله الخالق، الذي يزيد في الخلق ما يشاء وهو على كل شيء قدير.

وإذا عرف بعد ذلك كله أنها مخلوقة من النور فإن عجبه لا يقف عند حد، فالنور كما يراه الإنسان في عالمه المحسوس أشعة تنطلق مستقيمة في الفضاء، أما أن يكون من هذا النور مخلوقات تتحرك وتتكلم، وتتشكل بأشكال شتى، وتقوم بأعمال معينة تكلفها، فأمر وراء إدراك الحس.

وحقيقة أن خلق الله آدم من قبضة من طين الأرض معجزة هائلة يقف الحس أمامها عاجزًا متحيرًا، لأن النقلة بعيدة بين قبضة الطين وبين هذا البشر ذي الحواس والإدراك والقصد والإرادة والقدرة على تعمير الأرض واستخدام طاقات الكون المسخرة له من عند الله. ولكن هذه النقلة على ضخامتها أيسر في حس الإنسان من خلق الملائكة من النور، فالطين على أي حال مادة مجسمة وجسم الإنسان مادة ماثلة للعيان، أما النور فإنه ليس مادة،

فكيف يكون مادة للخلق إلا أن تكون قدرة الخالق المبدع متجاوزة كل حد يستطيع العقل أن يصل إليه، فتبارك الله أحسن الخالقين[1] اهـ.

فالملائكة خلق عظيم من خلق الله ﷻ، لا يستطيع العبد مهما وصل به تصوره أن يصل إلى عظمه خلقها، أو إلى تصور شكلها، أو إلى الإحاطة بضخامتها وقوتها.

عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تفكروا في الله، وتفكروا في خلق الله، فإن ربنا خلق ملكًا قدماه في الأرض السابعة السفلى، ورأسه قد جاوز السماء العليا، ما بين قدميه إلى ركبتيه مسيرة ستمائة عام، وما بين كعبيه إلى أخمص قدميه مسيرة ستمائة عام، والخالق أعظم من المخلوق»**[2].

"ونهى الشرع المسلم أن يتفكر في ذات الله نهي شفقة، فقلوبنا وعقولنا أقل من أن تحيط بالله ﷻ علمًا لعظمة الله ﷻ، وندبنا إلى التفكر في مخلوقات الله، لأن عظمة المخلوق تدل على عظمة الخالق؛ فالتفكر في عظمة الملائكة يدلنا على عظمة الله ﷻ ومهما ازداد تعظيم المؤمن لربه ﷻ، ازداد طاعة له وكفًا عن معصيته فسعد في الدنيا والآخرة "[3].

٢- الأنس بالملائكة:

يقول الأستاذ محمد قطب -حفظه الله-: حين يأخذ الإنسان حظه من استشعار عظمة الله تعالى، فإن قلبه يأنس لهذه المخلوقات ترفّ حوله وتملأ

---

١) (ركائز الإيمان/١٧٨-١٧٩).
٢) حسن: رواه أبو نعيم في "الحلية": (٦/٦٦-٦٧) وقال الألباني: هذا إسناد حسن في الشواهد إلى أن قال: فالحديث بمجموع طرقه حسن عندي، انظر الصحيحة تحت رقم (١٧٨٨).
٣) (طريق السعادة/١٣٦).

جنبات الكون. وفرق كبير في حس الإنسان بين أن يكون هذا الكون من حوله خاويًا موحشًا، وبين أن يكون عامرًا بمخلوقات حية، بينه وبينها اختلاف. فإذا كانت المخلوقات الحية في الأرض من نبات وحيوان -والحيوان على الأخص بما فيه من الإنسان من أوجه شبه وأوجه اختلاف - تؤنس الإنسان وتبهج قلبه، وتنفي عنه الشعور بالوحشة في سكناه لهذه الأرض، فيروح يتأملها ويملاها، ويفرح كلما لقي واحدة منها على مقربة منه.

إذا كان هذا يحدث بالنسبة لعالم الأرض المحدود المحسوس، فإنه حري أن يحدث بالنسبة للكون الكبير، ما يقع منه في دائرة الحس، وما يقع وراء الحس من آفاق.

فإذا كانت المخلوقات الطينية تؤنس وحشته في الأرض، فإن تلك المخلوقات النورانية تؤنس وحشته في الكون الواسع الذي هو جزء منه، فيصبح أروح نفسًا وأكثر طلاقة مما لو حبس نفسه في دائرة المادة والحس.

ويزيد أنس الإنسان بالملائكة حين يعلم أنهم قريبون منه، وأن بعضهم يسير معه حيث سار وبعضهم يتنزلون عليه بالسكينة والطمأنينة كلما أقبل على الله وتوجه إليه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ

أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾[1]، تتنزل عليهم بالبُشرى التي تزيد القلب سكينة وطمأنينة كما سبق في الآيةالكريمة. اهـ[2].

ويأنس العبد بالملائكة أيضًا عندما يعلم أنها تحبه وتستغفر له وتصلي عليه إذا آمن بالله حق الإيمان.

ويأنس بها عندما يعلم أنها تحرسه من جميع الشرور بإذن الله، فإذا ما نزل منزلاً وذكر الله تعالى، أيقن بوجود من يحرسه من الملائكة، وكذلك إذا نام وأتى بأذكار النوم علم أنها تحرسه إلى غير ذلك من الاستبشار بهم في جميع الأماكن في الدنيا وفي القبر وفي الآخرة.

ويقول الشيخ أحمد فريد -حفظه الله-: من الثمرات الطيبة للإيمان بالملائكة، أن يستأنس بهم المؤمنون، ويسعد بحبهم وصحبتهم العباد الصالحون، فهم عباد من عباد الله الصالحين، فمهما كان العبد مجتهدًا في طاعة الله يكف جوارحه عن معاصي الله، فله في الملائكة أسوة فإذا كان المؤمن يعيش في أزمنة غابرة متأخرة، عز فيها من يعمل بطاعة الله عز وجل، وكثر فيها من يعمل بمعصية الله، فالمؤمن يأنس في أزمنة الغربة بالملائكة الذين يعملون معه بطاعة الله، ويكفون عن معصيته، ويزداد هذا الأنس بالملائكة إذا علم أن من وظيفة الملائكة تثبيت المؤمنين على طاعة الله ﷻ.

كما قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟

---

1) فصلت: ٣٠.
2) (ركائز الإيمان/١٧٩-١٨٢) باختصار.

مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾[1]، وإن كان سبب نزول الآية غزوة بدر، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[2]، ليس المراد عند الموت وحده كما أشار إلى ذلك العلماء، بل الملائكة تتنزل على المؤمنين في كل وقت وحين، تدفع عنهم الخوف والحزن، وتبشرهم بوعد الله عز وجل للمؤمنين، فكيف لا يكون الإيمان بالملائكة من أعظم أسباب السعادة وذهاب الهموم والغموم والأحزان[3].

٣- محبة الملائكة:

قال الشيخ أحمد فريد حفظه الله: لأنهم جميعًا أولياء لله عز وجل، عاملون بأمره، وقد زعمت يهود أن لهم أولياء وأعداء من الملائكة، فزعموا أن جبرائيل عدو لهم ينزل بالعذاب، وميكائيل ولي لهم، فأكذبهم الله عز وجل، وبين أن من عادى ملكًا واحدًا من ملائكته فقد عادى جميع الملائكة، والله ﷻ ولي من تولاه، فمن عادى ملائكة الله ﷻ فهو عدو لله، والله ﷻ عدو للكافرين، ونزل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾[4].

---

١) الأنفال: ١٢.
٢) فصلت: ٣٠.
٣) (طريق السعادة/١٣٣).
٤) البقرة: ٩٧-٩٨.

ومما يزيد محبة المؤمن للملائكة وسعادته بحبهم، علمه بمحبة الملائكة للمؤمنين، فالملائكة من حملة العرش -وهم أشرف ملائكة الله ﷻ- ومع عظم ما كلفوا به لا يشغلهم ذلك عن الاستغفار للمؤمنين قال تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾[1].

وقال النبي ﷺ: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم، فيقول: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون»[2].

فلما علمت الملائكة أن سؤال الله ﷻ لهم: كيف تركتم عبادي؟ يستجلب لعباده المؤمنين مزيدًا من التشريف والتكريم والرحمة زادوا في موجب ذلك فقالوا: وأتيناهم وهم يصلون.

وهذه المحبة لا شك من سعادة المؤمن، فإن المؤمن يزداد فرحًا وسعادة بإخوانه المؤمنين إذا زاد عددهم، ويحزن على فقدهم، أو فقد بعضهم وهذا بلا شك حب في الله، وهو من أوثق عُرى الإيمان[3] اهـ.

---

١) غافر: ٧.
٢) سبق تخريجه، وهو عند البخاري.
٣) (طريق السعادة/١٣٤).

٤- عدم اقتناء الكلاب إلا لحاجة ضرورية وإخراجها من البيت عند ذلك ولا أدري والله ماذا أقول تجاه هذا الوضع المزري الذي وصل إليه حال المسلمين المقلدين للغرب الكافرين!!

كيف يصل الحال برجل يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ثم يربي في بيته كلبًا، لا لشيء سوى أن يقال متحضر ومثقف؟ فالمتحضر في هذه الأيام هو الذي يمشي وراء الغرب الكافر الفاجر الملحد بجميع سيئاته، والرجعي من هو ضد ذلك ممن يلتزم بشرع الله عز وجل عياذًا بالله أن نكون من هؤلاء الذين يسمون الأشياء بغير اسمها، ويرون الحق باطلاً والباطل حقًا.

قلدناهم حتى في تربية الكلاب!!

فما بقي إذًا؟ لا شيء!!

نجحت مخططات هؤلاء الكفرة حتى نالوا منا كثيرًا مما تمنوا بالأمس!!

فهل من عودة إلى تعاليم دينكم أيها الغافلون المستهترون؟

وهل من يقظة أيها الدعاة المخلصون؟

إن أمتنا تغرق، إن لم تكن غرقت، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اعلم أيها الغافل أو المتغافل أنك باقتنائك لأي كلب معك في بيتك يمنع دخول الملائكة لبيتك، فإن كنت ممن آمن بالملائكة فلا تؤذهم بذلك، وتؤذ نفسك بحرمانك من مجاورتهم واستغفارهم لك، وصلاتهم عليك؛ لأن الملائكة لا تجاور إلا الأطهار المطيعين لله رب العالمين، لا الأنجاس والأرجاس.

أما الكلب الذي يستخدم للحراسة، أو كلب ماشية أو حرث فله حكم آخر، وهو الجواز لاستخدام ذلك الكلب بنص حديث رسول الله ﷺ عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ، قال:«**من اقتنى كلبًا ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا أرض، فإنه ينقص من أجره قيراطان كل يوم**»[1].

وهذ الحديث فيه ترهيب شديد من اقتناء الكلاب لغير ضرورة، ألا ﴿**فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[2].

وعن ابن مسعود رضي الله عنهما قال: سمعت أبا طلحة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة**»[3].

قال الإمام النووي -رحمه الله-: وسبب امتناعهم من بيت فيه كلب لكثرة أكله النجاسات، ولأن بعضها يُسمى شيطانًا كما جاء به الحديث، والملائكة ضد الشياطين، ولقبح رائحة الكلب، والملائكة تكره الرائحة القبيحة.

قال الخطابي: وإنما لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة مما يحرم اقتناؤه من الكلاب والصور، فأما ما ليس بحرام من كلب الصيد والزرع والماشية والصورة التي تمتهن في البساط والوسادة وغيرهما فلا يمتنع دخول الملائكة بسببه.

وأشار القاضي إلى نحو ما قاله الخطابي، والأظهر أنه عام في كل كلب وكل صورة، وأنهم يمتنعون من الجميع لإطلاق الأحاديث[4] اهـ.

---

١) مسلم: كتاب المساقاة: باب الأمر بقتل الكلاب، وبيان نسخه وبيان تحريم اقتنائها إلا لصيد أو زرع أو ماشية ونحو ذلك رقم (٤٠٠٦) (نووي/١٠/٤٨٤).
٢) النور/٦٣.
٣) سبق تخريجه وهو عند مسلم.
٤) (شرح النووي على صحيح مسلم/١٤/٣٠٩، ٣١٠).

وليس المجال هنا بسط هذه المسألة[1]، ولكن من المعلوم أن كلاب الصيد والزرع والماشية تكون خارج البيت وهذا مشهور الآن لدى من يشتغلون بالزراعة، والكلب إذا أدخل البيت فيحتاج من يحرسه، واقتناؤه إنما هو للحراسة، إذًا فمكانه خارج البيت لحراسة من في داخل البيت، ولو وجد من يُدْخل الكلب داخل البيت للحراسة فهذا شيء نادر، والنادر لا حكم له. ومع هذا يقال له أخرجه من البيت احتياطًا، وسوف يؤدي الغرض منه مثل ما يفعل غالب الناس.

ألا فليتق الله من يقتني كلبًا لا لحاجة إلا لشغفه بكل ما هو غريب، وإرضاء هواه على حساب ما يرضاه الله عز وجل. ألا فاعلم أنك بفعلك ذلك تناقض كمال إيمانك بالملائكة الكرام البررة المطهرة.

٥- الامتناع عن اقتناء الصورة وتعليقها على الجدران، إلا لضرورة اقتنائها:

إن كثيرًا من البيوت تجأر إلى الله من هذه المخالفة الشرعية، لقد صارت البيوت التي تأوي فيها هذه المنكرات مأوى للشياطين حيث ارتحلت الملائكة إلى غير رجعة إلا بنزع هذه المنكرات، إن الجدران تشتكي إلى الله تعالى من هذه الصور المعلقة عليها، في المجالس صور، وفي الغرف كلها صور، وفي الصالات وطرق البيت صور، صورة منحوتة وأخرى فوتغرافية مكبرة، صور للرجال والنساء، هذه لفنان أو فنانة، وأخرى لنجم أو نجمة -على زعمهم- وتلك لراقص أو راقصة، وهذه لزعيم أو زعيمة وهكذا دواليك.

---

١) وذكر الألباني -رحمه الله- أن الملائكة لا تمتنع من بيت فيه كلب يُباح اقتناؤه فقال -رحمه الله-: يحرم اقتناء الكلب، لأنه أيضًا يمنع من دخول الملائكة، وهل يمنع منه لو كان كلب ماشية أو صيد؟ الظاهر لا، لأنه يباح اقتناؤه (الصحيحة/١/٦٩٣).

أما صورة ليلة الزفاف فهذه قل أن تجد بيتًا إلا وقد علق صورته وصورة زوجته في صدر المجلس إلا من رحم ربك، وقليل ما هم خاصة عند هؤلاء المتفرنجين، وإذا ما نهيت عن هذا المحذور قيل لك، إنها تعيد لنا ذكريات هذه الأيام الجميلة.

وكذبوا والله، بل هي الدياثة وقلة الدين التي جعلت من الزوج خنزيرًا لا يتحرك له ساكن، وصورة زوجته في أبهى حلة، قد ملئ وجهها بالألوان والصبغات، وهي شبه عارية، فالصدر وكذا الذراعان والكتفان كل ذلك ظاهر، ومع ذلك فالزوج الهمام يعرض هذه المفاتن هكذا بلا حياء للجليل والحقير.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أتاني جبريل عليه السلام، فقال إني كنت أتيتك الليل، فلم يمنعني أن أدخل عليك البيت الذي أنت فيه، إلا أنه كان في البيت تمثال رجل، وكان في البيت قرام ستر فيه تماثيل، فمُرْ برأس التمثال يقطع فيصير كهيئة الشجرة، ومر بالستر يقطع – وفي رواية: إن في البيت سترًا في الحائط فيه تماثيل، فاقطعوا رؤوسها، فاجعلوها بساطًا أو وسائد فأوطئوه فإنا لا ندخل بيتًا فيه تماثيل»**[(١)].

قال الألباني -رحمه الله-: فقه الحديث: الأول: تحريم الصور، لأنها سبب لمنع دخول الملائكة والأحاديث في تحريمها أشهر من أن تذكر[(٢)] اهـ.

---

١) صحيح: أخرجه الترمذي: أبواب الاستئذان والآداب، باب ما جاء أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة ولا كلب، رقم (٢٩٥٨) وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح (تحفة/٧٤/٨، ٧٣)، وأبو داود: كتاب اللباس: باب في الصور، رقم (٤١٥٢)، (عون/١٤٢/١١) وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٣٥٦).
٢) (السلسلة الصحيحة/٦٩٢/١).

ثم ذكر هناك فوائد جمة فليرجع إليها من أراد التوسع في المسألة وذكر "أن الصورة إذا كانت مباحة لا تمنع من دخول الملائكة، بدليل أن السيدة عائشة رضي الله عنها كانت تقتني لعب البنات، وتلعب بها هي ورفيقاتها، على مرأى من النبي ﷺ فلا ينكرها عليها، كما ثبت في "صحيح البخاري" وغيره، فلو كان ذلك مانعًا من دخول الملائكة، لما أقرها ﷺ عليه، والله أعلم"[(1)] اهـ.

ومن الصور المباحة أيضا، صور البطاقات والجوازات ونحوها، أما الصور التي تُقْتنى في "ألبومات" ولا تعلق على الجدران، فالتحريم يشملها أيضًا، وهذا مشهور من الفتاوى المتكررة من العلماء الثقات في عصرنا هذا من أمثال الشيخ ابن باز -رحمه الله-، وقد سمعت ذلك منه بنفسي في برنامج "نور على الدرب" وأيضًا الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- والشيخ الألباني -رحمه الله- في الموضع السابق. فلا تغتر أخي بمن يجيز ذلك، وأخرج جميع الصور غير الضرورية من بيتك، لتبارك الملائكة بيتك بدخولها فيه، نسأل الله الثبات في الدنيا والآخرة.

٦- دعوة إلى النظافة والبعد عن إيذاء الملائكة والآخرين والامتناع عن شرب الدخان والخمور:

عن جابر بن عبدالله عن النبي ﷺ، قال: **«من أكل من هذه البقلة، الثوم وقال مرة: من أكل البصل والثوم والكراث – فلا يقربنّ مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»**[(2)].

---

١) (السلسلة الصحيحة/١/٦٩٤).
٢) سبق تخريجه وهو عند مسلم.

والحديث دعوة صريحة إلى التجمل بسائر أنواع المحاسن الجليلة، والخصال النبيلة التي يحبها بنو آدم لأن الضد من ذلك ما يتأذى منه بنو آدم، وفي الحديث ترغيب في البعد عن أذية عباد الله بأي شيء يؤذيهم، في شتى المجالات التي نعرفها جميعًا، وتطييب قلوبهم وجلب الفرح لهم بما يسعدهم ويريحهم في شتى المجالات أيضًا ومن ذلك:

أ- تعطر المرأة لزوجها:

وهذا من آكد الحقوق على المرأة تجاه زوجها، أن تتعطر وتتطيب بما ينشرح له صدر الزوج، فإن فعلت ذلك ابتغاء رضوان الله عز وجل أثابها الله عز وجل على ذلك، وتجنبت سخط الملائكة، لأن المرأة التي لا ترعى حقًا لزوجها في هذا الأمر، آذته أشد إيذاء، وتعرضت بذلك لسخط الملائكة وبغضهم لها.

ويكفي المرأة، أن تتبذل في هيئتها ورائحتها حتى ينفر منها الزوج، ولا يستطيع أن يقربها وإن عرضت نفسها عليه، وربما كان أشد حاجة لها منها ليحصن نفسه فإذا به يفرّ منها، كارهًا لها، مستقذرًا إياها، وهذا الحق كما قلت من آكد الواجبات على الزوجة وعلى الزوج أيضًا، ولكنه في حق المرأة أشد، فإن لم تفعل استحقت سخط الملائكة بإيذائها زوجها وربما لعنها كما سيأتي، لأنها بفعلها كأنها تقول بما ينبئ عن أمرها بعدم طاعته في حقه ذلك، بما يستوجب عليها لعنة الملائكة كما ورد في الحديث الذي سيأتي إن شاء الله تعالى.

ب- التطيب عند الذهاب إلى الصلاة والتنظف:

كما ورد ذلك في الحديث السابق آنفًا الذي مفاده أنه يجب على المسلم ألا يأكل ثومًا أو بصلاً أو كراثًا أو ما يقوم مقامهما، لأن ذلك يؤذي المصلين، ويؤذي الملائكة فهي كما سبق في الحديث تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم.

وكم رؤي في المساجد أمثلة كثيرة من هذا الصنف الذي لا يراعي حرمة لمسجد أو مصل، فكم رؤي من إنسان يرعى الغنم ويقوم بأمرها فإذا ما جاء وقت الصلاة، دخل المسجد وهو على هيئته تلك التي كان عليها وهو مع الغنم، تفوح منه رائحة السماد والعلف وسائر ما يتعلق بماشيته وهو مع ذلك لا يخجل من ازدراء الناس له، ولا يرعوي بأذية الملائكة منه، فإذا دخل في الصلاة تجنب المصلين الوقوف بجواره، ومن بُلي بالوقوف جنبه، تأفف منه، وضاع منه خشوع الصلاة، الذي استلب بتشتت الذهن بهذه الروائح التي تنبعث من هذا الذي ألصق كتفه بكتفه. ولو علم ذلك الرجل وغيره ممن يفعل فعله لكفّ عن أذية الملائكة وعباد الله الذين لهم عليه حق الإعانة على طاعة الله، ولو تطيب وتنظف العامل والصانع والمهني عند الذهاب إلى المسجد لأدى ما ينبغي عليه.

ج- سنّية التسوك:

وهذه فائدة جليلة، وثمرة يانعة من آثار الإيمان بالملائكة، وكيف يكون ذلك؟ يكون باستخدام السواك، لتنظيف أسنانه من بقايا الطعام، التي لو تركت وتراكمت وتحللت في الفم، نتج عن ذلك ما لا يخفى، ولا يزول ذلك إلا باستخدام السواك، الذي يزيل هذه الرائحة التي تؤذي الملائكة وبني آدم، ولذلك حض رسول الله ﷺ المسلمين على التسوك لكل صلاة.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **« لولا أن أشق على أمتي –أو على الناس- لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة »**[1]

ذكر ذلك الحديث الإمام البخاري تحت باب السواك يوم الجمعة، قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: ومطابقته –أي الحديث السابق- للترجمة من جهة اندراج الجمعة في عموم قوله: "كل صلاة"

وقال الزين بن المنير: لما خصت الجمعة بطلب تحسين الظاهر من الغسل والتنظيف والتطيب ناسب ذلك تطييب الفم الذي هو محل الذكر والمناجاة، وإزالة ما يضر الملائكة وبني آدم.

قال ابن دقيق العيد: الحكمة في استحباب السواك عند القيام إلى الصلاة كونها حالاً تقرب إلى الله، فاقتضى أن تكون حال كمال ونظافة إظهارًا لشرف العبادة، وقد ورد في حديث علي عند البزار ما يدل على أنه لأمر يتعلق بالملك الذي يستمع القرآن من المصلي، فلا يزال يدنو منه حتى يضع فاه على فيه[2]. اهـ.

---

١) البخاري: كتاب الجمعة: باب السواك يوم الجمعة رقم (٨٨٧) (فتح/٢/٤٧٦).
٢) (فتح الباري/٢/٤٧٦، ٤٧٨).

د- التوبة من شرب الدخان:

ومما لا شك فيه أن رائحة الدخان والشيشة أخبث بكثير من رائحة البصل والثوم والكراث، فإذا ما علمنا أن عمر بن الخطاب ﷺ قال:"...أيها الناس! تأكلون شجرتين لا أراهما إلا خبيثتين، هذا البصل والثوم، لقد رأيت رسول الله ﷺ إذا وجد ريحهما من الرجل في المسجد، أمر به فأخرج إلى البقيع، فمن أكلهما فليمتهما طبخًا"[(١)].

إذا كان ذلك كذلك، فإخراج شارب الدخان أولى لشيئين الأول: لشناعة رائحته وخبثها التي تؤذي الملائكة ومن بجواره، ثانيًا: ولمجاهرته بارتكاب ذلك المنكر حيث يَعرِف كل من اقترب منه أنه يفعل هذه المعصية وهي شرب الدخان، فيكون ذلك حافزًا ومشجعًا لشارب الدخان بالانتهاء عنه، والتوبة من هذا المنكر، وهذه المعصية، لأن إيمانه بالملائكة يتطلب منه ذلك، فإن لم يفعل فقد آذاهم وآذى عباد الله تعالى.

وشرب الدخان حرام كما هو معلوم، وقد أفتى علماء كُثر بتحريمه ومن هؤلاء: الشيخ: محمد بن إبراهيم آل الشيخ وذكر في هذه الفتوى بحثًا قيمًا[(٢)]، وكذلك الشيخ ابن باز رحمهما الله تعالى[(٣)].

١) مسلم: كتاب المساجد: باب إخراج من وجد منه ريح البصل والثوم في المسجد، رقم (١٢٥٨) (نووي/٥/٥٦).
٢) وذكر فيه أن الملائكة تتأذى منه وذكر أدلة على ذلك ينظر هذا البحث في (المسكرات والمخدرات بين الشريعة والقانون/١٣١-١٤٠).
٣) (رسالة إلى أئمة المساجد.../٢٠٠-٢٠٢).

هـ- التوبة من شرب جميع أنواع الخمور:

وكذلك ما قيل في الدخان يقال في الخمور، فإنها ذات رائحة نفاذة كريهة يعرف ذلك من ابتلي بها والعياذ بالله.

من أجل ذلك قال بعض الفقهاء أن شارب الخمر يقام عليه الحد بمجرد وجود الرائحة، لأنها تقوم مقام الإقرار، من هؤلاء الأئمة الذين يقولون بذلك الإمام مالك، والإمام أبو حنيفة، ويلاحظ أن أبا حنيفة يرى أن الرائحة يجب أن يثبت وجودها مع الشهادة أو الإقرار بالشرب، وهذا هو الراجح[1].

وفي هذه الأيام انتشرت عادة بذيئة بين الشباب، تتمثل في شم الصمغ "الغَرة" وشرب البنزين والطلاء، حتى إن بعضهم تظن من إدمانه لهذه الخمور أنه جراب لِمَ يشرب، حتى لا تستطيع القرب منه هذا حاصل فلا يستغرب من يسمع هذا الكلام فقد رأيته بنفسي من هؤلاء المبتلين، نسأل الله الثبات والعافية في الدنيا والآخرة.

فيا أيها المبتلى، هذه دعوة صريحة لك من هؤلاء الملائكة الكرام البررة بأن تقلع عن هذا الداء، وتتوب إلى رب الأرض والسماء، ولا تؤذيهم وتؤذي الكتبة الذين يسجلون كل صغير وكبير يخرج من فمك، ولا تؤذي عباد الله ﷻ المصلين.

فيا أخي، تب إلى ربك، وحقق التوحيد في قلبك وفعلك، ولا تؤذي من أمرهم الله بحفظك، وتسجيل لحظك ولفظك.

---

١) (المسكرات والمخدرات بين الشريعة والقانون/٤٩-٥٠).

٧- الاتصاف بالكرم والبر:

ومن آثار الإيمان بالملائكة الكرم والبر، وهذا من باب التشبه بصفاتهم التي جبلهم الله عز وجل عليها، ووصفهم بها فقال تعالى: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ * كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾[٢].

قال السعدي -رحمه الله-: "كرام"، أي: كثيري الخير والبركة[٣].

وقال -رحمه الله- في موضع آخر: والكريم، الذي فيه من الكرم ومكارم الأخلاق ما ليس في غيره[٤]، وهذه صفات يجب على من آمن بالملائكة أن يتصف بها، ويتخلق بمقتضياتها.

والكرم يشمل جميع صنائع المعروف، وتعداد ذلك يطول، وجمع هذه المعاني كلها رسولنا ﷺ في حديثه الآتي، عن سعد بن أبي وقاص ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله كريم يحب الكرماء، جواد يحب الجَوَدة، يحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها»**[٥]. وكذلك علينا الاتصاف بالبر كما هو شأن الملائكة الأطهار.

قال السعدي -رحمه الله-: المراد بالأبرار، هم القائمون بحقوق الله، وحقوق عباده، الملازمون للبر، في أعمال القلوب، وأعمال الجوارح، فهؤلاء جزاؤهم النعيم في القلب، والروح والبدن، في دار الدنيا، وفي دار البرزخ، وفي دار القرار[٦].

---

١) عبس: ١٦.
٢) الانفطار: ١٠-١١.
٣) (تيسير الكريم الرحمن/٩٨٩/٢، ٦٤٧، ٩٩٨).
٤) (تيسير الكريم الرحمن/٩٨٩/٢، ٦٤٧، ٩٩٨).
٥) صحيح: صححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٨٠٠) والصحيحة رقم (١٣٧٨).
٦) (تيسير الكريم الرحمن/٩٨٩/٢، ٦٤٧، ٩٩٨).

وجمع الله ﷻ جميع أنواع البر في آية واحدة فقال تعالى:

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[1].

قال السعدي -رحمه الله-: "أولئك" أي: المتصفون بما ذكر من العقائد الحسنة والأعمال التي هي آثار الإيمان وبرهانه ونوره فأولئك "الذين صدقوا" في إيمانهم، لأن أعمالهم صدقت إيمانهم، وهؤلاء هم الأبرار الصادقون المتقون[2].

٨- الاتصاف بالحياء:

وهذا أيضًا من الثمرات العظيمة التي نقطفها من جراء إيماننا بالملائكة الكرام، فهي كما وصفها رسول الله ﷺ تستحي، ولذلك ترجم ﷺ استحياءه أنه تطابق لما تخلقت به الملائكة الكرام تجاه عثمان بن عفان ﵁.

---

١) البقرة: ١٧٧.
٢) تيسير الكريم الرحمن/١/١٣١).

أفلا نكون نحن أيضًا ملتزمين بهذا الخُلق، كما تخلق به رسول الله ﷺ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»**[1].

وهذا الحديث هو بمثابة القاعدة الذهبية التي تدعونا إلى التشبه بأخلاق الملائكة وعبادتها وأعمالها فيما نحن مأمورون به في ديننا ومكلفون به على قدر استطاعتنا.

قال النووي -رحمه الله-: وفيه فضيلة ظاهرة لعثمان، وجلالته عند الملائكة، وأن الحياء صفة جميلة من صفات الملائكة[2] اهـ.

فعلينا الاتصاف بهذه الصفة الجميلة التي قال عنها رسول الله ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة ﷺ: **«الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة... والحياء شعبة من الإيمان»**[3]، وعن عمران بن حصين قال: قال النبي ﷺ: **«الحياء لا يأتي إلا بخير..»**.[4]، وعن أبي سعيد ﷺ قال: **«كان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها»**[5].

والحياء كما هو ظاهر من صلب التوحيد، لذلك كان هذا الخلق الكريم وصف ثابت للملائكة الذين يعبدون الله ﷻ ليل نهار، لا يملون ولا يفترون، فانظر أيها الموحد لهؤلاء، واستفد من توحيدهم الكامل، وتأدب بآدابهم، والتي منها وأجلّها الحياء.

---

١) سبق تخريجه وهو عند مسلم.
٢) (شرح النووي على صحيح مسلم/١٥/١٦٥).
٣) مسلم: كتاب الإيمان، باب عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان، رقم (١٥٢) (نووي/٢/١٩٥).
٤) البخاري: كتاب الأدب، باب الحياء، رقم (٦١١٧)، ورقم (٦١١٩) (فتح/١٠/٦٣٨، ٦٣٩).
٥) البخاري: كتاب الأدب، باب الحياء، رقم (٦١١٧)، ورقم (٦١١٩) (فتح/١٠/٦٣٨، ٦٣٩).

٩- الانشغال بذكر الله وتسبيحه:

كثير من المصلين إذا ما انتهى من صلاته، خرج منها بدون أن يأتي بأذكارها، وكأنه والعياذ بالله في سجن، يريد أن يخرج منه مع آخر تسليمة في صلاته، فإذا ما علم العبد، أنه هناك لله عباد يذكرونه ليل نهار، يلهجون بذكره مع كل نفس، ويفتخرون بذلك، وحق لهم، فالعز كله في الذل بين يديه تعالى، إذا ما علم العبد بذلك من الملائكة حضه حالهم على الامتثال بهذه العبادة الجليلة.

قال تعالى على لسان الملائكة: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾[1].

وعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ عندما سُئل أي الكلام أفض؟ قال: «**ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده: سبحان الله وبحمده**»[2]. فاجعل للسانك حظًا من هذا الكلام الذي فضله رسول الله ﷺ على سائر الحديث.

عن مصعب بن سعد، حدثني أبي قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «**أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم، ألف حسنة؟**» فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: «**يسبح مائة تسبيحة، فيكتب له ألف حسنة، أو يُحَطّ عنه ألف خطيئة**»[3] إلى غير ذلك من الأحاديث التي تحض على الذكر والتسبيح كثير جدًا، فأين نحن من هذه الآثار العقائدية؟ أين نحن من هذه النفحات الملائكية؟

---

١) الصافات: ١٦٦.
٢) سبق تخريجه وهو عند مسلم.
٣) مسلم: كتاب الذكر والدعاء: باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم (٦٧٩٢) (نووي/١٧/٢٣).

إن هذا الدين عظيم، ولكن دُرِس صفاته وبهائه في قلوبنا، إن كانت الملائكة مع هذا الذكر وهذا الاجتهاد في العبادة، يخافون ويخشون ربهم، حتى إن رسول الله ﷺ مر على جبريل وهو كالحلس البالي، فماذا نقول نحن، ومنا من يضعف عن الإتيان بأذكار الصلاة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والذي يذكر الله تعالى تحفّه الملائكة «ما من قومٍ يذكرون الله، إلا حفت بهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده»[1] فهيا للعمل.

١٠- تسوية الصفوف في الصلاة:

ولقد تفشت هذه الظاهرة بين المسلمين، حتى إذا ما رأيتهم في الصلاة عرفت حجم نفورِ بعضهم من بعض، وذلك ببعد كل منهم عن اخيه الذي يقف بجواره في الصف، ليس بقدمه فقط، بل وبثيابه والعياذ بالله.

ويتبين لك عندئذ قدر الفرقة التي احتوشت المسلمين حتى وهم في صلاتهم، وتراءى لك أيضًا بعد المسلمين عن هدي نبيهم ﷺ، وعن هدي ملائكتهم التي يؤمنون بها.

ولقد أمرنا رسول الله ﷺ أن نتشبه بهم في صلاتنا عند الصف، عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال:.. ثم خرج علينا -أي رسول الله ﷺ فقال: **«ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم؟»** فقلنا: يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: **«يتمون الصفوف الأوَل، ويتراصون في الصف»**[2].

---

١) مسلم: كتاب الذكر والدعاء: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر، رقم (٦٧٩٥) (نووي/١٧/٢٥).

٢) مسلم: كتاب الصلاة: باب الأمر بالسكون في الصلاة...، رقم (٩٦٧) (نووي/٤/٣٧٣).

والملائكة أيضًا يخبرون عن أنفسهم بذلك قال تعالى فيما يحكي عنهم: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾[1].

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله-: أي نقف صفوفًا في الطاعة. وقال أبو نضرة كان عمر رضي الله عنه إذا أقيمت الصلاة، استقبل الناس بوجهه ثم قال أقيموا صفوفكم، استووا قياما، يريد الله بكم هدي الملائكة، ثم يقول: "وإنا لنحن الصافون" تأخر يا فلان، تقدم يا فلان، ثم يتقدم فيكبر[2] اهـ.

وهذه سنة عظيمة قد هجرها الناس، لذلك اختلفت قلوبهم وتنافروا فيما بينهم، لأن من قام بهذه السنة فقد نجى نفسه من هذا العقاب، وهو ما نص عليه رسول الله ﷺ.

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسوي صفوفنا... فرأى رجلاً باديًا صدره من الصف. فقال: **«عباد الله، لتسوُّنَّ صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم»**[3].

فالتزم عبد الله بما التزمت به الملائكة، وبما أمرك به رسول الله ﷺ. عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : **« إن الله وملائكته يصلون على الذين يصلون الصفوف، ومن سد فرجة، رفعه الله بها درجة»**[4].

---

١) الصافات: ١٦٥.
٢) (تفسير ابن كثير/٤/٢٦).
٣) مسلم: كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف واستقامتها وفضل الأول فالأول منها...، رقم (٩٧٨) (نووي/٤/٣٧٨).
٤) صحيح: أخرجه ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة، باب إقامة الصفوف، رقم (٩٩٥) (حاشية سندي/١/٥٢٧) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه رقم (٨٢١) والصحيحة رقم (٢٥٣٢).

١١- أن تكون منظمًا في جميع شؤونك:

من أي أحوال الملائكة استفدنا هذه الفائدة؟

استفدناها من ذكر الله تعالى لهم بقوله:

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[١]، ومن قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[٢].

ففي الآيتين تجد أن الملائكة يصطفون عند وقوفهم أمام ربهم صامتين لا يتكلمون إلا بإذنه تعالى. وكذلك يصطفون عند عبادتهم لربهم، فانظر إلى دقة تنفيذهم لأوامر ربهم، لا يتقدمون في ذلك ولا يتأخرون. وكما سبق معنا قول رسول الله ﷺ: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟»[٣].

واقرأ إن شئت حديث الإسراء والمعراج لترى كيف يستأذن جبريل عليه السلام عند كل سماء، ثم إن الملائكة لا تفتح له ولرسول الله ﷺ إلا بعد الاستفسار[٤].

وغير ذلك من أخبار الملائكة عليهم السلام كثير، فلكل منهم دور خاص، ملائكة بالليل تترك مكانها لملائكة النهار، والعكس، إلى غير ذلك مما لو ذكر لطال الحديث.

---

١) الفجر: ٢٢.
٢) النبأ: ٣٨.
٣) مسلم: كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها...، رقم (٩٧٨) (نووي/٤/٣٧٨).
٤) مسلم: كتاب الإيمان: باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، رقم (٤٠٩) فما بعد (نووي/٢/٣٨٤) فما بعد.

إننا جميعًا أحوج ما نكون إلى هذه المآثر، التي نتوارثها من الملائكة الكرام، والتي حضنا على أصولها رسولنا عليه الصلاة والسلام، ولو نظر كل منا في برنامجه اليومي، لو جد أنه ضائع في هذا المجال، إلا من رحم الله، فقاعدة الأهم فالمهم قد رحلت عن الكثير. لذلك ضاع المجهود، وقل الإنتاج، وتشتت الذهن، وكثر القيل والقال، وتركنا هذا المجال لأهل الخسة والسِّفال.

نعم، إن الكفار في عصرنا ذلك، قد أخذوا من هذا المنهج في حياتهم الدنيا، بل وفي التصدي لنا بحظ وافر!! فالله المستعان!

١٢- فعل الطاعات التي تصلي الملائكة على أصحابها بفضلها:

ومنها: **أ- تعليم الناس:**

عن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت ليصلون على مُعلم الناس الخير»**[١].

إن هذا الظلام الحالك بالأمة، لن يزول إلا بتعليم الناس أمور دينهم، حتى يؤدوها على الوجه الذي يرضي الله تعالى، فترشيد الناس تجاه الطريق المستقيم، هو الحل الوحيد لإخراج المسلمين من هذا الليل الطويل، فمستنقع الجهل والخرافات قد ظهر ظله، وموجات الباطل والإلحاد بشتى دروبها بدأت تشتد إن لم تكن اشتدت.

---

١) صحيح: أخرجه الترمذي: أبواب العلم، باب في فضل الفقه على العبادة، رقم (٢٨٢٥) وقال هذا حديث حسن غريب صحيح (تحفة/٣٨٠/٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٨٣٨) وصحيح الترغيب والترهيب رقم (٧٧).

والخلاص من هذا المعترك الرهيب، هو الأخذ بقلوب المسلمين وعقولهم وأفئدتهم وإرجاعهم إلى دينهم رجوعًا حميدًا يفك القيد، ويصيرهم من هذه التبعية الحقيرة الذليلة، إلى سُلَّم الصدارة والريادة كما كانوا.

وإن الملائكة لا ترضى لعباد الله غير هذا الطريق، ولا ترضى لمن علم آية أو حديث أن يكتمه، فهي بصلاتها على العلماء العالمين، والدعاة المبلغين، وطلاب العلم وغيرهم ممن يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، هي بصلاتها على من كان هذا حاله، تدعو جميع المسلمين، أن ينتظموا في سلك هؤلاء المخلصين الذابين عن حمى الدين، والمبلغين عن رب العالمين، ولا غرابة في ذلك فمنهم -أي من هؤلاء الملائكة المصلين- من هو رسول لرب العالمين يبلغ عنه شرائعه، وينزل بصحفه وكتبه، فصلى الله وسلم على الروح الأمين.

ب- انتظار الصلاة بعد الصلاة:

فمن جلس في مُصلاه بعد أداء الصلاة ينتظر غيرها، فإن الملائكة تصلي عليه وتدعو له بالمغفرة، وفي ذلك حث واضح لمن آمن بها وبصلاتها عليه أن يلتزم بهذا الفضل العظيم، والثواب الجميل، فإن المكث في المسجد بعد أداء الصلاة، من شأنه أن يرقق القلب، ويُذرف الدمع ويقرر العبد بذنوبه، وذلك بذكره لربه، وجمع قلبه، عليه وهو في هذا الموطن الطاهر، والبقعة المباركة، فالمكث فيه بمفرده عبادة واعتكاف إن نوى ذلك، وحق على المزور أن يكرم زائره.

وانتظار الصلاة بعد الصلاة ينبغي أن يكون العبد مستحضرًا فيه أن الملائكة تصلي عليه، وتدعو له، ففي ذلك شفافية وتلذذ بهذه الطاعة، التي تحض عليها الملائكة.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مجلسه، تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، ما لم يُحدث أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه»[1].

وعنه أيضًا ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزال العبد في صلاة ما كان في مُصلاه ينتظر الصلاة، وتقول الملائكة: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه حتى ينصرف أو يحدث» قلت: ما يُحدث؟ قال: يفسو أو يضرط[2].

قال الشيخ شمس الحق آبادي -رحمه الله-: "ينتظر الصلاة" أي ما دام ينتظرها فإن الأعمال بالنيات، بل نية المؤمن خير من عمله في بعض الأحيان "اللهم اغفر له اللهم ارحمه" قال الطيبي: طلب الرحمة بعد طلب المغفرة، لأن صلاة الملائكة استغفار لهم[3] اهـ.

فاحرص أيها الموحد على تطبيق هذه السنة ولو مرة في الشهر فإن فيها والله حياة القلوب.

ج- الحرص على الصف الأول:

وهذا دأب الصالحين، وشيمة العبّاد المتقين لرب العالمين، ولو استقرأت حال السلف الصالح رضوان الله عليهم، لوجدت أن تبكيرهم إلى الصلوات، وحرصهم على الصف الأول، سمة بارزة في تراجمهم، ومنذ الصغر ومعظمنا يسمع أن سعيد بن المسيب -رحمه الله- لم تفته تكبيرة الإحرام بل ما أذن المؤذن إلا وهو في المسجد.

---

١) مسلم: كتاب المساجد، باب: فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة، رقم (١٥٠٦) (نووي/٥/١٦٩).
٢) مسلم: كتاب المساجد، باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة، رقم (١٥٠٧) (نووي/٥/١٦٩).
٣) (عون المعبود../٢/٩٦).

كم نحن بحاجة يا شباب الصحوة إلى إحياء هذا المجد الذي دفن بدفن سلفنا الصالح، كم نحن بحاجة إلى إحياء تعاليم رسولنا الكريم ﷺ، فكم من شباب صالح هجروا هذه السنة، وتجدهم في القيل والقال حتى تُقام الصلاة، فينهضوا مسرعين، حتى يكونوا في شر الصفوف وهي آخرها!.

إن الذي يُكنّ في صدره الحرص على الصف الأول، تجده غالبًا قلبه مُعلق بالمسجد، وفي ذلك من الفضل ما لا يخفى، وهو الاستظلال بظل الله تعالى، يوم لا ظل إلا ظله، رزقنا الله جميعًا ذلك الفضل.

وهكذا فإن الملائكة دائمًا تشجع المسلم على أن يكون مترسمًا هدي النبي ﷺ وهدي السلف الصالح في جميع حياته، وأمور دينه، فهي لا تفتأ أن تظل بجواره، كلما كان على طاعة لله، تثبته وتعينه وتدعو له، وتستغفر له، فاللهم اجزها عنا خير الجزاء. فعن البراء بن عازب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول**»[1].

أرأيت أيها الموحد، كيف أن الإيمان بالملائكة يثمر لك هذه الثمرات، فكن لهذه الفوائد نابهًا، واستفد من توحيدك، وتدبر أصوله ومعانيه مهما دقّت، وتفكر في كل أصل من أصول الإيمان، فستجد منه من الفوائد العظام، ما لم يكن في الحسبان، واجعل تطبيقك للتوحيد شعارًا لك في كل مكان.

---

١) صحيح: أخرجه ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة، باب: فضل الصيف المقدم، رقم (٩٩٧) (حاشية سندي/١/٥٢٨) واللفظ له، وأبو داود كتاب الصلاة، باب: تسوية الصفوف، رقم (٦٦٠) (عون/٢/٢٥٧) وعنده (الصفوف الأوّل) والنسائي: كتاب الأذان، باب رفع الصوت بالأذان، رقم (٦٤٥) (سندي/٢/٣٤١) وعنده (الصف المقدم) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٨٣٩) والمشكاة (١١٠١) وصحيح أبي داود رقم (٦٧٠) وصحيح الترغيب أرقام (٤٨٧، ٤٨٨، ٤٩٠).

د- الصلاة على النبي ﷺ:

كم نحن جفاة في حق نبينا ﷺ، فالكثير منا إلا من رحم الله لا يصلي عليه ﷺ إلا عند سماع اسمه، وهذا إن صلى عليه، أو في الصلاة كما في التشهد!

وهذا والله من الغبن والحرمان، إن كان ربنا تبارك وتعالى يُصلي عليه هو وملائكته أفلا نصلي عليه؟!

بلى والله!! فهذا من حقه علينا، بأبي هو وأمي. ولقد رغّبنا ﷺ في الصلاة عليه، وأخبر أن من فعل ذلك صلت عليه الملائكة.

وهذا الحديث أيضًا، قاعدة نورانية جامعة، يرغب المسلم أن يعمل الطاعات التي بموجبها تصلي الملائكة على صاحبها، فهل بعد هذا البيان بيان.

عن عامر بن ربيعة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: **«ما من عبد يصلي عليّ إلا صلّت عليه الملائكة، ما دام يصلي عليّ، فلْيُقِلَّ العبد من ذلك، أو ليكثر»**[(١)].

فمهما صلّيت على النبي ﷺ، صلّت عليك الملائكة، فاختر لنفسك، إما تُقِلّ أو تستكثر. ولقد أمرنا الله ﷻ بالصلاة على رسول الله ﷺ فقال تعالى: **﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾**[(٢)].

---

١) حسن: أخرجه ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة: باب الصلاة على النبي ﷺ، رقم (٩٠٧) (سندي/١/٤٩٠) وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٧٤٤) وفي فضل الصلاة على النبي ﷺ رقم (٦).

٢) الأحزاب: ٥٦.

قال السعدي -رحمه الله-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ تعالى ﴿وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ أي: يثني الله عليه بين الملائكة، وفي الملأ الأعلى، لمحبته تعالى إياه، ويثني عليه الملائكة المقربون، ويدعون له ويتضرعون، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ اقتداء بالله وملائكته، وجزاء له على بعض حقوقه عليكم ... وهذا الأمر بالصلاة والسلام عليه مشروع في جميع الأوقات، وأوجبه كثير من العلماء في الصلاة[1] اهـ.

هـ- عيادة المريض:

إن عيادة المريض المكبّل بأغلال المرض، تزرع في نفسه الثقة بالله تعالى، وتخفف عنه اللأواء والنصب، وتريحه من أوهاق هذاالداء المستكنّ في بدنه، وتستبشر روحه بهذا الزائر، الذي يُلقي له التفاؤل في قوالب من الكلمات الرقراقة العذبة، ثم يدعو له بالشفاء العاجل ويذهب.

وعيادة المريض من الواجبات على كل مسلم، ولو علم العبد منا كم في زيارته لذلك المريض من الثواب والعطاء العظيم، ما تخلف عن هذا الأمر الذي به يكون التواد والتراحم.

فمن ذهب لعيادة مريض، خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له، وكان له بذلك بستان في الجنة، ربما يستغرب البعض من هذا الفضل حتى إنه لا يصدق ذلك!!

وهذا ثابت بنص حديث رسول الله ﷺ فعن علي بن أبي طالب ﷺ عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما من رجل يعود مريضًا ممسيًا، إلا خرج معه سبعون**

---

١) (تيسير الكريم الرحمن../٢/٤٠٣).

ألف ملك يستغفرون له حتى يصبح، وكان له خريف في الجنة، ومن أتاه مصبحًا خرج مه سبعون ألف ملك، يستغفرون له حتى يمسي، وكان له خريف في الجنة»[1].

والخريف في الجنة، البستان، قاله في عون المعبود[2]. ولا تنسى مع ذلك، أنك ربما أدخلت على المريض سرورًا، أو كشفت عنه كربة من كرب الهم والحزن، وهذا ثوابه عظيم، مع ثواب استغفار هذا الكم الهائل من الملائكة لك.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خمس تجب للمسلم على أخيه:.. وعيادة المريض»[3]. والأحاديث في الحض على عيادة المريض، وبيان فضلها كثير.

و- أثر صلاة الملائكة علينا:

وإن مما يشجع العبد على فعل الطاعات التي تصلي عليه الملائكة بسببها، أن يعرف ما هو أثر صلاة الملائكة عليه، حتى يعبأ بذلك ويهتم بتلك الطاعة، ويُقبل على كل عمل تحبه الملائكة. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾[4].

---

١) صحيح: أخرجه أبو داود: كتاب الجنائز، باب: في فضل العبادة على وضوء، رقم (٣٠٩٦) قال أبو داود: أسند هذا عن علي عن النبي ﷺ من غير وجه صحيح (عون/٨/٢٥١، ٢٥٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٧١٧).

٢) (عون المعبود/٨/٢٥١).

٣) مسلم: كتاب السلام، باب حق المسلم للمسلم رد السلام، رقم (٥٦١٥) (نووي/١٤/٣٦٧).

٤) الأحزاب: ٤٣.

قال الإمام الطبري -رحمه الله-: "ليخرجهم من الظلمات إلى النور" يقول: تدعو ملائكة الله لكم، فيخرجكم الله من الضلالة إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإسلام، وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل[1] .اهـ.

وقال السعدي -رحمه الله-: أي: من رحمته بالمؤمنين ولطفه بهم، أن جعل من صلاته عليهم، وثنائه وصلاة ملائكته ودعائهم، ما يخرجهم من ظلمات الذنوب والجهل، إلى نور الإيمان، والتوفيق، والعلم، فهذه أعظم نعمة، أنعم بها على العباد الطائعين، تستدعي منهم شكرها[2] اهـ.

فإذا أردت أن يخرجك الله من ظلمات الذنوب والجهل، إلى نور الإيمان الخالص، والتوفيق، والعلم، فعليك بالأعمال التي بها يصلي الله عليك وملائكته، فتنال بذلك هذا النور العظيم، ووضوح المنهج والسبيل، والتعرف على الطريق المستقيم، والهدي السليم، هدي محمد ﷺ وصحبه الكرام. وتكون بذلك، قد وظّفت عقيدتك في الملائكة بقولك وعملك في الدنيا، ولك الأجر إن شاء الله في الآخرة، وفي الدنيا أيضًا.

١٣- الاستعداد للموت:

إن الذي يستعرض أخبار ذكرت الموت، سواء في القرآن أم في السنة، يجد كمًا ليس بالقليل فيه ذكر الملائكة الموكلة بذلك.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ

---

١) (تفسير الطبري/١٠/٣٠٦).
٢) (تيسير الكريم الرحمن/٢/٣٩٤).
٣) السجدة: ١١.

وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾[2].

وهكذا، فإن المؤمن كلما قرأ هذه الآيات، التي تذكر حال ملائكة الموت مع الظلمة عند النزع الأخير، تملكه الخوف من ذلك المصرع، وظلّ جاهدًا في الطاعة لله تعالى رجاء أن ينجيه الله ﷻ من ذلك الموقف الرهيب، وبدل أن تنهره الملائكة وتبشره بالخسران وتتبع روحه التي تفرق في جسده عند ذلك بكل غلظة وقسوة، تبشره برضوان الله تبارك وتعالى، وتثبته عند ذلك.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾[3].

وحديث البراء بن عازب ﷺ وأرضاه في ذكر الموت أشهر من أن يذكر، ورأينا فيه جميعًا كيف أن ملك الموت يبشر الروح الخبيثة بغضب الله تعالى عليها، وكيف تفرق منه الروح في سائر الجسد لا تريد الخروج خوفًا مما ينتظرها من موعود الله ﷻ. إلى غير ذلك مما ورد في الحديث وغيره من تعامل الملائكة مع روح العبد، مما يكون له أكبر الأثر عند العبد المؤمن، فيستعد لسكرات

---

١) الأنعام: ٩٣.
٢) محمد: ٢٧.
٣) فصلت: ٣٠-٣١.

الموت ومعالجة نزع الروح بالعمل الصالح، حتى يكون من هؤلاء الذين يثبتهم الله تعالى عند ذلك الموطن.

١٤- الترغيب في طلب الشهادة والجهاد في سبيل الله:

وذلك والله من أجلّ ثمرات الإيمان بالملائكة، فإذا ما علم العبد أن الملائكة تظله بأجنحتها إذا ما استُشهد في سبيل الله تعالى، قام من رقاده، وامتطى صهوة جواده، ونازل أعداء الله، وذب عن بيضة المسلمين، واغبرّت قدماه في سبيل الله تعالى، ومن يدري لعله يكون من عداد الشهداء، ويرضى عنه رب الأرض والسماء، فينال أجره أوفى ما يكون، ويُزَفّ إلى الجنة، والملائكة تظله بأجنحتها، فرحةً به، داعية مستغفرة له.

عن جابر ﷺ قال: "جيء بأبي إلى النبي ﷺ، وقد مثّل به ووضع بين يديه، فذهبت أكشف عن وجهه، فنهاني قومي، فسمع صوت نائحة، فقيل: ابنة عمرو -أو أخت عمرو- فقال: **«لم تبكي، أو لا تبكي، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها»**[١].

فهذه كرامة للشهيد، وتأييد من الملائكة له، وحث لكل مسلم أن يحذو ذلك الحذو، فاعتبروا ياأولي الألباب.

ويوم بدر جعل رسول الله ﷺ يهتف بربه: **«اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض»** فما زال يهتف بربه، مادًا يديه... فأنزل الله ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ

١) البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب ظل الملائكة على الشهيد، رقم (٢٨١٦) (فتح/٦/٣٩).

رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ فأمدّه الله بالملائكة.

قال أبو زُميل: فحدثني ابن عباس، قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه فخرّ مستلقيًا فنظر إليه فإذا هو قد خُطِمَ أنفه، وشق وجهه كضربة السوط، فاخضرّ ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: **«صدقت ذاك من مدد السماء الثالثة»**[1].

أليس في إظلال الملائكة الشهيد بأجنحتها، ومشاركتها في الجهاد في بدر، داعٍ إلى الجهاد في سبيل الله ﷻ؟ بلى والله!

إن في ذلك أكبر دعوة لجميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، أن هبّوا لنصرة دينكم، وإغاثة إخوانكم، وارفعوا راية الجهاد عالية خفاقة، كما كان أجدادكم، وكما أمر ربكم، وحضّ على ذلك رسولكم، فمهما فعلتم ذلك أعزكم الله، وإن تخاذلتم، أذلكم حتى تراجعوا دينكم، وتجددوا ما اندرس من مجدكم.

---

١) مسلم: كتاب الجهاد: باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم، رقم (٤٥٦٣) (نووي/١٢/٣٠٦، ٣٠٧).

١٥- الترغيب في طلب العلم:

إن موت فحول العلماء في هذا العصر أو في هذا العام بالذات، لمن أشد المصائب التي فُجعت الأمة بسببها، مما يحتم على كل طالب علم أن ينهض بجد، ويشمر ساعد العزم، ويترسم الخطى التي كانوا يترسمونها حتى تُسد الثلم التي لمعت بفقدهم.

يا طالب العلم! إن الملائكة تستحثّك على المضي في ذلك الطريق مهما كان وعر المسالك، ومهما عزّ عليك ذلك، فها هي تضع أجنحتها لك، تستثير منك حبها، وتطمئنك بدفئ أجنحتها، وتدعو لك ليلها ونهارها، وتستنهض فيك أمر ربها، بأن تتدثر العلم وتستبطن مداركه وأموره، وتبلغه للناس دقيقه وجليله، حتى يرضى عنك تعالى، ويشفع لك خليله ﷺ.

عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا، سلك الله به طريقًا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع»**[1]، وعن صفوان بن عسال المرادي ﷺ قال: أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد متكئ على برد له أحمر، فقلت له: يا رسول الله! إني جئت أطلب العلم فقال: **«مرحبًا بطالب العلم، إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها، ثم يركب بعضهم بعضًا حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب»**[2].

---

١) صحيح: أخرجه الترمذي: أبواب العلم، باب في فضل الفقه على العبادة، رقم (٢٨٢٢) (تحفة/٧/٣٧٥) وأبو داود: كتاب العلم، باب في فضل العلم، رقم (٣٦٣٦) (١٠/٥٢) وابن ماجه، كتاب السنة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم (٢٢٣) (سندي/١/١٤٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٢٩٧).

٢) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٦٨) ورواه أحمد في المسند، والطبراني بإسناد جيد واللفظ له، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في المستدرك وقال صحيح الإسناد.

والآثار في فضل العلم أكثر من أن تُحصر. وما ذُكر طرف من تمجيد الملائكة للعلم ومحبتهم له ولمن يطلبه، فهل تأخذ من ذلك بنصيب؟ وهل تداوم على مواصلة السير في هذا الطريق؟ فإن نهايته الجنة بإذن الله تعالى، رزقنا الله جميعًا النية الحسنة، والفقه في الدين.

١٦- الترهيب من عمل قوم لوط:

وعمل قوم لوط ما سبقهم إليه أحد من العالمين، لأنه ذنب ما تعارف عليه البشر، ولا استساغته الفطرة الإنسانية، ولا حتى إبليس لعنه الله لم يأمر ولم يجرّ أحد قبل هذه الأمة إليه، فجاء هؤلاء القوم فاخترعوا ذلك الفعل المشين، وتفردوا به، وعُرفوا به عن سائر الأمم، فعليهم من الله ما يستحقون.

ولقد استحقوا من العذاب والتنكيل ما صاروا به عبرة بين الأمم، رُفعوا بقريتهم بين السماء والأرض، رفعهم الملائكة، حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ثم كفأها عليهم وأمطرهم الله بحجارة من سجيل منضود، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ * مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[١].

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله-: قال مجاهد: أخذ جبريل قوم لوط من سرحهم ودورهم، حملهم بمواشيهم وأمتعتهم، ورفعهم حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم، ثم كفأها، وكان حملهم على خوافي جناحه الأيمن[٢] اهـ.

---

١) هود: ٨٢-٨٣.
٢) (تفسير ابن كثير/٢/٤٧١).

ألا فليحذر كل من شابه هؤلاء القوم بفعلهم ذلك، أن يكون جزاؤه جزاءهم ﴿وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾، إن مقتضى إيمانك بهؤلاء الملائكة العظام، أن يزجرك وينهاك ويرهبك من هذا الفعل حتى لا تكون عاقبتكم على أيديهم مثل قوم لوط والعياذ بالله.

والأخبار من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وكلام سلفنا الصالح في التحذير من هذا الداء العضال أكثر من أن تحصر، فهي بين متعجب من هذا الشر المستطير!! وبين آيات شديدة الوقع تحذر من مغبة هذا الفعل!! وبين أحاديث كثيرة تنذر من الوقوع فيه بشتى الأساليب! والقاسم المشترك بين هذه الأخبار، أن من يقوم بمقتضى هذا الوعيد بالتنكيل والتعذيب هم الملائكة كما قص الله ﷻ علينا ذلك.

١٧- طاعة المرأة لزوجها:

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه، فأبت أن تجيء، لعنتها الملائكة حتى تصبح**[١]»، وعنه أيضًا ﷺ قال النبي ﷺ: «**إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع**»[٢].

الحديث الأول يحض المرأة على طاعتها لزوجها لإحصانه، فإن لم تفعل لعنتها الملائكة حتى تصبح، وفي ذلك كسر لكبر المرأة الحصيفة حتى ترجع عن ذلك وتطيع زوجها، حتى تتجنب لعن الملائكة إلى الصباح. والحديث الثاني أكثر فائدة فلفظة "حتى ترجع" يعني أن اللعن يستمر عليها ولو لأكثر من ليلة حتى تثوب إلى طاعة زوجها، وتبتعد عن لعنة الملائكة.

---

١) البخاري: كتاب النكاح: باب إذا باتت المرأة وهاجرة فراش زوجها، رقم (٥١٩٣) (فتح/٣٦٦).
٢) البخاري: كتاب النكاح: باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها، رقم (٥١٩٤) (فتح/٣٦٦).

وإن المرأة المؤمنة، إذا ما تغير طبعها، وأرادت أن تهجر فراش زوجها، فما عليها إلا أن تذكر لعنة الملائكة التي تؤمن بها، فإن ذلك يزجرها، ويهيئها لطاعة زوجها، فإنه جنتها ونارها، فلتنظر أين هي من ذلك.

ويمكن أيضًا أن يقال، إن هناك أمورًا تُغضب الرجل أكثر من امتناع زوجته عليه، فعلى المرأة أن تتجنب سخط زوجها على الدوام وإلا، فما الذي يؤمّنها ألا تلعنها الملائكة أيضًا إذا ما أغضبت بعلها، ثم إن لم تلعنها الملائكة لخصوص لعنتها في هذا الأمر، فإن الملائكة يغضبها جميع الذنوب والمعاصي، وعدم طاعة المرأة لزوجها من الذنوب أيضا، بل ومن أشد المعاصي كيف لا، وهو جنتها ونارها.

١٨- حفظ الدماء وحرمة المسلم:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال أبو القاسم ﷺ: **«من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه، حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه»**[١].

قال الإمام النووي -رحمه الله-: فيه تأكيد حرمة المسلم، والنهي الشديد عن ترويعه، وتخويفه، والتعرض له بما قد يؤذيه، وقوله ﷺ: وإن كان أخاه لأبيه وأمه مبالغة في إيضاح عموم النهي في كل أحد سواء كان هذا هزلاً ولعبًا، أم لا، لأن ترويع المسلم حرام بكل حال، ولأنه قد يسبقه السلاح كما صرح به في الرواية الأخرى، ولعن الملائكة له يدل على أنه حرام[٢] اهـ.

---

١) مسلم: كتاب البر والصلة، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، رقم (٦٦٠٩) (نووي/١٦/٣٨٥).

٢) (شرح النووي على صحيح مسلم/١٦/٣٨٥).

وهذا أيضًا فوق حرمته من باب سد الذرائع، فكم من دم سفك بسبب ذلك، وإن الملائكة بلعنها من يشير إلى أخيه بحديدة، تمنعه مما هو أشد من الحديدة، كسلاح وغيره.

فحفظ الدماء من مقاصد هذه الشريعة الغرّاء، ولا يمكن الحفاظ على هذا المقصد العظيم إلا بالتزام الآداب التي تعين على ذلك، ومن أجلّ هذه الآداب هو عدم الإشارة إلى مسلم بحديدة مهما كان، ولو كان أخوك في النسب، لأن الحديدة ربما أدت إلى القتل، فتسيل الدماء أنهارًا بعد ذلك، بسبب رفع هذه الآلة على المسلم، سواء كان ذلك بمزح أو غيره.

ولقد حدث ذلك في أكثر من مناسبة، وخاصة بين الشباب الذين يتدربون على آلات، يستخدمونها في ألعاب مميتة.

١٩- حب أصحاب الرسول ﷺ:

حب أصحاب رسول الله ﷺ عبادة وقربى يتقرب بها محبّوهم من الله ﷻ، وفضائل الصحابة أكثر من أن تحصى بمكان فرضي الله عنهم، ألم يحبهم رسول الله ﷺ ويأمر بحبهم؟ بلى والله! إذا كان ذلك كذلك فلماذا لا تتبع هدي رسول الله ﷺ؟!

إن المتتبع لسير أصحاب رسول الله ﷺ يجد والله ما يعجز اللسان عن وصفه، ولا يتمالك دمعه، إذا ما رأى هؤلاء القوم بتراجمهم في الكتب التي وصفت أحوالهم كلها. لقد عاشوا لدين الله ﷻ جميع عمرهم، وسيطر حب الدين ونصرته على أفئدتهم، وجعلوا دماءهم وجثثهم قنطرة له ليصل إلى غيرهم، ضحوا في سبيله بكل غال، وصاروا حول رسولهم ﷺ كالطود

الشامخ، والجبل الراسخ، يمنعونه من الأعداء، وصار الواحد منهم بمفرده أمة، وسارت الركبان بسيرهم ومجدهم في جميع الأقطار، حتى إن سيرتهم ونبأ مسيرهم ليرعب الأعداء على بعد شهر، فنصر الله بهم الدين، وأعز بهم المسلمين، حتى إن الجاهل والله ليرى خبرهم كأنه أساطير الأولين، ولكنه وربي الحق المبين.

من أجل ذلك وغيره قال رسول الله ﷺ: **«من سب أصحابي، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»**[1].

فالملائكة يرضيها ما يرضي الله، ويسخطها ما يسخط الله، فها هي تلعن كل من لعن أصحاب محمد ﷺ، تلعنهم لعنة يؤيدها الله ورسوله ﷺ، وهي بلعنتها، تحذر الناس من سب الأصحاب رضي الله عنهم، وتحثهم على حبهم، وتعينهم عليه، وكل ذلك تعرفه وأكثر منه، إذا تأملت في غضبهم ولعنتهم من يلعن أصحاب رسول الله ﷺ، فسحقًا ثم سحقًا لهؤلاء الشيعة الذين يزعمون أنهم أتباع أهل البيت والمحبون الموالون لهم -انظر إلى قائلهم وهو يقول-: إن الناس كلهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ غير أربعة.

ولقد تقدم بخارى القوم!! محمد بن يعقوب الكليني إلى أبعد من ذلك فقال: كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي.

ولسائل أن يسأل هؤلاء الأشقياء، وأين ذهب أهل بيت النبي ﷺ بما فيهم العباس عم النبي ﷺ وابن عباس ابن عمه، وعقيل أخ لعلي، وحتى علي

---

١) حسن: حسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٢٨٥).

نفسه، والحسنان سبطا رسول الله ﷺ. ألا تستحيون من الله؟!"[1] فلعنة الله والملائكة على كل من أبغض الصحابة رضي الله عنهم.

٢٠- الترغيب في الدعاء:

الدعاء للعبد بمنزلة الرأس من الجسد، وهو من أعظم العبادات، وأنفس القربات، ومفرج بإذن الله الكربات، وأنيس الخلوات، وصديق الدمعات والزفرات، والباعث على الطاعات.

فالدعاء لذة المناجاة، كيف لا، والداعي يتمرغ بين منازل شتى من ذل، وانكسار، وافتقار، وبكاء، واعتراف بالذنب، وإجلال للرب تعالى، إلى غير ذلك مما يحبه الله تعالى، ويجعل صاحبه عنده بمكان، ولا تمل أيها العبد من الدعاء، بل كرر الدعاء وتعبد إلى الله بذلك، فهو سبحانه يحب من عبده أن يدعوه. وكذلك الملائكة تحب ذلك، وتؤمن على دعائك. والله ﷻ يغضب على من لم يسأله. عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يدع الله غضب عليه»[2].

قال المباركفوري -رحمه الله-: لأن ترك السؤال تكبر واستغناء، وهذا لا يجوز للعبد[3] . اهـ. فهو سبحانه وتعالى يرضى من عبده أن يسأله ويغضب إن ترك سؤاله، وهذا من جوده وكرمه فله الحمد والثناء كلما ذكره ذاكر أو غفل عن ذكره غافل.

---

١) (الشيعة وأهل البيت/٤٤، ٤٦).

٢) حسن: أخرجه الترمذي: أبواب الدعاء، ٣-باب منه "بدون" رقم (٣٥٩٧) ولفظ الترمذي "إنه من لم يسأل الله يغضب عليه" (تحفة/٩/٢٢١) وابن ماجه كتاب الدعاء: باب فضل الدعاء، رقم (٣٨٢٧) واللفظ له (سندي/٤/٢٦١) وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه رقم (٣١٠٠).

٣) (تحفة الأحوذي/٩/٢٢١).

والملائكة كذلك، تدعو جميع العباد إلى التعبد بالدعاء وذلك بتأمينها على ما يدعو به المسلم، وإن المسلم ليشجعه ذلك التأمين، على الاستزادة من الدعاء، لأن ذلك التأمين يجعل سؤال العبد لله تعالى أقرب للإجابة، وحصول النوال، واستشعار أن الملائكة تؤازره في تلك العبادة العظمى.

أ-الدعاء للإخوان وللمسلمين:

عن أم الدرداء رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكَّل، كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكّل به: آمين، ولك بمثل»**[1].

قال النووي -رحمه الله-: "وفي هذا فضل الدعاء لأخيه المسلم بظهر الغيب، ولو دعا لجماعة من المسلمين حصلت هذه الفضيلة، ولو دعا لجملة المسلمين، فالظاهر حصولها أيضًا.

وكان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه، يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة، لأنها تستجاب ويحصل له مثلها" اهـ.

لماذا يحصل له مثلها؟ لأن الملك الموكل به، يؤمِّن على دعائه، ثم يردف قائلاً ولك بمثل، أي ولك مثل هذه الدعوة إن شاء الله، فإن ذلك أرجى لقبول هذه الدعوة. وفي ذلك فوائد عظيمة منها:

اجتماع كلمة الإخوان، وتلاحمهم ضد الأعداء، ونزع الأدران التي عصفت بالقلوب، ودمرت ما فيها من صلاح، وأشدها فتكًا بصفوف الإخوان، الحسد والحقد والغل والضغينة والكبر والعجب والغرور إلى غير

---

١) مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، رقم (٦٨٦٦) (نووي/١٧/٥٢).

ذلك من هذه الأوساخ، لأنه لا يتصور أبدًا أن يدعو مسلم لأخيه بظهر الغيب وهو يُكنّ له هذه السخائم.

وكذلك من الفوائد التي ينعم بها من يدعو لأخيه بظهر الغيب: حصول ذلك المرغوب له بتأمين الملائكة على ذلك، وكذلك تقول ولك بمثل والجزاء من جنس العمل.

ورفع البلاء ودفعه عن نفسه وعن سائر المسلمين، فوالله مهما تدرّع الأعداء وتترسوا وراء أسلحة الدمار والفتك، فلَيَدا العبد المؤمن الطاهر أشد فتكًا وتدميرًا لهؤلاء الكفرة إذا ما رفعهما لرب السماء والأرض، يستنصره على هؤلاء الحاقدين، والكفرة الملحدين المعتدين.

فعليك أيها العبد بالدعاء لإخوانك، وللمسلمين، بكل ما يحبه الله لهم، وحتمًا أن ذلك عائد عليك إن شاء الله بما تحب أيضًا.

ب- استحباب الدعاء عند صياح الديك:

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إذا سمعتم صياح الدّيَكة، فاسألوا الله من فضله؛ فإنها رأت ملكًا**»[1].

قال النووي -رحمه الله-: قال القاضي -رحمه الله-: سببه رجاء تأمين الملائكة على الدعاء، واستغفارهم وشهادتهم بالتضرع والإخلاص[2] . اهـ.

١) مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب: استحباب الدعاء عند صياح الديك، رقم (٦٨٥٧) (نووي/١٧/٤٩٥).
٢) (شرح النووي على صحيح مسلم/١٧/٤٨، ٤٩).

وهذه فائدة جليلة يعلمها كثير من الناس، أن الديك وهو ذكر الدجاج إذا ما صاح علموا أنه رأى ملكًا، ولكنهم يجهلون استحباب الدعاء عند ذلك، عسى أن يؤمن ذلك الملك على هذا الدعاء.

وهذا الحديث إشارة صريحة للعباد، أن عليهم أن يتحينوا الفرص التي بسببها يحضر الملائكة، وعندئذ عليهم أن يجتهدوا في الدعاء، رجاء تأمين الملائكة على دعائهم.

٢١- الاجتهاد في الطاعة:

الملائكة الكرام، سيرهم وخبرهم في عبادتهم لربهم معلوم لكل ذي بصيرة، فهم لله ساجدون راكعون ذاكرون مسبحون مستغفرون على الدوام لا يفترون.

فحق على من علم ذلك، أن يجتهد قدر استطاعته في طاعته لخالقه، حق على من استشعر ذلك، أن يحرص كل الحرص على عبادة ربه حق العبادة، وأن يتعلم الصبر والجلد على العبادة من الملائكة الكرام.

وربما قال قائل: هؤلاء الملائكة مجبولون مطبوعون على طاعة الله. أقول: نعم هذا صحيح!، ولكن هل استفرغت ما في وسعك، وأتيت بكل ما تقدر في طاعتك لربك، ومجاهدتك لنفسك في سبيل الله؟ وهذا هو المقصود، فلك أن تصوم وتفطر، وتقوم وترقد، وتأتي بالطاعة على قدر أمرك، فإن خالفت ذلك، فقد جانبت سنة نبيك ﷺ.

والمرام من ذلك، أن تكون عبادة الملائكة على هذا النحو الدائم ليلاً ونهارًا، تذكرة لك، وتبصرة للطريق الحق، في ذلك الشأن. وهكذا العبد

المؤمن، يتعلم ويأخذ العبر والدروس من كل شيء ينبغي أن يكون له فيه عظة وذكرى.

٢٢- البعد عن العجب بالطاعة:

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:«**إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كالسلسلة على صفوان**» قال علي، وقال غيره: «**صفوان ينفذهم ذلك، فإذا فزّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير**»[١].

وعن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:«**مررت ليلة أسري بي بالملأ الأعلى، وجبريل كالحلس البالي من خشية الله تعالى**»[٢].

هذا هو حال الملائكة كما أخبر عنهم سبحانه: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾[٣] إشفاق وخوف من غضب الله وعذابه، وهم من هم بين منازل العبادة والطاعة ليل نهار. هل قالوا لنا حسنات أمثال الجبال لا نضيع معها؟!

هل قالوا نحن من الله بمكان، نعبده ونسبحه ليل نهار فلن ينسانا بعد هذا المجهود المضني؟!

هل قالوا جميع بني آدم عصاة إلا من رحم الله وقليل ما هم، أما نحن فمن مثلنا؟ ومن عمل عملنا؟ فنحن أحق بالفخر عليهم؟! هل قالوا ذلك؟!

---

١) سبق تخريجه وهو عند البخاري.
٢) سبق تخريجه.
٣) الأنبياء: ٢٨.

لا والله ما قالوا ذلك، ولا ينبغي لهم ذلك، فهم عباد مكرمون في كل شيء، أما نحن أهل الذنوب والكبائر، ابتلينا بهذا الداء، وهو العجب بالطاعة، مع غزارة الذنوب وكثرتها. فهذا دائمًا يحدثك عن قيام الليل في كل مناسبة، يريد بذلك لفت نظر الناس إليه أنه من أهل قيام الليل، وهذا جعل ديدنه الحديث عن الصيام وفوائده، ومنهم من يقول: "أنا بفضل الله" أصوم يومًا وأفطر يومًا، وآخر يذكر بطولاته الرائعة وإنجازاته الكبيرة في مجال الدعوة، أو في مجال الجهاد كلما جلس إليه إنسان، وهذا يتكلف البكاء بل والصراخ في حضور الناس بشيء ملفت للنظر، وذاك رمى بكتفيه على صدره ودلى عنقه وأحنى ظهره ويمشي الهوينا، وآخر وآخر.. ومدار كل ما سبق على النية، نسأل الله السلامة.

صور كثيرة تدل على عجب أصحابها بطاعتهم، ولو علموا لامتطوا شراع الخوف والرجاء، فهناك النجاة بإذن الله، وكل ذلك له ضوابط وقيود عرفها من عرفها، وجهلها من جهلها، فلم العجب؟ ولم الرياء؟ ولنتعلم التواضع، وهضم الجانب في هذا المجال أمام أنفسنا، ونرجو من الله ﷻ القبول.

ولا يُظهر أحد منا عبادة له مهما كان، إلا إذا رأى في ذلك، حسنة ستكون، وفائدة ستتحقق، وضمن أنه لن يصاب بالعجب، إذا ما أظهر سِرّ بينه وبين ربه.

ووالله السلامة كلها أن يجتهد كل منا أن يكون له خبيئات عند رب البريات، ولا يتحدث بذلك مهما كان، بل يُخفي عبادته حتى عن نفسه، والمتأمل سيجد طرقًا يحقق بها ما يريده من حض الناس وحملهم على المسارعة إلى الخيرات.

ولنا في سلفنا الصالح أسوة حسنة في هذا المضمار، فهذا أبو بكر الصديق كان يمسك بلسانه ويبكي ويقول هذا الذي أوردني الموارد إلى غير ذلك صور كثيرة، تبرهن على إخلاص هذا الجيل الفريد، وأنهم كانوا أبعد الناس عن العجب بالأعمال، مع ما لهم من رصيد ضخم في ميدان المسابقة إلى الخيرات، بل وأثنى الله عليهم بذلك، بل وأكثر من ذلك، أن الرجل منهم يبشره رسوله ﷺ بالجنة، وكذلك ربه، فيظل بين دفتي الخوف والرجاء حتى يبلغ المأمن بإذن الله تعالى. فلنتعلم من هدي هؤلاء الملائكة الأبرار، وسلفنا الأطهار، رضي الله عنهم أجمعين.

الفصل الثالث

الإيمان بالكتب

تمهيد:

المبحث الأول: تعريف الكتب

المبحث الثاني: إثبات الإيمان بالكتب

المبحث الثالث: ما عُرف من الكتب السابقة

المبحث الرابع: تحريف الكتب السابقة

المبحث الخامس: حفظ الله تعالى لكتابه

المبحث السادس: نسخ القرآن للكتب قبله

المبحث السابع: أثر الإيمان بالكتب على العباد

الفصل الثالث

الإيمان بالكتب

تمهيد:

يقول الأستاذ: محمد قطب -حفظه الله-: يجيء ذكر الإيمان بالكتب السماوية في القرآن في صيغة الأمر تارة، وصفة للمؤمنين تارة أخرى، كما يجيء عدم الإيمان بالكتب المنزّلة أو الإيمان ببعضها دون البعض الآخر علامة على الكفر تارة ثالثة...

ومفهوم هذه الآيات وأمثالها، سواء كانت أمرًا مباشرًا، أو وصفًا للمؤمنين، أو وصفًا للكافرين، هو أن الإيمان بالكتب السماوية كلها أمر واجب لا يتم إيمان المرء إلا به، وذلك أمر بدهي بالنسبة للمؤمن، فما دام يؤمن بالله وصدق ما نزل من عنده من الوحي، وما دام الله يخبره في كتابه الكريم أنه قد أنزل كتبًا سابقة على الأنبياء والرسل، فالواجب أن يؤمن بهذه الكتب المنزلة ويعتقد يقينًا أنها منزلة من عند الله. ومن شك في هذه الحقيقة، أو كذب بها فهل يكون مؤمنًا على الإطلاق؟!

وكيف يكون مؤمنًا بالله حقًا، وهو يكذب خبرًا آتيًا إليه من الله؟! إن من بين دعائم الإيمان التصديق، فكيف يوجد الإيمان إذا كذب الإنسان حرفًا واحدًا مما أخبره الله به؟ وما قيمة دعواه أنه مؤمن بالله، أو مؤمن ببعض الكتب التي أنزلها الله؟!

إنها دعوى مردودة على صاحبها لأن الدليل العلمي يكذبها.. ثم إن الكتب السماوية كلها تحتوي على حقيقة واحدة، هي الأمر بعبادة الله وحده..

كذلك اختلفت هذه الكتب فيما تحتويه من شرائع، فالله يخبرنا أنه أنزل شرائع مختلفة للأقوام المختلفين: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[1].

ولكن القضية الأصلية في هذه الكتب كلها واحدة لم تتغير: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[2]، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[3].

وما دام الأمر كذلك، فالإيمان بالكتب كلها هو كالإيمان بالكتاب الواحد سواء، والقضية عند المؤمن واضحة لا تحتاج إلى جدال، إنما الجدال قد جاء في الحقيقة من أهل الكتاب، لأنهم الذين رفضوا أن يؤمنوا بأن القرآن منزل من عند الله، وحساب هؤلاء على الله[4].

---

١) المائدة: ٤٨.
٢) الأنبياء: ٢٥.
٣) النحل: ٣٦.
٤) (ركائز الإيمان/١٩٢-١٩٤) باختصار.

المبحث الأول

تعريف الكتب

التعريف اللغوي:

الكتب جميع كتاب، والكتاب: مصدر كتب يكتب كتبًا وكتابًا وكتابة إذا جمع الحروف، وألف بينها، فكانت كلمات ذات معان خاصة، ثم كون من تلك الكلمات ذات المعاني جُملاً مفيدة، تسمى كلامًا.

التعريف الاصطلاحي:

التصديق الجازم بما أوحى الله تعالى من كلامه الخاص إلى من اصطفى من رسله عليهم السلام، فجُمع ودوّن فكان صحفًا مطهرة، وكتبًا قيمة، فما عرف منها آمن به المؤمن تفصيلاً، وما لم يعرف آمن به إجمالاً.

المعنى العام للإيمان بالكتب:

فالكتاب إذًا هو ما حوى كلامًا مفيدًا، ذا أغراض متعددة وكتب الله تعالى التي يجب الإيمان بها: هي الصحف التي حوت كلام الله ﷻ الذي أوحاه إلى رسله عليهم السلام، فكونت كتبًا، أو بقيت صحفًا لم تجمع، ولم يتكون منها كتاب خاص.

فالصحف كصحف إبراهيم وموسى عليهما السلام، والكتب كالتوراة، والزبور، والإنجيل، والقرآن العظيم"[1].

---

١) (عقيدة المؤمن/٢٣٤).

المبحث الثاني

إثبات الإيمان بالكتب

أولاً: من القرآن:

١ - ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾[1].

٢ - ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[2].

٣ - ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[3].

٤ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[4].

---

١) النساء: ١٠٥.
٢) النساء: ١٦٣.
٣) المائدة: ٤٤.
٤) النساء: ١٣٦.

٥- ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[١].

وغير ذلك من الآيات كثير.

ثانيًا: من السنة:

١- حديث جبريل عليه السلام المشهور عندما سأل رسول الله ﷺ فقال: فأخبرني عن الإيمان. قال: **«أن تؤمن بالله، وملائكته وكتبه ورسله»**[٢]. فأخبر ﷺ أن الإيمان بالكتب من أصول الإيمان، ولفظة الكتب هنا عامة، فتشمل كل ما أخبر الله به في كتابه.

٢- عن زيد بن أرقم ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به»**[٣].

٣- عن البراء بن عازب ﷺ قال: مُرَّ على النبي ﷺ بيهودي مُحَمَّمًا مجلودًا، فدعاهم ﷺ فقال: **«هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟»** قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم، فقال: **«أنشدُك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟»**. قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم[٤]

---

١) الأعلى: ١٨، ١٩.
٢) مسلم: كتاب الإيمان، باب، بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم (٩٣) (نووي/١/١٠١).
٣) مسلم: كتاب فضائل الصحابة: من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، رقم (٦١٧٥) (نووي/١٥/١٧٤).
٤) مسلم: كتاب الحدود، باب رجم اليهود، أهل الذمة في الزنى، رقم (٤٤١٥) (نووي/١١/٢٠٨).

المبحث الثالث

ما عُرف من الكتب السابقة

١- التوراة:

قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

٢- الإنجيل:

قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[2].

٣- الزبور:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[3].

---

١) المائدة: ٤٣، ٤٤.
٢) المائدة: ٤٦.
٣) الإسراء: ٥٥.

٤- صحف إبراهيم وموسى:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ * صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[1].

"وهكذا تتلخص عقيدة المؤمن في الإيمان بأنه يؤمن بكل كتاب أنزله الله تعالى على من اصطفى من رسله، لحمل رسالاته، وإبلاغها إلى عباده، فما عرف منها مفصلاً آمن به مفصلاً. وما عرفه منها مجملاً آمن به مجملاً. ولا يؤمن ببعض ويكفر ببعض تعصبًا وضلالاً، كما هو حال اليهود والنصارى الذين آمنوا بالتوراة المحرفة والإنجيل المبدل المغيّر، وكفروا بالقرآن المحفوظ الباقي غضًا طريًا كما نزل، والصافي المحض الذي لم يُشب، فكانوا كمن آمن بالباطل وكفر بالحق، وهم -يعلم الله- لكذلك[2] . اهـ.

١) الأعلى: ١٨، ١٩.
٢) (عقيدة المؤمن/٢٣٩).

المبحث الرابع

تحريف الكتب السابقة

ومن هذا التحريف ثلاثة أنواع ورد ذكرها في كتاب الله تعالى:

المطلب الأول: تحريف المعنى مع بقاء اللفظ على ما هو عليه:

قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[1].

"فكيف تحايلوا على النص الموجود في كتابهم، أو بعبارة أخرى كيف حرفوه ليبيحوا لأنفسهم التعامل بالربا مع الناس وسلب أموالهم؟! لقد قالوا: إن الربا غير جائز في التعامل بين اليهود، وكذلك الأمانة واجبة في تعامل اليهود بعضهم مع بعض.. أما إن كان الذي تتعامل معه من غير اليهود فلا بأس عليك أن تتعامل معه بالربا، ولا بأس عليك أن تأكل ماله ويزعمون أن الله أباح لهم ذلك، وهم يعلمون أن هذا كذب على الله فإنه حرم عليهم الربا إطلاقًا وحرم عليهم سلب أموال الناس جميعًا"[2].

ولقد ذمهم الله تبارك وتعالى على فعلهم ذلك فقال تعالى:

---

١) النساء: ١٦٠، ١٦١.

٢) (ركائز الإيمان/١٩٦).

﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(1).

المطلب الثاني: التحريف بالتغيير والإضافة:

فأما اليهود فقد ذمهم الله بذلك وتوعدهم حيث قال تعالى: عن هؤلاء القوم: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ * ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾(2)،وقال تعالى عنهم:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾(3)، وغير ذلك في توراتهم أشياء يقشعر منها البدن فعليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة.

وكذلك ذم الله ﷻ النصارى على تحريفهم وتبديلهم فقال تبارك وتعالى:

---

1) آل عمران: ٧٥.
2) آل عمران: ١٨١، ١٨٢.
3) المائدة: ٦٤.

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ۞ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[(1)].

وفي هذه الآيات رد صريح على تحريف النصارى للإنجيل وإبطال مزاعمهم في ألوهية عيسى عليه السلام وغيره. وغير هذه الآيات كثير في فضح هذا النوع من التحريف.

المطلب الثالث: التحريف بالكتمان

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[(2)].

وقال تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[(3)].

وعن البراء بن عازب ﷺ قال: مُرَّ على النبي ﷺ بيهودي مُحَمَّمًا مجلودًا، فدعاهم ﷺ فقال: «هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟» قالوا نعم، فدعا

---

١) آل عمران: ٧٩، ٨٠.
٢) البقرة: ١٤٦.
٣) آل عمران: ١٨٧.

رجلاً من علمائهم، فقال: «أنشدُك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟» قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك نجده الرجم[1]

١) مسلم: كتاب الحدود، باب رجم اليهود، أهل الذمة في الزنى، رقم (٤٤١٥) (نووي/١١/٢٠٨).

المبحث الخامس

حفظ الله تعالى لكتابه

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي -رحمه الله-: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ أي: في حال إنزاله، وبعد إنزاله، ففي حال إنزاله حافظون له، من استراق كل شيطان رجيم، وبعد إنزاله أودعه الله في قلب رسوله، واستودعه في قلب أمته، وحفظ الله ألفاظه من التغيير فيها، والزيادة والنقص، ومعانيه من التبديل، فلا يحرّف محرّف معنى من معانيه، إلا وقيض الله له من يبين الحق المبين، وهذا من أعظم آيات الله ونعمه على عباده المؤمنين، ومن حفظه: أن الله يحفظ أهله من أعدائهم، ولا يسلط عدوًا يجتاحهم[2] اهـ.

"ولقد هيأ الله ﷻ لكتابه ظروف الحفظ الذي قدره له منذ الأزل وهو في اللوح المحفوظ ومن ذلك ما يلي:

١- هيأ له أمة قوية الحافظة بصورة غير عادية، فقد كان العرب في الجاهلية يروون ألوفًا من أبيات الشعر بغير تدوين، إنما يحفظونها في ذاكرتهم، ويتداولون روايتها.

٢- هيأ له سهولة في الحفظ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (القمر/١٧).

---

١) الحجر: ٩.
٢) (تيسير الكريم الرحمن/١/٩٠٥).

٣- هيأ له أمة مستقرة آمنة ممكنة في الأرض، لديها الفرصة الكاملة للحفظ والتدوين، فكان الحفاظ يحفظون على يدي رسول الله ﷺ حتى يتقنوا الحفظ، ثم يدونوا ما يحفظون، ويراجع عليهم رسول الله ﷺ بنفسه.

٤- وأخيرًا هيأ له مراجعة من الملأ الأعلى، فقد كان رسول الله ﷺ يحفظ ما يوحى إليه ثم يراجعه على جبريل عليه السلام مرة كل سنة، وفي السنة الأخيرة راجع جبريل القرآن كله على رسول الله ﷺ مرتين.

٥- ثم إنه بعد تدوينه لم يعد هناك مجال لعبث عابث، بل إن الحفاظ ظلوا خلال القرون يراجعون كل نسخة تكتب من المصحف مراجعة دقيقة، فلما أن صار المصحف يطبع طباعة صارت لجان من كبار الحفاظ تراجع كل حرف منه قبل أن تأذن بطبعه. وبهذه الوسائل كلها وغيرها تحقق للقرآن ذلك الحفظ الذي قدره الله تعالى له: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾[(١)] [(٢)]

---

١) الحجر: ٩.
٢) (ركائز الإيمان/٢٠٦).

المبحث السادس

نسخ القرآن للكتب قبله

المطلب الأول: نسخ الكتب الأولى بعضها ببعض:

وهذا مما يجب علينا الإيمان به، أن الكتب الأولى بعضها نسخ بعض ما جاء في الأخرى، كما نسخت بعض شرائع التوراة بالإنجيل، قال تعالى في حق عيسى عليه السلام: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[1]. قال الإمام ابن كثير رحمه الله: فيه دلالة على أن عيسى عليه السلام نسخ بعض شريعة التوراة وهو الصحيح من القولين[2] اهـ.

المطلب الثاني: نسخ القرآن لما قبله:

لقد نسخ القرآن ما قبله من الكتب والشرائع. قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[4]، ولقد نسخ القرآن هذه الكتب لفظًا وحكمًا، فلا تقرأ للتعبد، ولا يعمل بما فيها من شرائع وأحكام وذلك لما يلي:

---

١) آل عمران: ٥٠.
٢) (تفسير ابن كثير/١/٣٧٣).
٣) آل عمران: ١٩.
٤) آل عمران: ٨٥.

أولاً: لما داخلها من تحريف، وما أصابها من تضييع ونسيان إذ لم يبق فيها ما يجزم بصحة نسبته إلى الله أبدًا، عرف هذه الحقيقة وقررها المنصفون والمحققون من علماء أهل الكتابين معًا.

ثانيًا: كان التشريع فيها خاصًا ببني إسرائيل، وموقوتًا بزمن معين، وليس أدل على نسخ القرآن للكتب قبله من أمر الله تعالى للنبي ﷺ أن يحكم بين سائر الناس على اختلاف ما ينتحلون من ديانات بالقرآن الحكيم، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾(١).

ثالثًا: كونه مهيمنًا عليها رقيبًا شهيدًا، فما صححه منها وأقره فيها صح وقر، وما أبطله منها ونفاه لكونه دخيلاً عليها ليس منها بطل وانتفى، كما قال تعالى:

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾(٢).

رابعًا: كون ما يحمل من التشريع الإلهي عامًا لكل الناس في أي مكان كانوا، وفي أي زمان وجدوا، وذلك لعموم الرسالة، قال تعالى:

---

١) النساء: ١٠٥.
٢) المائدة: ٤٨.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[1]، وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

خامسًا: تعهد الرب تبارك وتعالى بحفظه إلى أن يرفعه إليه، إذ قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۞ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[4].

سادسًا: شموله لأصول الهداية للبشرية وفروعها، واحتواؤه على أعظم منهج رباني محقق لسعادة الإنسان في الدنيا وفي الآخرة، متى آمن به وعمل بما فيه. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۞ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[5] [6]

---

١) الفرقان: ١.
٢) سبأ: ٢٨.
٣) الحجر: ٩.
٤) فصلت: ٤١، ٤٢.
٥) المائدة: ١٥، ١٦.
٦) عقيدة المؤمن/٢٤٨-٢٥١).

المطلب الثالث: نسخ القرآن بعض آياته ببعض:

وينبغي أن نعتقد كذلك، أن نسخ القرآن بعض آياته ببعض حق كما قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[١].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي -رحمه الله-: النسخ، هو النقل، فحقيقة النسخ نقل المكلفين من حكم مشروع إلى حكم آخر، أو إلى إسقاطه، وكان اليهود ينكرون النسخ، ويزعمون أنه لا يجوز، وهو مذكور عندهم في التوراة، فإنكارهم له، كفر وهوى محض. فأخبر تعالى عن حكمته في النسخ، فقال:

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ أي، ننسها العباد، فنزيلها من قلوبهم ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ وأنفع ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾[٢].

---

١) البقرة: ١٠٦.
٢) (تيسير الكريم الرحمن/١/٧٨).

المبحث السابع
أثر الإيمان بالكتب على العباد

تمهيد

يظهر أثر الإيمان بالكتب إذا ما علم العبد أن من الأمم من هلك بسبب تكذيبهم برسالات الله تبارك وتعالى، انظر إلى موقف صالح بعد أن حل الهلاك بقومه فقال لهم بعد أن تولى عنهم: ﴿وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّـٰصِحِينَ﴾[1].

وانظر كذلك إلى موقف شعيب بعد هلاك قومه:

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ﴾[2].

فإن هلاك هذه الأمم يحث المسلم على الأخذ بما في هذه الكتب إن كان أقرّه كتابنا.

ويُخوِّف المسلم إن حاد عن كتاب الله أن يناله ما نال هذه الأمم من قبل، ومع ذلك فقد نحّى القرآن عن تحكيمه في حياة الناس إلا من رحم الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ويمكن أن أجمل القول فأقول: إن سعادة الدنيا والآخرة متوقفة على الإيمان بما نزل من عند الله وحوته تلك الكتب، وسيتضح لك ذلك إن شاء الله تعالى إذا قرأت ما يلي:

---

١) الأعراف: ٧٩.
٢) الأعراف: ٩٣.

المطلب الأول: أثر الإيمان بالقرآن على العباد

١- جعله مصدرًا للتشريع:

يقول الدكتور عبدالعظيم فودة -رحمه الله-: الأحكام الشرعية الواردة في القرآن الكريم، إما أن تكون أحكامًا اعتقادية بما يجب على المكلف اعتقاده .. أو أحكامًا عملية تتعلق بما يصدر عن المكلف من أقوال وأفعال وعقود وتصرفات، وهذه الأحكام العملية، قد تكون أحكامًا يقصد بها تنظيم علاقة الإنسان بربه وهي أحكام العبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج ونذر ويمين وغير ذلك من العبادات، وقد تكون أحكامًا يقصد بها تنظيم علاقة المكلفين بعضهم ببعض سواء أكان ذلك على المستوى الفردي، أو على مستوى الأمة والجماعة كلها، وهذه هي أحكام المعاملات من عقود وتصرفات وعقوبات وجنايات وغير ذلك مما يتعلق بمعاملات المسلمين وتصرفاتهم وتنظيم شئونهم أفرادًا أو جماعات.

وهذه الأحكام الخاصة بالمعاملات التي وردت في القرآن الكريم تشمل المجتمع الإسلامي كله وتنظم علاقاته وتعامله في كل مستوياته من الفرد والأسرة باعتبارهما الأساس الذي يقوم عليه المجتمع، وكذلك الأمة ونظام حكمها، وما يتعلق بإدارة شئونها في كل ما تتطلبه حياتها. فالأحكام الخاصة بنظام الأسرة، تتعلق بها من بدء تكوينها وما يهدف إليه الإسلام من غايات يسعى إلى تحقيقها في مجال الأسرة بإلزام المسلمين بهذه الأحكام، وتنظيم علاقة الزوجين والأقارب بعضهم ببعض، والحقوق والواجبات المشروعة لكل فرد في مجال الأسرة.

والأحكام الاقتصادية التي تتعلق بمعاملات الأفراد فيما بينهم من بيع وإجارة ورهن وكفالة وشركة ومداينة ووفاء بالتزام، يقصد بها تنظيم علاقات الأفراد المالية وحفظ حقوقهم وأموالهم، وبالإضافة إلى ما ورد في القرآن الكريم من آيات تنظيم معاملات الأفراد المالية وردت فيه آيات أخرى تتعلق بحق الفقراء في مال الأغنياء وتنظيم موارد المال ومصارفه ويقصد بهذه الآيات تنظيم العلاقات المالية بين الأغنياء والفقراء وبين الدولة والأفراد.

والأحكام الجنائية الواردة في القرآن الكريم تتعلق بما يصدر عن المكلف من جرائم وما يستحقه عليها من عقوبة ويقصد بها حفظ حياة الناس وأموالهم وأعراضهم وحقوقهم وتحديد علاقة المجني عليه بالجاني، وهذه الأحكام الجنائية تتصل بها أحكام أخرى خاصة بالمرافعات وهي التي تتعلق بالقضاء والشهادة واليمين، ويقصد بها تنظيم الإجراءات التي تكفل تحقيق العدل بين الناس.

وقد وردت في القرآن الكريم آيات تتعلق بنظام الحكم والأصول والقواعد العامة التي يجب أن يقوم عليها، والمبادئ التي ينبغي الالتزام بها والغايات التي يهدف إلى تحقيقها، ويقصد بهذه الأحكام تحديد طبيعة الحكم وأسسه وواجباته وعلاقة الحاكم بالمحكوم وتقرير ما للأفراد والجماعات من حقوق والتزامات.

وتتصل بهذه الأحكام الخاصة بنظام الدولة الإسلامية أحكام أخرى تتعلق بمعاملة الدولة الإسلامية لغيرها من الدول، وبمعاملة غير المسلمين في الدولة

الإسلامية، وذلك لتحديد علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول في السلم وفي الحرب، وتحديد علاقة المسلمين بغيرهم في داخل الدولة الإسلامية[١] اهـ.

وقال الشيخ عبدالوهاب خلاف -رحمه الله-: ومن استقرأ آيات الأحكام في القرآن، يتبين بأن أحكامه تفصيلية في العبادات وما يلحق بها من الأحوال الشخصية والمواريث، لأن أكثر أحكام هذا النوع تعبدي لا مجال للعقل فيه ولا يتطور بتطور البيئات، وأما فيما عدا العبادات والأحوال الشخصية من الأحكام المدنية والجنائية والدستورية والدولية والاقتصادية فأحكامه فيها قواعد عامة ومبادئ أساسية ولم يتعرض فيها لتفصيلات جزئية إلا في النادر لأن هذه الأحكام تتطور بتطور البيئات والمصالح فاقتصر القرآن فيها على القواعد العامة والمبادئ الأساسية ليكون ولاة الأمر في كل عصر في سعة من أن يفصلوا قوانينهم حسب مصالحهم في حدود أسس القرآن من غير اصطدام بحكم جزئي فيه[٢] اهـ.

٢- تملك القلوب بإعجاز بلاغته:

قال الإمام بدر الدين الزركشي -رحمه الله- في وصف إعجاز القرآن في بلاغته، وفصاحته، وإيجازه، وجذب القلوب إليه، وغير ذلك مما سيأتي من كلامه رحمه الله فقال: وهو الكلام الجزْل، وهو الفصل الذي ليس بالهزل، سراج لا يخبو ضياؤه، وشهاب لا يخمد نوره وسناؤه، وبحر لا يُدْرَك غوره، بهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كل مقول، وتضافر إيجازه وإعجازه، وتظاهرت حقيقته ومجازه، وتقارن في الحسن مطالعه ومقاطعه،

---

١) (الحكم بما أنزل الله/٦١، ٦٢).
٢) (أصول الفقه/٣٥).

وحَوَتْ كل البيان جوامعه وبدائعه، قد أحكم الحكيم صيغته ومبناه، وقسم لفظه ومعناه، إلى ما ينشط السامع، ويقرِّط المسامع من تجنيس أنيس، وتطبيق لبيق، وتشبيه نبيه، وتقسيم وسيم، وتفصيل أصيل، وتبليغ بليغ، وتصدير بالحسن جدير، إلى غير ذلك مما احتوى من الصياغة البديعة، والصناعة الرفيعة.

فالآذان بأقراطه حالية، والأذهان مما أسماطه غير خالية، فهو من تناسب ألفاظه، وتناسق أغراضه، قلادة ذات اتساق، ومن تبسم زهره، وتنسم نَشْره، حديقة مبهجة للنفوس والأسماع والأحداق. كل كلمة منه لها من نفسها طرَب، ومن ذاتها عجب، ومن طلعتها غُرّة، ومن بهجتها دُرة، لاحت عليه بهجة القدرة، ونزل ممن له الأمر، فله على كل كلام سلطان وإمرة، بهر تمكّنُ فواصله، وحسن ارتباط أواخره وأوائله، وبديع إشاراته، وعجيب انتقالاته من قصص باهرة، إلى مواعظ زاجرة، وأمثال سائرة، وحكم زاهرة، وأدل على التوحيد ظاهرة، وأمثال بالتنزيه والتحميد سائرة، ومواقع تعجب واعتبار، ومواطن تنزيه واستغفار.

إن كان سياق الكلام ترجيةً بسط، وإن كان تخويفًا قبض، وإن كان وعدًا أبهج، وإن كان وعيدًا أزعج، وإن كان موعظة أقلق، وإن كان ترغيبًا شوّق.

هذا وكم فيه من مزايا   وفي زواياه من خبايا

فالسعيد من صرف همته إليه، ووقف فكره وعزمه عليه، والموفق من وفقه الله لتدبره، يملأ القلوب بشرًا، ويبعث القرائح عبيرًا ونشرًا، يحي القلوب بأوراده، ولهذا سماه الله روحًا فقال: ﴿يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ

مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾[1] فسماه روحًا لأنه يؤدي إلى حياة الأبد، ولولا الروح لمات الجسد[2] اهـ.

٣- النجاة من الكفر:

وليس أدل على ذلك من أن صناديد الكفر لم يكن شيئًا أغيظ لهم من أن يسمعوا القرآن أو يسمع أي من الناس حرفًا واحدًا من كتاب الله تعالى، من أجل ذلك كانوا يجعلون أناسًا على مداخل مكة، فما من غريب يدخلها إلا حذروه من رسول الله ﷺ أن يسمع منه شيئًا خشية دخوله في الإسلام، وتعاهد الطواغيت على جمع كلمتهم في رسول الله ﷺ حتى لا يتضارب كلامهم عند من يسمع ذلك منهم، وقالوا: إن رسول الله ﷺ ساحر، فمن سمعه سُحر بقوله، فالحذر الحذر أن تسمعوا منه شيئًا.

والسرّ في ذلك أن هذا الكلام الذي يسمعونه، ليس بكلام رسول الله ﷺ بل هو كلام الله تعالى الذي أوحاه إلى رسوله ﷺ، فما من إنسان ينشد الطريق الحق فيسمعه إلا وقع في قلبه، ونجاه من طريق الكفر وأخذ بيده من الظلمات إلى النور. وهناك عشرات الأمثلة على ذلك، كلها تؤيد هذا القول، أن من أراد الهداية صادقًا من قلبه فيسمع القرآن إلا كان من أهل الإسلام، وفيما يأتي أمثلة على ذلك:

---

١) غافر: ١٥.
٢) (البرهان في علوم القرآن/٣-٥).

أ- لماذا أسلم هذا القسيس؟

وندع هذا القسيس الذي أسلم بعد، يقص علينا ما عاشه بنفسه في هذه الرحلة العميقة، حتى وصل إلى شاطئ السلامة بإذن الله، فاعتنق الإسلام، وتشرف به. يقول: عشرون عامًا قضيتها في خدمة الكنيسة وعبادة الصليب، متوجًا ذلك برسالة الدكتوراه في اللاهوت والكهنوت المسيحي، فقد كنت من خدّام الكنيسة البارزين، تدرجت في المناصب الكنسية حتى أصبحت المسؤول الأول عن نشاطات التنصير في قارة آسيا! ولم لا!!

فقد كنت الرجل الثالث في مجمع كنائس قارة آسيا أو قل! من تلك الكوكبة الذين وصلوا بعلمهم وجهادهم إلى ذلك المنصب القيادي الخطير.

شربت عقيدة التثليث بسذاجة، فلم أكن حاد التفكير في صغري، ولم أفتش عن شيء أو أفكر بعقلي، فكأني معصوب العينين مسلوب التفكير...

مقارنة فاصلة:

خلوت إلى نفسي مرة ومرات، طاف بذهني سؤال حائر.

فأيهما دين الحق الإسلام أم المسيحية؟!

قذفني هذا السؤال إلى سؤال آخر كأنه المخرج، لماذا لا يكون هناك دين جديد يجمع بينهما؟!

أسلمني هذا السؤال إلى سؤال ثالث: لماذا لا أتعرف على الإسلام إذًا؟! وما هو الطريق إلى معرفة الإسلام؟!

طريقان لا ثالث لهما:

أحدهما: عن طريق المسلمين أنفسهم.

والآخر: من خلال كتابات وأقوال متعصبي المسيحية.

لكن الأول أفضل. توجهت إلى أحد معارفي من المسلمين، سألته أن يعيرني كتابه المقدس "القرآن الكريم" لكنه رفض بشدة. لماذا؟! ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾[1]، وبعد محاورة طويلة، وعدت ذلك الصديق ألا أمس هذا الكتاب بغير طهارة، ولكن كيف أتطهر؟! فما كان منه إلا أن علمني كيف أتطهر وأتوضأ.

بداية الوصول:

حملت كنزي الثمين وأنا أخفيه بين خوف وحذر، مخافة أن يراني واحد من أولئك العيون المبثوثة من قبل الكنيسة لمراقبتنا، فالجريمة كبيرة، والعقاب بشع جدًا. فليت الأمر يتوقف على الفصل والطرد، ولكنه يصل إلى القتل والتمزيق بغير رحمة. لكني لم أصبر فقد قرأت على الفور في ذلك الكتاب المقدس (القرآن الكريم)، يا إلهي! تملكتني الدهشة، وأصابتني الرعشة الشديدة التي هزتني بعنف، أحسست بقوة ذلك الصراع يستيقظ في داخلي بشدة ما هذا الذي أرى؟ إنه الحق!! إنه ينظم العلاقة بين العبد وربه بلا واسطة، ولكن كيف أهجر ديني؟ ودين آبائي؟ وأن أترك المنصب وكل هذه المزايا وذلك العيش الرغيد الذي يصعب على كثيرين غيري؟ إذاً لا بد من الانتظار قليلا!!

وحتى تكون هناك فرصة أكبر لمعرفة هذا الدين، ولتكن تلك الفترة للمقارنة الدقيقة والتمييز السديد. فلنقرأ القرآن مرة أخرى، ومرات لعل

---

١) الواقعة: ٧٧-٧٩.

الأمور تصبح أكثر وضوحًا من ذي قبل...تطهرت سريعًا، بدأت القراءة على عجل قرأت هذه الآية ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾(١).

بدأت إشراقات الإيمان تتواثب على هذا القلب، وأنا أقلب في شوق شديد كي أقرأ.. كي أتأمل وأتدبر، قرأت تلك الآية الكريمة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢).

لقد غمر الإيمان كياني وتبدد الخوف: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾(٣)، لقد آن لتلك الروح الحيرى أن تهتدي!! لا بد أن أذهب الآن وفورًا إلى صديقي المسلم، لا بد أن أعلن إسلامي، فما أن وصلت حتى رددت الشهادتين، وتوضأت وصليت ركعتين لله، لقد أصبح اسمي الآن "خالد بيلا سنتوس" بدلاً من "آرثور بيلاسنتوس"، لقد بدأت بالدعوة لهذا الدين الحنيف الذي ارتضاه الله لنا نحن البشر جميعًا(٤) اهـ.

ب- وآخر لماذا يعتنق الإسلام؟

وهذه قصة أخرى، يخبر فيها ذلك القسيس أنه كُلِّف بمهمة صعبة وهي البحث في سور القرآن عن السور التي يمكن بشيء من اللفظ والحيلة إساءة فهمها بحيث تبدو متعارضة، ولكنه خاب ظنه وعاد بخفي حنين، ولم يتردد في

---

١) محمد: ٢٤.
٢) المائدة: ٣.
٣) الرعد: ٢٨.
٤) (لماذا أسلم هؤلاء القساوسة/٥٦-٦٣) باختصار.

أن يعلن هذه الحقيقة، أن القرآن ليس به متناقضات، فما كان من القسس والرهبان إلا أن شكوا فيه، وأساؤوا به الظن، وطلبوا منه التوقف عن البحث في إصرار شديد، ولكنه لم يطق ذلك وأراد الله تعالى له الهداية.

يقول ذلك الرجل: حتى حانت ساعة الخلاص من النصرانية، والوصول إلى دين التوحيد الخالص، والرسالة الخاتمة... تاقت نفسي إلى "المصحف الشريف" الموجود أمامي.. امتدت يدي نحوه في خشوع ورهبة، قمت بفتحه على الفور أمام عيني، يا إلهي!! لقد وقعت عيناي على تلك الآية الكريمة: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[1]، اهتزت يداي، انتابتني رعشة سريعة، اهتز لها كياني كله، تحركت صفحات "المصحف الشريف" مرة أخرى. مضت برهة، تمالكت نفسي مرة أخرى، وضعت عياني على المصحف مرة أخرى، فإذا بالآية نفسها، انطلقت من داخلي "الحمد لله" بكل قوة، نطق بها جسدي كله، سيطرت على نفسي إشراقات النور والإيمان.

تفجرت في نفسي ينابيع القناعة والرضا والثقة واليقين، في نفس اللحظة اقتربت مني عجوز مسنة، طرقت زجاج السيارة التي أجلس بها.. قائلة لي: أنتم الصحافة وسيسمعون كلامكم أليس كذلك؟! لم أنبس بنت شفة، واصلت كلامها بلا انقطاع، قائلة: قل لهم يعطوني أولاً: فأنا أستحق أكثر من كل هؤلاء الحاضرين!!

---

١) القصص/٥٦.

- وكان ذلك الرجل مع مجموعة من الرجال يوزعون اللحوم على الفقراء في أمسية، وكان هو بدوره صحفي يغطي هذا الحدث، سألتها مستغربًا عن سبب هذا التميز والاستحقاق قائلا: لماذا؟ فجاءني الرد قاطعًا حاسمًا، انتفض قلبي داخل صدري كالطير الذبيح عندما قالت:" كنت نصرانية وهداني ربي للإسلام فقاطعني أهلي جميعًا"!! نزلت من السيارة مسرعًا ودخلت المسجد فاستحممت وتوضأت وصليت المغرب لأول مرة في حياتي(١) اهـ.

ج- عز الإسلام يهتدي بسبب آية "عمر بن الخطاب"

خرج عمر بن الخطاب متوشحًا سيفه يريد قتل رسول الله ﷺ فلقيه نُعيم بن عبدالله فقال له: أين يا عمر؟ فقال: أريد هذا الصابئ الذي فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها، وسب آلهتها، فأقتله. فقال له نعيم: والله لقد غرّتك نفسك من نفسك يا عمر! أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدًا؟! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ قال: وأي أهل بيتي؟ قال ختنُك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو، وأختك فاطمة بنت الخطاب، فقد والله أسلما وتابعا محمدًا على دينه، فعليك بهما.

فرجع عمر عامدًا إلى أخته وختنه وعندهما خباب بن الأرت يقرئهما، فلما دخل قال: ما هذه الهينمة التي سمعت؟ قالا له: ما سمعت شيئًا، قال: بلى والله، لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدًا على دينه! وبطش بختنه سعيد بن زيد فقامت إليه أخته فاطمة لتكفّه عن زوجها، فضربها فشجّها، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه: نعم، قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك! فلما رأى عمر بأخته من الدم ندم على ما كان صنع، فارعوى، وقال

---

١) (لماذا أسلم هؤلاء القساوسة/١٨٢-١٨٣).

لأخته: أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرؤون آنفًا، أنظر ما هذا الذي جاء به محمد –وكان عمر كاتبًا– فلما قال ذلك قالت له أخته: إنا نخشاك عليها، قال لا تخافي، وحلف لها بآلهته ليردنها، إذا قرأها إليها. فلما قال ذلك طمعت في إسلامه فقالت له: يا أخي، إنك نجس، على شركك، وإنه لا يمسها إلا الطاهر، فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة وفيها: (طه) فقرأها. فلما قرأ منها صدرًا قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه! فلما سمع ذلك خباب خرج إليه فقال له: يا عمر، والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه، فإني سمعته أمس وهو يقول: «اللهم أيّد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب!».

فالله الله يا عمر!

فقال له عند ذلك عمر: فدُلّني يا خباب على محمد حتى أتيه فأُسلم. فقال له خباب: هو في بيت عند الصفا، معه نفر من أصحابه. فأخذ عمر سيفه فتوشحه، ثم عمد إلى رسول الله ﷺ...فقال عمر: يا رسول الله جئتك لأؤمن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله! فكبّر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أن عمر قد أسلم، فتفرق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم وقد عزُّوا في أنفسهم حين أسلم عمر[1] . اهـ.

---

١) (تهذيب سيرة ابن هشام/٧٣، ٧٤) باختصار.

٤- تلاوته:

عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول آلم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»[(١)].

فانظر أخي كم من الخير العظيم حُرمه من جافى القرآن وهجره، ولو قرأ كل منا في كتاب الله تبارك وتعالى، بقدر ما يقرأ في الصحف والجرائد اليومية، لكفاه ذلك إن شاء الله أن يكون من الناجين، ولكان بعون الله من الموفقين إلى كثير من الخير يوم أن حرم غيره.

ولنا في سلفنا الصالح أسوة حسنة، فمنهم من كان يختم القرآن في ليلة، ومنهم من كان يختمه في ركعة ومنهم من كان يقرأه في ثلاث وفي سبع فأين نحن من هذا الجيل الصالح؟!.

هل ختمناه في شهر؟! فكثير من العلماء أعد من لم يختم القرآن في شهر في عداد الهاجرين له! فقل لي بربك، كم مرة ختمته في عمرك؟! لا في شهرك!! إني لأعلم أناسًا ما ختموه في العام مرة، بل وإن منهم من لم يختمه في العمر مرة!!!

فأي غبن هذا؟! وأي حرمان هذا؟!! لقد أمرنا رسول الله ﷺ بقراءة القرآن لما في ذلك من الخير العظيم، والثواب الجزيل، فهل نحن مأتمرون بما

---

١) صحيح: أخرجه الترمذي: أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء في من قرأ حرفا من القرآن ما له من الأجر، رقم (٣٠٧٥) (تحفة/٨/١٨٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٤٦٩) وفي شرح الطحاوي رقم (١٥٨) وفي المشكاة (١٢٣٧).

نعتقد وندين الله به؟! أم سيظل الحال كما هو؟! تكاسل وتخاذل! نسأل الله العافية.

٥- يشفع لأصحابه يوم القيامة:

عن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»**[١].

فأبشر يا صاحب القرآن، يا من أسهرت ليلك بتلاوته والقيام به، يا من أرهقت نفسك في مراجعته والعمل بما فيه، يا من أحللت حلاله وحرمت حرامه، يا من آمنت به وبمتشابهه وبناسخه ومنسوخه، يا من متعت نظرك بقراءته ليل نهار، وداومت على مصاحبته في الحل والأسفار.

أبشر بشفاعته لك في يوم القيامة، يوم الخزي والندامة على الكفار، أما أنت فصاحبك الذي صاحبته في الدنيا، صاحَبَك هو يوم القيامة، وكأنك في جواره بإذن العزيز الغفار، فيشفع لك عند الله تعالى، فيغفر لك، وغيرُك يُصْلَى في النار.

٦- تعلُّمه وتعليمه:

عن عثمان ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»**[٢].

وعن عثمان بن عفان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه»**[٣].

---

١) مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة رقم (١٨٧١) (نووي/٦/٣٣٠).
٢) البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، رقم (٥٠٢٧) (فتح/٩/٩١).
٣) البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، رقم (٥٠٢٨) (فتح/٩/٩١).

وهل هناك من هو أشرف علمًا ممن يعلم القرآن ويعلمه ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[1]، وهل أنت يا من تعلمت القرآن فعلّمته إلا واحدًا من هؤلاء الذي تدثروا هذا الأمر وتشرفوا به، وصاروا من خير الناس بشهادة رسول الله ﷺ؟! بلى والله!

فما عليك بعد ذلك من هؤلاء الذين انتكس فهمهم، وضل سعيهم، وصاروا يقللون من شأن أهل القرآن، ويهضمون منزلتهم، ويسخرون والعياذ بالله منهم، بما لا يخفى على كثير من الناس، خاصة في البلاد التي انتشرت فيها الفواحش، وتقليد الغرب الكافر!!

فما عليك منهم، فخيريتك ومنزلتك، قنّنها لك رسول الله ﷺ، وشرفك الله بذلك، وجعلك من أهله وخاصته، فسر في طريقك وعلّم الناس ما تعلمه من كتاب الله تعالى، وأنت يا من لا تعلم شيئًا من القرآن أقبل على تعلّمه لتنال رضا ربك تبارك وتعالى، ولتكون من أهله وخاصته، وإن كل آية تتعلمها من كتاب الله خير لك من ناقة كما قال ﷺ.

فعن عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **«أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله ﷻ خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل؟»** [2].

---

١) فصلت: ٣٣.

٢) مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب: فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه، رقم (١٨٧٠) (نووي/٦/٣٣٠).

٧- حفظه عن ظهر قلب:

عن سهل بن سعد ﷺ: أن امرأة جاءت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله جئت لأهب لك نفسي، فنظر إليها رسول الله ﷺ فصعد النظر إليها وصوبه، ثم طأطأ رأسه، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئًا جلست.

فقام رجل من أصحابه فقال يا رسول الله: إن لم يكن لك بها حاجة فزوِّجنيها، قال: «**اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئًا**» فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله، ما وجدت شيئًا، قال: «**انظر ولو خاتمًا من حديد**» فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله ولا خاتمًا من حديد، ولكن هذا إزاري. قال سهل: ماله رداء فله نصفه، فقال رسول الله ﷺ:« **ما تصنع بإزارك؟ إن لَبستَه لم يكن عليها منه شيء، وإن لبسته لم يكن عليك شيء**» فجلس الرجل حتى طال مجلسه، ثم قام، فرآه رسول الله ﷺ موليًا، فأمر به فدُعي، فلما جاء قال: «**ماذا معك من القرآن؟**» قال: معي سورة كذا وسورة كذا وسورة كذا عدَّها، قال: «**أتقرؤهن عن ظهر قلبك؟**» قال: نعم. قال: «**اذهب فقد ملَّكْتُكَها بما معك من القرآن**»[(١)].

فانظر كيف أغنى الله ﷻ ذلك الرجل بما يحفظ من القرآن، فرزقه تلك الزوجة الصالحة، واليوم هناك من يملك عشرات الألوف ولا يقدر على التزوج، فإلى الله المشتكى.

والحديث دعوة صادقة للإقبال على حفظ كتاب الله ﷻ، فوالله إن ذلك لخير من ملء الأرض ذهبًا وفضة لمن يعي هذا الفضل. وهل هناك زيادة فضل على من يؤمن بالقرآن ويعتقد صدق ما فيه، ويعمل بمعانيه؟!

---

١) البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب: القراءة عن ظهر القلب، رقم (٥٠٣٠) (فتح/٩/٩٦).

لا والله، ليس هناك بعد ذلك فضل، وأنت أيها الموحد بعملك ذلك نفّذت وصية رسول الله ﷺ عندما أوصى بكتاب الله كما ذكر ذلك طلحة ﷺ فقال:«..أوصى -أي رسول الله- بكتاب الله»[1].

٨- نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن:

عن أسيد بن حُضير قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوط عنده إذ جالت الفرس، فسكت فسكنت، فقرأ فجالت الفرس، فسكت وسكت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف، وكان ابنه يحيى قريبًا منها فأشفق أن تصيبه، فلما اجترّه رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدّث النبي ﷺ فقال له: **«اقرأ يا بن حضير، اقرأ يا بن حضير»** قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى، وكان منها قريبًا، فرفعت رأسي فانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتى لا أراها، قال: **«وتدري ما ذاك؟»** قال: لا، قال: **«تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحَتْ ينظر الناس إليها، لا تتوارى منهم»**[2].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وفيه -أي الحديث- فضيلة القراءة، وأنها سبب نزول الرحمة وحضور الملائكة -وليس ذلك على الإطلاق، إنما هو مقيد بمن كان في ذلك حاضر القلب، قوي الخشوع.

وفيه منقبة لأسيد بن حضير، وفضل سورة البقرة في صلاة الليل، وفضل الخشوع في الصلاة، وأن التشاغل بشيء من أمور الدنيا ولو كان من المباح قد يفوّت الخيرالكثير، فكيف لو كان بغير الأمر المباح. اهـ.

---

١) البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب: الوصاة بكتاب الله ﷺ رقم (٥٠٢٢) (فتح/٩/٨٣).
٢) البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب: نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن رقم (٥٠١٨) (فتح/٩/٧٧).

وإن الذي يتلو كتاب الله، وهو قوي المعتقد فيه، مصدّق بجميع ما يحتويه، خاشع القلب عند قراءته، محتسبًا عند تلاوته، وقّافًا عند مواعظه، قد جمع قلبه وذهنه على ربه عند ذلك، فمن كانت هذه حالته عند قراءة كتاب الله تعالى، فلا يمنع أن يحصل معه ما حصل مع أسيد بن حضير(١) اهـ.

٩- استذكاره وتعاهده:

عن أبي وائل عن عبدالله قال: قال النبي ﷺ:«**بئس ما لأحدهم أن يقول: نسيت آية كَيتَ وكيتَ بل نُسيَ، واستذكروا القرآن فإنه أشد تفصيًا من صدر الرجال من النُّعَم**»(٢).

وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «**تعاهدوا القرآن، فوالذي نفسي بيده لهو أشدُّ تفصيًا من الإبل في عقلها**»(٣).

فكم من إنسان سهر الليالي، وتعب وكدّ وجدّ إلى أن حفظ كتاب الله تعالى، ثم لم يلبث أن هجره حتى نسيه، وهذا غبن وحرمان في حق من هذا حاله.

من أجل ذلك حض النبي ﷺ على تعاهده واستذكاره كما سبق في الحديثين السابقين، وشبه ذلك بالإبل، فما دام أنها في عقلها سكنت وكنّت، فإن نُزع منها شردت وحرنت، حتى لا يكاد يُقدر عليها إلا بشق الأنفس. فمن آمن بالقرآن حق الإيمان، ليتذاكرَنَّه كل حين، وليقبلنّ عليه مدارسة ومراجعة

---

١) (فتح/٩/٧٩).
٢) البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب: استذكار القرآن وتعاهده، رقم (٥٠٣٢) (فتح/٩/٩٧).
٣) البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب: استذكار القرآن وتعاهده، رقم (٥٠٣٣) (فتح/٩/٩٧).

حتى يصبح كأنه عضو من جسده، لا يفارقه ما دامت الروح في الجسد، وما بقي فيه نَفَس.

١٠- منهج تزكية متكامل:

إن كتاب الله ﷻ، قد حوى بين دفّتيه، منهج تزكية للنفس والخلق، متكامل من جميع الجوانب.

فالمسلم السادر في المعاصي، الغافل عن دوره في هذه الحياة، المنشغل بنفسه وهواه، إذا ما أراد النجاة والرجوع إلى الله، فما عليه إلا أن يفتح كتاب ربه، فسيجد فيه ما يحمله على العودة إليه تعالى، وذلك إذا ما عاين بقلبه آيات الخوف-خاف العذاب والتنكيل بالعصاة، وإذا ما عاش بحسه أخبار النار على اختلاف الأخبار عنها، وعن ما يقاسيه أهل النار في النار. فإن غلب على العبد اليأس والقنوط والعياذ بالله، فما عليه إلا أن يقلّب كتاب الله، فسيجد فيه ما يحمله ويرده إلى رشده، وسيرى عندئذ ما عند مولاه من رحمة وشفقة وسعة حلم، وذلك من أخبار الرجاء والحث على التوبة وأن الله يقبلها مهما عظمت الذنوب على الإطلاق، شريطة أن يصدق في التوبة ويأتي بشروطها.

وإن اشتبه عليه أمر يقترفه وهو يجهل فما عليه إلا أن يسترشد بدستوره العظيم، فسيجد الدليل لهداية حيرته، إما مجملاً، وإما مفصلاً.

فإن أراد أن يعرف خبر من سبق، من قصص الأمم السابقة، أفرادًا و أممًا، ليقف على أمر الله فيهم، ويرى حلمه عليهم، قبل أن يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، ويأخذ من ذلك العظات والعبر، ويحذر مما وقعوا فيه من الشر، فما عليه إلا أن يقرأ كتاب الله تبارك وتعالى.

وإن أراد أن يعرف طرائق الدعوة إلى الله تعالى، ليأخذ بأيدي العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وليخرجهم من الظلمات إلى النور، فما عليه إلا أن ينظر بدقة لأخبار رسل الله تعالى، كيف ساروا في هذا الطريق مع قومهم، بل كيف دعا موسى عليه السلام فرعون مصر، وذلك ليسلك الداعية مسلكهم، فالفراعنة في كل عصر ومصر كثير.

وهكذا في سائر العبادات، والمعاملات، يسترشد المسلم بكتاب الله تعالى، فسيجد فيه القول الفصل، في كل ما ينشده، إما مجملاً وإما مفصلاً، فكتاب الله تعالى دستور شامل، ومنهج متكامل، يأخذ بيد المسلم من ظلمات المعاصي إلى نور الطاعة، ومن جور الإنسان إلى عدل الرحمن، ومن الريب والشك، إلى اليقين والتسليم، ومن الجهل إلى العلم. فهو بحق منهج تزكية متكامل.

١١- تعظيم كتاب الله تعالى والحذر من امتهانه:

قال الشيخ ابن باز -رحمه الله-: هناك طوائف كبيرة وأعدادًا عظيمة ممن ينتسب إلى الإسلام حرمت من القيام بحق القرآن العظيم، وما جاء عن الرسول ﷺ وأخشى أن ينطبق على كثير منهم قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾[1].

إذ أصبح القرآن لدى كثير منهم مهجورًا، هجروا تلاوته وهجروا تدبره والعمل به فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ولقد غفل كثير منهم عما يجب من التعظيم والتكريم لكلام رب العالمين، ولقد عمت بلاد المسلمين المنشورات والصحف والمجلات، وكثيرًا ما تشتمل

---

١) الفرقان: ٢٠.

على آيات من القرآن الكريم في غلافها أو داخلها، لكن قسمًا كبيرًا من المسلمين حينما يقرؤون تلك الصحف يلقونها فتجمع مع القمائم وتوطأ بالأقدام، بل قد يستعملها بعضهم لأغراض أخرى حتى تصيبها النجاسات والقاذورات والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

فإذا كان هذا في مس القرآن العظيم، فكيف بمن يضع الصحف التي تشتمل على آيات من القرآن العزيز سفرة لطعامه، ثم يرمي بها في النفايات مع النجاسات والقاذورات، لا شك أن هذا امتهان لكتاب الله العزيز، وكلامه المبين.

فالواجب على كل مسلم ومسلمة أن يحافظوا على الصحف والكتب وغيرها مما فيه آيات قرآنية أو أحاديث نبوية أو كلام فيه ذكر الله أو بعض أسمائه سبحانه فيحفظها في مكان طاهر، وإذا استغنى عنها دفنها في أرض طاهرة، أو أحرقها، ولا يجوز التساهل في ذلك؛ حيث إن الكثير من الناس في غفلة عن هذا الأمر، وقد يقع في المحذور جهلاً منه بالحكم[2] اهـ.

فمن هنا كان تعظيم كتاب الله تعالى واجب على كل مسلم حيث آمن به وبما فيه من أحكام وعظات وعبر. ومن وسائل تعظيم كتاب الله تعالى وتوقيره مع إبعاده عما سبق بيانه، إبعاده عن المواطن التي ابتدعت في دين الله تعالى ومن ذلك ما يلي:

---

١) الواقعة/٧٧-٨٠.
٢) (مجموع فتاوى ومقالات متنوعة/٢/١٣٣-١٣٤).

أ- اعتقاد فاسد في آيات تجلب الخير وتمنع الضرر:

قال الشيخ ابن باز -رحمه الله-: فقد اطلعت على نشرة يوزعها الكثير من الناس عن جهل، أو قصد سيء قد بدأها صاحبها بقول الله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[1] وذكر بعدها آيات ثم قال ما نصه: اهتم بإرسال هذه الآيات لتكون مجلبة خير ويمن ومال وفلاح.

ثم ذكر بعد ذلك أنه تم توزيعها حول العالم، وأن من اعتنى بها ربح ربحًا كثيرًا، ومن أغفلها أصيب بأنواع الحوادث، وذكر أنها تمنع المضرّات، وتجلب العلاج والخير بعد أربعة أيام. ونظرًا إلى أن هذه النشرة لا أساس لها من الصحة، بل هي كذب وافتراء، رأيت تحذير المسلمين منها، ووصيتهم بإتلافها أينما وجدت، وتنبيه إخوانهم على بطلانها وأن اعتقاد ما فيها يخالف شريعة الله ويقدح في العقيدة[2] اهـ.

والقرآن أنزله الله تبارك وتعالى للعمل به، لا بتعليق آياته وتوزيعها والتبرك بذلك، فإن هذا الاعتقاد يخالف ما نص عليه كتاب الله. فيجب تنزيه كتاب الله تعالى عن هذه الخرافات، وتعظيمه بما ينبغي أن يعظم به شرعًا، لا بهذه الخُزعبلات.

ب- التسول بكتاب الله تعالى:

وهذه ظاهرة تجد لها أثرًا في بعض الدول الإسلامية، تجد أن شخصًا ما يجلس في بعض الأماكن وعند المساجد يرتل القرآن، ويا للعجب ما أجمل صوته، وما أتقن قراءته!!

---

١) الزمر: ٦٦.
٢) (مجموع فتاوى ومقالات متنوعة/٢/١٣٦).

ولكنه للأسف يقرأ وهو مادّ يديه يسأل الناس، أعطوه أو منعوه وهذا بلا شك امتهان لكتاب الله تعالى، فيجب تنزيهه عن هذا الوضع المزري، وتعظيمه بالعمل بما فيه، لا بقراءته على الأرصفة، ويا لغربة هؤلاء القراء، يوم أن ذلوا وهم يحملون في صدورهم كتاب ربهم! ولو علم الناس لحملوهم فوق الرؤوس وجلسوا بين أيديهم يتعلمون!!

ج- عدم القراءة على الأموات:

قال الشيخ ابن باز رحمه الله عندما سئل عن القراءة على الأموات: هذا العمل وأمثاله لا أصل له، ولم يحفظ عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه رضي الله عنهم أنهم كانوا يقرؤون للموتى، بل قال النبي ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[1].

وإنما المشروع القراءة بين الأحياء ليستفيدوا ويتدبروا كتاب الله ويتعقلوه، أما الصدقة للموتى والدعاء لهم فهو ينفعهم ويصل إليهم بإجماع المسلمين.

وفي الإمكان أن يتصدق بالمال الذي يستأجر به من يقرأ للأموات على الفقراء والمحاويج بنية لهذا الميت، فينتفع الميت بهذا المال ويسلم باذله من البدعة[2] اهـ.

ووضع القرآن في موضع بدعة، لا يجوز، فالواجب تعظيمه بإبعاده عن هذه البدعة.

---

١) مسلم: كتاب الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، رقم (٤٤٦٨) (نووي/١٢/٢٤٢).

٢) (مجموع فتاوى ومقالات متنوعة/٤/٣٣٩-٣٤١).

د- بدعة الموالد:

قال الشيخ ابن باز -رحمه الله-: أما ما يتعلق بالاحتفال بالمولد النبوي، فقد قامت الأدلة ا لشرعية على أنه لا يجوز الاحتفال بمولد رسول الله ﷺ ولا غيره -من الموالد المعروفة للأولياء وغيرهم- لأن ذلك من البدع المحدثة، لكون رسول الله ﷺ لم يفعله ولا أحد من خلفائه الراشدين أو أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين.

ولم يفعله أيضًا التابعون لهم بإحسان في القرون المفضلة وهم أعلم الناس بالسنة، وأكمل حبًا لرسول الله ﷺ، وأحرص على متابعة شرعه ممن بعدهم[1] اهـ.

وهؤلاء أصحاب هذه الموالد، تجدهم يزجون فيها بكثير من البدع ومن ذلك، افتتاح مجالسهم "الحضرات" بقراءة القرآن الكريم ثم يتبعون ذلك بالموسيقى والإنشاد مع صوت الناي ويزعمون أن ذلك مدحًا وذكرًا.

ولقد رأيت بعيني امرأة هي التي تفتتح هذه الحفلات بقراءة القرآن وهي جالسة وسط الرجال، ثم تتابع البدع المحدثة تلاوة كتاب الله، وهذا ينافي تعظيم كتاب الله، فهل من دعوة راشدة إلى دين الله الصحيح على ضوء كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ؟

---

١) (مجموع فتاوى ومقالات../٢/٣٥٣).

المطلب الثاني: أثر الإيمان بالكتب السابقة

١- احترامها لا احتقارها وسبها:

"وذلك لأنها من عند الله تعالى، حتى ما دخل عليه التحريف من هذه الكتب، فقد كان أصلها من عند الله تعالى، لذلك لا ينبغي للمسلم أن يسب أيًا من هذه الكتب، أو يذكره بالتحقير أو الامتهان.

وغاية ما يمكن للمسلم أن يذكره، هو أن الكتب السابقة على القرآن قد دخلها التحريف والتبديل، وأنها لا يمكن الاطمئنان إلى ما ورد فيها بشكل صحيح، إلا ما شهد له شرعنا بالصحة"[١].

فهذا ما يجب على كل مسلم تجاه هذه الكتب، ولا يجوز بحال سبها، أو احتقارها، لأن هذا يفضي بمن يعتقدون صحة جميع ما في هذه الكتب ويدينون بها يفضي بهم إلى سب كتابنا بل ومن أنزله والعياذ بالله ولقد نهانا الله عن ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٢].

والآية بذلك السياق عامة في النهي عن سبب معتقدات هؤلاء، آلهتهم وما يعبدون، لأن ذلك السب يكون سببًا في سب ربنا جلّ وعلا، وكتب هؤلاء عندهما لها من القداسة على زعمهم الشيء الكثير، فلا يقبلون الحط منها، مهما كان.

---

١) العقيدة الإسلامية الميسرة/٦٨).
٢) الأنعام: ١٠٨.

ثم إن عندنا قاعدة شرعية وهي: "أن الوسائل تعتبر بالأمور التي توصل إليها، وأن وسائل الحرم، ولو كانت جائزة تكون محرمة، إذا كانت تفضي إلى الشر"[1].

فعلى هذا لا يجوز سب هذه الكتب أو احتقارها لما في ذلك من سب كتابنا، ولما في هذه الكتب من ذكر بعض ما أنزله الله تعالى.

٢- استشعار نعمة الإسلام:

وذلك عندما يرى المسلم تخبط هؤلاء القوم في بحار ظلمات الجهل والضلال، وذلك في صلب معتقدهم، وباعتراف رهبانهم وأحبارهم، والقساوسة منهم، فكثير منهم يعتقدون معتقداتهم بألسنتهم دون أن يخالط ذلك قلوبهم ومن ألقى هذه الأوهام والضلالات في قلبه، فذلك بدون أن يُعمل فيها عقله، فما هم إلا متبعو أهوائهم.

ويكفي أن المسلم لا يرى أثرًا لكتب هؤلاء في حياة الناس، إلا القليل منهم، ومن أخذ على عاتقه منهم تطبيق ما تدعو إليه الكتب، فقد ضل وأضل، ذلك أنه إنما يستقي تشريعه من مصادر محرفة، قد ملئت بما تمليه أهواء هؤلاء القساوسة والأحبار، فمن المستحيل، أن يعيش هؤلاء في ظل شريعة متكاملة الأركان، كالإسلام.

عندئذ، لا يملك المسلم حيال هذه الشرائع التي تنبثق من هذه الكتب المحرمة إلا أن يقول الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة، ذلك لتكامل

---

١) (تيسير الكريم الرحمن/١/٥٣٢).

هذه الشريعة الغراء، المنزلة من رب الأرض والسماء، تحكم الناس بالعدل، وتنظم لهم شئون الحياة جميعها في منتهى الدقة والإحكام.

٣- قوة اليقين بما فيها من حق وأكده كتابنا ورسولنا ﷺ:

إذا اتفق معي اثنان أو ثلاثة فأكثر في قضية ما، فإن ذلك يجعلني أثق في إيجابيات هذه القضية نظرًا للتوافق فيما بيني وبين الناس على هذا الأمر.

ليس هذا فقط بل لن أندم ساعتها إذا ما ضحيت في سبيل هذه القضية وفي أي أمر يثبتها ويساعد على استمراريتها والانتفاع بها ما دام أنها حق مُجمع عليه، إن كان ذلك كذلك، فما هو القول فيما اتفقت عليه جميع الأديان السابقة، وقرر ذلك الاتفاق كتب هؤلاء، ثم جاء كتابنا الخاتم ورسولنا الخاتم كذلك يقرر هذه الحقائق ويثبتها، ويدعو إليها، وإلى تطبيقها، فهل يمكن لعاقل أن يشك في هذه الحقائق بعد ذلك؟

الجواب بالطبع لا، بل الموفق السعيد هو الذي يزداد يقينًا ورسوخًا في هذه الحقائق، التي جاءت جميع الكتب أو بعضها يؤكده ويحث عليه، ثم بعد ذلك، يأمر به الشرع الذي يدين به ويعتقده.

وهذا لمن يتدبره، من أجلّ الثمرات، وأرجاها في النفع بعون الله، وأشدها أثرًا في نفس المؤمن، لهذا الإجماع، وأي إجماع! إنه إجماع على مرّ هذه القرون الطويلة، والدهور البعيدة، فلم يغيّره طول عهد، ولم تحرفه يد محرف، ولم يُطْوَ في عالم النسيان، ما دام أقرّه كتاب ربنا تبارك وتعالى. ومن هذه الآثار العظيمة ما يلي:

أ- الإيمان باليوم الآخر:

قال تعالى في ذكر دعوة إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾(1).

وفي دعوة موسى أشد وضوحًا، ولذلك نرى السحرة عندما يخرون سجدًا يقولون لفرعون: ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى * وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾(2).

وفي هاتين الآيتين وغيرهما تقرير خالد وقديم قدم هذه الرسالات ففيهما ذكر اليوم الآخر والجنة والنار، فمن كفر فيمتعه الله قليلاً ثم يكبه على منخريه في جهنم وبئس المصير.

وفيهما أيضًا التحذير من السحر وبيان أنه من أعمال المجرمين، وأن ما عند الله خير وأبقى، وفيهما أيضًا الحث على طلب المغفرة وذلك يكون بالإيمان والعمل الصالح فمن فعل ذلك حاز الدرجات العلى في جنات النعيم التي تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وما حازوا ما حازوا إلا بتزكية أنفسهم.

---

1) البقرة: ١٢٦.
2) طه: ٧٣-٧٦.

وبالضد من ذلك، أي من أجرم وظلم فإن له جهنم يتعذب فيها أشد العذاب وأنكاه، حيث أنهم -أي المجرمون- لا يموتون فيها ولا يحيون، وذلك من أشد العذاب وأخزاه فنسأل الله السلامة منها.

وهذه حقائق ثابتة في ديننا، لا يجادل فيها مجادل، لوضوحها كالشمس في رابعة النهار، وورودها في هذه الكتب يقوي اليقين في الإيمان بهذه الحقائق والاستعداد لها.

ب- البعث والنشور:

ورد ذلك على لسان نوح عليه السلام عندما ذكّر قومه أن قضية البعث والنشور ليست صعبة في حق الله تبارك وتعالى، بل هو قادر كما خلقهم أول مرة، أن يعيدهم مرة أخرى. فقال: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا * ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا﴾[1]، وذلك يرسّخ مفهوم البعث والنشور، وأن ذلك ليس بصعب في حق الله تعالى، وكذلك يحث على الاستعداد له.

ج- الحث على الاستغفار:

وذلك وارد على لسان نوح عليه السلام أيضًا عندما كان يحض قومه على ذلك: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا * يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا * وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا﴾[2].

فيا من عُقد لسانه عن الاستغفار، هذا أول الرسل عليه السلام يدعو قومه إليه، وجاء قرآننا يقص ذلك علينا، فهل من مُتَّبع؟

---

١) نوح: ١٧، ١٨.
٢) نوح: ١٠-١٢.

د- التحذير من الدجال:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "كنا نتحدث بحجة الوداع والنبي ﷺ بين أظهرنا ولا ندري ما حجة الوداع، فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر المسيح الدجال فأطنب في ذكره وقال: «ما بعث الله من نبي إلا أنذر أمته، أنذره نوح والنبيون من بعده، وإنه يخرج فيكم»[(١)].

وشأن الدجال خطير، من أجل ذلك حذر منه جميع الأنبياء، وذلك يوجب على المسلم الإيمان بهذا الأمر والتعوذ منه والحذر، كما حضنا على ذلك رسول الله ﷺ دبر كل تحيات قبل السلام من الصلاة[(٢)].

٤- قواعد عامة:

قال الدكتور عمر الأشقر حفظه الله: والكتب السماوية تقرر القواعد العامة التي لا بد أن تعيها البشرية في مختلف العصور كقاعدة الثواب والعقاب، وهي أن الإنسان يحاسب بعمله، فيعاقب بذنوبه وأوزاره، ولا يؤاخذ بجريرة غيره، ويثاب بسعيه، وليس له سعي غيره: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ * وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾[(٣)]، ومن ذلك أن الفلاح الحقيقي يتحقق بتزكية النفس بمنهج الله والعبودية له، وإيثار الآجل على العاجل.

---

١) البخاري: كتاب المغازي، باب: حجة الوداع، رقم (٤٤٠٢) (فتح/٨/١٣٣).
٢) كما ثبت ذلك عند مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر، فليتعوذ بالله أربع... ومن شرّ المسيح الدجال» كتاب المساجد، باب: ما يستعاذ منه في الصلاة، رقم (١٣٢٦) (نووي/٥/٨٩).
٣) النجم: ٣٦-٤١.

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ * وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ * بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا * وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ * إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾(1).

ومن ذلك أن الذي يستحق وراثة الأرض هم الصالحون: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾(2) (3).
وغير ذلك كثير في كتاب الله تبارك وتعالى، مما أقره الله على لسان الرسل والأنبياء الصادقين السابقين، مما يوجب التصديق بذلك والعمل بمقتضاه ويواصل الدكتور عمر الأشقر -حفظه الله- فيقول: والقرآن يخبرنا أن الرسل جميعًا حملوا ميزان العدل والقسط قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾(4)، وأنهم أمروا بأن يكسبوا رزقهم بالحلال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾(5).

وكثير من العبادات التي نقوم بها كانت معروفة عند الرسل السابقين وأتباعهم: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ

---

1) الأعلى: ١٤-١٩.
2) الأنبياء: ١٠٥.
3) (الرسل والرسالات/٢٤٧).
4) الحديد: ٢٥.
5) المؤمنون: ٥١.

وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾[1]، وإسماعيل عليه السلام: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾[2]، وقال الله لموسى عليه السلام: ﴿فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾[3]، وقال عيسى عليه السلام: ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾[4].

والصوم مفروض على من قبلنا كما هو مفروض علينا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[5].

والحج فرضه على إبراهيم عليه السلام، فقد أمره الله بعد بناء الكعبة بالحج ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[6] وقد كان لكل أمة مناسكها وعبادتها ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴾[7].

---

١) الأنبياء: ٧٣.
٢) مريم: ٥٥.
٣) طه: ١٤.
٤) مريم: ٣١.
٥) البقرة: ١٨٣.
٦) الحج: ٢٧.
٧) الحج: ٣٤. كان من هدي الأنبياء بعد ذلك الحج إلى البيت العتيق، فقد حج موسى ويونس، ففي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مر بوادي الأزرق فقال: «أي واد هذا؟» فقالوا: هذا وادي الأزرق. قال: «كأني أنظر إلى موسى عليه السلام هابطًا من الثنية وله جؤار إلى الله بالتلبية» ثم أتى على ثنية هَرْشى فقال: «أي ثنية هذه؟» قالوا: ثَنِيَّة هَرْشى. قال: «كأني انظر إلى يونس بن متى عليه السلام على ناقة حمراء جَعْدة عليه جبة من صوف خطام ناقته خُلبة وهو يلبي» قال أحمد بن حنبل في

ومما اتفقت فيه الرسالات، أنها بينت المنكر والباطل ودعت إلى محاربته وإزالته، سواءً أكان عبادة أوثان، أو استعلاء في الأرض، أو انحرافًا عن الفطرة كفعل قوم لوط، أو عدوانًا على البشر وأحوالهم بقطع الطريق والتطفيف بالميزان[1]. وغير ذلك مما اتفقت عليه الكتب أو بعضها، وأقرها كتابنا الكريم.

٥- الحذر من القراءة فيها:

على المسلم أن يحذر من القراءة في هذه الكتب، لأنها اشتملت على كثير من الباطل قد مزج بما في هذه الكتب من حق، فيصعب على المسلم أن يفرق بين الحق والباطل فيها، فيكون بين حالتين، إما أن يكذب بحق، أو يصدق بباطل، ثم إن القرآن ناسخ لها كما سبق معنا، فتكون القراءة في هذه الكتب مضيعة للوقت، وكذلك يكون القارئ فيها على خطر إن لم يكن عالمًا بشبه القوم، راسخًا في العلم بدينه، حتى مع ذلك فالأفضل أن لا يقرأ في هذه الكتب.

فهذا رسول الله ﷺ لما أتاه عمر بن الخطاب ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأ عليه، فغضب رسول الله ﷺ وقال: **«لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم -أهل الكتاب- عن شيء فيخبروكم بحق، فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني»**[2].

حديثه: قال هشيم: يعني: ليفا. كتاب الإيمان: باب ذكر النبي ﷺ للأنبياء عليهم السلام رقم (٤١٩) (نووي/٢/٣٩٨).

١) (الرسل والرسالات/٢٤٨).

٢) حسن: رواه أحمد، والبزار، وابن أبي شيبة، والدارمي، وحسنه الألباني في المشكاة.

أما إن كان ذا قدرة على تفنيد شبه هؤلاء القوم وضلالاتهم والرد عليهم لفضح معتقدهم، وإظهار حال علمائهم وبيان مدى جهلهم، وهشاشة بنيانهم، وإظهارهم أمام متبعيهم، حتى يكشف أمرهم، وينجلي زيفهم، فيكون الإسلام عزيزًا، مرفوع الجانب، أمام العالم كله، فمن كانت هذه قدرته فلا مانع من التصدي لهؤلاء، بل هذا من أعظم الجهاد، وأغيظ ما يكون للكفار.

الفصل الرابع

الإيمان بالرسل

تمهيد:

المبحث الأول: تعريف الوحي والنبي والرسول

المبحث الثاني: الفرق بين الرسول والنبي

المبحث الثالث: إثبات الإيمان بالرسل

المبحث الرابع: الواجب علينا نحو الرسل

المبحث الخامس: الأنبياء والرسل المذكورون في القرآن

المبحث السادس: الإيمان برسول الله محمد ﷺ

المبحث السابع: أثر الإيمان بالرسل على العباد

الفصل الرابع

الإيمان بالرسل

تمهيد:

قال العلامة محمد السفاريني -رحمه الله-: إن إرسال الرسل، وإنزال الكتب، وشرع الشرائع منّة من الله تعالى، وفضل لا واجب عليه ذلك وإنما هو على سبيل اللطف بالخلق والفضل عليهم، فبعثه تعالى جميع الرسل من آدم إلى محمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين إلى المكلفين، لطف من الله بهم، ليبلغوهم عنه سبحانه أمره ونهيه، ووعده ووعيده.

وبينوا لهم عنه سبحانه ما يحتاجون إليه من أمور المعاش والمعاد مما جاءوا به من شرائعهم وأحكامهم التي أنزلها الله تعالى في كتبه عليهم اختصاصًا كالقرآن العظيم واشتراكًا كالتوراة لموسى وهارون ويوشع ومن بعدهم إلى عيسى عليه وعليهم السلام حتى تقوم الحجة عليهم بالبينات، وينقطع عنهم سائر التعللات.

فالحمد لله الذي أرسل إلينا رسولاً من أنفسنا يتلو علينا آياته ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة، وإن كنا من قبل لفي ضلال مبين، ولا بقاء لأهل الأرض، ما دامت آثار الرسالة موجودة فيهم. فإذا درست آثار الرسل من الأرض وانمحت معالم هداهم أخرب الله العالم العلوي والسفلي وأقام القيامة[١] اهـ.

---

١) (لوامع الأنوار البهية/٢/٢٥٨-٢٦٢) باختصار.

المبحث الأول

تعريف الوحي والنبي والرسول

المطلب الأول: تعريف الوحي:

التعريف اللغوي:

الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك، يقال وحيت إليه الكلام. وهو اسم مصدر من أوحى إليه بكذا يوحي إيحاءً: إذا أعلمه بمراده في سرعة خفاء(١).

التعريف الاصطلاحي:

هو ما يوحي به الله تعالى من كلماته الصادقة في أخبارها، العادلة في أحكامها، بطريقة من طرق الوحي إلى من يصطفي من الناس(٢).

مسألة هامة:

ثلاثة طرق لتلقي الوحي:

الأولى: الوحي المباشر وهو أن يُعدّ الله تعالى قلب العبد ثم يلقي إلى صاحبه بكلماته التي أراد أن يوحي بها إليه، فيتلقاها النبي وهو جازم بأنها كلام الله تعالى.

الثانية: أن يخاطب الله تعالى نبيه من وراء حجاب، وقد تم هذا للنبي محمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج، وكما تم هذا التكلم من وراء حجاب لموسى عليه السلام، وكان بجبل الطور من سيناء.

---

١) (لسان العرب/١٥/٢٣٩ مادة وحى) (القاموس المحيط/١٣٤٢: مادة "وحى" (مختار الصحاح/٢٩٧: مادة " وحى" (عقيدة المؤمن/٢٦١، ٢٦٣).

٢) (عقيدة المؤمن/٢٦٣).

الثالثة: أن يوحي الله تعالى إلى من اصطفى من رسله بواسطة ملك يرسله إليه، وكان جبريل عليه السلام موكلاً بالنبي ﷺ وهو الذي صحبه في إسرائه ومعراجه، وكان يأتي النبي ﷺ في صورة دِحية بن خليفة الكلبي أحيانًا[1].

المطلب الثاني: تعريف النبي:

التعريف اللغوي:

النبي في اللغة: مشتق النبأ وهو الخبر، قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۞ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾[2]، وإنما سمي النبي نبيًا لأنه مخبر، فهو مخبر بمعنى أن الله أخبره وأوحى إليه، قال تعالى: ﴿قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[3]، وبمعنى كونه مخبرًا فهو يخبر عن الله تعالى بأمره ووحيه، قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[4].

وقيل: "النبوة مشتقة من "النبوة" وهي المكان المرتفع من الأرض وتطلق العرب لفظ النبي على علم من أعلام الأرض التي يهتدى بها، والرابط بين لفظ النبي والمعنى اللغوي واضح ذلك أن النبي ذو رفعة وقدر عظيم في الدنيا والآخرة، فالأنبياء كما هو معلوم أشرف خلق الله، وهم الأعلام التي يهتدي بها العباد فيما يكون فيه صلاح دينهم ودنياهم"[5].

التعريف الاصطلاحي: هو الذي ينبئه الله بأن يعمل بشريعة من قبله، ولم يرسل إلى كفار خالفوا أمر الله، ليبلغهم رسالة الله إليهم، وقد يوحى إليه وحي

---

١) (عقيدة المؤمن/٣٦٤-٣٦٧) باختصار.
٢) النبأ: ١-٢.
٣) التحريم: ٣.
٤) (الصحاح للجوهري/٦/٢٥٠٠) (لسان العرب/١٤/٣٠ مادة نبا).
٥) (الصحاح للجوهري/٦/٢٥٠٠) (لسان العرب/١٤/٣٠ مادة نبا).

خاص في قصة معينة، فالأنبياء يأتيهم وحي من الله بما يفعلونه ويأمرون به المؤمنين[1][2].

المطلب الثالث: تعريف الرسول:

التعريف اللغوي:

فالإرسال في اللغة: هو التوجيه، فإذا بعثت شخصًا في القيام بمهمة ما فهو رسولك. قال تعالى حكاية عن ملكة سبأ: ﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾[3]، فالرسل: إنما سموا بذلك لأنهم وجهوا من قبل الباري جل وعلا، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾[4]، قال ابن عباس: يتبع بعضهم بعضًا، فالله تعالى بعث رسله برسالة معينة، وكلفهم بحملها وأمرهم بتبليغها إلى الناس[5].

التعريف الاصطلاحي:

هو الذي ينبئه الله، ثم يأمره بأن يبلغ رسالته من خالف أمره، كنوح، فقد ثبت في الصحيح أنه أول رسول بعث إلى أهل الأرض، وقد كان قبله أنبياء كشيث وإدريس وقبلهما آدم كان نبيًا مكلمًا[6].

---

١) (النبوات/٢٥٥، ٢٥٦).
٢) (مباحث العقيدة../٤٦٥).
٣) النمل: ٣٥.
٤) المؤمنون: ٤٤.
٥) (مباحث العقيدة/٤٦٦).
٦) (النبوات/٢٥٥).

المبحث الثاني

الفرق بين الرسول والنبي[1]

الشائع عند العلماء أن الرسول أعم من النبي، فالرسول هو من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه، والنبي من أوحى إليه ولم يؤمر بالبلاغ، وعلى ذلك فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً. وهذا الذي ذكروه هنا بعيد لأمور:

الأول: أنه الله نص على أنه أرسل الأنبياء، كما أرسل الرسل في قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2]، فإذا كان الفارق بينهما هو الأمر بالبلاغ، فالإرسال يقتضي من النبي البلاغ.

الثاني: أن ترك البلاغ كتمان لوحي الله تعالى، والله لا ينزل وحيه ليكتم ويدفن في صدر واحد من الناس، ثم يموت هذا العلم بموته.

الثالث: قول الرسول ﷺ: «عرضت عليّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد»[3].

فدل هذا على أن الأنبياء مأمورون بالبلاغ، وأنهم يتفاوتون في مدى الاستجابة لهم.

والتعريف المختار: أن الرسول من أوحي إليه بشرع جديد والنبي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله. وقد كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما

---

١) (الرسل والرسالات/١٤، ١٥).
٢) الحج: ٥٢.
٣) البخاري: كتاب الرقاق: باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب، رقم (٦٥٤١) (فتح/١١/٤٩٤).

مات نبيٌّ قام نبي، كما ثبت في الحديث[1]، وأنبياء بني إسرائيل كلهم مبعوثون بشريعة موسى: التوراة، وكانوا مأمورين بإبلاغ قومهم وحي الله إليهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2].

فالنبي كما يظهر من الآية يوحي إليه شيء يوجب على قومه أمرًا، وهذا لا يكون إلا مع وجوب التبليغ. واعتبر في هذا بحال داود وسليمان وزكريا ويحيى فهؤلاء جميعًا أنبياء، وقد كانوا يقومون بسياسة بني إسرائيل، والحكم بينهم وإبلاغهم الحق، والله أعلم بالصواب.

---

١) البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم (٣٤٥٥) (فتح/٦/٦١٢).
٢) البقرة: ٢٤٦.

المبحث الثالث

إثبات الإيمان بالرسل

المطلب الأول: من القرآن:

١- قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[1].

٢- وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾[2].

٣- وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۞ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ۞ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَـٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[3].

٤- وقال تعالى: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَـٰعِيلَ وَإِسۡحَـٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ

---

١) البقرة: ٢٨٥.
٢) آل عمران: ١٧٩.
٣) النساء: ١٥٠-١٥٢.

﴿مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾(١)، وغير ذلك من الآيات كثير.

المطلب الثاني: من السنة:

١- حديث جبريل عليه السلام المشهور وفيه فأخبرني عن الإيمان قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»(٢)...

٢- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون»(٣).

٣- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة»(٤).

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: والمعنى أن كل نبي أعطي آية أو أكثر من شأن من يشاهدها من البشر أن يؤمن به لأجلها(٥).

٤- أدلة أخرى كثيرة مجملة ومفصلة ورد ذكرها في كتب خاصة كالبخاري مثلاً فقد عقد كتابًا خاصًا بأحاديث الأنبياء في صحيحه وغيره من المحدثين، وكقصة الإسراء والمعراج وما ورد فيها من ذكر للأنبياء والرسل في كل سماء وصلاته ﷺ في المسجد الأقصى، وغير ذلك من الأدلة كثير.

---

١) آل عمران: ٨٤.
٢) سبق تخريجه وهو عند البخاري ومسلم.
٣) البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم (٣٤٥٥) (فتح/٦/٦١٢).
٤) البخاري: كتاب فضائل القرآن: باب كيف نزل الوحي، وأول ما نزل، رقم (٤٩٨١) (فتح/٩/٣).
٥) (فتح الباري/٩/٧).

المبحث الرابع

الواجب علينا نحو الرسل[1]

أولاً: يجب علينا تصديق رسل الله جميعًا، بعد الإيمان بهم وبرسالتهم، وأن لا نفرق بينهم، فمن فرق بين رسل الله، فآمن ببعضهم، وكفر بالآخرين، أو صدق بعضهم وكذب بعضًا، كان من الكافرين بنص القرآن الكريم.

قال الله ﷻ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا * أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾[2].

ثانيًا: كما يجب علينا أن نؤمن بأن كل رسول أرسله الله أدى أمانته، وبلغ رسالته على الوجه الأكمل، وبينها بيانًا واضحًا شافيًا كافيًا.

ثالثًا: ويجب علينا طاعتهم، وعدم مخالفتهم، لأن ذلك من طاعة الله سبحانه. قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾[3].

رابعًا: ويجب علينا أن نعتقد بأنهم أكمل الخلق علمًا وعملاً، وأصدقهم وأكملهم أخلاقًا وأن الله سبحانه خصهم بفضائل لا يلحقهم فيها أحد، وأنه

---

١) (الإيمان لمحمد نعيم ياسين/٥١-٥٥)، (الثمرات الزكية./١٨١-١٨٩)، (معارج القبول/٢/٦٧٥-٦٧٨).
٢) النساء: ١٥٠-١٥١.
٣) النساء: ٨٠.

عصمهم ونزههم عن الكذب والخيانة والكتمان والتقصير في التبليغ وعن الكبائر كلها والصغائر وقد تقع منهم زلات وخطيئات، أي عثرات بسيطة بالنسبة إلى ما هم عليه من علو المقامات، كما وقع لآدم عليه السلام في أكله من الشجرة على وجه النسيان، ولكنهم لا يقرون عليها بل يوفقون للتوبة منها.

خامسًا: كما يجب علينا أن نؤمن بأن رسل الله جميعًا كانوا رجالاً من البشر فلم يكونوا من الملائكة، ولم يبعث الله أنثى. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

سادسًا: ونؤمن أن الله سبحانه لم يخصهم بطبائع أخرى غير الطبائع البشرية، وإنما اختارهم سبحانه من الرجال، الذين يأكلون ويشربون، ويمشون في الأسواق، وينامون ويجلسون ويضحكون، ولهم أزواج وذرية، ويتعرضون للأذى، تمتد إليهم أيدي الظلمة، وينالهم الاضطهاد، وأنهم يموتون، وقد يقتلون بغير حق، وأنهم يتألمون ويصيبهم المرض وسائر الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية بين الخلق، وقد دل على ذلك كثير من النصوص.

سابعًا: ونؤمن أنهم لا يملكون شيئًا من خصائص الألوهية، فلا يتصرفون في الكون، ولا يملكون النفع أو الضرر، ولا يعلمون الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه، وخصهم الله ﷻ بمؤهلات من المزايا والفضائل والأخلاق تؤهلهم لتلقي الوحي، والاضطلاع بأعباء الرسالة ليكونوا قدوة للناس وأسوة.

---

١) الأنبياء: ٧.

ثامنًا: ويجب علينا أن نؤمن بأن الله سبحانه أيدهم بالمعجزات الباهرات، والآيات الظاهرات، الدالة على صدقهم فيما جاءوا به من عند ربهم من خوارق العادات التي يتحدون بها العباد. فنؤمن بكل ما ذكر في القرآن الكريم منها، وبما وردت فيه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ.

تاسعًا: وينبغي الاعتقاد بأن الله ﷻ فضل بعضهم على بعض كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[2].

أما قوله ﷺ: «لا تفضلوا بين أنبياء الله»[3]، فالمقصود التفضيل بمجرد التشهي وبغير دليل شرعي، أو التفضيل في النبوة ذاتها، أو التفضيل بغرض تنقيص المفضول.

عاشرًا: وينبغي الاعتقاد بأن دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم واحدة وهي دعوة الإسلام، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ

---

١) البقرة: ٢٥٣.
٢) الإسراء: ٥٥.
٣) البخاري: كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص، والخصومة بين المسلم واليهود، رقم (٢٤١٢)، (فتح/٥/٩٠) وعنده بلفظ «لا تخيروا بين الأنبياء»

بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[1]، فأصل الدين وهو توحيد الله ﷻ بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، ونفي ما يضاد ذلك واحد في جميع الرسالات كما قال الله ﷻ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾[2].

وأما فروع الفرائض من الحلال والحرام فقد تختلف فيفرض على هؤلاء ما لا يفرض على هؤلاء، ويخفف على هؤلاء ما شدد على أولئك، ويحرم على أمة ما يحل للأخرى وبالعكس، قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ﴾[3].

حادي عشر: وينبغي الاعتقاد بأنهم بلغوا جميع ما أرسلهم الله به، لم يكتموا منه حرفًا واحدًا، ولم يغيروه ولم يزيدوا فيه من أنفسهم حرفًا ولم ينقصوه، فهل على الرسل إلا البلاغ المبين قال الله ﷻ مخبرًا عن خاتمهم ﷺ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ﴾[4].

---

1) آل عمران: ١٩.
2) الشورى: ١٣.
3) المائدة: ٤٨.
4) الحاقة: ٤٤-٤٧.

ثاني عشر: وينبغي أن نعتقد أن أفضل الرسل هم أولو العزم منهم، والمشهور أنهم محمد ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى صلى الله عليهم وسلم. وقد ذكرهم الله ﷻ في آيتين:

الأولى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾[1].

الثانية: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾[2].

ثالث عشر: وينبغي أن نعتقد كذلك أن أفضل الرسل على الإطلاق هو رسولنا محمد ﷺ كما قال الطحاوي -رحمه الله-: "وإن محمدًا عبده المصطفى ونبيه المجتبى ورسوله المرتضى، وأنه خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين وكل دعوى للنبوة بعده فغيٌّ وهوى" وأدل دليل على رفعة درجة النبي ﷺ قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾[3].

---

1) الأحزاب: ٧.
2) الشورى: ١٣.
3) آل عمران: ٨١.

المبحث الخامس

الأنبياء والرسل المذكورون في القرآن

ذكر الله في كتابه خمسةً وعشرين رسولاً، فذكر في مواضع متفرقة: آدم، وهودًا، وصالحًا، وشعيبًا، وإسماعيل، وإدريس، وذا الكفل، ومحمدًا عليهم الصلاة والسلام.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ

---

1) آل عمران: ٣٣.
2) هود: ٥٠.
3) هود: ٦١.
4) هود: ٨٤.
5) الأنبياء: ٨٥.

أَخْرَجَ شَطْئَهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾[1].

وذكر ثمانية عشر منهم في موضع واحد فقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2][3].

"فهؤلاء الرسل والأنبياء يجب الإيمان برسالتهم ونبوتهم تفصيلاً، بمعنى أن الإنسان لو عرض عليه واحد منهم، لم ينكر نبوته، ولا رسالته إن كان رسولاً، فمن أنكر نبوة واحد منهم، أو أنكر رسالة من بعث منهم برسالة كفر.

وأما الأنبياء والرسل الذين لم يقصهم القرآن علينا، فقد أمرنا أن نؤمن بهم إجمالاً، وليس لنا أن نقول برسالة أحد من البشر أو نبوته ما دام القرآن لم يذكره في عداد الأنبياء والرسل، ولم يخبرنا به رسول الله ﷺ"[4].

---

١) الفتح: ٢٩.
٢) الأنعام: ٨٣-٨٦.
٣) (الرسل والرسالات/١٨).
٤) (الإيمان/٤٩).

المبحث السادس

الإيمان برسول الله محمد ﷺ

المطلب الأول: إثبات الإيمان به ﷺ:

أولاً: من القرآن الكريم:

١- قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ * فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾(١).

٢- وقال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا * مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾(٢).

٣- وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾(٣).

٤- وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾(٤). وغير ذلك من الآيات كثير.

---

١) آل عمران: ٨١، ٨٢.
٢) النساء: ٧٩.
٣) الأعراف: ١٥٨.
٤) الأحزاب: ٤٠.

ثانيًا: من السّنة:

١- عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»[١].

قال الإمام النووي -رحمه الله-: ففي هذا الحديث نسخ الملل كلها برسالة نبينا محمد ﷺ، وفي مفهومه دلالة على أن من لم تبلغه دعوة الإسلام فهو معذور وهذا جار على ما تقدم في الأصول أنه لا حكم قبل ورود الشرع على الصحيح والله أعلم.

وقوله ﷺ: «لا يسمع بي أحد من هذه الأمة» أي ممن هو موجود في زمني وبعدي إلى يوم القيامة فكلهم يجب عليه الدخول في طاعته وإنما ذكر اليهود والنصارى تنبيهًا على من سواهما، وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب، فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتابًا فغيرهم ممن لا كتاب له أولى والله أعلم[٢] . اهـ.

٢- عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وُضِعَت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»[٣].

---

١) مسلم: كتاب الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملة، رقم (٣٨٤) (نووي/٢/٣٦٤).

٢) (شرح النووي على صحيح مسلم/٢/٣٦٥).

٣) البخاري: كتاب المناقب، باب: خاتم النبيين ﷺ، رقم (٣٥٣٥) (فتح/٦/٦٩٣).

٣- عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لي أسماء، أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد»[1] أي ليس بعده نبي.

٤- عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وخُتم بي النبيون»[2].

ثالثًا: بشارات التوراة والإنجيل:

١- قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[3].

٢- وأخبرنا الله -سبحانه- أن عيسى بشر برسولنا محمد ﷺ فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ

---

١) مسلم: كتاب الفضائل، باب: في أسمائه ﷺ، رقم (٦٠٥٩) (نووي/١٥/١٠٥).
٢) مسلم: كتاب المساجد، باب: جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورا، رقم (١١٦٧) (نووي/٥/٨).
٣) الأعراف: ١٥٧.

يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[1].

٣- وضرب الله في التوراة والإنجيل مثلين لرسولنا ﷺ ولأصحابه فقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾[2].

٤- عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله ويُفتحُ بها أعين عمي، وآذان صُمّ وقلوب غلف". تابعه عبدالعزيز بن أبي سلمة عن هلال عن عطاء عن ابن سلام[3].

---

١) الصف: ٦.
٢) الفتح: ٢٩.
٣) البخاري: كتاب البيوع، باب: كراهية السخب في الأسواق، رقم (٢١٢٥)، (فتح/٤/٤٣١).

وابن سلام هذا هو عبدالله بن سلام ﷺ وقد كان يهوديًا قبل إسلامه، وقد روى هو أيضًا هذا الحديث بروايات أخرى. وهناك بشارات أخرى كثيرة انظرها في الرسل والرسالات[1] وغير ذلك.

المطلب الثاني: تصديق النبي ﷺ في كل ما أخبر:

١- قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ * إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾[2].

قال السعدي رحمه الله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾، أي: ليس صادرًا عن هوى نفسه ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾، أي: لا يتبع إلا ما أوحي إليه من الهدى والتقوى في نفسه وفي غيره.

ودل هذا على أن السنة وحي من الله لرسوله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ وأنه معصوم فيما يخبر به عن الله تعالى وعن شرعه، لأن كلامه لا يصدر عن هوى، وإنما يصدر عن وحي يوحى.

ثم ذكر المعلم للرسول، وهو جبريل عليه السلام، أفضل الملائكة الكرام وأقواهم وأكملهم، فقال: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾ أي: نزل بالوحي على الرسول ﷺ جبريل عليه السلام شديد القوى الظاهرة والباطنة. قوي على تنفيذ ما أمره الله بتنفيذه، قوي على إيصال الوحي إلى الرسول ﷺ ومنعه من

---

١) (الرسل والرسالات/١٦٢-١٩٦)، (بشرية المسيح ونبوة محمد ﷺ في نصوص كتب العهدين/١٩١-٢٩٢).
٢) النجم: ١-٥.

اختلاس الشياطين له، أو إدخالهم فيه ما ليس منه، وهذا من نحفظ الله لوحيه، أن أرسله مع هذا الرسول القوي الأمين[1]. اهـ.

٢- وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[2].

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله-: يقول تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا﴾ أي محمد ﷺ لو كان كما يزعمون مفتريًا علينا فزاد في الرسالة أو نقص منها أو قال شيئًا من عنده فنسبه إلينا وليس كذلك لعاجلناه بالعقوبة، ولهذا قال تعالى: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ قيل معناه لانتقمنا منه باليمين لأنها أشد في البطش، وقيل لأخذنا منه بيمينه ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ قال ابن عباس: وهو نياط القلب وهو العرق الذي القلب معلق فيه.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ أي فما يقدر أحد منكم على أن يحجز بيننا وبينه إذا أردنا به شيئًا من ذلك، والمعنى في هذا بل هو صادق بار راشد، لأن الله ﷻ مقرر له ما يبلغه عنه ومؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات. اهـ[3].

٣- عن أبي هريرة ﷺ قال: قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا؟ قال:«إني لا أقول إلا حقًا»[4].

---

١) تيسير الكريم الرحمن.../٧٦٢/٢، ٧٦٣).
٢) الحاقة: ٤٤-٤٧.
٣) تفسير ابن كثير/٤/٤٤٥).
٤) حسن: أخرجه الترمذي، أبواب البر والصلة، باب: ما جاء في المزاح، رقم (٢٠٥٨)، (تحفة/٦/١٠٨).

قال المباركفوري رحمه الله: قوله: "قال إني لا أقول إلا حقا" أي عدلاً وصدقًا لعصمتي عن الزلل في القول والفعل، ولا كل أحد منكم قادر على هذا الحصر لعدم العصمة فيكم (١) اهـ.

هذه الآيات ومثلها من الأحاديث كثير تدعو إلى تصديق النبي ﷺ في جميع ما أخبر به، وإن مما يجعل المسلم يصدق رسوله ﷺ رؤيته لما أجراه الله تعالى على يديه، من المعجزات الباهرات، والدلالات القاطعات الواضحات، فإن من شأن هذه الآيات ترسيخ الإيمان بصدق رسول الله ﷺ وتصديقه في كل شيء يخبر به، وكذلك من شأنها إرغام الكفار على تصديقه مهما كان جحودهم واستكبارهم فتصديق النبي ﷺ من أصول الإيمان.

وكذلك مما يدعو إلى تصديقه ﷺ إخباره بأمور غيبية أعلمها الله إياه، وهي كثيرة، موجودة في مواطنها وسترى في هذه الأخبار ما يستحيل معها تكذيبه ﷺ.

ومن هذه الآيات، والأمور التي أجراها الله على يديه، وكذلك ما أخبر عنه وجاء كما قال ما يأتي معنا في المطلب التالي.

المطلب الثالث: بعض معجزاته وإخباره بالغيب بإذن الله:

أولاً: بعض معجزاته:

١ - القرآن الكريم:

قال الجزائري حفظه الله: لأنه كلام الله تعالى أوحاه إليه فدل ذلك على نبوته، وصدقه في رسالته، لأن القرآن الكريم معجز بحروفه وكلماته وتراكيبه،

---

١) تحفة الأحوذي/١٠٨/٦).

ومعانيه وأخبار الغيوب التي وردت فيه، فكانت كما أخبر، كما هو معجز بالأحكام الشرعية والقضايا العقلية التي لا قبل للبشر بمثلها، مع التحدي القائم إلى اليوم بأن يأتي الإنس أو الجن متعاونين بمثله قال تعالى موحيه ومنزله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1].

وتحدى العرب أرباب الفصاحة والبلاغة والبيان على أن يأتوا بعشر سور مثله فما استطاعوا، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[2] وتحداهم بسورة واحدة من مثله فقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾[3] نفي لقدرتهم على الإتيان بسورة مثل القرآن في مستقبل الأيام، وقد مضى حتى الآن ألف وأربعمائة وعشرون سنة، ولم يستطع الكافرون أن يأتوا بسورة من مثله.

وبهذا كان القرآن معجزة خالدة باقية ببقاء هذه الحياة، ولذا سيخلد الإسلام ويبقى إلى نهاية الحياة، لأن معجزته باقية كذلك[4] اهـ.

---

١) الإسراء: ٨٨.
٢) هود: ١٣.
٣) البقرة: ٢٣-٢٤.
٤) هذا الحبيب يا محب/٤٩٨).

٢- فيضان الماء من بين أصابعه:

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: "عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه رِكوة، فتوضأ فجهش الناس نحوه فقال: «مالكم؟» قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك، فوضع يديه في الرّكوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا، قلت: كم كنتم؟ قالوا: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة"[١].

٣- حنين الجذع إليه:

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: "أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى الشجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار -أو رجل-: يا رسول الله ألا نجعل لك منبرًا؟ قال: «إن شئتم». فجعلوا له منبرًا فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي ﷺ فضمه إليه، يئن أنين الصبي الذي يُسكَّن.."[٢].

وفي رواية أخرى عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: "كان المسجد مسقوفًا على جذوع من نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له المنبر فكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتًا كصوت العِشار[٣]، حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فسكنت"[٤].

---

١) البخاري: كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٥٧٦) (فتح/٦/٧٢١).
٢) البخاري: كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٥٨٤) (فتح/٦/٧٤٦).
٣) العشار: جمع عشراء والعشراء الناقة التي انتهت في حملها إلى عشرة أشهر (فتح/٦/٧٤٨).
٤) البخاري: كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٥٨٥) (فتح/٦/٧٤٧).

٤- الإسراء والمعراج:

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[١]. وانظر القصة عند البخاري[٢] وهي مشهورة معلومة.

٥- سلام الحجر عليه:

عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن**»[٣]. وغير ذلك من المعجزات ومما أيده الله به كثير.

ثانيًا: بعض ما أخبر به وكان كما قال:

١- إخباره باستشهاد عثمان بن عفان على بلوى تصيبه:

عن أبي موسى الأشعري، قال: بينما رسول الله ﷺ في حائط من حائط المدينة، وهو متكئ يَرْكُزُ بعود معه بين الماء والطين، إذا استفتح رجل، فقال: «**افتح، وبشّره بالجنة**» قال فإذا أبو بكر.. ثم استفتح رجل آخر قال: فجلس النبي ﷺ فقال: «**افتح وبشره بالجنة على بلوى تكون**» قال: فذهبت فإذا هو عثمان بن عفان[٤]... وحدث ذلك كما أخبر به رسول الله ﷺ.

---

١) الإسراء: ١.
٢) البخاري: كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، رقم (٣٢٠٧) (فتح/٦/٣٧١).
٣) مسلم: كتاب الفضائل، باب: فضل نسب النبي ﷺ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، رقم (٥٨٩٨) (نووي/١٥/٣٨).
٤) مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل عثمان بن عفان ﷺ، رقم (٦١٦٢) (نووي/١٥/١٦٦).

٢- إخباره بنار الحجاز:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، تضيء أعناق الإبل ببُصْرى**»[(١)].

وهذه الآية ا لعظيمة قد وقعت على الصورة التي أخبر بها الرسول ﷺ، وقد كان خروجها في سنة (٦٥٤) للهجرة، وقد تحدث العلامة ابن كثير رحمه الله عن هذه الآية في البداية والنهاية فانظرها هناك في أحداث سنة (٦٥٤)[(٢)].

٣- إخباره بتمام الإسلام والأمن:

عن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بُردة له في ظل الكعبة قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: «**كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويُمشطُ بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظمه أو عَصَب، وما يصده عن دينه. والله ليتمَّنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»[(٣)] وقد تم هذا كما أخبر ﷺ.

٤- إخباره بهلاك كسرى وقيصر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفس محمد بيده لتُنْفِقُنَّ**

---

١) مسلم: كتاب الفتن، باب: لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، رقم (٧٢١٨) (نووي/١٨/٢٣٧).
٢) (البداية والنهاية/١٣/١٨٧-١٩٢).
٣) البخاري: كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٦١٢) (فتح/٦/٧٦٨).

كنوزهما في سبيل الله»[1]. وقد تم ما أخبر به ﷺ، وأنفقت كنوزهما فعلاً في سبيل الله تعالى.

٥- إخباره بضياع الأمانة:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ضُيِّعَت الأمانة فانتظر الساعة». قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: «إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»[2]، وهل ما نحن فيه من ذل وصغار وافتقار وعار إلا نتيجة حتمية لإسناد الأمر إلى غير أهله؟ اللهم نعم، ونسألك أن تكشف ما نزل بنا إنك على كل شيء قدير.

٦- إخباره عن فساد وإفساد النساء وأعوان الظلمة:

عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ : «صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»[3].

لقد بلغ العري والتفسخ من سائر الأخلاق والقيم في هذا العصر مبلغًا مدمرًا، حتى صارت هناك مدن بأكملها تتاجر بهذا الداء الذي أعيا الأمم، وناهيك بعالم الأزياء أمارة على ذلك. وصار أعوان الظلمة الآن في كل مكان إلا من رحم الله وقليل ما هم، وأخبر ﷺ بأمور أخرى كثيرة وقع منها كثير ويبقى الآخر سيقع ولو بعد حين وكل ذلك يقرر بصدق نبوته ورسالته ﷺ .

---

١) البخاري: كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٦١٨) (فتح/٦/٧٧٦).
٢) البخاري: كتاب الرقاق، باب: رفع الأمانة، رقم (٦٤٩٦) (فتح/١١/٤٠٤).
٣) مسلم: كتاب الجنة ونعيمها، باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، رقم (٧١٢٣) (نووي/١٧/١٨٨).

المبحث السابع

أثر الإيمان بالرسل على العباد

تمهيد:

يقول ابن القيم مبينًا حاجة العباد إلى الرسل وتعاليمهم: ومن ههنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول، وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل.

ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضا الله البتة إلا على أيديهم.

فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاءوا به، فهم الميزان الراجح، الذي على أقوالهم وأخلاقهم توزن الأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأي ضرورة وحاجة فرضت فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير.

وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين فسد قلبك، وصار كالحوت إذا فارق الماء، ووضع في المقلاة. فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاءه به الرسول كهذه الحال، بل أعظم، ولكن لا يحس بهذا إلا قلب حيّ، وما لجرح بميت إيلام، وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي النبي ﷺ، فيجب على كل من نصح نفسه، وأحب نجاتها وسعادتها أن يعرف من

هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه.

والناس في هذا بين مستقل ومستكثر، ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو فضل عظيم[1] اهـ.

المطلب الأول: أثر الإيمان برسولنا ﷺ على العباد

١- طاعة النبي ﷺ في كل ما أمر والانتهاء عن كل ما نهى عنه النبي وزجر:

إن الإيمان برسول الله ﷺ يقتضي طاعته في جميع ما أمر به وحض عليه والانتهاء عن كل ما نهانا عنه وحذرنا منه وهذا الأثر من أعظم آثار الإيمان به ﷺ فالسعادة والشقاء تترتب على وجود هذا الأثر أو عدمه.

"وهذان الأصلان العظيمان هما المحك الحقيقي للإيمان برسول الله ﷺ، ولقد ذكرهما مقترنين حتى تتضح الرؤية وتكمل الفائدة متأدبًا بقول الله جل وعلا الذي اشتمل على هذين الأصلين معًا وهو قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[2].

فطاعة رسول الله ﷺ طاعة لله جل وعلا، ومعصيته ﷺ معصية لله جل وعلا، ومحبته هي الطريق الموصل لمحبة الله جل وعلا، بل ولا يقبل الله تعالى من أحد صرفًا ولا عدلاً إلا باتباعه ﷺ فببعثته تبين الرشد من الغي والشرك

---

١) (زاد المعاد/١/١٥).
٢) الحشر: ٧.

من التوحيد والصدق من الكذب، والإخلاص من النفاق، واليقين من الشك، وطريق النجاة من طريق النار.

بل ولم يبق من خير آجل ولا عاجل إلا ودل الأمة عليه، ولم يبق شر عاجل ولا آجل إلا حذر الأمة منه ونهاهم عنه، وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

والمؤمنون الصادقون في إيمانهم برسول الله ﷺ، يطيعون أمره ويجتنبون نهيه، ويقفون عند حدوده التي حدّها وشعارهم في هذا كله "سمعنا وأطعنا" سمع بلا تردد، وطاعة بلا انحراف ولا جدال!!

أما المنافقون والعياذ بالله، الذين يدّعون الإيمان، ويتظاهرون بالإسلام، ويقولون بألسنتهم -فقط- نحن نحب الرسول ﷺ أكثر من حبنا لأنفسنا، ويتغنون بذلك، ويرقصون ويرددون "آمنا بالله وبالرسول وأطعنا" يقولونها بألسنتهم، ويكذبونها وينكرونها بسلوكهم وأعمالهم.

نعم.. يكذبون بالأعمال ما قالوه باللسان "وما أولئك بالمؤمنين" فالمؤمنون الصادقون المحبون المطيعون تصدق أعمالهم أقوالهم ولا يخالف علمهم عملهم، ولا تخالف سريرتهم علانيتهم، لأن الإيمان الصحيح متى سكن في القلب واستقر، انعكست حتمًا آثاره على صاحبه، فدار مع الإسلام حيث دار، واستمع إلى الأمر فأطاعه، وإلى النهي فاجتنبه، وإلى الحد فأقامه وما تعداه!!

ويبين الله جل وعلا حال هذين الفريقين المتباعدين من المؤمنين الصادقين في محبتهم وطاعتهم لله ورسوله، وحال المنافقين الكاذبين في محبتهم وطاعتهم

لله ورسوله فيقول سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[1][2].

وقال ابن أبي العز رحمه الله: فالواجب كمال التسليم ﷺ والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون أن يعارضه بخيال وزبالة أذهانهم فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان كما وحد المرسِلَ بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل. فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما، توحيد المرسل وتوحيد متابعة الرسول، فلا يحاكم إلى غيره ولا يرضى بحكم غيره[3] اهـ.

ولقد أمر الله سبحانه وتعالى بطاعة الرسول ﷺ في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ومنها قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟

---

١) النور: ٤٧-٥٢.
٢) (حقيقة التوحيد/٢٠٢-٢٠٣) محمد حسان.
٣) (شرح العقيدة الطحاوية/١/٢٢٨).

ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[1].

قال سيد قطب -رحمه الله-: قد سن الله شريعة أودعها قرآنه، وأرسل بها رسولاً يبينها للناس، ولا ينطق عن الهوى، فسنته ﷺ شريعة من شريعة الله واجبة التنفيذ، وعلى الذين آمنوا أن يطيعوا الله وأن يطيعوا الرسول ﷺ بما له من هذه الصفة، صفة الرسالة من الله، فطاعته إذن من طاعة الله الذي أرسله بهذه الشريعة وببيانها للناس في سنته.

وسنته وقضاؤه -على هذا- جزء من الشريعة، واجب النفاذ والإيمان، يتعلق وجودًا أو عدمًا بهذه الطاعة وهذا التنفيذ بنص القرآن: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ﴾.

والنص يجعل طاعة الله أصلاً، وطاعة رسوله أصلاً كذلك -بما أنه مرسل منه- ويجعل طاعة أولي الأمر منكم تبعًا لطاعة الله وطاعة رسوله، فلا يكرر لفظة الطاعة عند ذكرهم كما كررها عند ذكر الرسول ﷺ ليقرر أن طاعتهم مستمدة من طاعة الله، وطاعة رسوله ﷺ بعد أن قرر أنهم "منكم" بقيد الإيمان وشرطه[2] اهـ.

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[3].

---

١) النساء: ٥٩.
٢) (في ظلال القرآن/٢/٦٩٠-٦٩١) بتصرف.
٣) المائدة: ٩٢.

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[2]. والآيات في ذلك كثيرة جدًا ولله الحمد والمنة.

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى». قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال:«من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»[3].

وعن أبي هريرة ﷺ يقول: أن رسول الله ﷺ قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني»[4].

و"إذا رضي المسلم بمحمد ﷺ رسولاً لم يلتفت إلى غير هديه، ولم يعول في سلوكه على غير سنته وحكمه، وحاكم إليه وقَبِلَ حكمه، وانقاد له وتابعه واتبعه، ورضي بكل ما جاء به من عند ربه، فسكن قلبه لذلك، واطمأنت نفسه وانشرح صدره، ورأى نعمة الله عليه وعلى الخلق بهذا النبي ﷺ وبدينه، أعظم من أي نعمة

---

1) النور: ٥٦.
2) النساء: ١٣، ١٤.
3) البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، رقم (٧٢٨٠)، (٣١٠/١٣).
4) البخاري: كتاب الأحكام، باب: قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾، رقم (٧١٣٧)(فتح/١٣٩/١٣).

ففرح بفضل ربه عليه ورحمته به، أن جعله من أتباع خير المرسلين وحزبه المفلحين قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[1].

والرضى كلمة تجمع القبول والانقياد، فلا يكون الرضى إلا حيث يكون التسليم المطلق، والانقياد ظاهرًا أو باطنًا لما جاء به الرسول ﷺ من ربه، وكل التفات أو عدول عن الوحي إلى غيره أو اعتراض عليه فهو مناقض للرضى، ودليل على النفاق، ومؤدٍ إلى الكفر، والمروق من الدين"[2].

قال الشيخ محمد حسان -حفظه الله-: وأخيرًا لا بد أن نعلم أن كل ما جاء به الشرع الحنيف على لسان رسول الله ﷺ من أمر ونهي وتحريم وكراهة، فهو في مقدور كل المكلفين وضمن طاقاتهم، لأن الله سبحانه وتعالى لم يكلف عباده إلا بما يستطاع، وقال سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[3] فالله وحده هو الخالق، وهو وحده الذي يعلم طبائع خلقه وحدود قدرتهم وصدق الله إذ يقول: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[4].

وتتجلى هذه الرحمة الندية في قول النبي ﷺ في هذا الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «دعوني ما تركتكم، فإنما اهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم

١) يونس: ٥٧، ٥٨.
٢) (محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع/١٣٦).
٣) البقرة: ٢٨٦.
٤) الملك: ١٤.

بشيء فأتو منه ما استطعتم»[1]. ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾[2][3].

٢- محبته ﷺ دون غلو أو إطراء:

قال الشيخ محمد حسان -حفظه الله-:

إن محبة الحبيب أصل عظيم من أصول الإيمان، وإذا استقرت شجرة المحبة هذه في قرار لقلب، آتت أكلها كل حين، وأثمرت كل أنواع الاتباع والاقتفاء للمحبوب ﷺ[4].

وهناك من الأحاديث كثير مما يدعو إلى محبة الرسول ﷺ إذ أن هذه المحبة من أجلّ آثار الإيمان به ﷺ.

عن أنس ﷺعن النبي ﷺ قال: **«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار»**[5].

ومن أوضح الأدلة على وجوب حب النبي ﷺ ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم**

---

١) البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، رقم (٧٢٨٨) (فتح/١٣/٣١٢).
٢) البقرة: ٢٢٩
٣) (حقيقة التوحيد/٢١٢).
٤) (حقيقة التوحيد/٢١٣).
٥) البخاري: كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، رقم (١٦) (فتح/١/٨٢).

حتى أكون أحب إليه من والده وولده»[1]. وعن أنس ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»[2].

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: وخص الوالد والولد بالذكر لكونهما أعز خلق الله على الإنسان، بل ربما كان أحب إليه من نفسه، وفي هذا تأكيد على أنه يجب أن يكون ﷺ أحب إلى نفس المؤمن من كل حبيب وعزيز عليه من سائر البشر جميعًا[3] اهـ.

"ومعنى هذا أن محبة الرسول ﷺ من لوازم الإيمان وواجباته فلا يتحقق الإيمان بدونها، ولا يستحق المؤمن اسم الإيمان بدونها وأن نفي الإيمان في الحديث إنما هو نفي لكمال الإيمان الواجب إذا لم توجد المحبة الراجحة على ما سواها من سائر المحاب. فإذا وجدت هذه المحبة على هذه الصفة ، فهي دليل على كمال الإيمان بالنسبة لمن اتصف بها في هذا الجانب.

وأما إذا لم توجد هذه المحبة على الصفة الراجحة كان من اتصف بها معرَّضاَ للوعيد، لأنه أخلّ بواجب من واجبات الإيمان التي لا يتم الإيمان بدونها"[4].

قال الشيخ محمد حسان حفظه الله: فالمحبة إذن أن يكون الرسول ﷺ أحب إلى العبد من ولده ووالده والناس أجمعين، بل ولا يحصل هذا الكمال إلا بأن يكون الرسول أحب إليه من نفسه.

---

١) البخاري: كتاب الإيمان، باب: حب الرسول ﷺ من الإيمان، رقم (١٤) (فتح/١/٨٠).
٢) البخاري: كتاب الإيمان، باب: حب الرسول ﷺ من الإيمان، رقم (١٥) (فتح/١/٨٠).
٣) (فتح الباري/١/٨١).
٤) (محبة الرسول بين الاتباع والابتداع/٥١).

والمحبة الحقيقية ذات تكاليف وأمانة ثقيلة ذات أعباء، فإن المحب لمن أحب مطيع، فالمحب الصادق في محبته لله ورسوله هو الذي يحب ما يحبه الله ورسوله، وإذا خالف ذلك هواه، وهو الذي يبغض ما يبغضه الله ورسوله وإن مال إليه هواه، وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

أ- علامات محبة النبي ﷺ:

وقد ذكر العلماء علامات أخرى لمعرفة محبة النبي ﷺ ومن أهمها ما يلي:

أولاً: فَقْد رؤيته يكون أشد عليه من فقد أي شيء آخر في الدنيا، بمعنى أنه لو خير بين رؤية النبي ﷺ إن كان ذلك ممكنًا وبين أن يفقد في سبيل ذلك أي شيء مهم من أغراض الدنيا لاختار أن يرى حبيبه ﷺ.

ثانيًا: يتمنى حضور حياته عليه الصلاة والسلام كي يبذل نفسه وماله دونه.

ثالثًا: يمتثل أوامره ويجتنب نواهيه.

رابعًا: ينصر سنته، ويذب عن شريعته.

ب- من مقتضيات هذه المحبة:

عدم الغلو في رسول الله عليه الصلاة والسلام "والغلو هو مجاوزة الحد بأن يزاد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك"[1]. والحق أن الغلو في رسول الله قد بلغ عند البعض حدًا خطيرًا جدًا، فخلعوا على رسول الله ومنحوه أخص خصائص الألوهية والربوبية، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

---

١) (اقتضاء الصراط المستقيم/١/٣٢٨).

فزعموا أن النبي ﷺ شريك مع الله في الخلق والتدبير والتصريف، وكشف الضر، وجلب النفع، وعلم كل شيء، هكذا يصنع الغلو بأصحابه، فلقد وصف النبي ﷺ بما لا يمكن أن يتصف به أحد إلا الله من أوصاف الربوبية والألوهية.

والله جل وعلا يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[1].

ويقول النبي ﷺ نفسه كما أخبر الله ﷻ عنه: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[2].

وعن عمر ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله»[3].

فعلى المسلمين أن يعظموا نبيه ﷺ التعظيم الموافق لما جاء به ﷺ ويتركوا ما يسميه الجهلة حبًا وتعظيمًا وهو في الحقيقة احتقار وازدراء وانتهاك لحرمات الله ورسوله ﷺ.

وتعظيم نبينا ﷺ يكون باتباعه، وألا نخالفه ﷺ ولا نعصيه، والاقتداء به في تعظيم الله والإخلاص له، والاقتداء به في كل ما جاء به، وألا نفعل شيئًا

---

١) النمل: ٦٢.
٢) الأعراف: ١٨٨.
٣) البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قول الله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ رقم (٣٤٤٥) (فتح/٦/٥٩١).

يشعر بعدم التعظيم والاحترام، كرفع الأصوات قرب قبره ﷺ، والتقديم بين يديه ويدخل في ذلك دخولاً أوليًا تشريع ما لم يأذن به الله وتحريم ما لم يحرمه وتحليل ما لم يحلله، لأنه لا حرام إلا ما حرم الله، ولا حلال إلا ما أحله الله، ولا دين إلا ما شرعه الله.

واعلم أن عدم احترام النبي ﷺ المشعر بالغض منه أو تنقيصه ﷺ والاستخفاف به، أو الاستهزاء به، ردة عن الإسلام، وكفر بالله تعالى[(1)] اهـ.

٣- الاقتداء بهديه ﷺ وبخلقه الكريم:

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[(2)].

وفي هذه الآية وغيرها "إعلام من الله تعالى لعباده المؤمنين بما أوجب عليهم من الاقتداء برسوله الذي كمله خَلْقًا وخُلُقًا، وشرّفه أصلاً ومحتدًا، ورفعه منزلةً وقدرًا، حتى لا تأنف النفوس في اتباعه والاقتداء به في كل ما هو في استطاعتها التحلي به، والتقرب إلى ربها ﷻ باتباعه، والاقتداء به فيه.

ومن هنا كان الكمال المحمدي ضربين: ضربًا لم تشرع الأسوة فيه لعجز المرء عن كسب مثله، وذلك كشرف الأصل، وجمال الذات، وعلو القدر، والاصطفاء للرسالة، وتلقي الوحي الإلهي. وضربًا مأمورًا بالاقتداء به فيه، والمنافسة في تحصيل أكبر قدر منه، والمسابقة إليه، والجد في الطلب للظفر به والحصول عليه"[(3)].

---

١) (حقيقة التوحيد/٢١٣-٢٢٢) باختصار.
٢) الأحزاب: ٢١
٣) (هذا الحبيب يا محب/٥٢٣).

"والأسوة الحسنة في الرسول ﷺ، فإن المتأسي به، سالك الطريق الموصل إلى كرامة الله، وهو الصراط المستقيم. وهذه الأسوة الحسنة، إنما يسلكها ويوفق لها، من كان يرجو الله واليوم الآخر، فإن ما معه من الإيمان، وخوف الله، ورجاء ثوابه، وخوف عقابه، يحثه على التأسي بالرسول ﷺ"[1].

وهذه بعض الآداب التي ينبغي علينا جميعًا أن نتأسى برسول الله ﷺ فيها، أذكر بعضها باختصار، سائلاً المولى ﷻ أن يرزقني ويرزقنا جميعًا التحلي بهذا الهدي النبوي الشريف، الذي زكاه الله تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2] فهذه شهادة من الله تعالى بأن رسول الله ﷺ أكمل الناس خلقًا وأتمهم وأرفعهم وأفضلهم، بحيث أنه ﷺ لا يساويه في ذلك أحد على الإطلاق.

أ- حسن الخلق:

وهذا من أول الآثار التي تتبادر إلى ذهن كل من يؤمن برسول الله ﷺ إذ هو ﷺ أكمل العالمين خُلُقًا، وحياته ﷺ كلها مثال يدلك على هذا الأثر، فحريّ بمن كان يؤمن به، أن يتأسى به في هذا الخلق النبيل الكريم، كيف لا، وهو ﷺ الآمر بهذا الفضل. فحسن الخلق "هو الأمر الجامع مع خصال الخير، وأعمال البر، الذي ينتظم الشريعة بأسرها، فمن تمكن من نفسه لم يصدر عنه إلا الأفعال الجميلة والأقوال الطيبة، ولذلك قيل: حسن الخلق، اختيار الفضائل وترك الرذائل"[3].

---

١) (تيسير الكريم الرحمن/٢/٣٨٢).
٢) القلم: ٤.
٣) (بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين/١/٦٧٠).

وكان رسول الله ﷺ هو الجامع لجميع هذه الخصال الحميدة، بشهادة ربه تعالى، وبشهادة أقرب الناس إليه من أهل بيته، ومن أصحابه وشهادة الله تعالى تجمعها تلك الآية: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]، وشهادة أقرب الناس إليه هي عائشة رضي الله عنها عندما سُئلت عن خلق رسول الله ﷺ فقالت للسائل: "ألست تقرأ القرآن؟ قلت –أي السائل- بلى قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن"[2]. وكذلك شهادة أقرب الناس إليه من أصحابه أنس بن مالك رضي الله عنه عندما قال: "كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا"[3].

وعنه أيضًا رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خُلُقًا، فأرسلني يومًا لحاجة، فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ، فخرجت حتى أمُرّ على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي، قال: فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: «يا أنيس أذهَبْتَ حيث أمرْتُك؟». قال: قلت: نعم أنا أذهب يا رسول الله. قال أنس: والله! لقد خَدَمْتُه تسع سنين، ما علمته قال لشيء صنعته: لم فعلت كذا وكذا؟ أو لشيء تركته: هلا فعلت كذا وكذا"[4].

وهكذا فإن رسول الله ﷺ سيظل مضرب الأمثال في حسن الخلق، وقدوة لأتباعه حتى يتأسوا به إلى يوم القيامة.

---

١) القلم: ٤.
٢) مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب: جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض، رقم (١٧٣٦) (نووي/٦/٢٦٨).
٣) مسلم: كتاب الفضائل، باب: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا، رقم (٥٩٧١) (نووي/١٥/٧١).
٤) مسلم: كتاب الفضائل، باب: رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا، رقم (٥٩٧٠) (نووي/١٥/٧٠).

وقد سأله سمعان الأنصاري ﷺ عن البر والإثم، فقال ﷺ: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس»[1].

ب- الكرم والجود والإنفاق:

إن جود النبي ﷺ وكرمه وإنفاقه في جميع مجالات الخير والبر أمر لا ينكره ولا يجحده مسلم، فهنيئًا لمن فعل فعله ﷺ فهو المبلغ عن الله قوله: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[2].

من هنا كان ﷺ أجود الناس في وجوه الخير أجمعها. فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير... فإذا لقيه جبريل كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة"[3].

ولقد حض النبي ﷺ المسلم على الجود والإنفاق بقوله فيما رواه عنه أبو هريرة ﷺ قال: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا»[4].

وعن أبي هريرة ﷺ أيضًا: أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله: أنفق يا ابن آدم أُنفق عليك»[5]. وغير ذلك من الآيات والأحاديث كثير، تحث المسلم على

---

١) مسلم: كتاب البر والصلة، باب: تفسير البر والإثم، رقم (٦٤٦٣) (نووي/١٦/٣٢٦).
٢) البقرة: ٢٧٢).
٣) مسلم: كتاب الفضائل، باب: كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة، رقم (٥٩٦٤) (نووي/١٥/٦٨).
٤) البخاري: كتاب الزكاة، باب: قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ رقم (١٤٤٢) (فتح/٣/٣٨٨).
٥) البخاري: كتاب النفقات، باب: فضل النفقة على الأهل... رقم (٥٣٥٢)، (فتح/٩/٦٢١).

الإنفاق والبذل في كل وجوه الخير. فمن فعل ذلك، فقد صدق إيمانه برسول الله ﷺ بعمله، وأرضاه عنه بهذا الاقتداء والاهتداء بهديه ﷺ. فهكذا ينبغي أن يكون الإيمان، قولاً وعملاً.

ج- الشفقة والرحمة:

لو كان ما من زرعت في قلبه تلك الشفقة والرحمة التي هي من هديه ﷺ لما كانت هذه الهوة السحيقة التي ابتلع الأعداء أمتنا بسببها قسوة وغلظة وجفاء تجاه إخواننا العرايا البائسين، وكأنهم ليسوا منا، وأهل الشفقة والرحمة في أمتنا قليل، وشفقتهم ورحمتهم في الغالب لا تعدو توجع القلب، ودمع العين. والشفقة والرحمة، ينبغي أن يكون لها أثر بيّن على جميع الأصعدة، وفي كل الاتجاهات التي يجب أن تكون فيه.

يا أيها المسلم تعلم من رسولك ﷺ الرحمة المهداة للعالمين كافة. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

فيا من بيده أن يترجم رحمته وشفقته إلى عمل لا تتأخر، ونسألك يا من بيده القدرة كلها عز جاهك وجل ثناؤك أعنا جميعًا على ذلك. ويا من هو جاثم على صدور المستضعفين، ويقبض على أيديهم، دعهم عنك، وخلّهم إلى ما تجيش صدورهم ودموعهم به، فوالذي لا إله إلا هو، لو ترك هؤلاء وشأنهم، ما رأينا بإذن الله أنين ثكالى، ولا صرخات يتامى، ولا دماء لإخواننا تسفك على مرأى ومسمع منا، ونحن مكتوفو الأيدي، مشدودي الوثاق، ليس

---

١) الأنبياء: ١٠٧.
٢) التوبة: ١٢٨.

لنا إلا البكاء والتأسف والحزن، شفقة ورحمة أسهرت الليل، وأتعبت الفكر ومع ذلك لا تجد لها متنفسًا.

فبالله عليكم يا من أمْرنا بعد الله بيدكم، خلونا وإخواننا، حتى ينزاح عنهم هذا الليل الأسود. فعن جرير بن عبدالله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من لا يرحم الناس، لا يرحمه الله ﷻ»**[1].

وعن أنس بن مالك ﷺ، قال: **"ما رأيت أحدًا كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ"**[2].

فهل من أذن صاغية؟ وهل من قلب واع؟ واعلم أن الشفقة والرحمة تشمل كل ذي كبد رطبة، وتشمل درء جميع أنواع الظلم، على المستوى الفردي والمستوى الجماعي، وهناك آثار كثيرة تبين ذلك بوضوح وجلاء، تُطلب في مظانها.

د- شدة الحياء:

إن الناظر لأحوال الناس في هذا العصر، يعلم يقينًا كم هم بحاجة إلى هذا الخلق الرفيع، والسمت الجميل، فهو الدواء لما استشرى من داء، داء الذنوب والمعاصي على شتى ألوانها ونحلها، عري وسفور، زنا ولواط وخمور، مجلات وأفلام هابطة ساقطة وفجور، إلى غير ذلك من عظائم الأمور.

---

١) مسلم: كتاب الفضائل، باب: رحمته ﷺ بالصبيان والعيال...رقم (٥٩٨٤) (نووي/١٥/٧٦).

٢) مسلم: كتاب الفضائل، باب: رحمته ﷺ بالصبيان والعيال... رقم (٥٩٨٠) (نووي/١٥/٧٥).

فالعلاج الناجع، الذي يكون له أكبر الأثر في رفع هذا البلاء هو الاقتداء بإمام الأنبياء ﷺ، وذلك لا يكون إلا بمن آمن به حق الإيمان وشاهد بقلبه حاله الرفيع.

فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: **«كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئًا عرفناه في وجهه»**[(١)].

قال الإمام النووي رحمه الله: ومعنى عرفنا الكراهة في وجهه أي لا يتكلم به لحيائه، بل يتغير وجهه، فنفهم نحن كراهته، وفيه فضيلة الحياء، وهو من شعب الإيمان، وهو خير كله، ولا يأتي إلا بخير، وهو محثوث عليه ما لم ينته إلى الضعف والنخو[(٢)] اهـ.

هـ - التواضع:

"اعلم أيها العبد المتواضع أن التواضع خلق سني يشمل خيرات كثيرة، فهو خضوع للحق، وانقياد له، وقبوله ممن قاله في الرضى والغضب، وهو خفض الجناح، ولين الجانب، وهو أن لا ترى لنفسك قيمة فوق العباد، وهو أن لا ترى لأحد إلى نفسك حاجة"[(٣)].

والتواضع أثر عظيم بلا شك للإيمان برسول الله ﷺ فهو الداعي إلى ذلك بهديه وقوله. فدعا إلى ذلك ﷺ بفعله حيث حدث بذلك أنس بن مالك ﷺ **«أنه كان يمشي مع رسول الله ﷺ فمر بصبيان فسلم عليهم»**[(٤)] إلى غير ذلك من فعله ﷺ مع الصغير قبل الكبير.. ودعا ﷺ إلى التواضع بفعله فيما رواه

---

١) مسلم: كتاب الفضائل، باب: كثرة حيائه ﷺ، رقم (٥٩٨٦) (نووي/١٥/٧٧).
٢) (شرح النووي على صحيح مسلم/١٥/٧٧).
٣) (بهجة الناظرين../١/٦٥٧).
٤) مسلم: كتاب السلام، باب: استحباب السلام على الصبيان، رقم (٥٦٣٠) (نووي/١٤/٣٧٤).

عنه عياض بن حمار فقال: «وإن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد»[1].

وأحوج الناس اليوم إلى هذا الخلق هم هؤلاء الذين يدّعون العلم والفقه وتراهم ينسجون حولهم هالة لا تصلح لهم، بل تصلح لأهل العلم حقيقة، فما أحوج هؤلاء إلى التواضع، وترك الثرثرة بوزنهم، بطريق مباشر وغير مباشر.

ما أحوج هؤلاء إلى التواضع وترك تمجيد أعمالهم، والتحدث بما يرونه أنه اصطفاء لهم دون سائر الخلق، وليعلم هؤلاء، أنهم بفعلهم ذلك أقرب إلى الضعة من الرفعة، والغالب أن من ابتلى بذلك تجد أن الناس قد عرفوه، وعلموا حقيقة أمره. ألا فما أحسن التواضع، فليكن هؤلاء ولغيرهم جلبابًا، وليكن الرسول ﷺ قدوة الجميع في هذا الهدي الكريم.

و- البشر والبشاشة:

عن أنس ﷺ قال: «**إن كان رسول الله ليخالطنا حتى إن كان ليقول لأخ لي صغير: يا أبا عمير ما فعل النغير**»[2].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا؟ قال: «**إني لا أقول إلا حقًا**»[3].

قال الترمذي: ومعنى قوله: "إنك تداعبنا" إنما يعنون أنك تمازحنا، فهذا هدي رسولنا ﷺ بشر وبشاشة تتمثل في مداعبته ومزاحه الصادق مع أصحابه

---

١) مسلم: كتاب الجنة ونعيمها، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم (٧١٣٩) (نووي/١٧/١٩٧).

٢) صحيح: أخرجه الترمذي، أبواب البر والصلة، باب: ما جاء في المزاح، رقم (٢٠٥٦) (تحفة/٦/١٠٧) وقال الترمذي حديث حسن صحيح.

٣) سبق تخريجه.

رضوان الله عليهم، وإن ما نراه جميعًا من هؤلاء المتنطعين، من تقطيب جبين، وعبوس مستديم، وهجر للناس، ما هو إلا خلاف هدي رسول الله ﷺ، فيا من آمن به، وصدق برسالته، عليك بهديه وسنته، والاقتداء بفعله، ودع عنك هذا الجهل، الذي لا يعدو أن يكون جفاء وغلظة، ورؤية للنفس وهي أحقر من ذلك.

عن سماك بن حرب قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، كثيرًا... وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون، ويتبسم ﷺ "[١].

ز- الشجاعة:

قال الشيخ أبو بكر الجزائري -حفظه لله-: إن الشجاعة خلق فاضل، ووصف كريم، وخلة شريفة، لا سيما إذا كانت في العقل كما هي في القلب، وكان صاحبها من أهل الإيمان والعلم، والشجاعة في القلب عدم الخوف مما يخاف عادة، والإقدام على دفع ما يخاف منه بقوة وحزم.

وفي العقل: المضاء فيما هو الرأي وعدم النظر إلى عاقبة الأمور متى ظهر أنه الحق والمعروف.

وقد كان الحبيب محمد ﷺ أشجع إنسان على الإطلاق، فلم تكتحل عين الوجود بمثلهﷺ.

ومن أدلة ذلك تكليف الله تعالى له بأن يقاتل وحده في قوله: ﴿فَقَـٰتِلۡ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾، وموقفه البطولي الخارق

١) مسلم: كتاب الفضائل، باب: تبسمه ﷺ وحسن عشرته، رقم (٥٩٨٩) (نووي/١٥/٧٨).

للعادة في أحد حيث فرّ الكماة، ووجم الأبطال، وذهل عن أنفسهم الشجعان، ووقف محمد رسول الله ﷺ كالجبل الأشم حتى لاذ به أصحابه، والتفوا حوله، وقاتلوا حتى انجلت المعركة بعد قتال مرير وهزيمة حلت بالقوم لمخالفة أمـره ﷺ.

وفي حنين حيث انهزم أصحابه وفر رجاله لصعوبة مواجهة العدو، من جراء الكمائن التي نصبها وأوقعهم فيها وهم لا يدرون، بقي وحده ﷺ في الميدان يطاول ويصاول وهو على بغلته يقول: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب»[1][2].

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله-: وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة، أنه في مثل هذا اليوم في حومة الوغى، وقد انكشف عنه جيشه وهو مع هذا على بغلة وليست سريعة الجري، ولا تصلح لفر ولا لكر ولا لهرب، وهو مع هذا أيضًا يركضها إلى وجوههم، وينوه باسمه ليعرفه من لم يعرفه صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين، وما هذا كله إلا ثقة بالله وتوكلاً عليه وعلمًا منه بأنه سينصره، ويتم ما أرسله به ويظهر دينه على سائر الأديان[3] اهـ.

والشجاعة هي الأصل في نصرة هذا الدين بعد الإيمان بالله ورسوله ﷺ، فالدعوة إلى الله، ونشر دينه لا بد أن يكون منوطًا بالشجاعة والإقدام والجرأة فيما يُقْدَم عليه.

---

١) البخاري: كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ....﴾ رقم (٤٣١٦) (فتح/٨/٣٤).
٢) (هذا الحبيب يا محب/٥٣٠، ٥٣١).
٣) (تفسير ابن كثير/٢/٣٥٨).

فكم من أناس صالحين، عندهم من العلم ما يكفي لهداية قوم، ومع ذلك، لا يملكون الشجاعة لتبليغ الناس ما عندهم من منهج يُصلح الله به العباد.

ليس هذا فقط! بل لربما رأى بعينه حرمات الله تنتهك بشتى الوسائل وهو مع هذا جبان لا يستطيع أن ينبس بكلمة يدفع بها هذا المنكر.

إن الشجاعة مطلب غالي الثمن خاصة للدعاة في هذا العصر، ولكن مع الأسف والحزن حرمها الكثير، ويا للعار! أن تجد منهم من يدندن بشجاعته وقوته وهو أجبن من الثعلب، إن كلمة الدعاة ليست قاصرة على علمائنا الأجلاء، أو دعاتنا الكبار الأفذاذ حفظهم الله وجعلهم للإسلام ذخرًا، بل كلمة داعية تطلق أيضًا على كل من عنده علم شرعي ومنهم طلاب العلم بلا شك، فيا هؤلاء، لن تسودوا الناس أبدًا ما احتوشكم الجبن، ولن تقوم لكم راية إلا إذا رفعتموها بالشجاعة، ولن تمكنوا أبدًا ما دمتم وراء الجدُر.

ومن ظن أن الدين يُنصر، والأعداء يُهزموا، وتَدَفُّق دماء المسلمين في كل مكان يقف، ويصبح المسلم عزيز الجانب كما كان، ومن ظن أن هذا الظلام الحالك سيرتفع، ويُؤْذَن بفجر جديد، من ظن أن هذه الآمال ستتحقق بدون شجاعة وبسالة وإقدام واسترخاص الغالي في سبيل ذلك فقد ظن عجزًا.

ويا من يتمنى الشجاعة، تعلمها ممن آمنت به ورضيت به رسولاً ﷺ، فلا بد أن تتجلبب وتتدثر وتلتزم بهذا الأثر الإيماني العظيم، ما بقي فيك عرق ينبض.

ح- الحلم والعفو والصفح والأناة والرفق:

ما أجمل أن يتحلى المسلم بتلك الصفات العظيمة، والمكارم الجليلة، مقتديًا في ذلك بنبيه وخليله ﷺ، فمن صبر على تلك المناقب، وتعبّد الله بها في زمان تلك الغربة الموحشة، وعض عليها بنواجذه، شعر والله عند ذلك أن رسوله ﷺ في مخيلته كأنه معه على الدوام، لأنه منه استمد هذه الخصال، فبهديه وسمته يهتدي، عسى أن يجاوره في جنات النعيم.

فالحلم والعفو والصفح والأناة والرفق وتحمل الأذى وكظم الغيظ وغير ذلك من هذه الصفات التي ضرب لنا رسول الله ﷺ لها أروع الأمثلة وأجلها، وهي ظاهرة معروفة بل ومشهورة عند غالب الناس إن لم يكن جميعهم، هذه الصفات مطلب نفيس قد عز وجوده في هذه الأيام.

ويا لهول ما تراه إذا ما عاينت أحوال الناس ممن وصفوا بأضداد تلك الصفات في جميع مستويات الحياة ومراتبها، وكذا عند جميع البشر بسائر طبقاتهم مهما عَلَت إلا من رحم الله وقليل ما هم نعم والله، وقليل ما هم.

فيا أيها المسلم إن لم نقتد بقدوتنا ﷺ فبمن نقتدي؟ وإن لم نقلده ﷺ في هذه الصفات وغيرها فمن نقلد؟ وإن لم نسترشد بسنته وهديه فبمن نسترشد؟ قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[1]، "هذه الآية أجمع آية في القرآن الكريم لمكارم الأخلاق، لأنها تعني أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، ولا ريب أن للمطاع مع الناس ثلاثة أحوال:

١) الأعراف: ١٩٩.

أحدها: أمرهم ونهيهم بما فيه مصلحتهم.

الثاني: أخذه منهم ما يبذلونه مما عليهم من الطاعة.

الثالث: أن الناس معه قسمان:

موافق له موالٍ، ومعادٍ له معارض. وعليه في كل واحد من هذه واجب. فواجبه في أمرهم ونهيهم أن يأمر بالمعروف، وهو المعروف الذي به صلاحهم وصلاح شأنهم، وينهاهم عن ضده. وواجبه فيما يبذلونه من الطاعة أن يأخذ منهم ما سهل عليهم، وطوعت له به أنفسهم سماحةً واختيارًا، ولا يحملهم على العنت والمشقة فيفسدهم.

وواجبه عند جهل الجاهلين عليه الإعراض عنهم، وعدم مقابلتهم بالمثل والانتقام منهم لنفسه[1]. اهـ.

وقد تعمدت ذكر تلك القواعد لأهل الصلاح والإصلاح بالذات، فإن لهم مع من يدعوهم إلى الهداية سائر هذه المراتب الثلاث، فإن طبقها الداعية كما ذكرت، اتصف بهذه الصفات المذكورة آنفًا، وإلا فلا، وعند ذلك تكون في حقه كبيرة جدًا. ولو نظرنا إلى أحوال رسول الله ﷺ لوجدناها تنبض بتلك الخصال الحميدة، والمناقب المجيدة.

عن عروة ﷺ أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حدثته أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: **«لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرَضتُ نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقتُ وأنا مهموم على**

---

١) (بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين/١/٦٧٩).

وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرتُ فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك. وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا»[1].

والحديث بنفسه غني عن شرحه، فجميع معاني الحلم والعفو والصفح والأناة والرفق يُزهر بها الحديث.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ".. وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه، إلا أن تنتهك حرمة الله ﷻ"[2]، وهذا الحديث يغني عن سائر الأحاديث التي تحمل نفس هذا المعنى لأنها كثيرة فهو بحق يعتبر قاعدة لباقي الأخبار، التي تشهد برسوخ رسول الله ﷺ في هذا المجال.

ط- الزهد:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا

---

١) البخاري: كتاب بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم "آمين" والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، رقم (٣٢٣١) (فتح/٦/٣٨٤).

٢) مسلم: كتاب الفضائل، باب: مباعدته ﷺ للآثام، واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته رقم (٥٩٩٩) (نووي/١٥/٨٢).

فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾[2].

عن عبدالله، قال: اضطجع النبي ﷺ على حصير، فأثر في جلده فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله لو كنت آذنتنا ففرشنا لك عليه شيئًا يقيك منه فقال رسول الله ﷺ: «ما أنا والدنيا، إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»[3].

قال الدكتور السيد محمد نوح -حفظه الله-: خلق الله ﷻ الإنسان، وجعله خليفة في هذا الكون يعمره وينتفع بكل ما فيه وفق منهج رسمه له، وأرسل من أجل هذا المنهج النبيين مبشرين ومنذرين، وسخر له كل ما يعينه على أداء دوره وواجبه من شمس وقمر، ونجوم، وجبال، وشجر، ودواب، وأرض وسماء وماء وهواء... الخ، وحدد له أجلاً معينًا يحقق فيها ما طلب منه.

ثم جعل له دارًا أخرى -غير هذه الدار- يلقى فيها جزاء عمله من ثواب وعقاب، وجنة ونار، وما على العاقل بعد ما تقدم إلا أن يلقي الدنيا عن كاهله، وأن يطرحها وراءه ظهريًا، واضعًا نصب عينيه الآخرة التي هي دار

---

١) يونس: ٢٤.
٢) لقمان: ٣٣.
٣) صحيح: أخرجه ابن ماجه: كتاب الزهد، باب: مثل الدنيا، رقم (٤١٠٩) (سندي/٤/٤٢٦) والترمذي: أبواب الزهد، ٣١ باب بدون، رقم (٢٤٨٣) (تحفة/٧/٤١) قال الترمذي هذا حديث صحيح، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه رقم (٣٣٣٣) والصحيحة رقم (٤٣٩).

القرار، وما قرب إليها من قول وعمل، وإذا كان له أن يأخذ حظه من الدنيا فليكن ذلك بقدر، ووفقًا للمنهج الذي ارتضاه الله ﷻ لنا دينًا، ولئلا يطمئن الناس إلى الدنيا، ويركنوا إليها، تاركين العمل للآخرة.

بيّن النبي ﷺ -في الحديث السابق- عمر الدنيا في جنب الآخرة، وأنه لا يعدو أن يكون ساعة من نهار. وحتى تستقر هذه الحقيقة في النفوس، ساق النبي ﷺ حديثه هنا على طريق المثل فقال: ليس لي تعلق بالدنيا، وليس للدنيا تعلق بي، وكيف أتعلق بالدنيا وتتعلق الدنيا بي؟!

وما مثلي ومثلها إلا كمسافر ركب مطيته وسار في هجير شديد قيظه، فلما اشتد به التعب نزل، فقال تحت شجرة فترة وجيزة لا تتجاوز الساعة ريثما ابتلع أنفاسه، وعاد إليه نشاطه، ثم راح وترك الشجرة مستأنفًا السير من جديد ليصل إلى نهاية رحلته.

وهكذا ثبّت النبي ﷺ هذه الحقيقة في النفس، فلم تعد تنسَ بواسطة المثل، وصدق الله الذي يقول:

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]. اهـ[2].

وهكذا ينبغي أن يكون المسلم، لا يلتفت إلى هذه الدنيا بقلبه ساعة من نهار، وإنما يجعلها في يديه، حتى إذا ما أراد أن يضحي بها في سبيل دينه، لم يضن بها، ولم يتعلق بها قلبه. وإن الأمثلة على زهد رسول الله ﷺ تحويها مجلدات كثيرة، وإنما أردت التنويه بهذه الفضيلة والخلة الشريفة، حتى يحذو حذوه كل من آمن به، وصدق برسالته.

---

١) الحشر: ٢١.
٢) (توجيهات نبوية على الطريق/٢٢، ٢٣).

ولقد حذّرنا رسول الله ﷺ من الدنيا، ورغبنا بالزهد فيها، بقوله لعبدالله بن عمر وقد أخذ بمنكبيه: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**» وكان ابن عمر يقول: "إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك"[1].

وعن سهل قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها**»[2].

ألا فليكن شعارك أيها المسلم قوله ﷺ: «**اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة**»[3]. وكن فيها كالغريب الذي لا يستقر في وطن، حتى يرجع ويستوطن الجنة بإذن الله إلى الأزل، خالدًا فيها أبدًا.

٤- توقيره ﷺ:

يقول الشيخ الجزائري -حفظه الله-: إن توقير النبي ﷺ واجب أكيد، إذ خلافه، وهو الاستخفاف به ﷺ ما هو من الكفر ببعيد، بل هو كفر عتيد، أمر تعالى بتوقير نبيه ﷺ في قوله:

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا * لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾[4].

---

١) البخاري: كتاب الرقاق، باب: قول النبي ﷺ: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» رقم (٦٤١٦) (فتح/١١/٢٨٠).
٢) البخاري: كتاب الرقاق، باب: مثل الدنيا في الآخرة، رقم (٦٤١٥) (فتح/١١/٢٧٨).
٣) البخاري: كتاب الرقاق، باب: ما جاء في الرقاق، وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، رقم (٦٤١٤) (فتح/١١/٢٧٥).
٤) الفتح: ٩.

فالتعزير النصرة والتوقير للتعظيم والإجلال وهذه له ﷺ، والتسبيح لله ﷻ، وهو تنزيهه تعالى عن النقائص، والشريك والشبيه والنظير، والصاحبة، والولد.

فما أرسل الله تعالى رسوله مبشرًا ونذيرًا، إلا ليؤمن الناس به تعالى، وبرسوله، ويعزروا الرسول، أي: ينصروه، ويوقروه أي: يجلوه ويعظموه بما يليق بمنصبه الرفيع، ومقامه السامي الشريف.

ومعنى توقيره ﷺ تعظيمه وإجلاله والإكبار من شأنه، والرفع من قدره حتى لا يدانيه أحد من الناس.

ومن مظاهر توقيره ﷺ ما أمر الله تعالى به وأرشد إليه في كتابه العزيز كقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، أي: لا تقولوا قبل أن يقول، وإذا قال فاستمعوا له وأنصتوا، فلا يحل لأحدهم أن يسبق بقوله قوله، ولا برأيه رأيه، ولا بقضائه قضاءه، بل عليهم أن يكونوا تابعين له في كل ذلك.

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾[2]. فقد منعهم في هذا الخطاب من رفع أصواتهم فوق صوته لمنافاة ذلك للأدب معه والوقار له، كما منعهم من الجهر بالقول له إذا خاطبوه

---

١) الحجرات: ١.
٢) الحجرات: ٢.

وكلموه لما في ذلك من سوء الأدب والجفاء والغلظة المنافية للإجلال والتوقير والتعظيم.

وقوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾[1]، فقد نهاهم عن ندائه باسمه العَلَم: يا محمد، وأرشدهم أن يدعوه بلقب النبوة والرسالة نحو يا نبي الله، ويا رسول الله، وبأحب كناه إليه نحو يا أبا القاسم، واستجاب أصحابه البررة لأمر الله تعالى، فقال أبو بكر الصديق، والله يا رسول الله لا أكلمك بعدها إلا كأخي السرار[2] وفعلاً لما نزلت هذه الآية كان عمر إذا حدثه حدثه كأخي السرار، فما كان يسمع الرسول حتى يستفهمه، ليبين مراده من كلامه، ونزل فيهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[3].

قال عروة بن الزبير حين وجهته قريش إلى رسول الله يوم صلح الحديبية، ورأى من تعظيم أصحاب رسول الله ﷺ له ما رأى، وأنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه، وكانوا يقتتلون عليه، ولا يبصق بصاقًا ولا يتنخم نُخامة إلا تلقوها بأكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم. ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها، وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له.

١) النور: ٦٣.
٢) السرار: أي كلامًا خفيًا كالمسارة التي لا يسمعها غير من ساره بها من الحاضرين.
٣) الحجرات: ٣.

فلما رجع إلى قريش قال: يا معشر قريش، إني جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكًا من قوم قط مثل محمد في أصحابه. فهذا الذي حكاه عروة بن مسعود ﷺ وهو حق ثابت، أكبر مظهر من مظاهر توقير أصحاب رسول الله ﷺ لنبيهم صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليما[1]. اهـ. وهكذا يجب على كل من آمن به إلى يوم القيامة.

المطلب الثاني: أثر الإيمان بالرسل –بما فيهم رسولنا- على العباد:

١- الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة:

وذلك اقتداءً برسل الله عليهم السلام، فما من رسول أرسله الله تعالى إلا أخذ في دعوة الناس إلى الله تعالى بمجرد تكليفه بذلك، دون تقاعس أو تكاسل.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[3].

وكان الرسل صلوات الله عليهم أجمعين شعارهم في دعوة الناس: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[4].

---

١) (هذا الحبيب يا محب/٥٦٦، ٥٦٧).
٢) النحل: ٣٦.
٣) الأنبياء: ٢٥.
٤) الشعراء: ١٠٨، ١٣٦، ١٤٤، ١٥٠، ١٦٣، ١٧٩).

"وقد بذل الرسل في سبيل دعوة الناس إلى الله جهودًا عظيمة، وحسبك في هذا أن تقرأ سورة نوح عليه السلام لترى الجهد الذي بذله على مدار تسعمائة وخمسين عامًا، فقد دعاهم ليلاً ونهارًا، سرًا وعلانية، واستعمل الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، وحاول أن يفتح عقولهم، وأن يوجهها إلى ما في الكون من آيات، ولكنهم أعرضوا، ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴾[1]. اهـ[2]."

وفي ذلك تعليم لكل من أراد أن يسلك طريق الدعوة، أن يقتدي بهؤلاء الرسل في الدعوة إلى الله تعالى.

وعلى كل من تصدى لدعوة الناس، أن يتعلم من رسل الله تعالى أساليبهم في الدعوة إلى الله تعالى، ولا يسير على وتيرة واحدة بل عليه أن ينوع في منهجه الدعوي على حسب ظروف من يدعوه فالترغيب وحده يدعو إلى التكاسل، والترهيب وحده يدعو إلى القنوط، بل لا بد منهما جميعًا وأن يكون في ذلك وسطًا بين الغالي والجافي، كما هي طريقة رسل الله تعالى.

وهكذا، فكلما استقرأ المسلم كتاب الله تعالى، لأنه المصدر الصافي الذي علمنا كيف كانت دعوة الرسل صلوات الله عليهم أجمعين، كلما استقرأ المسلم كتاب ربه، صار على بصيرة من أمره في دعوته، لأنه يقتدي في ذلك بدعوة رسل الله أجمعين، وكلما استقرأ سيرة رسولنا محمد ﷺ تعلم أكثر وأكثر ضوابط الدعوة إلى الله على بصيرة.

---

١) نوح: ٢١.
٢) (الرسل والرسالات: ٤٥).

٢- الصبر والمصابرة:

حياة الأنبياء والرسل صلى الله عليهم وسلم مليئة بالابتلاءات والمحن، وكلهم توج هذه البلايا بالصبر والمصابرة. فعلى المسلم أن يقتدي بهم في صبرهم، فهم من هم، ومع ذلك تحملوا الكثير والكثير، تحملوا ما تئنّ الجبال بحمله فما تبرموا وما سخطوا، ولكنهم صبروا وسلموا أمرهم جميعه لله تعالى فما خذلهم، بل أعانهم على صبرهم، ونصرهم كذلك على عدوه وعدوهم.

والصبر هو الدواء الناجح لجميع ما ينزل بالمسلم، فالمرض يحتاج إلى صبر، والفقر يحتاج إلى صبر، وصدود المدعوين يحتاج إلى صبر، وتحمل العذاب يحتاج إلى صبر، وطلب العلم يحتاج إلى صبر، والدعوة إلى الله تحتاج إلى صبر، وطاعة الله تعالى تحتاج كذلك إلى صبر.

ورسل الله تعالى، ضربوا لنا أروع الأمثلة في جميع مجالات الصبر فعلينا الاقتداء بهم جميعًا، كما آمنا بهم جميعًا، نقتدي بهم كما أمرنا رسولنا محمد ﷺ، وكما أمرنا ربنا في كتابنا الكريم، وصور الصبر كثيرة منها ما يلي:

أ- الصبر على الدعوة:

"ومن أبرز أمثلة الصبر على مشاق الدعوة، والصبر على صدود المدعوين، نوح عليه السلام، فلقد لبث يدعو ما يقرب من ألف سنة دون أن يستجيب له من قومه إلا أفراد قليلون، وحتى ابنه لم يستجب إليه وغرق مع المغرقين، وكذلك امرأته، وإن من أشق الأمور على نفس الداعية أن يدعو دون أن يستجيب له الناس الذين يدعوهم إلى الخير وإلى النجاة. ولكن أشق من ذلك أن يأتي الصدود من قبل المقربين من الأهل، بما في ذلك الزوجة والولد، أقرب الناس إلى الإنسان، وأحراهم أن يكونوا أول المستجيبين. ولقد صبر نوح

عليه السلام على هذا العنت كله، وعلى الصد الطويل من قومه بعد الدعوة المستمرة لهم عامًا بعد عام، سراً وجهرًا، ونهارًا وليلاً"[1].

قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[2].

ولو استعرض الداعية حياة كل رسول لوجدها مثالاً حيًا على تحمل مشاق الدعوة والصبر عليها، وخاصة حياة رسولنا محمد ﷺ من يوم بعثته إلى وفاته، وهو يدعو الناس إلى توحيد الله، وكذلك تربيته لأصحابه وجمعه لهم حوله، وتأسيسهم والصبر عليهم حتى فتح بهم البلاد وقلوب العباد.

من هنا، وجب على كل داعية أن يلزم الصبر والمصابرة حتى يأتيه الموت وهو على ذلك المنهج الرباني، وعليه أن يحذر من العجلة فإنها سبب في انقطاع الطريق.

ب- الصبر على تحمل الأذى في سبيل الله:

سُئل سهل بن سعد ﷺ عن جرح رسول الله ﷺ يوم أحد؟ فقال: جرح وجه رسول الله ﷺ وكسرت رباعيته، وهُشِّمَت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم، وكان علي بن أبي طالب ﷺ يسكب عليها بالمُجنّ، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة، أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رمادًا ثم ألصقته بالجرح، فاستمسك الدم"[3] فجعل رسول الله ﷺ يقول عند ذلك: «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا

---

١) (ركائز الإيمان/٢٨٥).
٢) هود: ٣٦.
٣) مسلم: كتاب الجهاد، باب: غزوة أحد، رقم (٤٦١٨) (نووي/١٢/٣٥٩).

رباعيته، وهو يدعوهم إلى الله» فأنزل الله ﷻ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾[1][2].

"بين تعالى أن الأمر كله لله، وأن الرسول ﷺ ليس له من الأمر شيء، لأنه عبد من عبيد الله، والجميع تحت عبودية ربهم مدبرون لا مدبرون.

وهؤلاء الذين دعوت عليهم أيها الرسول، أو استبعدت هدايتهم، إن شاء الله تاب عليهم، ووفقهم للدخول في الإسلام وقد فعل، فإن أكثر أولئك هداهم الله فأسلموا"[3]، وفي ذلك دعوة صريحة للصبر على تحمل الأذى في سبيل الله، قال الإمام النووي في تعليقه على الحديث الأول الذي رواه سهل بن سعد ﷺ: وفي هذا وقوع الانتقام والابتلاء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، لينالوا جزيل الأجر، ولتعرف أممهم وغيرهم ما أصابهم ويتأسوا بهم[4]. اهـ.

وعن عبدالله قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيًا من الأنبياء ضربه قومه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: **«رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»**[5].

فعلى الداعية أن يحمل دعوته إلى جميع الناس، ولا يخشى في ذلك لومة لائم، ويوطن نفسه على تحمل الأذى بجميع ألوانه في سبيل الله، فهذا هو الطريق مهما كانت وعورته، ولا طريق سواه، فالجنة غالية الثمن.

---

١) آل عمران: ١٢٨.
٢) مسلم: كتاب الجهاد، باب: غزوة أحد، رقم (٤٦٢١) (نووي/١٢/٣٦٠).
٣) (تيسير الكريم الرحمن/١/٢٥١).
٤) (شرح النووي على صحيح مسلم/١٢/٣٥٩).
٥) مسلم: كتاب الجهاد، باب: غزوة أحد، رقم (٤٦٢٢) (نووي/١٢/٣٦١).

ج- الصبر على تحمل أقدار الله المؤلمة:

وأقصد بأقدار الله المؤلمة تلك الأقدار التي يجزع المسلم عندها ولا يستطيع تحملها ومن هذه الأقدار الصعبة مصيبة الموت، فعلى المسلم أن يقابل تلك المصيبة بالصبر الجميل، كما علمنا ذلك رسول الله ﷺ عند موته.

فعن أنس ﷺ قال: لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه الكرب فقالت فاطمة رضي الله عنها: واكرب أبتاه. فقال ﷺ: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم»(١).

ومن الأقدار المؤلمة الفقر، وإن ما يهون ذلك على المسلم أن ينظر لحال رسول الله ﷺ في معيشته، فسيسلو والله عند ذلك، ويرتفع عنه الهم والغم والقلق.

عن عروة عن عائشة رضي الله عنها: أنها كانت تقول: "والله يا ابن أختي، إن كنا لننظر إلى الهلال، ثم إلى الهلال، ثم إلى الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار. قال: قلت: يا خالة فما كان يُعيِّشُكُم؟ قالت: الأسودان التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم منائح، فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها، فيسقيناه"(٢).

ومن الأقدار المؤلمة كذلك المرض، وما على المسلم إلا أن ينظر في أحوال الأنبياء فسيجد ما أصابه يتضاءل أمام ما أصاب هؤلاء الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

---

١) البخاري: كتاب المغازي، باب: مرض النبي ﷺ ووفاته، رقم (٤٤٦٢) (فتح/٨/١٨٨).

٢) مسلم: كتاب الزهد، باب: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، رقم (٧٣٧٨) (نووي/١٨/٣٠٨).

وأبرز مثال على ذلك، نبي الله أيوب عليه السلام وقصته أشهر من أن تذكر ويكفيه شهادة ربه في ذلك عندما قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[1]. وأقدار الله المؤلمة كثيرة، فعلى المسلم أن يصبر عليها، وأن يقابلها بالصبر الجميل كما علمنا ذلك رسولنا ﷺ، وكما هو حال رسل الله أجمعين.

فعن صهيب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير له، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له»[2].

وغير ذلك من الأقدار المؤلمة كثير، أصيب بها أنبياء الله ورسله، فصبروا عليها أجمل الصبر، مما يحدو بكل من يؤمن بهم أن يسلك طريقهم في الصبر على أقدار الله المؤلمة.

٣- مسلك التبشير والإنذار:

وهذا المسلك له نتائجه الباهرة التي لا تخفى على أحد، وقد أصّله لنا أنبياء الله بوحي من الله على لسانهم ولسان الرسل أجمعين، كما نطق بذلك القرآن الكريم قال ربنا تبارك وتعالى في كتابه: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا﴾[3].

---

١) ص: ٤٤.
٢) مسلم: كتاب الزهد، باب: المؤمن أمره كله خير، رقم (٧٤٢٥) نووي/١٨/٣٢٥).
٣) الكهف: ٥٦.

"ومن يطالع دعوات الرسل يجد أن دعوتهم قد اصطبغت بالتبشير والإنذار، ويبدو أن التبشير والإنذار على النحو الذي جاءت به الرسل هو مفتاح النفس الإنسانية.

فالنفس الإنسانية مطبوعة على طلب الخير لذاتها، ودفع الشر عنها، فإذا بصّر الرسل النفوس بالخير العظيم الذي يحصلونه من وراء الإيمان والأعمال الصالحة، فإن النفوس تشتاق إلى تحصيل ذلك الخير، وعندما تبين لها الأضرار العظيمة التي تصيب الإنسان من وراء الكفر والضلال، فإن النفوس تهرب من هذه الأعمال، ونعيم الله المبشر به، نعيم يستعذبه القلب، وتلذّه النفس، ويهيم به الخيال"[1].

وعذاب الله المبشر به، عذاب يرتجف منه القلب، وتستهوله النفس، ويرتعد منه الخيال. فعلى الداعية أن يسلك مسلك الرسل في التبشير والإنذار، حتى تؤتي دعوته ثمارها العظيمة.

"إن بعض الذين لم يفقهوا دعوة الإسلام، يعيبون على دعاة الإسلام أخذهم بالإنذار والتبشير، ويقولون فلان واعظ، ويعيبون عليهم عدم فلسفتهم للأمور التي يدعون إليها، ويطالبون الدعاة بالكف عن طريقة الوعظ وتخويف الناس وترغيبهم، وهؤلاء بحاجة إلى أن يراجعوا أنفسهم، وينظروا في موقفهم هذا، في ضوء نصوص القرآن وأحاديث الرسول التي تبين أسلوب الدعوة، وتوضيح مهمة الرسل الكرام"[2].

---

١) (الرسل والرسالات: ٤٨).
٢) (الرسل والرسالات: ٤٩).

ولو صح هذا الفهم العقيم، لرُدَّت مئات المجلدات، بل آلاف الكتب التي تأخذ بهذا المنهج على ضوء الكتاب والسنة.

"وحسبك أن تطالع كتاب الترغيب والترهيب للحافظ المنذري" وتقرأ منه على إخوانك ومن تدعوهم إلى الله، ثم انظر أثر هذا في نفسك وفي نفوس السامعين"[1].

٤- إصلاح النفوس وتزكيتها:

وهذا شيء حاصل، وأثر لازم للإيمان بالرسل الكرام، لأن رسل الله جميعًا مكلفون بتبليغ الناس ما يقوّمون به نفوسهم، والإيمان برسل الله، يقتضي الإيمان بما يأمرون به، والالتزام بما يدعون إليه.

وإصلاح النفوس وتزكيتها، وتنقيتها من قبائحها، وتصفيتها من أدرانها، والسمو بها إلى مكارم الأخلاق، يكون بتتبع أوامر الله، والامتثال بها مما جاء على ألسنة الرسل الكرام. فما من رسول إلا وقد أوصى قومه بتقوى الله ﷻ، وتقوى الله هي لُب إصلاح النفوس وتزكيتها، وكذلك ما جاء به الرسل الكرام من الشعائر التعبدية، ظاهرها وباطنها، كل ذلك يدعو إلى إصلاح النفوس وتزكيتها. وأيضًا النظر إلى أحوال رسل الله تبارك وتعالى يدعو إلى إصلاح النفوس وتزكيتها، فقد حوت حياتهم جميع مظاهر التزكية من عدل ورحمة وعبادة وعفو وخشية وجهاد، وسائر ما أمر الله به من الطاعات. فكل من آمن بهم وبوحيهم وبشمائلهم، يخرجه الله من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ

---

١) (الرسل والرسالات: ٤٩)

كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[3]، والفلاح كله في تزكية النفس، والخيبة والشقاء في السير وراء أهوائها. قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[4].

وصور صلاح النفوس وتزكيتها كثيرة جدًا، وإنما أردت الإشارة فقط، أسأله تعالى أن يزكي نفسي كما أمر وكذلك جميع المسلمين، اللهم آمين.

٥- تقويم الفكر المنحرف والعقائد الزائفة:

"كان الناس في أول الخلق على الفطرة السليمة، يعبدون الله وحده، ولا يشركون به أحدًا، فلما تفرقوا واختلفوا، أرسل الله الرسل ليعيدوا الناس إلى جادة الصواب، وينتشلوهم من الضلال، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ

---

١) البقرة: ٢٥٧.
٢) إبراهيم: ٥.
٣) الجمعة: ٢.
٤) الشمس: ٩، ١٠.

ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1].

أي كان الناس أمة واحدة على التوحيد والإيمان، وعبادة الله فاختلفوا فأرسل الله النبيين مبشرين ومنذرين. وقد كان كل رسول يدعو قومه إلى الصراط المستقيم، ويبينه لهم، ويهديهم إليه، وهذا أمر متفق عليه بين الرسل.

ثم كل رسول يقوّم الانحراف الحادث في عصره ومصره، فالانحراف عن الصراط المستقيم لا يحصره ضابط وهو يتمثل في أشكال مختلفة، وكل رسول يعنى بتقويم الانحراف الموجود في عصره، فنوح أنكر على قومه عبادة الأصنام، وكذلك إبراهيم، وهود أنكر على قومه الاستعلاء في الأرض والتجبر فيها، وصالح أنكر عليهم الإفساد في الأرض واتباع المفسدين، ولوط حارب جريمة اللواط التي استشرت في قومه، وشعيب قاوم في قومه جريمة التطفيف في المكيال والميزان، وهكذا.

فكل هذه الجرائم وغيرها التي ارتكبتها الأمم خروج عن الصراط المستقيم وانحراف عنه، والرسل يبينون هذا الصراط ويحاربون الخروج عليه بأي شكل من الأشكال كان"[2].

وفي هذا العصر بالذات، ما أحوج الناس إلى فهم تعاليم رسل الله جميعًا، وبالأخص تعاليم رسول الله محمد ﷺ فهي العلاج الخاتم، يختم على الضلال فلا يقوم للضلال قائمة بعده، فهذا العصر، تموج الفتن به كموج البحر، وتلاحمت الشبهات كعود الحصير.

---

١) البقرة: ٢١٣.
٢) (الرسل والرسالات/٥١).

ما أحوج هذه الفرق الضالة، والنحل المتباينة، والمذاهب الهدامة أن تهتدي بهدي رسول الله ﷺ وسائر الرسل، فعلى كل مخلص لدينه، قادر على النصيحة، أن ينصح هؤلاء الضلال، ويطفئ بنور الإسلام شبهاتهم، ويهدم عليهم منهجهم، ويرد ضالهم إلى هدي الرسل الكرام، ويحذر منهم على الدوام، نصيحة لله ولرسوله ولعامة المسلمين.

٦- إقامة الحجة علينا:

"لا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى، فالله جل وعلا أرسل الرسل وأنزل الكتب كي لا يبقى لنا حجة في يوم القيامة، ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[1]".

ولو لم يرسل الله الرسل إلى الناس لجاءوا يوم القيامة يخاصمون الله –جل وعلا– ويقولون: كيف تعذبنا وتدخلنا النار، وأنت لم ترسل إلينا من يبلغنا مرادك منا، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾[2].

أي لو أهلكهم الله بعذاب جزاء كفرهم، قبل أن يرسل إليهم رسولاً لقالوا: هلا أرسلت إلينا رسولاً كي نعرف مرادك ونتبع آياتك، ونسير على النهج الذي تريد؟ وفي يوم القيامة عندما يجمع الله الأولين والآخرين، يأتي الله لكل أمة برسولها ليشهد عليها بأنه بلغها رسالة ربه، وأقام عليها الحجة: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾

---

١) النساء: ١٦٥.
٢) طه: ١٣٤.

يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾[1].

وقال في آية أخرى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[2]، ولذلك فإن الذين يرفضون اتباع الرسل، ويعرضون عن هديهم لا يملكون إلا الاعتراف بظلمهم إذا وقع بهم العذاب في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ * فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ * لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ * قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ * فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴾[3].

وفي يوم القيامة عندما يساقون إلى المصير الرهيب، وقبل أن يلقوا في الجحيم يسألون عن ذنبهم فيعترفون: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ * وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ

---

١) النساء: ٤١-٤٢.
٢) النحل: ٨٩.
٣) الأنبياء: ١١-١٥.

نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۞ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[1].

وعندما يضجون في النار بعد أن يحيط بهم العذاب من كل جانب وينادون ويصرخون تقول لهم خزنة النار: ﴿أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾[2]. اهـ[3].

فالحذر الحذر أيها المسلم ها أنت قد علمت فاحذر، وعرفت فالزم، لقد اتضح لك الطريق أيما وضوح، وتركنا رسولنا محمد ﷺ على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فتب أيها العبد، وارجع إلى ربك، فالحجة قد أقيمت عليك، وعرفت الحلال من الحرام، فالزم الحلال، وتجنب الحرام، حتى يجنبك الله مواطن الهلكة في الدنيا، ويجنبك النار في الآخرة، عليك بطريق رسل الله الذي أوضحوه، واعتصم بهدي محمد ﷺ، واعلم أن هذا هو الطريق فلا طريق غيره، ولا تغتر بسواه مهما كان.

---

١) الملك: ٨-١١.
٢) غافر: ٥٠.
٣) (الرسل والرسالات/٥٢، ٥٣).

الفصل الخامس

الإيمان باليوم الآخر

تمهيد:

المبحث الأول: تعريف الإيمان باليوم الآخر

المبحث الثاني: إثبات الإيمان باليوم الآخر

المبحث الثالث: الموت والبرزخ

المبحث الرابع: أشراط الساعة

المبحث الخامس: البعث

المبحث السادس: حشر الخلائق جميعاً إلى الموقف العظيم

المبحث السابع: الحساب

المبحث الثامن: الميزان

المبحث التاسع: الحوض

المبحث العاشر: الصراط

المبحث الحادي عشر: الجنة والنار

المبحث الثاني عشر: أثر الإيمان باليوم الآخر على العباد

الفصل الخامس

الإيمان باليوم الآخر

تمهيد

"إن الله تعالى فطر الإنسان على الإحساس بوجود عالم آخر بعد الموت، وهذا من أقوى الأدلة على وجود اليوم الآخر، لأن الله –جل وعلا– إذا أراد أن يقنع بني الإنسان بأمر ما، فإنه يغرس فكرة الاقتناع به في فطرهم.

ولذا فإن الإنسان يشتاق إلى حياة خالدة، ولو في عالم غير هذا العالم، وهذا الإحساس شائع في نفوس البشر بحيث لا يمكن النظر إليه باستخفاف، ولذلك جاءت الأديان السماوية مبشرة بحياة أخرى بعد الموت، وجعلت مصير كل إنسان مرتهنًا بما قدمت يداه في الحياة الدنيا، وهذا مما يكسب الإنسان زيادة إيمان بربه، وما جاءت به رسله فيقدم الأعمال الصالحة استعدادًا بها ليوم المعاد.

ولما كان القرآن الكريم خاتمًا لجميع الرسالات السماوية، وليس بعده أي رسالة تبين للناس ما يختلفون فيه، وما يستجد في حياتهم، فإنه جاء وافيًا بمطالب الروح والجسد في تعاليمه وتوجيهاته، ولما كان مرتكز الجدل في بني الإنسان جبلةً وطبعًا كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾[1].

ولما كان الاقتناع أيضًا بحياة أخرى بعد الموت من الأمور التي شغلت فكر الإنسان، فإن القرآن الكريم جاء وافيًا بالأدلة والبراهين القاطعة على البعث

---

١) الكهف: ٥٤.

والجزاء، وعرض ذلك في نماذج حية، وضمنها شبه المنكرين، ولم يتركها تمر دون مناقشة لها، بل أبطل شبههم بالمنطق الصحيح والبراهين العقلية التي تزيل فكرة الفناء الأبدي التي علقت ببعض الأفكار السقيمة، وتطمئن الإنسان وتدفعه للعمل الصالح، وتحيي عنده آمال التسابق إلى الدرجات العلى في حياة أفضل.

ولقد دعا القرآن إلى الإيمان باليوم الآخر بأساليب متنوعة لا يقفل قلبه عنها إلا دهري جحود، فيجب على المسلم التصديق الجازم بجميع ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه، ونعيمه، والبعث، والحشر، والنشر، والصحف، والميزان والحساب، والجزاء، والصراط، والحوض، والشفاعة، والجنة، والنار، وأحوالهما وما أعد الله لأهلهما إجمالاً وتفصيلاً.

والإيمان بالبعث بعد الموت هو أحد أركان الإيمان الستة ونادى به جميع الأنبياء والمرسلون"[1] اهـ[2].

١) (مباحث العقيدة في سورة الزمر: ٥٤٩، ٥٥٠).
٢) (إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات/١٤).

المبحث الأول

تعريف الإيمان باليوم الآخر

التعريف:

إن المراد من اليوم الآخر أمران:

الأول: فناء هذه العوالم كلها، وانتهاء هذه الحياة بكاملها.

والثاني: إقبال الحياة الآخرة وابتداؤها.

فدل لفظ اليوم الآخر على آخر يوم من أيام هذه الحياة، وعلى اليوم الأول والأخير من الحياة الثانية، إذ هو يوم واحد لا ثاني له فيها البتة.

فالإيمان باليوم الآخر مقتضٍ للتصديق بأخبار الله تعالى بفناء هذه الحياة الدنيا، وبما يسبقه من أمارات وما يتم فيه من أهوال، واختلاف أحوال. كما هو مقتضٍ كذلك لتصديق الله تعالى في إخباره عن الحياة الآخرة، وما فيها من نعيم وعذاب، وما يجري فيها من أمور عظام، كبعث الخلائق، وحشرهم وحسابهم، ومجازاتهم على أعمالهم الإرادية الاختيارية التي قاموا بها في هذه الحياة الدنيا[1].

---

١) (عقيدة المؤمن/٣٢١).

المبحث الثاني

إثبات الإيمان باليوم الآخر

المطلب الأول: من القرآن:

١- قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾(١).

٢- وقال تعالى:

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَـٰطِـُٔونَ﴾(٢).

٣- وقال تعالى:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾(٣).

---

١) البقرة: ١٧٧.
٢) الحاقة: ١٣-٣٧.
٣) الحج: ٦، ٧.

٤- وقال تعالى:

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾[١]. وغير ذلك من الآيات كثير جدًا.

المطلب الثاني: من السُنة:

١- حديث جبريل عليه السلام المشهور وفيه قول جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ : فأخبرني عن الإيمان قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر**»[٢].

٢- عن أنس بن مالك ﷺ أن رجلاً سأل النبي ﷺ: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: «**ما أعددت لها؟**» قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله. قال: «**أنت مع من أحببت**»[٣].

٣- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»[٤].

٤- عن أبي لبابة بن عبدالمنذر قال: قال النبي ﷺ :«**إن يوم الجمعة سيد الأيام، وأعظمها عند الله، وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى ويوم الفطر، فيه خمس خلال... وفيه تقام الساعة**»[٥].

---

١) التغابن: ٧.
٢) سبق تخريجه.
٣) البخاري: كتاب الأدب، باب: علامة الحب في الله، رقم (٦١٧١) (فتح/١٠/٦٨٢).
٤) البخاري: كتاب الأدب، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، رقم (٦٠١٨) (فتح/١٠/٥٤٦).
٥) حسن: أخرجه ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، باب: فضل الجمعة، رقم (١٠٨٤) (سندي/٢/٨) وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه رقم (٨٩٥) والمشكاة رقم (١٣٦٣).

٥- جميع الأحاديث التي تذكر الموت والقبر والبعث والحساب والميزان والصراط والجنة والنار وغير ذلك، كل هذه الأحاديث تدل على الإيمان باليوم الآخر إجمالاً وتفصيلاً.

المبحث الثالث

الموت والبرزخ

المطلب الأول: سكرات الموت:

قال تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾[1].

قال الراغب في مفرداته: السكر حالة تعرض بين المرء وعقله، وأكثر ما تستعمل في الشراب المسكر، ويطلق في الغضب والعشق والألم والنعاس والغشى الناشئ عن الألم وهو المراد هنا[2]. اهـ. وقد عانى الرسول ﷺ من هذه السكرات.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ كان بين يديه ركوة - أو علبة فيها ماء، يشك عمر- فجعل يُدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: «لا إله إلا الله، إن للموت سكرات» ثم نصب يده فجعل يقول: في الرفيق الأعلى، حتى قبض ومالت يده[3].

ولا شك أن الكافر والفاجر يعانيان من الموت أكثر مما يعاني منه المؤمن.

معاناة الكافر من سكرات الموت:

ثبت ذلك في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. قال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ

---

1) ق: ١٩.
2) (القيامة الصغرى/٢٤).
3) البخاري: كتاب الرقاق، باب: سكرات الموت، رقم (٦٥١٠) (فتح/٤٣٩/١١).

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾(١).

وعن البراء بن عازب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المُسوح فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول أيتها النفس الخبيثة، أخرجي إلى سخط من الله وغضب، فتفرّقُ في جسده فينتزعها كما ينتزع السُّفود من الصوف المبلول، فيأخذها**»(٢).

فرح المؤمن بلقاء ربه:

"إذا جاءت ملائكة الرحمن العبد بالبشرى من الله ظهر عليه الفرح والسرور، أما الكافر والفاجر فإنه يظهر عليه الضيق والحزن والتعب، ومن ثم فإن العبد المؤمن في حال الاحتضار يشتاق إلى لقاء الله. والعبد الكافر أو الفاجر يكره لقاء الله تعالى"(٣).

فعن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**» قالت عائشة -أو بعض أزواجه- إنا لنكره الموت قال: «**ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه،**

---

١) الأنعام/٩٣.
٢) سبق تخريجه.
٣) (القيامة الصغرى/٢٨).

وإن الكافر إذا حُضر بُشر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله وكره الله لقاءه»[1].

ولذلك فإن العبد الصالح يطالب حامليه بالإسراع به إلى القبر شوقًا منه إلى النعيم، بينما العبد الطالح ينادي بالويل من المصير الذاهب إليه.

فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت: قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها، أين يذهبون بها؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعه صَعِق»[2].

المطلب الثاني: سؤال القبر وفتنته وعذابه ونعيمه:

قد دل الكتاب الكريم والسنة المتواترة على إثبات عذاب القبر:

أولاً: من القرآن:

١- قال الله ﷻ: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[3]. وفي الآية دليل على عذاب القبر.

قال السعدي -رحمه الله-: أي: ولنذيقن الفاسقين المكذبين نموذجًا من العذاب الأدنى، وهو عذاب البرزخ، فنذيقهم طرفًا منه قبل أن يموتوا، إما بعذاب بالقتل ونحوه، كما جرى لأهل بدر من المشركين، وإما عند الموت كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ

---

١) البخاري: كتاب الرقاق، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، رقم (٦٥٠٧) (فتح/١١/٤٣٤).
٢) البخاري: كتاب الجنائز، باب: حمل الرجال الجنازة دون النساء، رقم (١٣١٤) (فتح/٣/٢٣٤).
٣) السجدة: ٢١.

﴿تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[1]، ثم يكمل لهم العذاب الأدنى في برزخهم.

وهذه الآية من الأدلة على إثبات عذاب القبر، ودلالتها ظاهرة، فإنه قال: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ أي: بعض وجزء منه، فدل على أن ثم عذابًا أدنى قبل العذاب الأكبر، وهو عذاب النار[2] اهـ.

٢- قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[3] اهـ.

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله-: وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور[4]. اهـ.

٣- قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[5].

قال السعدي -رحمه الله-: وذلك شامل لعذاب الدنيا، بالقتل والسبي والإخراج من الديار ولعذاب البرزخ والقبر[6]. اهـ.

---

١) الأنعام: ٩٣.
٢) (تيسير الكريم الرحمن/٢/٣٦٩).
٣) غافر: ٤٦.
٤) (تفسير ابن كثير/٤/٨٨).
٥) الطور: ٤٧.
٦) (تيسير الكريم الرحمن/٢/٧٦٠).

ثانيًا: من السُّنة:

عن أنس بن مالك ﵁ أنه حدثهم أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه -وإنه ليُسمع قرع نعالهم- أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ لمحمد ﷺ؟ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة، فيراهما جميعًا».

قال قتادة: وذكر لنا أنه يُفسح له في قبره.

ثم رجع إلى حديث أنس قال: «وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقول له: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين»[1].

وفي حديث البراء بن عازب ﵁ أن العبد المؤمن يأتيه ملكان: «فيجلسانه، فيقولان له من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: مادينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له وما عملك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة، فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مدَّ بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرّك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: ربِّ أقم الساعة، ربِّ أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلي ومالي.

---

١) البخاري: كتاب الجنائز، باب: ما جاء في عذاب القبر، رقم (١٣٧٤) (فتح/٣/٢٩٨).

وإن العبد الكافر.. يأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي منادٍ من السماء: أن كذب عبدي، فأفرشوه من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار فيأتيه من حرّها وسمومها، ويضيق عليه قبره، حتى تختلف أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة»(1).

ثبات المؤمن عند السؤال:

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إذا قعد المؤمن في قبره أُتِي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾».

وزاد ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ نزلت في عذاب القبر(2).

---

1) سبق تخريجه.
2) البخاري: كتاب الجنائز، باب: ما جاء في عذاب القبر، رقم (١٣٦٩) (فتح/٣/٢٩٧).

المبحث الرابع

أشراط الساعة

المطلب الأول: أشراط الساعة الصغرى:

أولاً: علامات الساعة الصغرى التي وقعت:

١- بعثة الرسول ﷺ ووفاته:

عن سهل بن سعد ﷺ قال رسول الله ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين، ويشير بإصبعيه فيمدها»[١].

وعن عوف بن مالك ﷺ قال: «أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك -وهو في قبة من آدم- فقال: اعدُدْ ستًا بين يدي الساعة: موتي»[٢].

٢- انشقاق القمر:

قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾[٣].

قال الجزائري -حفظه الله-: وأما انشقاق القمر فقد كان شرطًا من أشراط الساعة، لأن الله تعالى ذكره مقرونًا بالإخبار باقتراب الساعة[٤]. اهـ.

عن أنس ﷺ: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر مرتين[٥].

---

١) البخاري: كتاب الرقاق، باب: قول النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين، رقم (٦٥٠٣) (فتح/١١/٤٢٢).
٢) البخاري: كتاب الجزية والموادعة، باب: ما يحذر من الغدر، رقم (٣١٧٦) (فتح/٦/٣٤١).
٣) القمر: ١.
٤) (عقيدة المؤمن/٣٣٦).
٥) مسلم: كتاب صفات المنافقين، باب: انشقاق القمر، رقم (٧٠٠٧) (نووي/١٧/١٤٣).

وعن عبدالله بن مسعود، قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى، إذا انشق القمر فلقتين، فكانت فِلقة وراء الجبل، وفِلقة دونه، فقال لنا رسول الله ﷺ: «اشهدوا»(١).

٣- نار الحجاز التي أضاءت أعناق الإبل ببصرى:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، تضي أعناق الإبل ببُصرى»(٢).

وهذه الآية العظيمة، التي هي من دلالات النبوة حيث أخبر بها رسول الله ﷺ فوقعت كما قال، وعلى النحو الذي حكاه ﷺ، وقد تحدث عنها العلامة المؤرخ المفسر ابن كثير رحمه الله في كتابه البداية والنهاية في أحداث سنة (٦٥٤) فانظرها إن شئت.

٤- توقف الجزية والخراج:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا منعت العراق دِرهمها وقفيزها، ومنعت الشام مُدْيها ودينارها، ومنعت مصر إردبَّها ودينارها، وعدتم من حيث بدأتم، وعدتم من حيث بدأتم، وعدتم من حيث بدأتم» شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه(٣).

قال الشيخ أحمد فريد -حفظه الله-: وهذا الحديث مع كونه من أعلام النبوة لكون النبي ﷺ تكلم به قبل فتح هذه البلاد فهو كذلك يشير إلى علامة

---

١) مسلم: كتاب صفات المنافقين، باب: انشقاق القمر، رقم (٧٠٠٣) (نووي/١٧/١٤٢).

٢) مسلم: كتاب الفتن، باب: لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، رقم (٧٢١٨) (نووي/١٨/٢٣٧).

٣) مسلم: كتاب الفتن، باب: في فتح قسطنطينية، وخروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم، رقم (٧٢٠٧) (نووي/١٨/٢٢٩).

من علامات الساعة وهي سقوط الخلافة، واستقلال أهل العراق بعراقهم وأهل الشام بشامهم، وأهل مصر بمصرهم، وانقطع ما كان يأتي أهل الحجاز من تلك البلاد من الخراج وغيره[1] . اهـ.

٥- قتال الترك:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك، صغار الأعين حمر الوجوه، ذُلْفَ الأنوف، كأن وجوههم المجانُّ المطرقة، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا نعالهم الشعر»**[2].

قال النووي -رحمه الله-: وقد وجدوا في زماننا أي: الترك الذين تحدث عنهم الرسول ﷺ هكذا.. بجميع صفاتهم التي ذكرها ﷺ، صغار الأعين، حمر الوجوه، ذلف الأنوف، عراض الوجوه، كأن وجوههم المجان المطرقة، ينتعلون الشعر، فوجدوا بهذه الصفات كلها في زماننا، وقاتلهم المسلمون مرات، وقتالهم الآن. ونسأل الله الكريم إحسان العاقبة للمسلمين في أمرهم، وأمر غيرهم، وسائر أحوالهم، وإدامة اللطف بهم والحماية، وصلى الله على رسوله الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى[3] . اهـ.

---

١) (الثمرات الزكية/٢٠٠).
٢) البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب: قتال الترك، رقم (٢٩٢٨) (فتح/٦/١٢٩).
٣) (شرح النووي على صحيح مسلم/١٨/٢٤٥).

٦- كثرة القتل:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج» قالوا: وما الهرج يا رسول الله قال: «القتل، القتل»[١].

وقد ظهرت هذه العلامة بصورة يستحيل معها تكذيبها، وإن شئت فانظر إلى قتلى الحرب العالمية الأولى والثانية، فقد عد القتلى بالملايين، وما من يوم يمر إلا وتطلع علينا الإذاعات بأخبار القتلى، في كل مكان على وجه الأرض.

٧- إسناد الأمر إلى غير أهله:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة، قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: إذا أُسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»**[٢].

قال الدكتور عمر الأشقر -حفظه الله-: ومن نظر في تاريخ الأمة الإسلامية، علم أن هذا المرض الذي أشار إليه الرسول ﷺ هو أحد البلايا الكبار التي أصابت المسلمين إصابات كبيرة[٣] اهـ.

٨ – خروج الدجالين أدعياء النبوة:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **«لا تقوم الساعة حتى يُبعث دجالون كذابون، قريب من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله»**[٤].

---

١) مسلم: كتاب الفتن، باب: إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، رقم (٧١٨٦) (نووي/١٨/٢٢١).
٢) البخاري: كتاب الرقاق، باب: رفع الأمانة، رقم (٦٤٩٦) (فتح/١١/٤٠٤).
٣) (اليوم الآخر، القيامة الصغرى/١٧٩).
٤) مسلم: كتاب الفتن، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان ا لميت من البلاء، رقم (٧٢٧١) (نووي/١٨/٢٥٣).

قال الدكتور عمر الأشقر -حفظه الله-: وقد خرج من هؤلاء عدد كبير في الماضي، ففي عهد الصحابة خرج مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، وسجاح الكاهنة، وفي عصر التابعين خرج المختار الثقفي مدعيًا النبوة، ومنذ أكثر من قرن قام حسين بن علي بن الميرزا عباس في إيران مدعيًا النبوة، ولقب ببهاء الدين وأتباعه البهائية.

وآخر من سمعنا عنه دعوى النبوة محمود طه السوداني الذي أضل كثيرًا من الناس بكتاباته ومقالاته، وقد أُعدم في طليعة هذا العام[1] أعدمته حكومة السودان بسبب ضلاله وكفره وردته، فلعنة الله على الظالمين، إلا أن الدجال الكبير هو ذلك الذي يخرج في آخر الزمان، وينزل الله عيسى بن مريم للقضاء على فتنته[2] اهـ.

٩- فساد المسلمين:

عن أنس ﷺ قال: لأحدثنكم حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ لا يحدثكم به أحد غيري، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن من أشراط الساعة أن يُرفع العلم، ويكثر الجهل ويكثر الزنا، ويكثر شرب الخمر، ويقلّ الرجال، ويكثر النساء، حتى يكون لخمسين امرأة القيّم الواحد**»[3].

وهذه الكبائر كلها قد انتشرت بصور تدعو إلى الذعر في أوساط العالم الإسلامي إلا من رحم الله.

---

١) عام (١٩٨٥م).
٢) (اليوم الآخر، القيامة الصغرى/١٦٣).
٣) البخاري: كتاب النكاح، باب: ١١١ – باب بدون (٥٢٣١) (فتح/٩/٤١٢).

١٠- ولادة الأَمَة ربتها:

وفي حديث جبريل عليه السلام، قال رسول الله ﷺ عندما سأله جبريل عن إمارات الساعة: **«أن تلد الأَمَة ربتها، وأن ترى الحُفاة العُراة، العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان»**[١].

قال النووي -رحمه الله-: والمراد بقوله: **«أن تلد الأَمَة ربتها»** أي سيدتها ومالكتها، قال العلماء هو إخبار عن كثرة السراري وأولادهن، فإن ولدها من سيدها بمنزلة سيدها، لأن مال الإنسان صائر إلى ولده.. وقيل معناه أن يلدن الملوك فتكون أمه من جملة رعيته وهو سيدها، وسيد غيرها من رعيته[٢] . اهـ.

قال الأشقر -حفظه الله-: وكل هذا وقع، فقد كثر تسري الأحرار من الإماء بملك اليمين، ومن المعلوم شرعًا أن الأبناء الذين يأتون من السراري يكونون أحرارًا، وبذلك ولدت الأمة ربتها، وقد وصل بعض هؤلاء إلى الملك[٣] اهـ. وهناك علامات أخرى كثيرة قد وقعت وأكتفي بما ذكرته وذلك للاختصار.

ثانيًا: العلامات الصغرى التي لم تقع بعد:

١- عودة جزيرة العرب جناتٍ وأنهارًا:

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدًا يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا»**[٤].

---

١) سبق تخريجه.
٢) (شرح النووي على صحيح مسلم/١/١١٣).
٣) (اليوم الآخر، القيامة الصغرى/١٨٤).
٤) مسلم: كتاب الزكاة، باب: الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، رقم (٢٣٣٤) (نووي/٧/٩٩).

قال الدكتور عمر الأشقر -حفظه الله-: وعودتها جنات وأنهارًا إما بسبب ما يقوم أهلها به من حفر الآبار، وزراعة الأرض ونحو ذلك مما هو حاصل في زماننا. وإما بسبب تغير المناخ، فيتحول مناخها الحار إلى جو لطيف جميل، ويفجر خالقها من الأنهار والعيون ما يحول جدبها خصبًا، ويحيل سهولها الجرداء إلى سهول مخضرة فيحاء، وهذا هو الأظهر. فإنه يحكي حالة ترجع فيها الجزيرة إلى ما كانت عليه من قبل[1]. اهـ.

٢- انتفاخ الأهلة:

عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من اقتراب الساعة انتفاخ الأهلة»**[2].

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من اقتراب الساعة أن يرى الهلال قَبلاً، فيقال: لليلتين وأن تتخذ المساجد طرقًا، وأن يظهر موت الفجأة»**[3].

٣- تكليم السباع والجماد الإنس:

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: عدا الذئب على شاة، فأخذها، فطلبه الراعي، فانتزعها منه، فأقعى على ذنبه، قال: **ألا تتقي الله تنزع مني رزقًا ساقه الله إليّ**، فقال: يا عجبي ذئب مقع على ذنبه يكلمني كلام الإنس، فقال الذئب **ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد ﷺ بيثرب، يخبر الناس بأنباء ما قد سبق.** قال فأقبل الراعي يسوق غنمه، حتى دخل المدينة، فزواها إلى زاوية من

---

١) (اليوم الآخر، القيامة الصغرى/١٩٥).

٢) صحيح: رواه الطبراني في الأوسط وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٨٩٨) والصحيحة رقم (٢٢٩٢).

٣) حسن: رواه الطبراني في الأوسط، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٨٩٩) والصحيحة رقم (٢٢٩٢).

زواياها، ثم أتى رسول الله ﷺ، فأخبره، فأمر رسول الله ﷺ فنودي بالصلاة جامعة، ثم خرج، فقال للراعي: «أخبرهم» فأخبرهم، فقال رسول الله ﷺ: «صدق، والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس، ويكلم الرجل عَذبة سوطه، وشراك نعله، ويخبره فخذه بما حدّث أهله بعده»(١).

٤- انحسار الفرات عن جبل من ذهب:

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يحسر الفُرات عن جبل من ذهب، يقتتل الناس عليه، فيُقتل من كل مائة، تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم، لعلي أكون أنا الذي أنجو»(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك الفرات أن تحسِرَ عن كنزٍ من ذهب، من حضره فلا يأخذ منه شيئًا»(٣).

٥- إخراج الأرض كنوزها المخبوءة:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تقيء الأرض أفلاذ كبدها، أمثال الأُسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول: في هذا قَتَلت، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قُطعت يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئًا»(٤).

---

١) صحيح: أخرجه الترمذي، أبواب الفتن، باب: ما جاء في كلام السباع، رقم (٢٢٧٢) (تحفة/٦/٣٤٠) قال الترمذي وهذا حديث حسن صحيح وذكره الترمذي من أول قوله ﷺ: والذي نفسي بيده...إلخ وأخرجه ابن حبان: ذكر شهادة الذنب لرسول الله ﷺ على صدق رسالته رقم (٦٤٩٤) (٤١٨/١٤) وذكره الألباني في الصحيحة رقم (١٢٢).

٢) مسلم: كتاب الفتن، باب، لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، رقم (٧٢٠١) (نووي/١٧/٢٢٧).

٣) مسلم: كتاب الفتن، باب: لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، رقم (٧٢٠٣) (نووي/١٧/٢٢٧).

٤) مسلم: كتاب الزكاة، باب: الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، رقم (٢٣٣٨) (نووي/٧/٩٩).

قال الإمام النووي -رحمه الله-: ومعنى الحديث التشبيه، أي تخرج ما في جوفها من القطع المدفونة فيها، والأسطوان جمع اسطوانة، وهي السارية والعمود، وشبهه بالأسطوان لعظمته وكثرته[1]. اهـ.

٦- إحراز الجهجاه الملك:

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه»**[2].

وعنه أيضًا ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«لا تذهب الأيام والليالي، حتى يملك رجل يقال له الجهجاه»**[3]، والمراد بكونه يسوق الناس بعصاه، أنه يغلب الناس فينقادون له ويطيعونه، والتعبير بالسوق بالعصا للدلالة على غلظته وشدته، وأصل الجهجاه الصياح، وهي صفة تناسب العصا كما يقول ابن حجر[4].

وهناك علامات أخرى لم تظهر وهي من العلامات الصغرى.

---

١) (شرح النووي على صحيح مسلم/٧/٩٩).
٢) مسلم: كتاب الفتن، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، رقم (٧٢٣٧) (نووي/١٨/٢٤٣).
٣) مسلم: كتاب الفتن، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، رقم (٧٢٣٨) (نووي/١٨/٢٤٣).
٤) (اليوم الآخر، القيامة الصغرى/٢٠٣).

المطلب الثاني: أشراط الساعة الكبرى

١- خروج المهدي:

عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي»[١].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحًا، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعًا أو ثمانيًا يعني حجة»[٢].

قال الشيخ صديق حسن خان -رحمه الله-: والأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثًا في الصحيح والحسن والضعيف المنجبر، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة، بل يصدق وصف التواتر على ما هو دونها على جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول. وأما الآثار عن الصحابة المصرحة بالمهدي فهي كثيرة أيضًا لها حكم الرفع إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك[٣] اهـ.

٢- خروج الدجال:

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم عن الدجال حديثًا ما حدثه نبي قومه؟ إنه أعور، وإنه يجيء معه مثل الجنة والنار فالتي يقول إنها الجنة، هي النار، وإني أنذرتكم به كما أنذر به نوح قومه»[٤] عن عمران بن

---

١) صحيح: أخرجه الترمذي، أبواب الفتن، باب: ما جاء في المهدي، رقم (٢٢٣١) (تحفة/٦/٤٠٢) قال الترمذي هذا الحديث حسن صحيح، وأخرجه أبو داود، كتاب المهدي، أول كتاب المهدي، رقم (٤٢٧٤) (عون/١١/٢٥٠).

٢) رواه الحاكم (٥٥٨/٤) الفتن والملاحم وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وقال الألباني في الصحيحة (٧١١) هذا سند صحيح رجاله ثقات.

٣) (الثمرات الزكية/٢٠٤).

٤) مسلم: كتاب الفتن، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه، رقم (٧٢٩٨) (نووي/١٨/٢٦٧).

حصين ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال»[1].

قال النووي -رحمه الله-: المراد: أكبر فتنة، وأعظم شوكة[2] اهـ.

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ﷻ ليس بأعور، ومكتوب بين عينيه: ك ف ر»[3].

قال الدكتور محمد نعيم ياسين: ومن أمارات الساعة الكبرى ظهور شخص سماه الرسول ﷺ بالدجال لكثرة تدجيله وكذبه، يدّعي الألوهية، ويحاول أن يفتن الناس عن دينهم بما يحدثهم من خوارق العادات وعجائب الأمور بإذن الله سبحانه وتعالى، فيفتن به بعض الناس، ويثبت الله الذين آمنوا فلا ينخدعون بدجله وضلاله، ثم يأذن الله بالقضاء على فتنته فينزل عيسى عليه السلام فيقتله[4] . اهـ.

٣- نزول عيسى بن مريم عليهما السلام:

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[5].

قال السعدي -رحمه الله-: فيكون المعنى: وما من أحد من أهل الكتاب، إلا ليؤمنن بالمسيح عليه السلام قبل موت المسيح، وذلك يكون عند اقتراب

---

١) مسلم: كتاب الفتن، باب: في بقية أحاديث الدجال، رقم (٧٣٢١) (نووي/١٨/٢٨٧).
٢) (شرح النووي على صحيح مسلم/١٨/٢٨٧).
٣) مسلم: كتاب الفتن، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه، رقم (٧٢٩٠) (نووي/١٨/٢٦٤).
٤) (الإيمان/٩٨).
٥) النساء: ١٥٩.

الساعة وظهور علاماتها الكبار. فإنها تكاثرت الأحاديث في نزوله عليه السلام في آخر هذه الأمة، يقتل الدجال، ويضع الجزية، ويؤمن به أهل الكتاب مع المؤمنين[1] اهـ.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[2].

قال السعدي -رحمه الله-: أي: وإن عيسى عليه السلام، لدليل على الساعة ... أو وإن عيسى عليه السلام، سينزل في آخر الزمان، ويكون نزوله، علامة من علامات الساعة، ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ أي: لا تشكنَّ في قيام الساعة، فإن الشك فيها كفر[3] اهـ. وعن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم ﷺ حكمًا مقسطًا فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد»[4].

٤- خروج يأجوج ومأجوج:

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۞ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾[5].

---

١) (تيسير الكريم الرحمن/١/٤٠٢).
٢) الزخرف/٦١.
٣) (تيسير الكريم الرحمن/٢/٦٣٦).
٤) مسلم: كتاب الإيمان، باب: نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة محمد ﷺ، رقم (٣٨٧) (نووي/٢/٣٦٧).
٥) الأنبياء: ٩٦، ٩٧.

عن زينب بنت جحش رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: خرج رسول الله ﷺ يومًا فزعًا، محمرًا وجهه يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه» وحلق بإصبعه الإبهام، والتي تليها. قالت: فقلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث»(١).

٥- دروس الإسلام:

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال الله الله في الأرض»(٢).

عن النواس بن سمعان ﷺ يرفعه: «...فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس، يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة»(٣).

٦- طلوع الشمس من مغربها:

قال الله ﷻ:

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾(٤).

قال السفاريني -رحمه الله-: أجمع المفسرون أو جمهورهم على أنها طلوع الشمس من مغربها(٥)اهـ. وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا

---

١) مسلم: كتاب الفتن، باب: اقتراب الفتن، وفتح ردم يأجوج ومأجوج، رقم (٧١٦٦) (نووي/١٨/٢١٢).
٢) مسلم: كتاب الإيمان، باب: ذهاب الإيمان آخر الزمان، رقم (٣٧٣) (نووي/٢/٣٥٥).
٣) مسلم: كتاب الفتن، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه، رقم (٧٢٩٩) (نووي/١٨/٢٧٣).
٤) الأنعام: ١٥٨.
٥) (لوامع الأنوار البهية/٢/١٣٣).

تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون، فيومئذ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا﴾»[1] [2].

٧- دابة الأرض:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[3]، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثًا لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الآيات خروجًا، طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على إثرها قريبًا»[4].

٨- النار التي تحشر الناس، وآيات أخرى:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب»[5].

وعن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «ما تذكرون؟» قالوا: نذكر الساعة. قال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات». فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف:

---

١) مسلم: كتاب الإيمان، باب: بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، رقم (٣٩٤) (نووي/٢/٣٧٠).
٢) الأنعام: ١٥٨.
٣) النمل: ٨٢.
٤) مسلم: كتاب الفتن، باب: في خروج الدجال ومكثه في الأرض، ونزول عيسى وقتله اياه...رقم (٧٣٠٩) (نووي/١٨/٢٨٠).
٥) البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب: خلق أدم وذريته، رقم (٣٣٢٩) (فتح/٦/٤٤٧).

خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم"[1]. وهناك آيات أخرى، واكتفيت بما ذكرته طلبًا للاختصار.

١) مسلم: كتاب الفتن، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة رقم (٧٢١٤) (نووي/١٨/٢٣٤).

المبحث الخامس

البعث

وقد دل على ذلك الكتاب والسنة، قال تعالى:

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ * قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ * إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[2].

وغير ذلك من الآيات كثير، وعن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتًا ورفع ليتًا(٣)، قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله»[4].

قال: «فيصعق، ويصعق الناس. ثم يرسل الله أو قال: ينزل الله مطرًا كأنه الطَّلُّ أو الظِّلُّ[5] -نعمان أحد رواة الحديث هو الشاك- فتنبت منه أجساد، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون»[6].

---

١) الزمر: ٦٨.
٢) يس: ٥١ : ٥٣.
٣) وهي صفحة العنق وهي: جانبه، وأصغى: أمال.
٤) أي: يطينه، ويصلحه.
٥) أنه كمني الرجال (شرح النووي على صحيح مسلم/١٨/٢٧٩).
٦) مسلم: كتاب الفتن، باب: خروج الدجال، ومكثه في الأرض، ونزول عيسى وقتله إياه...، رقم (٧٣٠٧) (نووي/١٨/٢٧٩).

قال الأشقر -حفظه الله-: وإنبات الأجساد من التراب بعد إنزال الله ذلك الماء الذي ينبتها يماثل إنبات النبات من الأرض إذا نزل عليها الماء من السماء في الدنيا، ولذا فإن الله قد أكثر في كتابه من ضرب المثل للبعث والنشور بإحياء الأرض بالنبات غبّ نزول الغيث[1] اهـ.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالًا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾[3].

---

١) (القيامة الكبرى/٥٢).
٢) الأعراف: ٥٧.
٣) فاطر: ٩.

المبحث السادس

حشر الخلائق جميعاً إلى الموقف العظيم

وقد دل على ذلك الكتاب والسنة، قال تعالى:

﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا * لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا * وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾[4].

صفة حشر العباد:

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**تحشرون حفاة عراة غرْلا، قالت عائشة رضي الله عنها: فقلت يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال: الأمر أشد من أن يهمهم ذاك**»[5].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قام فينا النبي ﷺ يخطب، فقال:

---

١) مريم: ٩٣-٩٥.
٢) الكهف: ٤٧.
٣) الأنعام: ٣٨.
٤) مريم: ٨٥، ٨٦.
٥) البخاري: كتاب الرقاق، باب: الحشر، رقم (٦٥٢٧) (فتح/١١/٤٦٠).

«إنكم محشورون حفاة عراة غرلا ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ الآية. وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل[1].

الكافر يحشر على وجهه:

عن أنس بن مالك ﷺ، أن رجلاً قال: يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا، قادرًا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟»[2].

صفة أرض المحشر:

عن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء، عفراء[3]، كقرصة النقي[4] ليس فيها علم لأحد»[5][6].

---

١) البخاري: كتاب الرقاق، باب: الحشر، رقم (٦٥٢٦) (فتح/١١/٤٦٠).
٢) مسلم: كتاب صفات المنافقين، باب: يحشر الكافر على وجهه، رقم (٧٠١٨) (نووي/١٧/١٤٦).
٣) بيضاء إلى حمرة قاله النووي.
٤) أي: الدقيق النقي من الغش والنخال (القيامة الكبرى/٦٥).
٥) (ليس فيها علم لأحد) قال النووي: أي: ليس بها علامة سكنى أو بناء ولا أثر.
٦) مسلم: كتاب صفات المنافقين، باب: في البعث والنشور، وصفة الأرض يوم القيامة، رقم (٦٩٨٦) (نووي/١٧/١٣٢).

المبحث السابع

الحساب

وقد دل على ذلك الكتاب والسنة، قال تعالى:

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ * وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(1)، وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾(2).

من السّنة:

عن عدي بن حاتم ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ﷻ، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدّم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدّم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة»(3).

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «من حوسب يوم القيامة، عُذّب» فقلت: أليس قد قال الله ﷻ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا

---

1) الجاثية: ٢١، ٢٢.
2) الكهف: ٤٩.
3) مسلم: كتاب الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار، رقم (٢٣٤٥) (نووي/٧/١٠٣).

﴿يَسِيرًا﴾ فقال: «ليس ذلك الحساب، إنما ذلك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عُذِّب»[1]. والحساب يراد به "أن يُوقف الحق تبارك وتعالى عباده بين يديه، ويعرفهم بأعمالهم التي عملوها، وأقوالهم التي قالوها، وما كانوا عليه في حياتهم الدنيا من إيمان وكفر، واستقامة وانحراف، وطاعة وعصيان، وما يستحقونه على ما قدموه من إثابة وعقوبة، وإيتاء العباد كتبهم بأيمانهم إن كانوا صالحين، وبشمالهم إن كانوا طالحين.

ويشمل الحساب ما يقوله الله لعباده، وما يقولونه له، وما يقيمه عليهم من حجج وبراهين، وشهادة الشهود ووزن للأعمال. والحساب منه العسير، ومنه اليسير، ومنه التكريم، ومنه التوبيخ والتبكيت، ومنه الفضل والصفح، ومتولي ذلك أكرم الأكرمين[2] اهـ.

---

١) مسلم: كتاب الجنة ونعيمها، باب: إثبات الحساب، رقم (٧١٥٤) (نووي/١٧/٢٠٤).
٢) (اليوم الآخر، القيامة الكبرى/١٩٣).

المبحث الثامن

الميزان

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[1].

وقد دلت النصوص على أن الميزان ميزان حقيقي وله كفتان ولا يقدر قدره إلا الله تعالى.

عن سلمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وزن فيه السماوات والأرض لوسعت، فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟ فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك»[2].

---

١) الأنبياء: ٤٧.
٢) صحيح: رواه الحاكم (٥٨٦/٤) وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ورواه الآجري في الشريعة باب: الإيمان بالميزان: أنه حق يوزن به الحسنات والسيئات، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٩٤١).

المبحث التاسع

الحوض

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الورق، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبدًا»[١].

عن عقبة بن عامر ﷺ، أن رسول الله ﷺ خرج يومًا فصلى على أهل أحد صلاتهم على الميت، ثم انصرف إلى المنبر فقال:«إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن »[٢].

وعنه أيضًا ﷺ قال: صلى رسول الله ﷺ على قتلى أحد، ثم صعد المنبر كالمودِّع للأحياء والأموات فقال: «إني فَرَطُكم على الحوض، وإن عرضه كما بين أيلة إلى الجُحفة»[٣].

قال ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله-: والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض: أنه حوض عظيم، ومورد كريم، يُمَدُّ من شراب الجنة، من نهر الكوثر الذي هو أشد بياضًا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحًا من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء كل زاوية من زواياه مسيرة شهر[٤] اهـ.

---

١) مسلم: كتاب الفضائل، باب: إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، رقم (٥٩٢٨) (نووي/١٥/٥٥).
٢) مسلم: كتاب للفضائل، باب: إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، رقم (٥٩٣٢) (نووي/١٥/٥٨).
٣) مسلم: كتاب الفضائل، باب: إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، رقم (٥٩٣٣) (نووي/١٥/٥٩).
٤) (شرح العقيدة الطحاوية/١/٢٨٠، ٢٨١).

المبحث العاشر

الصراط

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«ويُضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز».

ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلّم سلّم. وفي جهنم كلاليب مثل شواك السّعدان، هل رأيتم السّعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله قال: **«فإنها مثل شوك السّعدان، غير أنه لا يعلم ما قَدْر عِظَمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم الموبَقُ بعمله، ومنهم المُجازى حتى يُنجّى»**[1].

وقد حدثنا الله ﷻ عن مشهد مرور المؤمنين على الصراط فقال تعالى:

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ۞ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَـٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۞ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[2].

---

١) مسلم: كتاب الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، رقم (٤٥٠) (نووي/٣/٢٣).

٢) الحديد: ١٢-١٥.

المبحث الحادي عشر

الجنة والنار[1]

ومن الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بالجنة والنار، ونحن لا نستفيض في صفة الجنة والنار، وإن كان الإيمان بكل ما تثبت من صفتهما واجب على كل مسلم، ولكن يمكن الرجوع إلى كتب الرقائق. ونحصر البحث هنا في أمور:

الأول: كونهما حقًا لا ريب فيهما ولا شك، والنار دار أعداء الله، والجنة دار أولياء الله.

قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ۞ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۞ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا

---

١) (الثمرات الزكية../٢١٨، ٢٢٠).
٢) البقرة: ٢٤، ٢٥.

سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء»[2].

الثاني: اعتقاد وجودهما الآن كما قال تعالى عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ﴾[4]، وأخبر عن مكانها فقال: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾[5].

وقال ﷻ عن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾[6].

وقال تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾[7]، وقال ﷻ: ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾[8].

---

١) يونس: ٧-١٠.
٢) مسلم: كتاب الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا رقم (١٣٩) (نووي/١/١٧٣).
٣) آل عمران: ١٣٣.
٤) الحديد: ٢١.
٥) النجم: ١٤، ١٥.
٦) البقرة: ٢٤.
٧) الفرقان: ١١.
٨) الإنسان: ٣١.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضًا، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فهو أشدُّ ما تجدون من الحرِّ وأشدُّ ما تجدون من الزمهرير»[1].

الثالث: في دوامهما وبقائهما، بإبقاء الله لهما، وأنهما لا تفنيان أبدًا، ولا يفنى من فيهما قال الله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[3]، هذا في حق الجنة وأهلها.

وقال تعالى مخبرًا عن النار وأهلها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۞ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[5].

وقال الله ﷻ: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[6].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي منادٍ: يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون نعم، هذا الموت. وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل

---

١) مسلم: كتاب المساجد، باب: استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر لمن يمضي إلى جماعة وينالُه الحر في طريقه، رقم (١٤٠٠) (نووي/٥/١٢١).
٢) التوبة: ١٠٠.
٣) الحجر: ٤٨.
٤) الأحزاب: ٦٤، ٦٥.
٥) الجن: ٢٣.
٦) البقرة: ١٦٧.

النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت. وكلهم قد رآه. فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت. ثم قرأ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1] [2].

الرابع: يجب أن نعتقد أن عصاة الموحدين تمسهم النار بقدر جنايتهم، ثم يخرجون منها برحمة الله تعالى، ثم بشفاعة الشافعين، وهم يسكنون الطبقة العليا من النار التي لا يبقى فيها أحد من الموحدين. وأنهم يخرجون منها ويدخلون جنة الله ﷻ. ويأتي عليها يوم، وهي تصفق أبوابها ليس بها أحد، وعلى ذلك حمل جمهور المفسرين الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾[3]، خلافًا لمن استدل بها على فناء النار.

قال ابن القيم -رحمه الله-: ولما كان الناس ثلاث طبقات: طيب لا يشوبه خبث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب -كانت دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض- وهاتان الداران لا تفنيان.

ودار لمن معه خبث وطيب، وهي الدار التي تفنى، وهي دار العصاة فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد. فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار، فأدخلوا الجنة، ولا يبقى إلا دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض. اهـ. من الوابل الصيب.

---

١) مريم: ٣٩.
٢) البخاري: كتاب التفسير، باب: وأنذرهم يوم الحسرة، رقم (٤٧٣٠) (فتح/٨/٥٤٧).
٣) هود: ١٠٨.

المبحث الثاني عشر
أثر الإيمان باليوم الآخر على العباد

تمهيد:

إن الإيمان باليوم الآخر وما اشتمل عليه من القيامة الصغرى وما فيها من سكرات الموت، والموت، والقبر، عذابه ونعيمه، وقبل ذلك أشراط الساعة الصغرى والكبرى، ثم بعد ذلك الإيمان بالقيامة الكبرى وما انطوت عليه من أهوال ثم الجنة والنار، فالإيمان بهذه الحقائق العظمى يجعل العبد على بصيرة من أمره في دينه ودنياه.

ولو اجتمعت معاني الإيمان باليوم الآخر في حس المسلم، وصار لها ذاكرًا على الدوام، واستشعرها بقلبه، لأصبح من أولياء الله فعلاً بإذن الله. لماذا؟

لأن هذه العقائد الجلية، توقظ المؤمن من سباته، وتجعله في حذر دائم من عواقب هذا اليوم. فإذا ما سولت له نفسه ارتكاب محذور تذكر الموت والقبر والحشر والميزان والصراط والنار والوقوف بين يدي الجبار، فيتولد عنده حينئذ خوف يحمله على اجتناب المحارم جميعها. ويجتهد في الطاعة، حتى يكون من السعداء عند الموت وفي القبر، وفي الحشر وعند الميزان وعند الصراط والمرور عليه، ولحظة الوقوف بين يدي الحليم الغفار. فالإيمان باليوم الآخر، هو الدافع إلى اجتناب المحارم، وإتيان الطاعات، إذًا الإيمان باليوم الآخر، دستور إصلاح للأفراد والجماعات والأمم والشعوب المسلمة.

المطلب الأول: أثر الإيمان بالموت على العباد

١- الاستعداد للموت ودوام ذكره:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾[١].

قال السعدي -رحمه الله-: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ﴾ أي: أخلصه وأصوبه، وذلك أن الله خلق عباده، وأخرجهم لهذه الدار، وأخبرهم أنهم سينتقلون منها، وأمرهم ونهاهم، وابتلاهم بالشهوات المعارضة لأمره. فمن انقاد لأمر الله، أحسن الله له الجزاء في الدارين، ومن مال مع شهوات النفس، ونبذ أمر الله فله شر الجزاء[٢] اهـ.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:«أكثروا ذكر هاذم اللذات» يعني: الموت[٣].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ فجاءه رجل من الأنصار، فسلّم على النبي ﷺ، ثم قال: يا رسول الله، أي المؤمنين

١) الملك: ٢.
٢) (تيسير الكريم الرحمن../٢/٨٩٨).
٣) حسن: أخرجه الترمذي: أبواب الزهد، باب: ما جاء في ذكر الموت، رقم (٢٤٠٩)، (تحفة/٦/٤٨٩) وقال الترمذي هذا حديث غريب حسن، وأخرجه ابن ماجه: كتاب الزهد، باب: ذكر الموت والاستعداد له، رقم (٤٢٥٨) (سندي/٤/٤٩٥) والنسائي: كتاب الجنائز.
كثرة ذكر الموت، رقم (١٨٢٣) (سندي/٤/٣٠١) وقال الألباني في صحيح ابن ماجه حسن صحيح والمشكاة رقم (١٦١٠) والإرواء (٦٨٢).

أفضل؟ قال: أحسنهم خلقًا قال: فأي المؤمنين أكيس؟ قال:«**أكثرهم للموت ذكرًا، وأحسنهم لما بعده استعدادًا، أولئك الأكياس**»[1].

قال الإمام القرطبي -رحمه الله-: قال علماؤنا رحمة الله عليهم قوله عليه السلام: «**أكثروا ذكر هادم اللذات**» كلام مختصر وجيز قد جمع التذكرة، وأبلغ في الموعظة، فإن من ذكر الموت حقيقة ذكره، نغص عليه لذته الحاضرة، ومنعه من تمنيها في المستقبل وزهده فيما كان منها يؤمل.

ولكن النفوس الراكدة، والقلوب الغافلة تحتاج إلى تطويل الوعاظ، وتزويق الألفاظ. وإلا ففي قوله عليه الصلاة والسلام: «**أكثروا ذكر هادم اللذات** مع قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[2]، ما يكفي السامع له، ويشغل الناظر فيه.

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الإله ويودي المالُ والولد
لم تغن عن هِرمز يومًا خزائنه ... والخلدَ قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجري الرياح له ... والإنسُ والجن فيما بينها ترد
أين الملوك التي كانت لعزتها ... من كل أوب إليها وافدٌ يفد؟
حوض هنالك مورد بلا كَذبٌ ... لا بد من وِردهِ يومًا كما وردوا

فاعلم أن ذكر الموت يورث استشعار الانزعاج عن هذه الدار الفانية، والتوجه في كل لحظة إلى الدار الآخرة الباقية، ثم إن الإنسان لا ينفك عن

---

[1] حسن: أخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب: ذكر الموت والاستعداد له، رقم (٤٢٥٩) (سندي/٤/٤٩٦) وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه رقم (٣٤٥٤) والصحيحة رقم (١٣٨٤).

[2] آل عمران: ١٨٥.

حالتي ضيق وسعة، ونعمة ومحنة، فإن كان في حال ضيق ومحنة، فذكر الموت يسهل عليه بعض ما هو فيه، فإنه لا يدوم، والموت أصعب منه. أو في حال نعمة وسعة فذكر الموت يمنعه من الاغترار بها، والسكون إليها، لقطعه عنها، ولقد أحسن من قال:

اذكر الموت هادم اللذات وتجهز لمصرع سوف ياتي

وقال غيره:

واذكر الموت تجد راحة في ادكار الموت تقصير الأمل

وأجمعت الأمة على أن الموت ليس له سن معلومة، ولا زمن معلوم، ولا مرض معلوم، وذلك ليكون المرء على أهبة من ذلك، مستعدًا لذلك.

وكان يزيد الرقاشي يقول لنفسه: ويحك يا يزيد، من ذا يصلي عنك بعد الموت؟ من ذا يصوم عنك بعد الموت؟ من ذا يترضّى عنك ربك بعد الموت؟ ثم يقول: أيها الناس ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقي حياتكم؟ من الموت طالبه؟ والقبر بيته، والتراب فراشه، والدود أنيسه، وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر كيف يكون حاله؟ ثم يبكي حتى يسقط مغشيًا عليه.

وقال التيمي: شيئان قطعا عني لذة الدنيا، ذكر الموت، وذكر الموقف بين يدي الله تعالى.

وقال أبو نعيم: كان الثوري إذا ذكر الموت لا ينتفع به أيامًا، فإن سُئل عن شيء، قال: لا أدري لا أدري.

وقال الدقاق: من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة، ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة، وترك الرضى بالكفاف والتكاسل في العبادة.

فتفكر يا مغرور في الموت وسكرته، وصعوبة كأسه ومرارته، فيا للموت من وعد ما أصدقه، ومن حاكم ما أعدله، كفى بالموت مقرحًا للقلوب، ومبكيًا للعيون، ومفرقًا للجماعات، وهادمًا للذات، وقاطعًا للأمنيات.

فهل تفكرت يا ابن آدم في يوم مصرعك، وانتقالك من موضعك، وإذا نقلت من سعة إلى ضيق، وخانك الصاحب والرفيق، وهجرك الأخ والصديق، وأخذت من فراشك وغطائك إذا غرر، وغطوك من بعد لين لحافك بتراب ومَدَر.

فيا جامع المال، والمجتهد في البنيان، ليس لك والله من مال إلا الأكفان، بل هي والله للخراب والذهاب وجسمك للتراب والمآب، فأين الذي جمعته من المال؟ فهل أنقذك من الأهوال؟ كلا بل تركته إلى من لا يحمدك، وقدمت بأوزارك على من لا يعذرك.

هي القناعة لا تبغي بها بدلاً ... فيهـا النعيـم وفيهـا راحـة البـدن
انظر لمن ملك الدنيا بأجمعهـا ... هل راح منها بغير القطن والكفن[1]

فانتبه أيها المسلم إن الموت قادم لا محالة، واعلم أيها العبد أننا نعيش في عصر طغت فيه الماديات والشهوات بسائر صنوفها، وانشغل كثير من الناس بهذه الشهوات عن لقاء رب الأرض والسماوات، فلا بد أيها المسلم أن تستقر

---

١) (التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة/١/٢٥-٢٨) باختصار.

هذه الحقيقة الكبرى والعظمى في قلبك وعقلك ووجدانك، فالحياة في هذه الأرض موقوتة محدودة بأجل، ثم تأتي نهايتها حتمًا فيموت الصالحون، ويموت الطالحون، فكن على استعداد أيها المسلم للموت وسكرته، نسأل الله الثبات عند الممات. اللهم آمين.

٢- تعلم فقه الجنائز وسائر ما يتعلق بالموت:

وهذا أمر في غاية الأهمية، وتعلم الأحكام التي تتعلق بالميت من لوازم الإيمان بالموت، وكذا تعلم الأحكام المتعلقة بدفنه من لوازم الإيمان بالموت والقبر.

فكم من مسلم يجهل هذه الأحكام، بل كم من طالب علم لا يتقن هذه الأحكام، حتى إذا ما كان في موقف يحتم عليه القيام بمهام هذه الجنازة، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وترك كبار السن يتولون هذا الأمر على جهل، فيقعون في خطأ عظيم.

وأحكام الجنائز كثيرة تبدأ بكيفية تلقينه الشهادة، وتنتهي بدفنه ومواراته بالتراب، وهذه الأحكام مكانها كتب الفقه، فعلى من أراد أن يتعلمها أن يطلبها في مظانها من كتب الفقه، المطولات أو المختصرات، وهناك كتب خاصة بذلك الأمر، ومن ذلك مثلاً كتاب الجنائز للألباني فهو من أفضل الكتب في هذا المجال.

فعلى المسلم أن يهتم بهذا الأمر، وأن يحضر المحاضرات والدورات التي تعني بهذه الشعيرة، وتبينها للناس عن طريق الشرح النظري المقرون بالأدلة

الصحيحة، وعن طريق تطبيق هذه النصوص عمليًا فعلى المسلم أن يواظب على حضور هذه الدورات.

٣- الإتيان بأسباب حسن الخاتمة:

أ- صلاح الاعتقاد:

لأن من كان له فساد في اعتقاده مع كونه قاطعًا به متيقنًا له غير ظان أنه أخطأ فيه، قد ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده من الاعتقادات الحقة، مثل هذا الاعتقاد باطل لا أصل له إن لم يكن عنده فرق بين اعتقاد واعتقاد، فيكون انكشاف بطلان بعض اعتقاداته سببًا لزوال بقية اعتقاداته، فإن خروج روحه في هذه الحالة قبل أن يتدارك ويعود إلى أصل الإيمان يختم له بالسوء ويخرج من الدنيا بغيره، فيكون من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾[١]، وقال في آية أخرى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[٢]. اهـ[٣].

من هنا كان الواجب على كل من أراد أن يُختم له بخاتمة حسنة عند الممات، أن يصحح معتقده، وأن يكون في ذلك على عقيدة أهل السنة والجماعة، وأن يأخذ في أمور الاعتقاد بأقوال السلف الصالح، وأن يحذر من مخالطة فاسدي الاعتقاد، وأهل البدع والضلال.

---

١) الزمر: ٤٧.
٢) الكهف: ١٠٣، ١٠٤.
٣) (يقظة أولي الاعتبار../٢١١).

ب- عدم الإصرار على المعاصي:

قال الشيخ صديق حسن خان -رحمه الله-: فإن من له إصرار على المعاصي يحصل في قلبه إلفها، وجميع ما ألفه الإنسان في عمره يعود ذكره عند موته، فإن كان ميله إلى الطاعات أكثر، يكون أكثر ما يحضره عند الموت ذكر الطاعات، والذي لم يرتكب ذنبًا اصلاً، أو ارتكب وتاب فهو بعيد عن هذا الخطر. ويعرف ذلك بمثال: وهو أن الإنسان لا شك أنه يرى في منامه من الأحوال التي ألفها طول عمره، حتى أن الذي قضى عمره في العلم يرى من الأحوال المتعلقة بالعلم والعلماء، والذي قضى عمره في الخياطة يرى من الأحوال المتعلقة بالخياطة والخياط، إذ لا يحضر في حال النوم إلا ما حصل له مناسبة مع قلبه لطول الإلف، والموت وإن كان فوق النوم لكن سكراته وما يتقدمه مع الغشى قريب من النوم[1]. اهـ.

فطول إلف الطاعة، وعدم الإصرار على المعاصي، والتوبة منها، وفعل الطاعات على الدوام يقتضي تذكرها عند الموت، وعودها في القلب فمن قبض في تلك الحالة يختم له خاتمة حسنة، فاحذر أيها المسلم من الإصرار على المعاصي وعليك بالدوام على الطاعة، حتى يختم لك بخاتمة حسنة بإذن الله تعالى.

ج- الاستقامة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ *

---

١) (يقظة أولي الاعتبار، وانظر القيامة الصغرى/٣٢).

نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ﴾[1].

قال السعدي -رحمه الله-: يخبر الله عن أوليائه، وفي ضمن ذلك تنشيطهم، والحث على الاقتداء بهم فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ أي: اعترفوا، ونطقوا ورضوا بربوبية الله تعالى، واستسلموا لأمره، ثم استقاموا على الصراط المستقيم، علمًا وعملاً، فلهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ الكرام، أي: يتكرر نزولهم عليهم مبشرين لهم عند الاحتضار ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾ على ما يستقبل من أمركم ﴿وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ على ما مضى ﴿وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ فإنها قد وجبت لكم وثبتت ﴿نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ يحثونهم في الدنيا على الخير... ويثبتونهم عند المصائب والمخاوف، وخصوصًا عند الموت وشدته والقبر وظلمته، وفي القيامة وأهوالها...[2] اهـ.

المطلب الثاني: أثر الإيمان بالقبر على العباد

١- زيارة القبور، وعلاج قسوة القلب:

عن أبي هريرة ﷺ قال: زار النبي ﷺ قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله، فقال:«واستأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور، فإنها تذكّر الموت»[3].

---

١) فصلت: ٣٠-٣٢.
٢) (تيسير الكريم الرحمن/٢/٥٨٩).
٣) مسلم: كتاب الجنائز، باب: استئذان النبي ﷺ ربه ﷻ في زيارة قبر أمه، رقم (٢٢٥٦) (نووي/٧/٤٩).

فلزيارة القبور أثر عظيم الفائدة لمن أحضر قلبه عند زيارتها، فإنها تذكر العبد بالموت الذي يؤمن به، وتذكره بأصل كبير من أصول العقيدة ألا وهو الإيمان بعذاب القبر ونعيمه.

وزيارة القبور، سنة قد هجرها غالب الناس، وإن الإيمان بالموت والقبر، لهو من أقوى الدوافع على حض المسلم على زيارة ا لقبور، والامتثال لقول رسول الله ﷺ كما سبق«فزوروا القبور».

قال الإمام القرطبي -رحمه الله-: فينبغي لمن عزم على الزيارة أن يتأدب بآدابها، ويحضر قلبه في إتيانها، ولا يكون حظه منها الطواف على الأجداث فقط، فإن هذه حالة تشاركه فيها بهيمة، ونعوذ بالله من ذلك. بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى، وإصلاح فساد قلبه، ويجتنب المشي على المقابر، والجلوس عليها إذا دخل المقابر، ويخلع نعليه، ويقول: "السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون"[١]، وليتأمل الزائر حال من مضى من إخوانه، ودرج من أقرانه، الذين بلغوا الآمال، وجمعوا الأموال، كيف انقطعت آمالهم، ولم تغن عنهم أموالهم، ومحا التراب محاسن وجوههم، وافترقت في القبور أجزاؤهم، وترمل بعدهم نساؤهم، وشمل ذل اليتم أولادهم، واقتسم غيرهم طريقهم وبلادهم.

وليتذكر ترددهم في المآدب، وحرصهم على نيل المطالب، وانخداعهم لمواتاة الأسباب، وركونهم إلى الصحة والشباب، وليعلم أن ميله إلى اللهو واللعب كميلهم، وغفلته عما بين يديه من الموت الفظيع والهلاك السريع كغفلتهم، وأنه لا بد صائر إلى مصيرهم، وليحضر بقلبه ذكر من كان مترددًا في

---

١) مسلم: كتاب الجنائز، باب: ما يقال عند دخول القبر والدعاء لأهلها رقم (٢٢٥٣) (نووي/٧/٤٨).

أغراضه، وكيف تهدمت رجلاه، وكان يتلذذ بالنظر إلى ما حوله، وقد سالت عيناه، ويصول ببلاغة نطقه، وقد أكل الدود لسانه، ويضحك لمواتاة دهره وقد أبل التراب أسنانه وليتحقق أن حاله كحاله، ومآله كمآله، وعند هذا التذكر والاعتبار، يزول عنه جميع الأغيار الدنيوية، ويقبل على الأعمال الأخروية، فيزهد في دنياه، ويقبل على طاعة مولاه، ويلين قلبه، وتخشع جوارحه.

قال العلماء -رحمة الله عليهم-: ليس للقلوب أنفع من زيارة القبور وخاصة إن كانت قاسية فعلى أصحابها أن يعالجوها بأمور:

أحدها: الإقلاع عما هي عليه بحضور مجالس العلم بالوعظ، والتذكر، والتخويف والترغيب، وأخبار الصالحين، فإن ذلك مما يلين القلوب وينجع فيها.

الثاني: ذكر الموت، فيكثر من ذكر هادم اللذات، ومفرق الجماعات وميتم البنين والبنات.

الثالث: مشاهدة المحتضرين، فإن في النظر إلى الميت ومشاهدة سكراته ونزعاته، وتأمل صورته بعد مماته، ما يقطع عن النفوس لذاتها، ويطرد عن القلوب مسراتها، ويمنع الأجفان من النوم، والأبدان من الراحة، ويبعث على العمل، ويزيد في الاجتهاد والتعب.

يروى أن الحسن البصري دخل على مريض يعوده، فوجده في سكرات الموت، فنظر إلى كربه، وشدة ما نزل به، فرجع إلى أهله، بغير اللون الذي خرج به من عندهم، فقالوا له: الطعام يرحمك الله، فقال: يا أهلاه عليكم بطعامكم وشرابكم فوالله لقد رأيت مصرعًا لا أزال أعمل له حتى ألقاه.

فهذه ثلاثة أمور: ينبغي لمن قسا قلبه، ولزمه ذنبه، أن يستعين بها على دواء دائه، ويستصرخ بها على فتن الشيطان وإغوائه، فإن انتفع بها فذاك، وإن عظم عليه ران القلب، واستحكمت فيه دواعي الذنب، فزيارة قبور الموتى تبلغ في دفع ذلك ما لا يبلغه الأول، والثاني، والثالث[1] اهـ.

٢- التوبة من الكذب وهجر القرآن والزنا والربا:

وذلك من آثار الإيمان بالقبر وعذابه ونعيمه.

عن سمرة بن جندب ﷺ قال: كان النبي ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: **«من رأى منكم الليلة رؤيا؟»** قال: فإن رأى أحد قصها فيقول ما شاء الله.

فسألنا يومًا فقال:**«هل رأى أحد منكم رؤيا؟»** قلنا: لا. قال: **« لكني رأيت الليلة رجلين أتياني، فأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة، فإذا رجل جالس، ورجل قائم بيده كلوب من حديد -قال بعض أصحابنا عن موسى: كلوب من حديد يدخله في شدقه- حتى يبلغ قفاه، ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك، ويلتئم شدقه هذا، فيعود فيصنع مثله.**

قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق. فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه، ورجل قائم على رأسه بفهر أو صخرة، فيشْدَخُ به رأسه فإذا ضربة تدهده الحجر، فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه، وعاد رأسه كما هو، فعاد إليه فضربه.

---

١) (التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة/١/٢٩-٣٥) بتصرف واختصار.

قلت: من هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقنا إلى ثقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقد تحته نارًا، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا أن يخرجوا، فإذا خمدت رجعوا فيها، وفيها رجال ونساء عراة.

فقلت: من هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم، فيه رجل قائم على وسط النهر رجل بين يديه حجارة -قال يزيد ووهب بن جرير عن جرير بن حازم: وعلى شط النهر رجل- فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه فرده حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر، فيرجع كما كان.

فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة، وفي أصلها شيخ وصبيان، وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها، فصعدا بي في الشجرة وأدخلاني دارًا لم أر قط أحسن منها، فيها رجال شيوخ وشباب ونساء وصبيان ثم أخرجاني منها فصعدا بي الشجرة فأدخلاني دارًا هي أحسن وأفضل فيها شيوخ وشباب.

قلت: طوفتماني الليلة فأخبراني عما رأيت. قالا: نعم.

أما الذي رأيته يشق شِدْقُه فكذاب يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به ما رأيت إلى يوم القيامة. والذي رأيته يشدخُ رأسه فرجل علمه الله القرآن، فنام عنه بالليل ولم يعمل فيها بالنهار، يفعل به إلى يوم القيامة، والذي رأيته في الثقب فهم الزناة، والذي رأيته في النهر آكلو الربا.

والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام، والصبيان حوله أولاد الناس، والذي يوقد النار مالك خازن النار، والدار الأولى التي دخلت دار عامة المؤمنين، وأما هذه الدار فدار الشهداء، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل،

فارفع رأسك، فرفعت رأسي فإذا فوقي مثل السحاب، قالا: ذاك منزلك، قلت: دعاني أدخل منزلي، قالا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله، فلو استكملت أتيت منزلك»[1].

وإن هذه الصفات الذميمة وهي الكذب وهجر القرآن، والزنا، والرِّبا إذا ما اجتمعت في مسلم هلك. وما على من ابتلي بهذه الخصال السيئة إلا أن يتذكر أنه إن لم يتب منها عذب بها في القبر على ما سبق بيانه، فإن ذلك كفيل بعون الله أن يمنعه بسبب هذا التذكر عن هذه الكبائر.

فمن لم يتب عُذّب بذنبه ذلك بهذه الهيئة إلى يوم القيامة. وإن هذه الكبائر يترتب عليها من المفاسد ما لا يعلمه إلا الله، لذلك كان العقاب عليها كبير.

وإن من آمن بالقبر وعذابه، ثم لا يرتدع عما يعذّب به في قبره فهو مما لا شك فيه ناقص الإيمان، فعليه أن يبادر بالتوبة إلى الله ﷻ، حتى يحقق الإيمان قولاً وعملاً.

٣- التنزه من البول:

وهذا أيضًا من آثار الإيمان بعذاب القبر.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر النبي ﷺ بحائط من حيطان المدينة –أو مكة– فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، فقال النبي ﷺ:

« يُعذبان، وما يعذبان في كبير - ثم قال- بلى، كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة» ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين، فوضع

---

١) البخاري: كتاب الجنائز، ٩٣ باب: بدون، رقم (١٣٨٦) (فتح/٣/٣٢١).

على كل قبر كسرة، فقيل له: يا رسول الله لم فعلت هذا؟ قال: **«لعله أن يخفف عنهما ما لم تيبسا» أو« إلى أن ييبسا»**[(١)].

وقد أخبر الرسول ﷺ في حديث آخر أيضًا أن عامة عذاب القبر من البول. فقد روى أنس ﷺ عن الرسول ﷺ قال: **«تنزهوا من البول، فإن عامة عذاب القبر منه»**[(٢)].

إن عدم التنزه من البول وعدم الاستتار منه كبيرة من الكبائر، فلا ينبغي التقليل من شأن ذلك، إما بالكلام أو الفعل. وإن من الناس من ابتلي بهذه الكبيرة، تجده يقضي حاجته قائمًا ولا يحترز من رزاز بوله، فيصاب من ذلك، ويتنجس ثوبه وهو لا يعبأ بذلك، وربما لم يغسل ذكره تهاونًا.

وهذا وأمثاله لو علم أن هذا الفعل مما يُعذّب به في قبره، وخُوّف وحُذّر من هذه الكبيرة، حتى ينجو من الإثم ومن عذاب القبر لارتدع بعون الله تبارك وتعالى عن هذا الفعل المستقذر.

وعلينا أن نتعلم من رسولنا ﷺ، قال البخاري: باب ما جاء في غسل البول عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا تبرز لحاجته أتيته بماء فيغسل به[(٣)].

فهكذا يجب أن يكون المسلم، يتنزه من البول، اقتداءً بنبيه ﷺ، ودفعًا لعذاب القبر.

---

١) البخاري: كتاب الوضوء، باب: من الكبائر ألا يستتر من بوله، رقم (٢١٦) (فتح/١/٤٢١).
٢) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب، والترهيب رقم (١٥١) وانظر الإرواء (١/٣١١) رقم (٢٨٠).
٣) البخاري: كتاب الوضوء، باب: ما جاء في غسل البول، رقم (٢١٧) (فتح/١/٤٢٦).

٤- حفظ اللسان عن الغيبة و النميمة:

قال البخاري: باب، عذاب القبر من الغيبة والبول.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: مرَّ النبي ﷺ على قبرين فقال: **«إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، ثم قال: بلى، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما الآخر، فكان لا يستتر من بوله»** قال: ثم أخذ عودًا رطبًا فكسره باثنتين، ثم غرز كل واحد منهما على قبر ثم قال: **«لعله يخفف عنهما، ما لم ييبسا»**[1].

وليس فيه للغيبة ذكر، وإنما ورد بلفظ النميمة... وقيل مراد المصنف أن الغيبة تلازم النميمة، لأن النميمة على ضربين: نقل كلام المغتاب إلى الذي اغتابه، والحديث عن المنقول عنه بما لا يريده،... وقد وقع في بعض طرق هذا الحديث بلفظ الغيبة .. فالظاهر أن البخاري جرى عادته في الإشارة إلى ما ورد في بعض طرق الحديث والله أعلم[2] اهـ.

وعلى كل حال، فإن النمام في الغالب مغتاب، وإن هذه الظاهرة قد تفشت بصورة تدعو إلى الأسى والحزن، وتدعو إلى الخوف من ويلات النميمة التي فرقت الأحبة، وجعلتهم أعداءً بعد أن كانوا إخوانًا متحابين وعلى جميع مظاهر الخير مجتمعين.

إن هذه الشرذمة، التي صار ديدنها الكلام في الصغير والكبير ونقل كل ما يسمعون إلى الآخرين، بصورة استفزازية تدعو إلى الفرقة والتشاحن والتباغض

---

١) البخاري: كتاب الجنائز، باب: عذاب القبر من الغيبة والبول، رقم (١٣٧٨) (فتح/٣/٣١٠).
٢) (فتح الباري/٣/٣١٠).

والتهاجر، إن هذه الشرذمة التي هي داء يجب استئصاله تفتُّ في عضد الأمة على جميع الوجهات والمسارات، اجتماعيًا، أو دعويًا، أو...إلخ.

وليحذر مَنْ هذا حاله بأنه على خطر عظيم، فكم رؤي ممن ابتلي بهذا الداء والعياذ بالله يستحله وليحذر هذا الأفاك المبين من قول رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة نمام»[(١)].

وليعلم هذا وأمثاله، أنه بفعله هذا قد أتى بفعل فاحش، غليظ التحريم. فعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم ما العَضْه؟ هي النميمة القالة بين الناس»[(٢)].

"والعضة: هي الفاحش، الغليظ التحريم"[(٣)].

"والقالة: هي كثرة القول وإيقاع الخصومة بين الناس"[(٤)].

وكم رؤي أيضًا من هؤلاء، من ينم ثم يقابل من نمّ عنه بوجه طليق، وفي الغالب أيضًا أن من نمّ إليك، نمّ عنك، وهذا شيء مشهور لدى العقلاء. فيكون الواقع في هذا الذنب معروفاً عند نفسه أولاً وعند الناس ثانيًا أنه ذو وجهين، ومن كان كذلك فهو شر الناس كما قال رسول الله ﷺ.

عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «إن شرَّ الناس ذو الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه»[(٥)].

---

١) مسلم: كتاب الإيمان، باب: بيان غلظ تحريم النميمة، رقم (٢٨٦) (نووي/٢/٢٩٥) عن حذيفة ﷺ.
٢) مسلم: كتاب البر والصلة، باب: تحريم النميمة، رقم (٦٥٧٩) (نووي/١٦/٣٧٤).
٣) (شرح النووي على صحيح مسلم/١٦/٣٧٤).
٤) (بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين/٣/٥٨).
٥) مسلم: كتاب البر والصلة، باب: ذم ذي الوجهين، وتحريم فعله، رقم (٦٥٧٤) (نووي/١٦/٣٧٢).

وخير علاج لمن ابتلي بهذا الداء، أن يتذكر عذاب القبر، وأن يعلم أنه جاء في حقه نص وارد عن رسول الله ﷺ بأنه إن مات وهو مُصرّ على هذا الذنب عُذب به في قبره أيما تعذيب.

وهذا إن شاء الله علاج فعَّال، لمن أراد أن يحفظ لسانه، أن يعلم أنه سيقع في هذه المحاذير التي تسبب له عذاب القبر ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.. ثم هل ترضى لنفسك أيها النمام، أن تكون موسومًا بالغيبة والفُحش، وصاحب وجهين، والكذب، والفتان وغير ذلك من تلك الصفات الخسيسة التي تأتي رغمًا عنك من جراء هذه النميمة القاتلة.

قال الإمام النووي -رحمه الله-: وكل هذا المذكور في النميمة إذا لم يكن فيها مصلحة شرعية، فإن دعت حاجة إليها فلا مانع منها، وذلك كما إذا أخبره بأن إنسانًا يريد الفتك به أو بأهله أو بماله، أو أخبر الإمام أو من له ولاية بأن إنسانًا يفعل كذا ويسعى بما فيه مفسدة، ويجب على صاحب الولاية الكشف عن ذلك وإزالته، فكل هذا وما أشبهه ليس بحرام، وقد يكون بعضه واجبًا وبعضه مستحبًا على حسب المواطن، والله أعلم[1] اهـ.

٥- التعوذ بالله من عذاب القبر:

وهذا أيضًا من آثار الإيمان بالقبر وما يحويه من أمور.

عن عائشة رضي الله عنها: أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر. فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر فقال: «**نعم، عذاب القبر**» قالت عائشة رضي الله عنها: فما

---

١) (شرح النووي على صحيح مسلم/٢/٢٩٦).

رأيت رسول الله ﷺ بعد صلّى صلاة إلا تعوَّذ من عذاب القبر. زاد غندر «عذاب القبر حق»[١].

وعن زيد بن ثابت ﷺ قال.. قال رسول الله ﷺ: **«إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا، لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه»** ثم أقبل علينا بوجهه، فقال: **«تعوذوا من عذاب القبر»** قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر[٢].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا تشهد أحدكم، فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شرّ فتنة المسيح الدجال»**[٣].
إن الإيمان بالقبر، وعذابه ونعيمه، يجعل المؤمن يقف حيال هذه الحقيقة الكبرى، خاشع القلب، مضطرب الفؤاد، خائف من هذه الحياة البرزخية، وما انطوت عليه من صور العذاب.

والمسلم، ترجف جوارحه من هذا المستقبل، ومن هذا الغيب، فيجب علينا جميعًا كما أمرنا رسول الله ﷺ، أن نستعيذ بالله من عذاب القبر، وأن يجعله علينا روضة من النعيم، اللهم آمين.

٦- الصلاة والصيام والزكاة وفعل الخيرات:

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«إن الميت إذا وضع في قبره إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه، فإن كان مؤمنًا، كانت الصلاة عند رأسه،**

---

١) البخاري: كتاب الجنائز، باب: ما جاء في عذاب القبر، رقم (١٣٧٢) (فتح/٣/٢٩٨).
٢) مسلم: كتاب الجنة ونعيمها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، رقم (٧١٤٢) (نووي/١٧/١٩٩).
٣) مسلم: كتاب المساجد، باب: ما يستعاذ منه في الصلاة، رقم (١٣٢٤) (نووي/٥/٨٩).

وكان الصيام عن يمينه، وكانت الزكاة عن شماله، وكان فعل الخيرات، من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه.

فيؤتى من قبل رأسه، فتقول الصلاة: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى عن يمينه، فيقول الصيام: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى عن يساره، فتقول الزكاة: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى من قبل رجليه، فتقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس: ما قِبلي مدخل، فيقال له: اجلس فيجلس، وقد مثلت له الشمس وقد أُذنيت للغروب، فيقال: أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه، وماذا تشهد به عليه؟

فيقول دعني حتى أصلي، فيقولون: إنك ستفعل، أخبرنا عما نسألك عنه، أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه وماذا تشهد عليه؟ فقال: فيقول: محمد أشهد أنه رسول الله، وأنه جاء بالحق من عند الله. فيقال له: على ذلك حَييتَ وعلى ذلك مُتَّ، وعلى ذلك تُبعث إن شاء الله، ثم يفتح له باب من أبواب الجنة، فيقال له: هذا مقعدك منها، وما أعدّ الله لك فيها، فيزداد غِبطةً وسرورًا.

ثم يفتح له باب من أبواب النار، فيقال له: هذا مقعدك منها وما أعدّ الله لك فيها لو عصيتَه، فيزدادُ غِبطةً وسرورًا، ثم يُفسح له في قبره سبعون ذراعًا، وينوَّر له فيه»[1].

---

١) صحيح: أخرجه ابن حبان في صحيحه، ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن الميت إذا وضع في قبره لا يحرك منه شيء إلى أن يَبلى، رقم (٣١١٣) (٣٨٠/٧) وأخرجه الحاكم (٣٧٩/١-٣٨٠، ٣٨٠-٣٨١)، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وذكره الهيثمي في "المجمع" (٥١/٣-٥٢) وقال رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن.

إذًا، فالصلاة والصيام والزكاة والصدقة، والصلة والمعروف وكذا الإحسان إلى الناس بشتى صوره مما ينعّم المسلم في قبره، ويجعله آمنًا فيه من العذاب. فاللهم ارزقنا في قبورنا جميعًا هذا الأثر العظيم.

٧- عدم الغلول:

عن أبي هريرة ﷺ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر ففتح الله علينا، فلم نغنم ذهبًا ولا ورقًا، غنمنا المتاع والطعام والثياب، ثم انطلقنا إلى الوادي ومع رسول الله ﷺ عبدٌ له، وهبه له رجل من جُذام، يدعى رفاعة بن زيد من بني الضبيْب، فلما نزلنا الوادي قام عبدُ رسول الله ﷺ يَحُلُّ رحْلَه، فرُمي بسهم فكان فيه حتفه، فقلنا: هنيئًا له الشهادة يا رسول الله. قال رسول الله ﷺ: **«كلا! والذي نفس محمد بيده! إن الشملة لتلتهب عليه نار، أخذها من الغنائم يوم خيبر، لم تصبها المقاسم»**.

قال: ففزع الناس. فجاء رجل بشراك أو شراكين، فقال: يا رسول الله! أصبتُ هذا يوم خيبر. فقال رسول الله ﷺ: **«شِراك من نار أو شراكان من نار»**[(١)].

انظر إلى الصحابة رضوان الله عليهم الذين كانوا يعدون هذا أمرًا لا إثم فيه، فلما علموا شناعة هذا الأمر وهو الغلول ردوا ما كانوا أخذوه، لكي ينجوا بأنفسهم من عذاب القبر والآخرة أيضًا، ولكي يحققوا بعملهم هذا كمال الإيمان مع كمال الاعتقاد. ولو أن كل مسلم نهج منهج هؤلاء السلف رضوان الله عليهم في امتثالهم لأمر ربهم، لصار القبر علينا روضة من رياض الجنة إلى يوم القيامة.

---

١) مسلم: كتاب الإيمان، باب: كراهية الغائل رقم (٣٠٦) (نووي/٢/٣١١).

فهذا أبو هريرة ﷺ، يصف أحوال السلف عندما سمعوا ذلك الوعيد من رسول الله ﷺ بالفزع، والفزع حالة استهوال ورعب واضطراب من أمر ما، فيوم القيامة من أسمائه يوم الفزع، فمن منا يحصل له ما حصل للسلف رضوان الله عليهم عند سماع أخبار الوعيد والتهديد. فالمؤمن لا يملك حيال هذه النصوص، إلا أن يحفظ نفسه من شتى أنواع الغلول، حتى لا يُغلّ في قبره بما أخذه، ويتحول الغلول الذي غلّه إلى نار تكويه ويشتعل عليه إلى يوم القيامة. ألا فما أحوجنا اليوم إلى هذه العقائد الرادعة عن مثل هذه الجرائم التي صيرت شعوبًا عريضة إلى أشباح من الجوع والفقر، وجعلت المال يتكدس في جانب، ويتلوى من عدمه جانب آخر.

٨- الحذر من الدَّين إلا لضرورة وأداؤه:

عن سعد بن الأطول: أن أخاه مات وترك ثلاثمائة درهم، وترك عيالاً، فأردت أن أنفقها على عياله، فقال النبي ﷺ: **«إن أخاك محتبس بدَينه فاقض عنه»** فقال: يا رسول الله قد أديت عنه إلا دينارين ادَّعتهما امرأة وليس لها بيّنة. قال: **«فأعطيها فإنها محقة»**[1].

وقد أخبر الرسول ﷺ في حديث آخر أنه مأسور بدينه عن الجنة، وقد ذكر الألباني رحمه الله هذا الحديث بزياداته في أحكام الجنائز وصححه[2].

وبهذا نعلم جميعًا أن الدّين مما يضر الميت في قبره، ويُحبس بسبب ذلك الدّين عن الجنة. وإن مما يؤكد هذه الحقيقة، ويجعل المسلم في حذر شديد من الدين إذا ما علمنا أن الشهيد، وما أدراك ما الشهيد نسأل الله جميعًا الشهادة في

---

١) صحيح: أخرجه ابن ماجه، كتاب الصدقات، باب: أداء الدين عن الميت، رقم (٢٤٣٣) (سندي/٣/١٥٥) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه رقم (١٩٨٨) وأحكام الجنائز (ص١٠٥).
٢) (أحكام الجنائز/١٥).

سبيله، يغفر له كل ذنب إلا الدين. عن عبدالله بن عمرو بن العاص: أن النبي ﷺ قال: **«يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين»**[1].

وقد أكد ﷺ هذا المعنى عندما سأله رجل، إن قُتلت في سبيل الله تُكفَّر عني خطاياي فقال له رسول الله ﷺ : **«نعم، وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر، إلا الدين، فإن جبريل عليه السلام، قال لي ذلك»**[2].

فالدين لا ينبغي إذًا إلا لضرورة قصوى، لأن الإنسان لا يدري هل يقضي عنه أحد أم لا؟ وكم تستغرق مدة السداد؟ ومن يتحمل طول هذه المدة وهو محبوس عن الجنة؟ فالمسلم العاقل يتجنب الوقوع في الردى، حتى لا يندم في وقت لا ينفع فيه الندم، وهل ينفع الندم في القبر؟ وعلى أهل الميت أن يتقوا الله في ميتهم، ويقضوا عنه دينه كما أمر رسول الله ﷺ، وألا يماطلوا أصحاب الحقوق، وليكن على بالهم دائمًا أن ميتهم محبوس عن الجنة، فهذا التذكر يجعلهم يبادرون ويتعجلون في قضاء دين الميت.

٩- الترغيب في الشهادة في سبيل الله:

عن المقدام بن معد يكرب عن رسول الله ﷺ قال: **«للشهيد عند الله ﷻ ست خصال: يَغفِرُ له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده في الجنة، ويُجار من عذاب القبر، ويأمن الفزع الأكبر، ويُحلّى حُلة الإيمان، ويزوّج من الحور العين، ويُشفّع في سبعين إنسانًا من أقاربه»**[3].

---

١) مسلم: كتاب الجهاد، باب: من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين، رقم (٤٨٦٠) (نووي/١٣/٣٣).

٢) مسلم: كتاب الجهاد، باب: من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين، رقم (٤٨٥٧) (نووي/١٣/٣٢).

٣) صحيح: أخرجه ابن ماجه: كتاب الجهاد، باب: فضل الشهادة في سبيل الله، رقم (٢٧٩٩) (سندي/٣/٣٦١) وأخرجه الترمذي، أبواب فضائل الجهاد، ٢٥ باب بدون، رقم (١٧١٢) (تحفة/٥/٢٤٧) وقال

فالشهادة في سبيل الله تعالى مما ينجو بسببها صاحبها من عذاب القبر، وذلك من أعظم آثار كمال الإيمان الذي جعل الشهيد يتقرب إلى الله بروحه ودمه طاعة له تعالى.

وكل شيء أمام عذاب القبر يتضاءل، وأغلى الأشياء في الدنيا نفس المؤمن، فإذا ما ضحى بها في سبيل الله نجاه الله من عذاب القبر والجزاء من جنس العمل.

وعن راشد بن سعد عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله! ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال:«**كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة**»[(١)].

فإذا ما صمد الشهيد أمام فتنة السيوف، وأمام أدوات القتال مهما كانت، نجاه الله من الفتنة العظمى، فتنة القبر سؤاله وعذابه إلى يوم القيامة[(٢)].

١٠- الترغيب في الرباط في سبيل الله:

عن سلمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**رباط يوم في سبيل الله أفضل من صيام شهر وقيامه، ومن مات فيه وُقِي فتنة القبر، ونما له عمله إلى يوم القيامة**»[(٣)].

الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه رقم (٢٢٧٥) وصحيح الجامع رقم (٥١٨٢) وأحكام الجنائز (٣٦).

١) صحيح: أخرجه النسائي، كتاب الجنائز، الشهيد، رقم (٢٠٥٢) (سندي/٤/٤٠٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٤٨٣) وأحكام الجنائز (٣٦).

٢) وانظر ما سبق أيضًا من الترغيب في طلب الشهادة والجهاد في سبيل الله من المبحث الخامس: أثر الإيمان بالملائكة على العباد.

٣) صحيح: أخرجه الترمذي، أبواب فضائل الجهاد، باب: ما جاء في فضل من مات مرابطًا، رقم (١٦٧١) (تحفة/٥/٢٠٦) عن فضالة بن عبيد وقال الترمذي حديث: حسن صحيح وهو عند مسلم بلفظ (رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات، جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه وأمن الفتان عن سلمان)، والحديث السابق صححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٤٨١) والإرواء (١٢٠٠).

وذلك لأن المرابط في سبيل الله، مُعرّض للقتل إذا ما أغار عليه العدو، والرباط في سبيل الله نفعه متعد، حيث أن هذه الثغور إن لم تحرس أغار منها الأعداء على المسلمين، فيكون وجود هذا المرابط في هذه الثغور حاجزًا منيعًا أمام الأعداء، فيأمن الناس على نفوسهم وأموالهم، فحُق لمن كان سببًا في أمان الناس واطمئنانهم وعدم ترويعهم، أن يؤمّنه الله ويطمئنه ولا يروّعه في قبره، والجزاء من جنس العمل.

وإن مات في رباطه هذا، أجرى الله تعالى له عمله ونماه له إلى يوم القيامة.

فيكون في قبره آمنًا من عذاب الله، ويجرى له ما كان يعمله من رباط وعمل إلى يوم بعثه، ويوم حشره. وفي ذلك ترغيب وتشجيع للمسلم للدفاع عن المسلمين وديارهم ودينهم من عدوهم وعدو ربهم. فمن كان كذلك آمن من فتنة القبر.

المطلب الثالث: أثر الإيمان بعلامات الساعة على العباد

١ - الاستعداد الدائم:

"قد يتساءل البشر قائلين: ما الحكمة من وراء إخفاء الوقت الذي تحل فيه الساعة، وتقوم فيه القيامة؟

والجواب: أن إخفاءها له تعلق بصلاح النفس الإنسانية. فوقوعها غيب، والأمر العظيم الذي يستيقن المرء وقوعه، ولكنه لا يدري متى يفجؤه، ويحل فيه بساحه، يجعل المرء مترقبًا له باستمرار"[١].

---

١) (القيامة الصغرى/١٢٠).

يقول الأستاذ سيد قطب -رحمه الله-: والمجهول عنصر أساسي في حياة البشر، وفي تكوينهم النفسي، فلا بد من مجهول في حياتهم يتطلعون إليه، ولو كان كل شيء مكشوفًا لهم وهم بهذه الفطرة، لوقف نشاطهم، وأسنت حياتهم. فوراء المجهول يجرون، فيحذرون، ويأملون، ويجربون، ويتعلمون، ويكشفون المخبوء من طاقاتهم وطاقات الكون من حولهم وتعليق قلوبهم ومشاعرهم بالساعة المجهولة الموعد يحفظهم من الشرود.

فهم لا يدرون متى تأتي الساعة، فهم من موعدها على حذر دائم، وعلى استعداد دائم، ذلك لمن صحت فطرته واستقام، فأما من فسدت فطرته واتبع هواه فيغفل ويجهل، فيسقط ومصيره إلى الردى[1] اهـ.

٢- الهدى والفلاح:

وذلك لأن الإيمان بعلامات الساعة الصغرى والكبرى من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله حتى الرسول ﷺ لم يكن ليعلم ذلك لولا أن الله أخبره بذلك، فيصبح الإيمان بهذه العلامات، إيمان بالله وبرسوله ﷺ وبالغيب الذي ذكره الرسول ﷺ ، ومن اتصف بهذا الإيمان كان ثواب ذلك الهدى والفلاح كما قال الله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ * وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2].

---

١) (اليوم الآخر في ظلال القرآن/٩٨).
٢) البقرة: ٣-٥.

والإيمان بعلامات الساعة الصغرى والكبرى من الغيب، ومما أنزل إلى الرسول، ومما أنزل من قبل، والإيمان بها إيمان بالآخرة، فمن اتصف بذلك كان على هدى من ربه وفلاح.

قال السعدي -رحمه الله-: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ حقيقة الإيمان: هو التصديق التام بما أخبرت به الرسل، المتضمن لانقياد الجوارح، وليس الشأن في الإيمان بالأشياء المشاهدة بالحس، فإنه لا يتميز بها المسلم من الكافر، إنما الشأن في الإيمان بالغيب، الذي لم نره ولم نشاهده، وإنما نؤمن به لخبر الله وخبر رسوله...

ويدخل في الإيمان بالغيب الإيمان بجميع ما أخبر الله به من الغيوب الماضية والمستقبلة وأحوال الآخرة، وحقائق أوصاف الله وكيفيتها..، ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ أي: الموصوفون بتلك الصفات الحميدة ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أي: على هدى عظيم، لأن التنكير للتعظيم، وأي هداية أعظم من تلك الصفات المذكورة المتضمنة للعقيدة الصحيحة والأعمال المستقيمة، وهل الهداية في الحقيقة إلا هدايتهم وما سواها مما خالفهم، فهي ضلالة.

ثم قال: ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ والفلاح هو الفوز بالمطلوب، والنجاة من المرهوب، حصر الفلاح فيهم، لأن لا سبيل إلى الفلاح إلا بسلوك سبيلهم، وما عدا تلك السبيل فهي سبيل الشقاء والهلاك والخسارة التي تفضي بسالكها إلى الهلاك[1] اهـ.

---

١) (تيسير الكريم الرحمن/١/٣٣-٣٥) باختصار.

٣- تثبيت الإيمان ورسوخه:

وذلك لأن "وقوع تلك المغيبات على النحو الذي حدثت به الأخبار يثبت الإيمان ويقويه. فالمسلمون في كل عصر يشاهدون وقوع أحداث مطابقة لما أخبرت به النصوص الصادقة، فقد شاهد الصحابة انتصار الروم على الفرس، ثم انتصر المسلمون على الفرس والروم، وظهر الإسلام على جميع الأديان، وشاهدوا فرقة الأمة في العام الذي حدده الرسول ﷺ، وشاهدوا كثيرًا من الأحداث على النحو الذي أخبرت به النصوص، وكذلك الحال في كل عصر، يشاهد المسلمون وقائع وأحداثًا جاءت بها الأخبار.

ولا شك أن هذا له أثر كبير في تثبيت المؤمن على إيمانه، وقد يكون ذلك مدخلاً لدعوة الآخرين إلى هذا الحق الذي جاءنا من ربنا"[(١)].

وكذلك من أثر الإيمان بعلامات الساعة الصغرى والكبرى: "تثبيت الإيمان بيوم القيامة"، فالقيامة وأهوالها من الغيب الذي أخبرنا به الله ورسوله، والإيمان بها إحدى دعائم الإيمان، ووقوع الوقائع في الدنيا على النحو الذي جاءت به النصوص دليل واضح بيّن على صدق كل الأخبار، ومنها أخبار الساعة، فالكل من عند الله تبارك وتعالى[(٢)].

٤- فقه التعامل مع أشراط الساعة والفتن:

يقول الدكتور عمر الأشقر -حفظه الله-: بعث الله رسوله دالاً على الخير، محذرًا من الشر، وقد دل أصحابه على المنهج الأمثل الذي ينبغي أن يسلكوه في الوقائع التي وقعت في عصره، وفي إخباره بالمغيبات المقبلة توجيه

---

١) (اليوم الآخر، القيامة الصغرى/١٣٠).
٢) (اليوم الآخر، القيامة الصغرى/١٣٠).

للذين جاءوا من بعده من أمته كيف يتصرفون حيال الأحداث التي قد يخفى عليهم وجه الحق فيها.

ومن هذه التوجيهات التي كان لها أثر كبير في توجيه المسلمين إلى الحق تبشيره عثمان ﷺ بالجنة على بلوى تصيبه، وإخباره بأن عمارًا تقتله الفئة الباغية، وأمره أبا ذر بأن يعتزل الفتنة، وأن لا يقاتل ولو قتل.

ويمكن أن يستفاد هذا المعنى من حديث حذيفة حيث كان يسأل الرسول ﷺ عن الشر مخافة أن يدركه، بينما أصحابه كانوا يسألون الرسول ﷺ عن الخير.

ومع هذا نهى الرسول ﷺ المسلمين عن أخذ شيء من جبل الذهب الذي ينحسر عنه الفرات في آخر الزمان، وإخبارهم عن حقيقة الدجال، وبيان ما يأتي به من الشبهات. وغير ذلك من الكائنات التي يبصّر الرسول ﷺ أمته بالتصرف الأمثل حيالها.

وقد تمر بالمسلمين وقائع في مقبل الأيام تحتاج إلى بيان الحكم الشرعي فيها، ولو ترك المسلمون إلى اجتهادهم فإنهم قد يختلفون، وقد لا يهتدون إلى الصواب، بل قد يكون بيان الحكم الشرعي في تلك الأحداث واجب لا بد ﷺ منه، وعدم البيان يكون نقصًا تنزه الشريعة عنه.

فمن ذلك أن الرسول ﷺ أخبر أن الدجال يمكث في الأرض أربعين يومًا، يوم من أيامه كسنة، ويوم كشهر، ويوم كأسبوع، وبقية أيامه كأيامنا، وقد سأل الصحابة الرسول ﷺ عن تلك الأيام الطويلة أتكفي في الواحد منها صلاة

يوم، قال الرسول: «لا، اقدروا له قدره»[1]. ولو وكل العباد إلى اجتهادهم لاقتصروا على الصلوات الخمس عند الأوقات المعروفة في غير هذه الأيام.

وأخبر الرسول ﷺ أن عيسى عليه السلام بعد نزوله لا يقبل الجزية من اليهود والنصارى، ولا يقبل منهم إلا الإيمان.

وهذا البيان من الرسول ﷺ ضروري، لأن عيسى يحكم بهذا الشرع، وهذا الشرع فيه قبول الجزية ممن بذلها إلى حين نزول عيسى بن مريم عليه السلام، وحين ذاك توضع الجزية، ويقتل كل من رفض الإيمان، ولو بذل الجزية[2] اهـ.

٥- إشباع فطرة المسلم:

وذلك لأن " التطلع إلى ما يحدث في المستقبل أمر فطري فالإنسان يجد في نفسه رغبة شديدة في معرفة الوقائع والكائنات التي قد تحدث للجنس الإنساني، أو تحدث للأمة التي هو منها، أو قد تحدث له.

ولذلك فإن الزعماء والرؤساء بل والأفراد يلجئون في معرفة ذلك إلى السحرة والكهان والمنجمين، فجاءهم الله بالحق الذي يغني ويكفي ويشفي في هذا الجانب "[3].

وقد تعرض ابن خلدون لهذه الفائدة في مقدمة تاريخه فقال: اعلم أن من خواص النفوس البشرية التشوُّف إلى عواقب أمورهم، وعلم ما يحدث لهم من

---

١) مسلم: كتاب الفتن، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه، رقم (٧٢٩٩) (نووي/١٨/٢٧٠).
٢) (اليوم الآخر، القيامة الصغرى/١٣٠-١٣٢).
٣) (اليوم الآخر، القيامة الصغرى/١٣٢).

حياة وموت، وخير وشر، سيما الحوادث العامة، كمعرفة ما بقي من الدنيا، ومعرفة مدد الدول أو تفاوتها، والتطلع إلى هذا طبيعة للبشر مجبولون عليها.

ولذلك نجد الكثير من الناس يتشوفون إلى الوقوف على ذلك في المنام، والأخبار من الكهان لمن قصدهم بمثل ذلك من الملوك والسوقة معروفة. ولقد نجد في المدن صنفًا من الناس ينتحلون المعاش من ذلك، لعلمهم بحرص الناس عليه..

وأكثر ما يعتني بذلك ويتطلع إليه الأمراء والملوك في آماد دولتهم.. وكان في العرب الكهان والعرافون يرجعون إليهم في ذلك وقد أخبروا بما سيكون للعرب من الملك والدولة، كما وقع لشق وسطيح في تأويل رؤيا ربيعة ابن نصر من ملوك اليمن، أخبرهم بملك الحبشة بلادهم، ثم رجوعها إليهم، ثم ظهور الملك والدولة للعرب من بعد ذلك.

وكذلك تأويل سطيح لرؤيا الموبذان، حين بعث إليه كسرى بها مع عبد المسيح، وأخبرهم بظهور دولة العرب...[1]اهـ.

وغير ذلك من انشغال الناس بهذه الأمور كثير. لذلك تجد الناس متشوقين جدًا عند سماع أشراط الساعة، وذلك أمر ظاهر، وسبب ذلك مع الإيمان هو أن فطرة المسلم تميل إلى مثل هذه الأخبار لتشبع منها، يوم أن يتشبّع الآخرون بالخرافات والترهات وأمور السحر والشعوذة.

أما المسلم الحقيقي، فعنده ما يغنيه عن تلك الخزعبلات، فدينه غض طري، يشبع فطرته بما أمر الله وبما أمر رسوله ﷺ.

---

١) (المقدمة/٥٨٧-٥٨٨).

٦- الحذر من الفتن واعتزالها:

لقد أخبر الرسول ﷺ أن بين يدي الساعة فتن كثيرة كقطع الليل المظلم، يتبع بعضها بعضًا كعود الحصير أو أشد، وهذه الفتن كلها من علامات قرب الساعة، لقد وصف الرسول ﷺ هذه الفتن بأوصاف تستثير الرعب في قلوب المسلمين الموحدين. عن أسامة: أن النبي ﷺ أشرف على أُطم من آطام المدينة ثم قال: **«هل ترون ما أرى؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القَطْر»**[١].

وعن حذيفة ﷺ قال: والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة، فيما بيني وبين الساعة، وما بي إلا أن يكون رسول الله ﷺ أسرّ إليّ في ذلك شيئًا، لم يحدثه غيري، ولكن رسول الله ﷺ قال وهو يحدث مجلسًا أنا فيه عن الفتن، فقال رسول الله ﷺ وهو يَعُدُّ الفتن: **«منهن ثلاث لا يكذنَ يذرن شيئًا، ومنهن فتنة كرياح الصيف، منها صغار ومنها كبار»**[٢]. وغير ذلك من الفتن كثير أخبر بها رسول الله ﷺ، فما هو الواجب علينا تجاه هذه الفتن؟

الواجب علينا تجاه هذه الفتن هو اعتزالها، لأن مما لا شك فيه أن تبين الحق والصواب في مثل هذه الفتن وفي مثل الظروف التي تقع فيها وتظهر فيها الأهواء بجلاء صعب جداً، والأقرب إلى السلامة هو البعد والاعتزال.

عن أبي بكرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنها ستكون فتن، ألا ثم تكون فتنة القاعد فيها خير من الماشي فيها، والماشي فيها خير من الساعي إليها، ألا، فإذا نزلت أو وقعت، فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كان له**

١) مسلم: كتاب الفتن، باب: نزول الفتن كمواقع القطر، رقم (٧١٧٤) (نووي/١٨/٢١٦).
٢) مسلم: كتاب الفتن، باب: إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، رقم (٧١٩١) (نووي/١٨/٢٢٣).

غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه» قال: فقال رجل: يا رسول الله! أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: «يَعمِد إلى سيفه فيدقّ على حده بحجر، ثم لينج إن استطاع النجاة، اللهم هل بلّغت؟ اللهم هل بلّغت؟» قال: فقال رجل: يا رسول الله! أرأيت إن أكرهت حتى يُنطلق بي إلى أحد الصفين، أو إحدى الفئتين، فضربني رجل بسيفه أو يجيء سهم فيقتلني؟ قال:«يبوء بإثمه وإثمك، ويكون من أصحاب النار»(١).

٧- اعتصام الأمة ووحدتها:

وهذا واجب لا بد منه، فعلى جميع أفراد هذه الأمة أن يتحدوا ويأتلفوا وينزعوا من قلوبهم حب الدنيا وكراهية الموت، فإن فعلوا ذلك كنا أهلاً للتمكين والنصر على الأعداء، لأن من علامات الساعة تكالب أمم الكفر على هذه الأمة.

عن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة على قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت»(٢).

"وقد وقع هذا عبر التاريخ أكثر من مرة، عندما تداعت الأمم الصليبية إلى غزو هذه الأمة، ومرة أخرى عند اجتياح التتار العالم الإسلامي ولكن هذه النبوءة تحققت في القرن الأخير بصورة أوضح فقد اتفق الصليبيون واليهود

---

١) مسلم: كتاب الفتن، باب: نزول الفتن كمواقع القطر، رقم (٧١٧٩) (نووي/١٨/٢١٨).
٢) صحيح: كما قال الشيخ ناصر الدين الألباني، وقد عزاه إلى أبي داود والروياني، وابن عساكر، وأحمد في مسنده، وأبو نعيم في "الحلية" وغيرهم، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٩٥٨).

والملاحدة على هدم الخلافة الإسلامية، ثم جزّؤوا الديار التي كانت تحكمها، وتقاسموا ديار المسلمين فيما بينهم، وأعطوا فلسطين لليهود، وأصبح المسلمون أضيع من الأيتام على مأدبة اللئام.

ولا تزال قوى الشر إلى اليوم متداعية لتدمير هذه الأمة وامتصاص خيراتها، ونهب ثرواتها، وإذلال رجالها، والأمة الإسلامية خانعة ذليلة، لم تغن عنها كثرتها، غثاء كغثاء السيل، وعلتها كما أخبر الرسول ﷺ: الوهن حب الدنيا، وكراهية ا لموت.

إن اعتصام هذه الأمة بدينها ووحدتها حاجز يقف دون مطامع أعدائها، فمهما كان مكر الأعداء وقوتهم فإنهم لن ينالوا من هذه الأمة نيلاً إذا كانت متحدة.

وفي الحديث الذي يرويه ثوبان أن الرسول ﷺ قال: **«وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد، إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم، يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، أو قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويسبي بعضهم بعض»** [1].

وواضح من الحديث أن وحدة الأمة عصمة لها من أعدائها، فإذا أصبح بأسها بينها، ووقعت الفرقة والاختصام فيما بينها سلط الله عليها أعداءها.

---

١) مسلم، كتاب الفتن، باب: هلاك هذه الأمة بعضها ببعض، رقم (٧١٨٧) (نووي/١٨/٢٢٢).

وتلك نتيجة حتمية لأن قوتها في هذه الحال لا تتجه إلى الأعداء بل إلى نفسه فتدمر نفسها بنفسها، مما يطمع أعداءها فيها[1] اهـ.

إذًا فالإيمان بأشراط الساعة يجعل المسلم دائمًا في حالة يقظة ووعي لما يحيك به أعداؤه سواء من بالخارج أو من بالداخل، ويكون العلاج حتمًا عند ذلك ناتجًا وأثرًا واضحًا للإيمان بعلامات الساعة، لأن تكالب الأعداء علينا منها. من هنا كانت هذه الغثائية لا مجال لها بين المسلمين إذا ما أرادوا أن يعيدوا مجدهم الباهر.

فاعتصام الأمة ووحدتها هو الحاجز المنيع ضد تسلط الأعداء، وستعود هذه الأمجاد حتمًا لا محالة ولا جدال في ذلك بنص حديث رسول الله ﷺ.

٨- الزهد في المال:

وهذا أيضًا من آثار الإيمان بعلامات الساعة الصغرى التي لم تقع بعد، فالزهد في المال وليس تركه هو أمر مطلوب لصلاح النفس الإنسانية.

والزهد في المال الذي يتمثل في أوج صوره وهو حب الذهب والفضة آتٍ لا محالة، وذلك من أشراط الساعة. والمسلم العاقل هو الذي يزهد قريبًا في شيء يندم عليه بعيدًا، فإذا كان المسلم يندم إذا أخرجت الأرض أفلاذ كبدها من كنوز الذهب والفضة، ورأى هذا المال وزهد الناس فيه فيندم عند ذلك ويقول في هذا قطعت يدي، وفي هذا قطعت رحمي إلى غير ذلك من صور الندم، إذا كان الندم هناك على مثل هذه الصورة فالأولى الآن الزهد في ذلك المال الذي لا يستحق بحال أن تقطع فيه الرحم واليد.

---

١) (اليوم الآخر، القيامة الصغرى/١٨٥-١٨٦).

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **«تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل، فيقول: في هذا قتلت، ويجيء القاطع، فيقول: في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعت يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئًا»**(١).

فيا أيها القاتل! ويا أيها القاطع! ويا أيها السارق! أليس في هذا الحديث أكبر رادع لك لتنتهي عما أنت فيه من كبائر السطو على الآخرين وترويع الآمنين، ووصل الأقربين.

وإن هذا المال لا يستحق أيضًا أن تزهق فيه الأرواح لذلك أمر النبي ﷺ من يحضر جبل الذهب الذي ينحسر عنه الفرات أن لا يأخذ منه شيئًا لحفظ دمه الذي هو أكرم من المال مهما كان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يوشك الفرات أن تحسر عن جبل من ذهب، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئًا»**(٢).

والزهد في المال، ليس معناه تركه بالكلية، بل معناه زهد القلب فيه ولو كثر بين يديه، وعدم أخذه من طريق حرام.

٩- الإيمان بالمهدي يعني العمل لا التواكل:

إن عقيدة الإيمان بالمهدي لا تعني بحال ترك العمل في سبيل جمع الكلمة ولا التواكل والاعتماد على أن المهدي سيصلح الله به حال الأمة، فعلى ذلك يكون العمل ليس بكثير شيء، ما دام أن المهدي آتٍ لا محالة.

---

١) مسلم: كتاب الزكاة، باب: الترغيب في الصدقة قبل أن يوجد من يقبلها، رقم (٢٣٣٨) (نووي/٧/٩٩).
٢) مسلم: كتاب الفتن، باب: لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، رقم (٧٢٠٤) (نووي/١٨/٢٢٧).

إن هذا الفهم سقيم عقيم، ويقال لمن ابتلي بهذا الوسواس الخطير أيهما أفضل! إذا خرج المهدي ووجد القاعدة صلبة متينة، ووجد الائتلاف والاعتصام والحب والتواد، ورأى الناس يدًا واحدة فيما بينهم وعلى الأعداء، فهل هذا الجو هو الذي يثمر ملء الأرض عدلاً ورحمةً وقسطًا، أم جو الفرقة والاختصام والكسل؟ مما لا شك فيه أن ظهور المهدي في جو مفعم بصلاح المسلمين والعمل لهذا الدين، يوفر المجهود الجبار الذي يُبذل لإيجاد هذه الثمرة.

فعلينا جميعًا العمل، حتى إذا ما جاء القائد المصلح، وجد معه جنودًا يصلحون لمهمة التمكين، وملء الأرض عدلاً وقسطًا كما مُلئت جورًا وظلمًا.

١٠- النجاة من فتنة الدجال:

إن ما يدل على أن الدجال أعظم فتنة في تاريخ البشرية، تحذير جميع الأنبياء منه.

ولقد جلّى لنا رسولنا محمد ﷺ حقيقة الدجال بأوضح بيان، وآكد برهان، حتى يكون المسلم على حذر منه، وينجو من فتنته العظيمة. وإن الإيمان بقضية الدجال وما يقتضيها من كفره وضلاله وكذبه، يعني إن شاء الله النجاة من إفكه لمن حقق مقتضيات الإيمان به وأثر الإيمان بالدجال، هو العلاج بعون الله لمن أرسى قواعد هذا الاعتقاد في قلبه وذلك بما يلي:

أ- دراسة أمر الدّجّال:

وهذا أمر لا بد منه، إذ كيف يريد المسلم النجاة من فتنة الدجال وهو لا يعرف شيئًا عن هذه العقيدة الخطيرة. إذن، فعلى العبد المسلم أن يعني باهتمام بدراسة أمر الدجال بشيء من التفصيل، حتى تتضح أمامه هذه الحقيقة التي

حذر منها النبيون أجمعهم؛ لأن الدجال يأتي بأمور عظيمة كجنته وناره، وسرعة انتقاله في الأرض، واستعانته بالشياطين، واستجابة الجماد والحيوان لأمره وغير ذلك من هذه الأمور، فإن لم يكن المسلم على دراية بهذه الفتن التي تُساق بإذن الله تعالى على يديه، صار في ريبة وشك من أمره، فإن علم ما يجب عليه تجاهه بدراسة نصوص رسول الله ﷺ، أصبح على بصيرة تامة من أمره، فينجو من غوائله بإذن الله.

لأنه يجد مثلاً أن الرسول ﷺ وصفه بأنه رجل جسيم أحمر جعد الرأس أعور العين كأن عينه عنبة طافية وأنه رجل قصير مكتوب بين عينيه كافر يقرؤها كل مؤمن إلى غير ذلك من هذه الصفات فإذا ما رآه المسلم بهذه الصفات علم يقينًا أنه الدجال الذي أخبر به رسول الله ﷺ. فعند ذلك لن يلتبس عليه أمره، ولن ينخدع بحيله وأباطيله.

ب- تحقيق الإيمان:

عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**وإن الدجال ممسوح العين عليها ظَفَرة غليظة، مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب**»[1].

قال الإمام النووي -رحمه الله-: والصحيح الذي عليه المحققون أن هذه الكتابة على ظاهرها، وأنها كتابة حقيقية جعلها الله آية، وعلامة من جملة العلامات القاطعة بكفره وكذبه، وإبطاله، ويظهرها الله تعالى لكل مسلم كاتب، وغير كاتب، ويخفيها عمن أراد شقاوته وفتنته[2] اهـ.

---

١) مسلم: كتاب الفتن، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه، رقم (٧٢٩٤) (نووي/١٨/٢٦٦).
٢) (شرح النووي على صحيح مسلم/١٨/٢٦٥).

فهذه الكتابة كما ورد في الحديث يقرؤها كل مؤمن كاتب وغير كاتب، أهم شيء تحقيق الإيمان الذي إن وجد عند المسلم استطاع رؤية هذه العلامة الدامغة والقاطعة بكفره. فإن لم يحقق الإيمان كان أهلاً للشقاوة والفتنة أعاذنا الله جميعًا من ذلك.

ج- الاستعاذة منه:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا تشهد أحدكم، فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، من فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال»**[1].

والاستعاذة بالله تعالى من الدجال وفتنته من أعظم أسباب النجاة من شر هذه الفتنة، إذ أن الله تعالى هو المعين والمنجي من كل ضائقة ومصيبة، فإن كان ذلك كذلك، كان الالتجاء إلى الله تعالى والتعوذ به من هذه المصيبة هو من أجلّ آثار الإيمان بالله تعالى. فمن اهتدى بهذا الهدي النبوي، وائتمر بهذا الأمر، كان خليقًا أن يكون من الناجين من هذه الفتنة المضلة.

د- قراءة فواتح سورة الكهف عند رؤيته:

وهذا أيضًا سبب من أسباب النجاة من الدجال وفتنته أن يقرأ المسلم إذا رآه فواتح سورة الكهف، كما أمر بذلك رسول الله ﷺ.

وغير خافٍ على أحد أن هذه القراءة لآيات من كتاب الله، لا بدَّ من أن يصحبها الإيمان القوي، وصدق اللجأ والتوجه إلى الذي بيده كشف الضر،

---

١) سبق تخريجه.

وإزالة الفتنة وأسبابها. عن النواس بن سمعان ﷺ قال: قال رسول ﷺ: «فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف...يا عباد الله فاثبتوا»[1].

"وقد يقال: لم كانت قراءة فواتح سورة الكهف، وخواتمها أمانًا من الدجال؟

قال بعضهم: لأن الله أخبر في طليعة هذه السورة أن الله أمن أولئك الفتية من الجبار الطاغية الذي يريد إهلاكهم، فناسب أن من قرأ هذه الآيات وحاله كحالهم أن ينجيه كما أنجاهم.

وقيل: لأن في أولها من العجائب والآيات التي تثبت قلب من قرأها بحيث لا يفتن بالدجال، ولا يستغرب ما جاء به الدجال، ولم يلهه ذلك، ولم يؤثر فيه"[2].

هـ- مُنجيات أخرى من الدّجّال:

وغير ذلك من الأمور التي ينبغي للمسلم أن يتحصن بها ضد هذا الأفّاك المبين، كاللجوء إلى أحد الحرمين الشريفين بمكة أو المدينة فإن الدجال محرم عليه دخولهما.

وكالفرار منه والبعد عنه كما أمر بذلك رسول الله ﷺ، فإن المرء يأتيه ويحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يرى معه من الشبهات، فكان الأفضل أن ينأى عنه، فإن واجهه فليستعن بالله عند ذلك، ويصدع بالحقّ، ويحسن الحجاج كما وضح ذلك رسول الله ﷺ، وعلى المسلم أيضًا أن يثبت على الحق مهما اشتد

---

١) مسلم: كتاب الفتن، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه، رقم (٧٢٩٩) (نووي/١٨/٢٦٨).
٢) (اليوم الآخر، القيامة الصغرى/٢٤٧).

البلاء، وهذا ما أوصانا به الرسول ﷺ كما سبق بقوله: **«يا عباد الله فاثبتوا»**، وغير ذلك من الأمور التي يوضحها الرسول ﷺ.

١١- التمسك بدين الإسلام:

إن المسلم يزداد تمسكًا بدين الإسلام، ويرضاه منهجًا له، ويثق بما فيه من تعاليم، ويموت عليه إن شاء الله تعالى، وذلك عندما يرى المسلم، نزول عيسى عليه السلام، ويكون نزوله في وقت اصطف فيه المقاتلون المسلمون لصلاة الفجر، وتقدم إمامهم للصلاة، فيرجع ذلك الإمام طالبًا من عيسى عليه السلام أن يتقدم فيؤمهم، فيأبى ويقول له: تقدم فصل ويأتم عيسى عليه السلام به، وفي ذلك تكرمة الله لهذه الأمة.

والسبب في عدم تقدم عيسى عليه السلام للإمامة هو الدلالة على أنه جاءنا تابعًا لهذا النبي ﷺ، حاكمًا بالقرآن لا بالإنجيل، ليس هذا فقط بل يكسر الصليب، وهو رمز النصرانية المحرفة، ويقتل الخنزير الذي حرمه الإسلام، ويضع الجزية، فلا يقبل من اليهود والنصارى الجزية، ولا يقبل منهم إلا الإسلام، ويقاتل الناس على الإسلام، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام.

ويكون عليه السلام حكمًا عادلاً، وإمامًا مقسطًا، ويترك الصدقة، فلا يسعى على شاة ولا بعير، وترفع الشحناء والتباغض، وتملأ الأرض من السلم، كما يملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة، فلا يعبد إلا الله، وتضع الحرب أوزارها، وغير ذلك كثير من صور الأمن والأمان، وجميع ما ذكرته ورد في أحاديث صحيحة ثابتة عن رسول الله ﷺ.

فالمسلم الذي يستقرئ هذه الأخبار وغيرها الواردة عما سينزل به عيسى عليه السلام يزداد ثقة وتمسكًا بهذا الدين العظيم، الذي سيظل حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

هذا بجانب تخليص عيسى عليه السلام المسلمين من الشر المستطير المتمثل في الدجال، فيقتله ويريح المسلمين من فتنته، ويأتي هؤلاء الذين عصمهم الله منه كما ورد عند مسلم فيمسح عن وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة وفي ذلك تثبيت للمسلم على إسلامه حتى يلقى الله ﷻ وهو على ذلك.

١٢- غرس الثقة والأمل بالنصر على الأعداء:

وذلك بحمد الله موجود الآن بين كثير من الدعاة، فتجد أنهم إذا ما أظهروا هذا الضعف الذي انتشر بالمسلمين، وبُعدهم عن دين ربهم، وتكالب الأعداء عليهم من كل حدب وصوب، حتى صرنا أذل أهل الأرض، إذا ما أظهر الدعاة هذا الواقع المر فسرعان ما يقولون، ولكن النصر آت لا محالة، وفجر الله قريب، وأن المنح تولد من المحن، ومن رحم الظلام يخرج النور بإذن الله.

فعندما يعلم العبد المسلم بذلك، ويتأكد له، أن من أشراط الساعة انتصار المسلمين على اليهود، لدرجة أن الحجر الذي يستتر وراءه اليهودي ينادي ويقول يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي ورائي فتعال فاقتله، عندما يعلم المسلم بذلك الانتصار على اليهود، وعلى بني الأصفر وهم النصارى، ويعلم كذلك أن المهدي خارج لا محالة، وسينشر العدل والرحمة بين العباد، ويسود الأمن في جميع أنحاء الأرض.

عندما يعلم المسلم بهذه البشائر وغيرها كثير، يوقن أن الجولة القادمة بإذن الله ستكون للمسلمين، ولن يؤثر فيهم بعون الله ظهور الكفار من يهود ونصارى، إذا ما آمن المسلمون بهذه الأشراط التي ستكون رغمًا عن أنف كل حاقد وحاسد ومرتاب. وبذلك نعلم أن الإيمان بأشراط الساعة، من شأنه أن يغرس الثقة والأمل بالنصر على الأعداء، ويُذهب الهم والغم والقلق الذي يساور كل مسلم من هذا الحال المزري، ويدفعه دفعًا لتحقيق وعد الله الذي لا يخلفه أبدًا.

المطلب الرابع: أثر الإيمان بيوم القيامة على العباد

١- السعادة ووضوح الطريق:

قال الشيخ أحمد فريد -حفظه الله-: الإيمان باليوم الآخر وبما يقتضيه ذلك الإيمان للمسلم العامل يجعل المستقبل مضيئًا أمام المسلم، فهو يأمل في دخول جنة الله ﷻ والسعادة برؤيته، والحصول على رضاه، وكذا صحبة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ويطمع في الخلود في هذا النعيم الأبدي.

بخلاف الكافر بالآخرة، فنهايته الموت ومواراة التراب، ومعاناة الدود كما هو ظاهر بالنسبة إليه، لأنه لا يؤمن بذلك اليوم. فعلى كل حال المؤمن واسع الصدر، المستقبل أمامه فيه اتساع وسرور.

والكافر بالآخرة يعاني الضيق في كل شيء، ضيق الصدر، وضيق الأحوال في الدنيا كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[1] ولله عاقبة الأمور[2] اهـ.

---

١) طه: ١٢٤.

٢) (طريق السعادة/١٥١).

وقال الشيخ الغزالي خليل عيد: الذي كفر بالله والدار الآخرة ونسي أن وراء هذه الدنيا حياة دائمة، وأن بعد هذه الأعمال جزاءً عادلاً وانساق وراء شياطين الإنس والجن: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[1].

فاستباح هتك الحرمات، واحتكم إلى الأهواء والطواغيت، وانطلق في دروب الشهوات والمنكرات، وعاش باغيًا طاغيًا لا يعرف للضعيف حقًا ولا مرحمة، وذليلاً خائفًا لا يعرف لنفسه عزًا ولا كرامة، يخنع ويركع أمام الطاغوت العاتي بقلبه أو بجبهته، ويستعلي على الضعيف المستكين ببغيه وسلطانه وجاهه.

إن هذا المجتمع أشبه بغابة الوحوش، أو حظيرة الحيوان، إنه أحط منها ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾[2].

إن هؤلاء الذين لا يؤمنون بالبعث والجزاء أضرى من الحيوانات الكاسرة، وأشرس من الكلاب المسعورة، يَلِغون في الدماء، ويخوضون في الخبائث والأقذار، ويعتقدون أن هذه هي متعتهم التي إن فاتتهم فلن تستعاض، لأنهم زعموا أن لن يبعثوا، وأن ليس بعد هذه الحياة من حياة: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[3]. اهـ[4].

---

١) الأنعام: ١١٢.
٢) محمد: ١٢.
٣) الأنعام: ٢٩.
٤) (طريق السعادة/١٥٢).

٢- استشعار عظمة الله وقدرته وهيبته:

إذا ما تدبر المسلم في أهوال يوم القيامة حق التدبر أورثه ذلك التفكر، استشعار عظمة الله تعالى حتمًا، واستشعار قدرته وهيبته؛ وذلك لأن يوم القيامة يوم عظيم حقًا، ولو استجمع المسلم فعلاً صور ذلك اليوم جميعها وعاشها بقلبه، والله لطال في هذه الدنيا حزنه، وما استمتع منها بشيء.

إن المسلم عندما ينظر إلى هذا الكون الفسيح وما يحويه من أفلاك على اختلاف أنواعها وعددها لا يملك عندئذٍ إلا أن يقول ربنا ما خلقت هذا باطلاً، لأنه يرى ما لا قبل له بوصفه، ويرى كونًا يستحيل أن يحيط به إلا خالقه لعظمة ذلك المخلوق الهائل، فتصور معي هذا الدمار الشامل الهائل الذي يأتي على جميع هذه المخلوقات العظيمة كما قال تعالى:

﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾[1]، ثم إنها تنفطر، وتتشقق كما قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾[2]، وكقوله تعالى:

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾[3] وعند ذلك تصبح ضعيفة واهية ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾[4].

ويتغير لونها الأزرق الأخّاذ إلى الحُمرة والصُفرة والخُضرة وتارة أيضًا إلى الزُرقة كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾[5]،

---

١) الطور: ٩.
٢) الانفطار: ١.
٣) الانشقاق: ١-٢.
٤) الحاقة: ١٦.
٥) الرحمن: ٣٧.

وانظر إلى تفسير هذه الآية عند ابن كثير -رحمه الله تعالى-: وأما الشمس العظيمة الرهيبة فإنها تُجمع وتُكور، ويذهب ضوؤها كما قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾[1] ويصبح القمر الجميل الذي يتغنى به الشعراء، ويستأنس به المسافرون، مخسوفًا ويذهب ضوؤه كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ * وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾[2] والنجوم تتناثر وينفرط عقدها وتنكدر كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾[4].

إلى غير ذلك من صور الدمار العلوية الفظيعة الرهيبة، ولا يقدر على وصف هذه الصور على حقيقتها إلا الله تعالى.

ويقبض الله تعالى الأرض بيده في يوم القيامة، ويطوي السماوات بيمينه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[5].

وقد أخبرنا تعالى عن كيفية طيه للسماوات بقوله: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ﴾[6].

وهذا شيء من العظمة بمكان، وإن دل على شيء دل على قدرة الله وعظمته سبحانه وتعالى.

---

١) التكوير: ١.
٢) القيامة: ٧-٨.
٣) الانفطار: ٢.
٤) التكوير: ٢.
٥) الزمر: ٦٧.
٦) الأنبياء: ١٠٤.

ثم تأمل في دك الله تعالى للأرض ونسف الجبال، حتى تصبح هذه الأرض الثابتة وما عليها من جبال صم راسية تُحمل في يوم القيامة عندما ينفخ في الصور فتدك دكة واحدة، كما قال تعالى:

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾(١) وعند ذلك تتحول هذه الجبال الصلبة القاسية إلى رمل ناعم كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾(٢) أي تصبح ككثبان الرمل بعد أن كانت حجارة صماء، والرمل المهيل: هذا الذي إذا أخذت منه شيئًا تبعك ما بعده(٣).

وأخبر تعالى في موضع آخر أن الجبال تصبح كالعهن المنفوش ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾(٤)، وغير ذلك مما أخبر الله تعالى به عن صور الجبال في هذا اليوم العظيم كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾(٥) وقوله: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾(٦)، وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾(٧)، وقوله: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾(٨) أي: ظاهرة لا ارتفاع فيها ولا انخفاض، كما قال تعالى:

---

١) الحاقة: ١٣-١٦.
٢) المزمل: ١٤.
٣) اليوم الآخر، القيامة الكبرى/١٠٣.
٤) القارعة: ٥.
٥) التكوير: ٣.
٦) النبأ: ٢٠.
٧) المرسلات: ١٠.
٨) الكهف: ٤٨.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۞ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۞ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾[1].

وغير ذلك من صور هذا الدمار الشامل كتفجير البحار كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾[2]، وقال أيضًا: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾[3] هذه البحار التي تغطي الجزء الأعظم من أرضنا، وتعيش في باطنها عوالم هائلة من الأحياء، وتتهادى فوقها السفن ذاهبة آيبة فإنها تفجّر في ذلك اليوم.

وقد علمنا في هذا العصر الهول العظيم الذي يحدثه انفجار الذرات الصغيرة التي هي أصغر من ذرات الماء، فكيف إذا فجرت ذرات المياه في هذه البحار العظيمة.

عند ذلك تُسجّر البحار، وتشتعل نارًا، ولك أن تتصور هذه البحار العظيمة الهائلة وقد أصبحت مادة قابلة للاشتعال، كيف يكون منظرها واللهب يرتفع منها إلى أجواء الفضاء[4]. إلى غير ذلك من هذه الصور الضخمة التي تحدث بإذن الله تبارك وتعالى.

والمسلم عندما يعيش بحسه هذا الواقع الضخم الكبير ويرى تصرف الله ﷻ في هذه العوالم العتيقة الكبيرة أذعن لقدرة الله تعالى وعظمته، وهابه كما أُمر شرعًا.

---

١) طه: ١٠٥-١٠٧.
٢) الانفطار: ٣.
٣) التكوير: ٧.
٤) (اليوم الآخر، القيامة الكبرى/١٠٤).

إذن، فالإيمان بيوم القيامة وما يحدث فيه من انقلابات كونية، يجعل المسلم يعيش بقلبه أجمل لحظات الإنسان من استشعار العظمة والقدرة والهيبة والإجلال والإكرام وغير ذلك من هذه المعاني الجميلة وما شابهها.

٣- الخوف والوجل من الآخرة:

"وهذا ينتج من الإيمان واليقين بما أتى من النصوص في صفة اليوم الآخر وأهواله، فإذا آمن العبد المسلم بذلك، ورأى عظم هذه الأهوال، وجسامة الانقلاب الكوني يوم القيامة.

وكذلك عندما يشاهد المؤمن بقلبه قدرة الله تعالى على بعث الأجساد بعد فنائها، وإعادة الأرواح إليها، وحساب الناس على كل صغيرة وكبيرة بحيث لا تخفى عليه -سبحانه- منهم خافية، إذا آمن العبد المؤمن بكل ذلك ازداد خوفًا من الله تعالى.

وهذا الخوف من أنفع الأشياء للعبد، لأنه يدفعه إلى فعل الطاعات، واجتناب السيئات، وتحصيل تقوى الله، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾[1].

وهذا الخوف والوجل إنما ينتج من الإيمان بحقيقة اليوم الآخر، والإيمان بالنصوص التي وردت بذكر صفته، وما فيه من الأهوال، فمتى آمن العبد بذلك أورثه ذلك خوفًا ووجلاً من الآخرة، بحيث تشغل باله دائمًا، ويعمل لها ألف حساب، وذلك من أنفع الأمور للعبد المؤمن حيث يجعله سريعًا إلى الطاعة، بطيئًا عن المعصية حريصًا على الخير، وهكذا يصبح المؤمن بالآخرة

---

١) الزمر: ١٦.

إنسانًا تقيًا قائمًا بأمر الله تعالى كما قال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾[1]"[2].

فذكر صفة الحشر وما فيه من أهوال جسام، من ازدحام الخلائق واختلاط الأنفاس، وعري الأجسام وكثرة العرق ودنو الشمس من الخلائق، والعرض على العزيز الجبار، والحساب الدقيق الذي لا يدع شيئًا إلا أتى به ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[3].

وذكر النار وصفتها المفزعة وحال أهل النار فيها، وذكر المرور على الصراط والخوف من السقوط في النار وذكر الميزان وارتعاد الفرائص من أن تثقل كفة السيئات، وذكر الحوض والإشفاق من الطرد عنده، وغير ذلك من الأمور التي إذا ما تذكرها المسلم في هذا اليوم فإنه يشفق من عذاب الله، ويخافه ويرجوه أن ينجيه من تلك الأهوال الشداد العظام.

٤- إحياء معاني الإيمان:

قال الشيخ أحمد فريد -حفظه الله-: الإيمان باليوم الآخر يحيي في النفوس -معاني الإيمان- من الصبر والاحتساب والرضا والعفو والبذل في سبيل الله ﷻ.

والمؤمن يعلم أن الدنيا دار بلاء وليست دارًا للجزاء أو النعيم، فإذا أصيب ببلاء يتعزى بالصبر والاحتساب، ويعلم أن الله ﷻ يوفي الصابرين أجرهم بغير حساب، فيرضى بثواب الله ويسلم لقدر الله، فهو في خير دائم.

---

١) طه: ١١٣.
٢) (العقيدة الميسرة./١١٩-١٢٠).
٣) الزلزلة: ٧-٨.

عن صهيب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له»[1].

وهذا مشاهد بالعيان، فضلاً عن الدليل والبرهان؛ فأهل الدنيا وعباد الشهوات إذا أصيبوا ببلاء كمرض أو سجن أو فقر تراهم في غاية الجزع والهلع لضعف الإيمان بالآخرة، وصعوبة الصبر والاحتساب عليهم، فكيف بالكافر بها؟

وكذا معاني العفو عن الظالم وقبول الأعذار والبذل والإنفاق والتضحية كلما ازداد الإيمان بالآخرة ازدادت هذه العبادات وضوحًا.

ولذا كان الصحابة رضي الله عنهم قادة وأئمة يُقتدى بهم في البذل والإنفاق والتضحية والعفو، فهذه صفات المحسنين المتقين المؤمنين باليوم الآخر[2] اهـ.

وكذلك فإن المؤمن كلما تذكر يوم القيامة وما انطوى عليه من أهوال خشع وخضع وذلت رقبته، وانهمرت دمعته، وأشفق من عذاب الله أن يصيبه، وصار عند ذلك رقيق القلب، سريع الدمع، سريع الطاعة، بطيء المعصية.

وكلما أعمل فكره في هذا اليوم العصيب أحيا الله عنده جميع معاني الإيمان من توبة، وانكسار، واستغفار، وإخبات، وغير ذلك من هذه المعاني وما شابهها كثير مع ما سبق بيانه. كل ذلك وغيره من أثر الإيمان باليوم الآخر، وما فيه من أمور يشيب منها رأس الوليد، نسأل الله جميعًا أن يوجد فينا هذه المعاني

---

١) مسلم: كتاب الزهد، باب: المؤمن أمره كله خير، رقم (٧٤٢٥) (نووي/١٨/٣٢٥).
٢) (طريق السعادة/١٥٠).

ويحييها، وأن يثبتنا في هذا اليوم العظيم، وأن يمن علينا بالعفو والمغفرة إنه على كل شيء قدير.

٥- الزهد في الدنيا:

قال الشيخ أحمد فريد -حفظه الله-: ومن ثمرات اليقين بالآخرة كذلك، الزهد في الدنيا، وعدم تعلق القلب بها، وإنما ينشأ الزهد للعلم بأن الآخرة خير وأبقى من الدنيا، فالزهد هو الرغبة عن الشيء لاستحقاره واستقلاله والرغبة فيما هو خير منه.

فكلما ازداد اليقين بالتفاوت بين الدنيا والآخرة، وأن الدنيا كقطعة الثلج رخيصة الثمن سريعة الذوبان، والآخرة كالجوهرة غالية الثمن باقية تشتد الرغبة في الآخرة.

والزهد في الدنيا يجعل العبد أعلى من شهواتها، فلا يفرح بها إذا أقبلت، ولا يحزن عليها إذا أدبرت، لأن همّه الآخرة، وليس الدنيا.

قيل لبعض السلف: كيف يكون الغنى زهدًا؟ قال: إذا كان لا يفرح بزيادة ماله، ولا يحزن من نقصه، فهو زاهد[١] اهـ.

وكيف لا يزهد العبد المسلم في الدنيا والرسول ﷺ يقول: **«الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»**[٢]؟!

والآثار في المقارنة بين الدنيا والآخرة كثيرة، ومفادها أنها لا تساوي شيئًا بجانب مباهج الآخرة. وعندما يعلم المسلم أنه في الآخرة سيحاسب على

---

١) (طريق السعادة/١٥٠، ١٥١).
٢) مسلم: كتاب الزهد، باب: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، رقم (٧٣٤٣) (نووي/١٨/٢٩٤).

الصغير والكبير يتولد عنده الخوف مما بين يديه، وسيتخفف منها بقدر ما يستطيع، وسيجعل زاده منها كزاد الراكب كما أوصى بذلك رسول الله ﷺ.

٦- إيتاء الزكاة:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾[١]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»[٢]...

وانظر في الحديث أيضًا الوعيد الذي ينتظر مانع زكاة الإبل، والبقر والغنم وغير ذلك. وإن هذا الوعيد الشديد، وهذا التخويف والتهديد، يجعل المسلم يسارع إلى إيتاء الزكاة حتى ينجو من عذاب الله.

٧- ترك الكبر:

قال تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[٣].

---

١) التوبة: ٣٤-٣٥.
٢) مسلم: كتاب الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة، رقم (٢٢٨٧) (نووي/٧/٦٧).
٣) القصص: ٨٣.

"يخبر تعالى، أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول، جعلها لعباده المؤمنين الذين لا يريدون ترفعًا على خلق الله، وتعاظمًا عليهم وتجبرًا بهم، ولا فسادًا عليهم، فهؤلاء هم الذين غرس الله كرامتهم بيده، وصنعهم على عينه، وأعد لهم في الفردوس الأعلى ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"[1].

عن عبدالله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»** قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنًا، قال: **«إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس»**[2].

وغير ذلك من الأحاديث كثير يحذر المسلم العاقل من الكبر، فالعبد التقي هو الذي ينزجر وينتهي عن هذا الخلق الذميم، حتى لا يعذب به في النار، وحتى يحقق الإيمان قولاً وعملاً.

٨- ترك الإسبال والكذب والمنّ:

عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم»** قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرار. قال أبو ذر: خابوا وخسروا. من هم يا رسول الله؟ قال: **«المُسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»**[3].

---

١) (بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين/١/٦٦٤).
٢) مسلم: كتاب الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه، رقم (٢٦١) (نووي/٢/٢٧٤).
٣) مسلم: كتاب الإيمان، باب: بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف...رقم (٢٨٩) (نووي/٢/٢٩٧).

وهذه الأمور الثلاثة قد ابتلي بها كثير من الناس في هذا العصر، أما الإسبال فقد تهاون فيه كثير من الأخيار بل وإن منهم العالم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأقصد بالعالم، العالم بالعلم الشرعي، تجده دكتورًا أو أستاذًا، وقد ارتدى زيه الرسمي ويمشي وهو يجره وراءه أو كاد، والعوام يحتجون بهؤلاء على أن هذه السنة ليست بكبير شيء، وأن الإسبال لا حرمة فيه، ويلوون أعناق النصوص، اتباعًا للهوى.

وأما المن فأمره شديد كذلك وقد قال الله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[1] والمن يتضمن الأذى كما في الآية، والمانّ يبطل صدقته بمنّه، وهذه الظاهرة قد تفشت أيضًا في المجتمع المسلم.

ولا فرق بين الذي يعطي ويَمُنّ بعطيته، وبين الذي ينفق ماله رئاء الناس ليقال عنه جواد وسخي وهذا الصنف من أول من تسعّر بهم النار والعياذ بالله.

وكذلك الكذب جرمه أكبر، فالمؤمن لا يكذب أبدًا، فإذا كذب نقص إيمانه، فإذا جمع مع الكذب الحلف باطلاً كان أشد، وهذه الظاهرة وهي الكذب، أو الحلف الكاذب من أجل إنفاق سلعة، فيكون قد ارتكب جُرمين،

---

١) البقرة: ٢٦٤.

الجُرم الأول الحلف الكاذب، والجرم الثاني: أكل مال من حلف له بغير حق، أقول هذه الظاهرة قد سارت في صفوف المسلمين سير النار في الهشيم.

من أجل ما ذكر وغير ذلك، فإن هؤلاء الثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، وهذا والله هو الخسران المبين.

والمسلم التقي النقي ينزجر عن هذه الذنوب عندما يسمع هذا التنكيل بهؤلاء العصاة، وإن ابتلي مرة بذنب من هذه الذنوب سارع بالتوبة إلى علام الغيوب، حتى لا يندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

٩- الترهيب من الغدر:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، يُرفَعُ لكل غادر لواء، فقيل: هذه غدرة فلان بن فلان»**[١].

قال الإمام النووي رحمه الله: الغادر: الذي يواعد على أمر ولا يفي به. واللواء: الراية ا لعظيمة، لا يمسكها إلا صاحب جيش الحرب، أو صاحب دعوة الجيش ويكون الناس تبعًا له[٢] اهـ.

فالغادر ترفع له راية تسجل عليها غدرته، فيفضح بذلك يوم القيامة، وتجعل هذه الراية عند مؤخرته.

عن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لكل غادر لواء عند إسته يوم القيامة»**[٣].

---

١) مسلم: كتاب الجهاد، باب: تحريم الغدر، رقم (٤٥٠٤) (نووي/١٢/٢٦٩).
٢) (شرح النووي على صحيح مسلم/١٢/٢٧١).
٣) مسلم: كتاب الجهاد، باب: تحريم الغدر، رقم (٤٥١٢) (نووي/١٢/٢٧١).

وجعل اللواء عند مؤخرته أبلغ في فضيحته، والمسلم يكون وقع هذه الأحاديث عليه شديدًا، فيحذر من الغدر كل الحذر، حتى لا يفضح ويشهّر به على رؤوس الأشهاد يوم القيامة.

١٠- الترهيب من غصْب الأرض:

عن موسى بن عُقبة عن سالم عن أبيه ﷺ قال: قال النبي ﷺ: **«من أخذ من الأرض شيئًا بغير حقه خُسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين»**[١].

وهذه الظاهرة قد انتشرت اليوم بصورة تدعو إلى التحذير منها بهذا الحديث وغيره، وتجدها منتشرة بين الأثرياء وأصحاب المناصب بصورة يلحظها غالب الناس، والأمر إذا وُسّد إلى غير أهله استفحلت تلك المصائب التي عصفت بأموال المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

إلى هذه الفئة الطاغية هذا الحديث السابق، عسى أن ينزجروا عندما يعلمون أن غاصب الأرض يُخسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين، عسى أن يتوب الغاصب من غصبه إذا ما علم ذلك، وهذا من مقتضى الإيمان بيوم القيامة وأهواله العظام.

---

١) البخاري: كتاب المظالم، باب: إثم من ظلم شيئًا من الأرض، رقم (٢٤٥٤) (فتح/٥/١٣٠).

١١- الأمن التام من فزع يوم القيامة[١] :

وهذا يكون لأهل التوحيد الكامل فإنهم لا يفزعون يوم القيامة عندما يفزع الناس، ولا يحزنون عندما يحزن الناس، وأولئك هم أولياء الرحمن الذين آمنوا بالله، وعملوا بطاعة الله استعدادًا لذلك اليوم، فيؤمنهم الله في ذلك اليوم، وعندما يبعثون من القبور تستقبلهم ملائكة الرحمن تهدئ من روعهم، وتطمئن قلوبهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۞ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَـٰلِدُونَ ۞ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٢]، والفزع الأكبر، هو ما يصيب العباد عندما يبعثون من القبور، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾[٣].

ففي ذلك اليوم ينادي منادي الرحمن أولياء الرحمن مطمئنًا لهم

﴿يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۞ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾[٤].

وقال في موضع آخر:

---

١) (اليوم الآخر، القيامة الكبرى/١٥٧-١٥٨).
٢) الأنبياء: ١٠١-١٠٣.
٣) إبراهيم: ٤٢.
٤) الزخرف: ٦٨-٦٩.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1].

والسر في هذا الأمن الذي يشمل الله به عباده الأتقياء، أن قلوبهم كانت في الدنيا عامرة بمخافة الله، فأقاموا ليلهم، وأظمؤوا نهارهم، واستعدوا ليوم الوقوف بين يدي الله، فقد حكى عنهم ربهم أنهم كانوا يقولون: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾[2].ومن كان حاله كذلك فإن الله يقيه من شر ذلك اليوم ويؤمنه: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾[3].

وكلما كان العبد أكثر إخلاصًا لربه تبارك وتعالى كان أكثر أمنًا في يوم القيامة، فالموحدين الذين لم يلبسوا إيمانهم بشيء من الشرك، لهم الأمن التام يوم القيامة، يدلك على هذا جواب إبراهيم عليه السلام لقومه عندما خوّفوه بأصنامهم، فأجابهم قائلا: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[4].

---

١) يونس: ٦٢-٦٤.
٢) الإنسان: ١٠.
٣) الإنسان: ١١-١٢.
٤) الأنعام: ٨١-٨٢.

١٢- اجتناب الذنوب والكبائر جميعها:

إن الذي يؤمن بيوم القيامة وأهواله يجب عليه أن يتوب من جميع المعاصي والذنوب، يجتنب الصغائر قبل الكبائر، يغسل قلبه بالتوبة النصوح الشاملة لجميع الذنوب صغيرها وكبيرها، قبل أن يعاينها في كتاب لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فهو يوم عظيم الهول حقًا، وسيجد العاصي في هذا اليوم جميع ما قدمت يداه قال تعالى:﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[١].

وإن أصحاب الذنوب يعذبون بذنوبهم في هذا اليوم العظيم، إن كان الذي يكثر شبعه في الدنيا يجوع يوم القيامة، فما هو القول في أصحاب الكبائر والذنوب؟!! فالزنا، واللواط، والسرقة، والغيبة والنميمة، وذو الوجهين، والحاكم الذي يحتجب عن رعيته، والذي يسأل الناس وعنده ما يغنيه، والذي يبصق تجاه القبلة، والذي يكذب في حلمه، والذي يُرائي الناس بعمله، والذي لا يعود المرضى، وكذا من لم يتصدق، ومن يظلم الناس بأي أنواع الظلم كان وكذا من يمتنعون من الهجرة، والجائرون في الحكم، والكذب على الرسول ﷺ، وقتل النفس بغير حق، وأكل الربا، والمصورون، والركون إلى الظالمين، والكاسيات العاريات، والذين يعذبون الحيوان، وعدم الإخلاص في طلب العلم والجهاد والتصدق، والذين يشربون في آنية الذهب والفضة، والذي يقطع السدر الذي يظل الناس، والانتحار، فكل هذه المعاصي والكبائر ورد في الأحاديث الصحيحة أن أصحابها يعذبون في يوم القيامة، وهناك كثير من الكبائر يصعب حصرها يعذب أصحابها في هذا اليوم الرهيب.

---

١) الزلزلة/٧-٨.

والإيمان بهذا اليوم، يجعل المسلم يجتنب ما ذكر من المعاصي، حتى لا يعذب بها في نار وقودها الناس والحجارة، وحتى يحقق الإيمان قولاً وعملاً، ويستفيد من توحيده الذي يوحد به ربه تبارك وتعالى، ويجعل ما يعتقده نبراسًا يضيء له الطريق، حتى لا يضل مع من ضلوا، ويسلك درب الصالحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. وهذا من أعظم ثمرات الإيمان بيوم القيامة وأهواله.

١٣- فعل الطاعات بجميع أنواعها:

عندما يعلم العبد المسلم أنه يجازى يوم القيامة بالإحسان إحسانًا وبالتوبة عفوًا وغفرانًا، يجتهد في فعل الطاعات التي تقربه إلى رب الأرض والسماوات، وامتنع من كل ما يغضب ربه مهما كان، وذلك لأنه آمن بالميزان، وبالحساب، فمتى ما فعل طاعة وجدها في ميزانه.

وإن الذي يزداد من فعل الطاعات، يزداد شوقًا إلى الجنات، ويحنُّ إليها، وذلك لم يعلمه من صور النعيم كله منها، وهذا الشوق وحده يجعله دائمًا حريصًا على الطاعة حتى يدخل الجنة. فالإمام العادل، والشاب الذي نشأ في عبادة ربه، وباقي من ذكروا في هذا الحديث المشهور، والذين ييسرون على المعسرين، والذين يسعون في حاجة إخوانهم ويسدون خلتهم، والذين يعدلون في حكمهم، والشهداء والمرابطون، والكاظمون للغيظ، وعتق الرقاب المسلمة، والذين يشيبون في الإسلام، والوضوء، والذين لا يرقون ولا يسترقون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون، وغير ذلك من الطاعات كثير، وورد في الأحاديث الصحيحة أن أهلها ينعمون بتلك الطاعات في يوم القيامة، وعند دخول الجنة.

فهكذا ينبغي أن يكون معنى الإيمان بيوم القيامة وما فيه من نعيم، يحض صاحب هذه العقيدة على الإتيان بما فيه سعادته في الدنيا والآخرة.

الفصل السادس

الإيمان بالقضاء والقدر

تمهيد:

المبحث الأول: تعريف القضاء والقدر

المبحث الثاني: إثبات الإيمان بالقضاء والقدر

المبحث الثالث: أهمية الإيمان بالقضاء والقدر

المبحث الرابع: مراتب القضاء والقدر وأركانه

المبحث الخامس: الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي أو ترك الواجبات

المبحث السادس: مجمل اعتقاد أهل السنة في القدر

المبحث السابع: النهي عن التعمق في القدر

المبحث الثامن: أثر الإيمان بالقضاء والقدر على العباد

الفصل السادس

الإيمان بالقضاء والقدر

تمهيد

يقول الشيخ خالد فوزي -حفظه الله-:

الإيمان بالقدر من أصول الإيمان، ونظام التوحيد، وأس العقيدة، ولا يتم إيمان المؤمن إلا بالإيمان بالقدر.

والإيمان بالقدر يعني الإيمان بأن الله سبحانه، علم ما كان وما يكون، وأنه كتب في اللوح المحفوظ كل شيء إلى يوم القيامة، ويقتضي الإيمان بالقدر كذلك: الإيمان بعموم مشيئة الرب سبحانه، وربوبيته التامة والمستلزمة قدرته على كل شيء، فلا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، يضل من يشاء ويهدي من يشاء.

وإذا آمن المؤمن بذلك، فلا بد أن يتبعه إيمان بشرع الله وأمره، إذ أن الإيمان بالقدر يستلزم الإيمان بالشرع فلو صار هناك غلو في أحد الطرفين لكان على نقص من الآخر ولهذا نجد أهل الباطل، إنما نظروا بعين عوراء، فآمنوا بشيء دون شيء، فأداهم هذا النظر إلى الانحراف والضلال، ثم إنهم بنظرهم القاصر انقسموا إلى أقسام:

فقسم عظم الرب وأثبت عموم علمه ومشيئته، وأعرض عن الشرع وأوامره، فأداهم ذلك الفهم إلى الجبر، وهؤلاء هم الجبرية، الذين لا يقيمون للشرع وزنًا، ومنهم المشركية.

وقسم عظم أوامر الشرع إلا أنه أغفل علم الرب سبحانه ومشيئته، فوقع في نفي القدر، وهؤء هم القدرية المجوسية. وقسم أقر بالأمرين وجعل ذلك تناقضًا في الرب، فقد شابه في ذلك إمامه إبليس، وهم الإبليسية الملعونة، وكل هؤلاء ضالون مخالفون للسنة والكتاب. وأهل الحق نظروا بعينين، فعرفوا الحق واتبعوه.

وقد أمرنا الله سبحانه بالإيمان بالقدر والالتزام بالشرع، ولم يأمرنا أن نجمع بعقولنا وفهمنا بين الأمرين، ونقول كيف قدر الله وأمر؟ أو كيف خلق ويعذب؟

بل هذا من الأمور التي لم يطلعنا الرب عليها، ولم يكلفنا بها، فإذا أيقنا أن الله تعالى حكمٌ عدلٌ عليمٌ حكيم، فيكفينا هذا، ولا ننازع الله في ربوبيته، ولا نتطاول على شرعه، فالقدر له سر لم يطلع الله أحدًا عليه لا نبيًا ولا رسولاً ولا ملكًا، فعامة من ضلَّ في هذا الباب، إنما هو من محاولة الجمع بين الشرع والقدر، إذ لم تعرف عقولهم ذلك، فصاروا يتخبطون خبط عشواء تارة مع هؤلاء، وتارة مع هؤلاء[1] اهـ.

---

١) (تقريب وترتيب شرح العقيدة الطحاوية/٢/١٠٢٠، ١٠٢١).

المبحث الأول

تعريف القضاء والقدر

المطلب الأول: تعريف القدر:

التعريف اللغوي:

القدر في اللغة: هو القضاء والحكم ومبلغ الشيء، والتقدير التروية والتفكر في تسوية الأمر.

التعريف الاصطلاحي:

والقدر في الاصطلاح: هو ما سبق به العلم، وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد، وأنه ﷻ قدّر مقادير الخلائق، وما يكون من الأشياء قبل ان تكون في الأزل، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها.

والقدر يشمل أمرين:

الأول: علم الله الأزلي الذي حكم فيه بوجود ما شاء أن يوجده، وحدد صفات المخلوقات التي يريد إيجادها، وقد كتب كل ذلك في اللوح المحفوظ بكلماته، فالأرض والسماء أحجامهما وأبعادهما، وطريقة تكوينهما، وما بينهما، وما فيهما، كل ذلك مدون في اللوح المحفوظ تدوينًا دقيقًا وافيًا.

والثاني: إيجاد ما قدر الله إيجاده على النحو الذي سبق علمه، وجرى به قلمه، فيأتي الواقع المشهود مطابقًا للعلم السابق المكتوب. والقدر يطلق ويراد به التقدير السابق لما في علم الله، ويطلق ويراد ما خلقه وأوجده على النحو الذي علمه[1] اهـ.

---

١) (القضاء والقدر/٢٥-٢٦) للأشقر.

المطلب الثاني: تعريف القضاء:

التعريف اللغوي:

القضاء في اللغة هو الحكم والصنع، والحتم، والبيان، وأصله القطع، والفصل، وقضاء الشيء، وإحكامه، وإمضاؤه، والفراغ منه، فيكون بمعنى الخلق[1].

التعريف الاصطلاحي:

وأما القضاء: فهو ما قضى به الله سبحانه وتعالى في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير[2].

الفرق بين القضاء والقدر:

قال الدكتور: عبدالرحمن بن صالح المحمود -حفظه الله- بعد أن ذكر انقسام العلماء في التفريق بين القضاء والقدر ونقل أقوالهم قال: هذه هي أهم الأقوال في الفرق بين القضاء، ونخلص منها إلى ما يلي:

١- الذين فرقوا بينهما ليس لهم دليل واضح من الكتاب والسنة يفصل في القضية.

٢- عند إطلاق أحدهما يشمل الآخر، وهذا يوحي بأنه لا فرق بينهما في الاصطلاح، ولذا فالراجح أنه لا فرق بينهما.

١) (الإيمان بالقضاء والقدر/١٦) لمحمد بن إبراهيم الحمد.
٢) (شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين/٥٣٩).

٣- ولا فائدة من هذا الخلاف، لأنه قد وقع الاتفاق على أن أحدهما يطلق على الآخر، وعند ذكرهما معًا فلا مشاحة من تعريف أحدهما بما يدل عليه الآخر، والله أعلم[1] اهـ.

---

١) (القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة../٤٤).

المبحث الثاني

إثبات الإيمان بالقضاء والقدر

المطلب الأول: من القرآن:

قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾[2]. وقال تعالى: ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَـٰمُوسَىٰ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[4]. وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[5].

المطلب الثاني: من السنّة:

١- عن أبي هريرة ﷺ قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ﴾[6].

---

١) القمر: ٤٩.
٢) الأحزاب: ٣٨.
٣) طه: ٤٠.
٤) التغابن: ١١.
٥) الحديد: ٢٢.
٦) مسلم: كتاب القدر، باب: كل شيء بقدر، رقم (٦٦٩٤) (نووي/١٦/٤٢١).

٢- عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره من الله، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه»**[١].

٣- قال رسول الله ﷺ: **«إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها مَلَكًا، فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يا رب! أذكر أم أنثى! فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب أجَلُه، فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب رزقه، فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده، فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص»**[٢].

٤- عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«كل شيء بقدر، حتى العَجْز والكَيْس، أو الكيس والعجز»**[٣].

قال القاضي -رحمه الله-: يحتمل أن العجز هنا على ظاهره وهو عدم القدرة، وقيل هو ترك ما يجب فعله والتسويف به وتأخيره عن وقته، قال: ويحتمل العجز عن الطاعات، ويحتمل العموم في أمور الدنيا والآخرة. والكيس: ضد العجز، وهو النشاط والحذق بالأمور[٤] اهـ.

---

١) صحيح: أخرجه الترمذي: كتاب القدر، باب: ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم (١٧٤٣) والصحيحة رقم (٢٤٣٩).

٢) مسلم: كتاب القدر، باب: كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه... رقم/٦٦٦٨) (نووي/١٦/٤٠٩).

٣) مسلم: كتاب القدر، باب: كل شيء بقدر، رقم (٦٦٩٣) (نووي/١٦/٤٢٠).

٤) (شرح النووي على صحيح مسلم/١٦/٤٢٠، ٤٢١).

المطلب الثالث: الإجماع، الفطرة، العقل، الحس[1].

أولاً: الإجماع:

فقد أجمع المسلمون على وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره من الله.

ثانيًا: دلالة الفطرة:

فإن الإيمان بالقدر أمر معلوم بالفطرة قديمًا وحديثًا، ولم ينكره إلا الشواذ من المشركين من الأمم، ولم يقع الخطأ في نفي القدر وإنكاره، وإنما وقع في فهمه على الوجه الصحيح.

ولهذا قال –سبحانه– عن المشركين: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾[2]، فهم أثبتوا المشيئة لله لكنهم احتجوا بها على الشرك، ثم بين –سبحانه– أن هذا هو شأن من كان قبلهم، كما في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾[3]، وكانت العرب في الجاهلية تعرف القدر ولا تنكره، ولم يكن هناك من يرى أن الأمر مستأنف. وهذا ما نجده مثبوتًا في أشعارهم، كما في قول عنترة:

يا عبل أين من المنية مهربي   إن كان ربي في السماء قضاها

كما نجد ذلك أيضًا في خطبهم، كما في قول هانئ بن مسعود الشيباني في خطبته المشهورة في يوم ذي قار: "إن الحذر لا ينجي من القدر"، ولم يقل أحد منهم بنفيه إطلاقًا، كما صرح بذلك أحد كبار علماء العربية وهو أبو العباس أحمد بن يحي بن تغلب بقوله: لا أعلم عربيًا قدريًا، قيل له: يقع في قلوب

---

١) (الإيمان بالقضاء والقدر/٣٦-٣٩).
٢) الأنعام/ ١٤٨.
٣) الأنعام/ ١٤٨.

العرب القول بالقدر؟ قال: معاذ الله، ما في العرب إلا مثبت القدر خيره وشره، أهل الجاهلية والإسلام، وكلامهم كثير بين، ثم أنشد:

تجري المقادير على غرز الإبر ما تنفذ الإبرة إلا بقدر

ثالثًا: دلالة العقل:

فهي: أن العقل الصحيح يقطع أن الله هو خالق هذا الكون، ومدبره ومالكه، ولا يمكن أن يوجد على هذا النظام البديع، والتناسق المتآلف، والارتباط الملتحم بين الأسباب والمسببات هكذا صدفة، إذ الموجود صدفة ليس له نظام في أصل وجوده، فكيف يكون منتظمًا حال بقائه وتطوره؟

فإذا تقرر عقلاً أن الله هو الخالق لزم ألا يقع شيء في ملكه إلا وقد شاء وقدره. ثم إن تفاصيل القدر لا ينكرها العقل، بل هي مما يتفق معه تمام الاتفاق.

رابعًا: دلالة الحس:

فنحن نشاهد ونسمع، ونقرأ أن الناس تستقيم أمورهم بالإيمان بالقضاء والقدر، فالمؤمنون به حقًا هم أسعد الناس وأصبرهم، وأشجعهم، وأكرمهم وأكملهم، وأعقلهم، ولو لم يكن الإيمان بالقدر حقًا لما حصل لهم ذلك.

ثم إن القدر هو نظام التوحيد، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما، والتوحيد هو نظام الحياة، فلا تستقيم حياة الناس استقامة حقيقية إلا بالتوحيد. والتوحيد لا يستقيم إلا بالإيمان بالقضاء والقدر.

المبحث الثالث

أهمية الإيمان بالقضاء والقدر[1]

للإيمان بالقدر أهمية كبرى بين أركان الإيمان، يدركها كل من له إلمام ولو يسير بقضايا العقيدة الإسلامية وأركان الإيمان، ولذلك ورد التنصيص في السنة النبوية على وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره. وترجع أهمية هذا الركن ومنزلته بين بقية أركان الإيمان إلى عدة أمور:

الأول: ارتباطه مباشرة بالإيمان بالله -تعالى- وكونه مبنيًا على المعرفة الصحيحة بذاته -تعالى- وأسمائه الحسنى، وصفاته الكاملة الواجبة له -تعالى- وقد جاء في صفاته سبحانه صفة العلم، والإرادة، والقدرة، والخلق، ومعلوم أن القدر إنما يقوم على هذه الأسس، "وعلى هذا الأساس قامت عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر، فكان الإيمان مبنيًا بهما متممًا للإيمان بالله تعالى وبصفاته، وعنصرًا من حقيقته المشرقة"[2].

ولا شك أن الإقرار بتوحيد الله وربوبيته لا يتم إلا بالإيمان بصفاته -تعالى- فمن زعم أن هناك خالقًا غير الله -تعالى- فقد أشرك، والله تعالى خالق كل شيء، ومن ذلك أفعال العباد.

ولهذا يُروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "القدر نظام التوحيد، فمن وحّد الله، وكذب بالقدر، نقض تكذيبه توحيده".

---

١) (القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه/٨٣-٨٥).
٢) (مع الله في صفاته وأسمائه الحسنى/١١٦).

ولهذا السبب -والله أعلم- لم يذكر ركن الإيمان بالقدر في كتاب الله تعالى مع بقية أركان الإيمان كما ورد في السنة، لأن الإيمان بالقدر، هو إيمان بربوبيته وأسمائه وصفاته. ومراتب القدر الأربع[1] هي صفات لله تعالى.

الثاني: حين تنظر إلى هذا الكون ونشأته، وخلق الكائنات فيه، ومنها هذا الإنسان، نجد أن كل ذلك مرتبط بالإيمان بالقدر، والإنسان يوجد على هذه الأرض، وينشأ تلك النشأة الخاصة، ويعيش ما شاء الله في حياة متغيرة، فيها الصحة والسقم، والغنى والفقر، والقوة والضعف، والنعم والمصائب، والفرح والحزن ... وينظر الإنسان من حوله، فيرى تفرق هذه الصفات على الناس، وعلى الجماعات والدول...، ينظر إلى كل ذلك فلا يجد المخرج إلا في العقيدة الصحيحة، وعلى رأسها الإيمان بالقدر.

الثالث: والإيمان بالقدر هو المحل الحقيقي لمدى الإيمان بالله تعالى على الوجه الصحيح، وهو الاختبار القوي لمدى معرفة الإنسان بربه تعالى، وما يترتب على هذه المعرفة من يقين صادق بالله، وبما يجب له من صفات الجلال والكمال، وذلك لأن القدر فيه من التساؤلات والاستفهامات الكثيرة لمن أطلق لعقله المحدود العنان فيها.

وقد كثر الاختلاف حول القدر، وتوسع الناس في الجدل والتأويل لآيات القرآن الواردة بذكره. بل وأصبح أعداء الإسلام في كل زمن يثيرون البلبلة في عقيدة المسلمين عن طريق الكلام في القدر ودسّ الشبهات حوله.

---

١) انظر المبحث التالي.

ومن ثم أصبح لا يثبت على الإيمان الصحيح، واليقين القاطع إلا من عرف الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، مسلمًا الأمر لله، مطمئن النفس، واثقًا بربه تعالى فلا تجد الشكوك والشبهات إلى نفسه سبيلاً، وهذا ولا شك أكبر دليل على أهمية الإيمان به بين بقية الأركان.

سؤال مهم[1]

قد يتساءل البعض فيقول: إذا كان الإيمان بالقدر بهذه الأهمية، فلماذا لم يرد النص على وجوب الإيمان به في القرآن الكريم مع بقية الأركان المذكورة؟

الجواب: أنه لم يرد النص عليه في القرآن، لكونه داخلاً في ركن الإيمان بالله وملتصقًا به، بل هو جزء منه، وعلى هذا فقد ورد ذكر القدر في القرآن ضمن بيان التوحيد.

---

١) (مبادئ الإسلام/٨).

المبحث الرابع

مراتب القضاء والقدر أو أركانه[1]

الإيمان بالقدر يقوم على أربعة أركان، من أقرّ بها جميعًا، فإن إيمانه بالقدر يكون مكتملاً، ومن انتقص واحدًا منها أو أكثر فقد اختل إيمانه بالقدر، وهذه الأركان الأربعة هي: الإيمان بعلم الله الشامل المحيط، والإيمان بكتابة الله في اللوح المحفوظ لكل ما هو كائن إلى يوم القيامة، والإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته التامة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وخلقه تبارك وتعالى لكل موجود، لا شريك لله في خلقه.

المرتبة الأولى: العلم:

وهو الإيمان بأن الله عالم بكل شيء جملة وتفصيلاً، أزلاً، وأبدًا، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله، أو بأفعال عباده، فعلمه محيط بما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، ويعلم الموجود، والمعدوم، والممكن والمستحيل، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، وقد عَلِمَ جميع خلقه قبل أن يخلقهم، فعلم أرزاقهم، وآجالهم، وأقوالهم، وأعمالهم، وجميع حركاتهم وسكناتهم وأهل الجنة وأهل النار.

---

١) (الإيمان بالقضاء والقدر/٤٥-٥٠) لمحمد الحمد (الثمرات الزكية في العقائد السلفية/٢٢٤-٢٣٨) (القضاء والقدر/٢٩-٣٦) للأشقر (القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة../٥٥-٨٣) (التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة/٧٥-٨٠) (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل/١/١٣٣-٢٢٦) (رسائل في العقيدة لابن عثيمين/٣٧) (شرح العقيدة الواسطية/١٥٠-١٥٦) للفوزان.

وهذه المرتبة وهي العلم السابق عليها الرسل من أولهم إلى آخرهم، واتفق عليها جميع الصحابة، ومن تبعهم من هذه الأمة، وخالفهم مجوس هذه الأمة القدرية الغُلاة.

والله سبحانه وتعالى قد علم قبل أن يوجد أحوالهم وما هم عاملون، وما هم إليه صائرون، ثم أخرجهم إلى هذه الدار ليظهر معلومه الذي علمه فيهم كما علمه، وابتلاهم من الأمر والنهي والخير والشر بما أظهر معلومه، فاستحقوا المدح والذم، والثواب والعقاب بما قاموا به من الأفعال والصفات المطابقة للعلم السابق، ولم يكونوا يستحقون ذلك وهي في علمه قبل أن يعلموها فأرسل رسله، وأنزل كتبه وشرع شرائعه، إعذارًا إليهم وإقامة للحجة عليهم، لئلا يقولوا كيف تعاقبنا على علمك فينا، وهذا لا يدخل تحت كسبنا وقدرتنا.

فلما أظهر علمه فيهم بأفعالهم جعل العقاب على معلومه الذي أظهره الابتلاء والاختبار، وكما ابتلاهم بأمره ونهيه، ابتلاهم بما زين لهم في الدنيا، وبما ركب فيهم من الشهوات، فذلك ابتلاء بشرعه وأمره، وهذا ابتلاء بقضائه وقدره.

أدلة هذه المرتبة من الكتاب والسّنة:

أولاً: من الكتاب:

١- قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[1].

ومفاتح الغيب فسرها رسول الله ﷺ بأنها خمس لا يعلمها إلا الله وهي المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾[2].

٢- وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾[3] أي: السر والعلانية، أو الدنيا والآخرة، أو المعدوم والموجود.

٣- وقال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾[4].

---

١) الأنعام: ٥٩.
٢) لقمان: ٣٤، والحديث رواه البخاري: كتاب التفسير، باب: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ رقم (٤٦٢٧) (فتح/٨/٣٧٠).
٣) الحشر: ٢٢.
٤) الطلاق: ١٢.

فلا يخرج عن علمه شيء منها كائنًا ما كان، فإحاطته سبحانه بكل شيء علمًا يدل على ثبوت صفة العلم المتصف به أزلاً، والشامل لكل شيء.

٤- وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾[١]، فالآية نص في إثبات العلم الشامل لله تعالى.

٥- وقال تعالى: ﴿عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾[٢].

وغيرذلك من الآيات كثير.

ثانيًا: من السّنة:

١- عن علي ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالسًا وفي يده عود ينكت به، فرفع رأسه فقال:«ما منكم من نفس إلا وقد عُلِمَ منزلها من الجنة والنار» قالوا: يا رسول الله! فلم نعمل؟ أفلا نتكل؟ قال:«لا، اعملوا، فكل مُيَسَّرٌ لما خلق له»[٣]، فالرسول ﷺ أخبر بأن الله قد علم أهل الجنة من أهل النار، وهذا يدل على علم الله المحيط بكل شيء، والشامل لكل شيء.

٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سئل النبي ﷺ عن أولاد المشركين فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»[٤].

---

١) طه: ٩٨.
٢) سبأ: ٣.
٣) مسلم: كتاب القدر، باب: كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه ... رقم (٦٦٧٥) (نووي/١٦/٤١٣).
٤) البخاري: كتاب القدر، باب: الله أعلم بما كانوا عاملين، رقم (٦٥٩٧) (فتح/١١/٦٠٣).

والشاهد قوله: «الله أعلم بما كانوا عاملين» بالنسبة لأولاد المشركين والمسلمين، ومعنى ذلك أنهم لو عاشوا، فإن الله عالم بأعمالهم خيرها وشرها، فالله يعلم ما كان، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

٣- عن جابر ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يُعلّمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن: «**إذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول:اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير**»[١] إلخ. وغير ذلك من الأحاديث كثير.

المرتبة الثانية: الكتابة:

وهي الإيمان بأن الله كتب ما سبق به علمه من مقادير الخلائق إلى يوم القيامة في اللوح المحفوظ، وقد أجمع الصحابة، والتابعون، وجميع أهل السنة والحديث على أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب التي هي اللوح المحفوظ، والذكر، والإمام المبين، والكتاب المبين. فهو الكتاب الذي لم يفرّط فيه الله من شيء، فكل ما جرى ويجري فهو مكتوب عند الله.

١) البخاري: كتاب الدعوات، باب: الدعاء عند الاستخارة، رقم (٦٣٨٢) (فتح/١١/٢١٨).

أدلة هذه المرتبة من الكتاب والسّنة:

أولاً: من الكتاب:

١- قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[١].

٢- وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾[٢].

٣- وقال تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ * قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾[٣].

٤- وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[٤].

٥- وقال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[٥].

٦- وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾[٦].

---

١) الحج: ٧٠.
٢) يونس: ٦١.
٣) طه: ٥١-٥٢.
٤) يس: ١٢.
٥) التوبة: ٥١.
٦) النمل: ٧٥.

ثانيًا: من السّنة:

١- عن عبدالله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء»[١].

فالدليل من الحديث قوله: **«كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض»** فالمراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره، لا أصل التقدير، فإن ذلك أزلي لا أول له، وقوله: **وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ** أي قبل خلق السماوات والأرض[٢] اهـ.

٢- عن علي ﷺ قال: كنا جلوسًا مع النبي ﷺ معه عود ينكت به في الأرض فنكس وقال: **«ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة»** فقال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله؟ قال: **«لا، اعملوا فكلٌّ ميسر»**، ثم قرأ: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ**﴾[٣] الآية.

هذا دليل واضح على الكتابة السابقة، ومنها كتابة أهل الجنة، وأهل النار.

٣- عن جابر ﷺ، قال: جاء سراقة بن مالك بن جُعشم قال: يا رسول الله، بين لنا ديننا كأنا خُلقنا الآن، فيما العمل اليوم؟ فيما جفّت به الأقلام، وجرت به المقادير، أم فيما نستقبل؟ قال: **«لا، بل فيما جفّت به الأقلام، وجَرَت به المقادير»** قال: ففيم العمل؟

---

١) مسلم: باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام، رقم (٦٦٩٠) (نووي/٤١٩/١٦).
٢) (شرح النووي على صحيح مسلم/٤١٩/١٦).
٣) البخاري: كتاب القدر، باب: وكان أمرًا وقدرًا مقدورًا، رقم: (٦٦٠٥) (فتح/٦٠٤/١١).

قال زهير: ثم تكلم أبو الزبير بشيء لم أفهمه، فسألت: ما قال؟ فقال: «اعملوا فكل ميسَّر»[1].

وبعد الكلام على أدلة هاتين المرتبتين: مرتبة العلم، ومرتبة الكتابة، يحسن أن أذكر هنا أنه يتعلق بهاتين المرتبتين عدة تقادير، وهي بإيجاز:

أقسام التقدير:

١- التقدير العام:

وهو تقدير الرب لجميع الكائنات، بمعنى علمه بها، وكتابته لها، ومشيئته، وخلقه لها، ويدل على هذا النوع أدلة كثيرة منها قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[2].

وحديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما السابق أن النبي ﷺ قال:

«كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال: وعرشه على الماء»[3]. وأيضًا قول النبي ﷺ لأبي هريرة: «جفَّ القلم بما أنت لاق»[4].

---

١) مسلم: كتاب القدر، باب: كيفية الخلق الآدمي، في بطن أمه ... رقم: (٦٦٧٧) (نووي/١٦/٤١٣).
٢) الحج: ٧٠.
٣) سبق تخريجه قبل قليل.
٤) البخاري: كتاب النكاح، باب: ما يكره من التبتل والخصاء، رقم (٥٠٧٦).

٢- التقدير البشري:

وهو التقدير الذي أخذ الله فيه الميثاق على جميع البشر بأنه ربهم، وأشهدهم على أنفسهم بذلك، والذي قدر الله فيه أهل السعادة وأهل الشقاوة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾[١].

وعن أبي الأسود الدؤلي قال: ..إن رجلين من مُزَيْنة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله، أرأيت ما يعمل الناس اليوم، ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم، وثبتت الحجة عليهم؟ فقال: «لا، بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله ﷻ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[٢]»[٣].

وعن أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ قال: «خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر، وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم، فقال للذي في يمينه: إلى الجنة ولا أبالي، وقال للذي في كفه اليسرى: إلى النار ولا أبالي»[٤].

---

١) الأعراف: ١٧٢.
٢) الشمس: ٧، ٨.
٣) مسلم: كتاب القدر، باب: كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه ...، رقم (٦٦٨١) (نووي/١٦/٤١٥).
٤) صحيح: صححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٢٣٤) والمشكاة رقم (١١٩) والصحيحة رقم (٤٩).

قال العلامة الألباني -رحمه الله- في تعليقه على هذا الحديث: قد يتوهم آخرون أن الأمر فوضى أو حظ، فمن وقع في القبضة اليمنى كان من أهل السعادة، ومن كان في القبضة الأخرى كان من أهل الشقاوة، فيجب أن يعلم هؤلاء جميعًا أن الله "ليس كمثله شيء" لا في ذاته ولا في صفاته، فإذا قبض قبضة فهي بعلمه وعدله وحكمته. فهو تعالى قبض باليمنى على من علم أنه سيطيعه حين يؤمر بطاعته، وقبض بالأخرى على من سبق في علمه تعالى أنه سيعصيه حين يؤمر بطاعته.

ويستحيل على عدل الله تعالى أن يقبض باليمنى على من هو مستحق أن يكون من أهل القبضة الأخرى، والعكس بالعكس، كيف والله ﷻ يقول: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۞ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1].

٣- التقدير العمري:

وهو تقدير كل ما يجري على العبد في حياته إلى نهاية أجله، وكتابة شقاوته، أو سعادته.

عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: **«إن أحدكم يجمع خلقُه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن**

---

١) القلم: ٣٥.

أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»[١].

٤- التقدير الحولي:

قال تعالى: ﴿حمٓ * وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ * إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾[٢]. قال مجاهد: ليلة القدر ليلة الحكم.

وقال الحسن البصري: والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي رمضان، وإنها لليلة القدر، يفرق فيها كل أمر حكيم، فيها يقضي الله تعالى كل أجل وعمل ورزق إلى مثلها.

وقال ابن عباس: يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر، ما يكون في السنة من موت وحياة ورزق ومطر، حتى الحجاج، يقال: ويحج فلان ويحج فلان.

وعن سعيد بن جبير قال: إنك لترى الرجل يمشي في الأسواق وقد وقع اسمه في الموتى.

٥- التقدير اليومي:

وهو سوق المقادير إلى مواقيتها التي قدرت لهم فيما سبق. قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾[٣].

قال الأعمش: عن مجاهد عن عبيد بن عمير: من شأنه أن يجيب داعيًا أو يعطي سائلاً، أو يفك عانيًا، أو يشفي سقيمًا...

---

١) مسلم: كتاب القدر، باب: كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه ... رقم (٦٦٦٥) (نووي/١٦/٤٠٧).
٢) الدخان: ١-٥.
٣) الرحمن: ٢٩.

وجملة القول في ذلك: أن التقدير اليومي هو تأويل المقدور على العبد وإنفاذه فيه في الوقت الذي سبق أنه يناله فيه لا يتقدمه ولا يتأخره كما أن في الآخرة يأتي تأويل الجزاء الموعود، إنْ خيرًا فخير، وإنْ شرًا فشر، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون.

المرتبة الثالثة: الإرادة والمشيئة:

أي: أن كل ما يجري في هذا الكون فهو بمشيئة الله -سبحانه وتعالى- فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يخرج عن إرادته الكونية شيء.

وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله الناس عليها، وأدلة العقل والبيان.

والذي عليه أهل السنة والجماعة، وما مضى عليه سلفنا الصالح.. أن للعباد كذلك قدرة على أعمالهم ولهم مشيئة.

والله تعالى خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم وأقوالهم وأعمالهم، وهو تعالى الذي منحهم إياها وأقدرهم عليها، وجعلها قائمة بهم مضافة إليهم حقيقة، وبحسبها كلفوا، وعليها يثابون ويعاقبون، ولم يكلفهم الله تعالى إلا وسعهم ولم يحملهم إلا طاقتهم.

أدلة هذه المرتبة من الكتاب والسّنة:

أولاً: من الكتاب:

١ - قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[1].

٢ - وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[2].

٣ - وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[3].

٤ - وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[4].

٥ - وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[5]. وهذه هي الإرادة الكونية الشاملة، وغير ذلك من الأدلة كثير جدًا.

---

١) المائدة: ٤٨.
٢) آل عمران: ٤٠.
٣) الإنسان: ٣٠.
٤) الحج: ١٤.
٥) الأنعام: ١٢٥.

ثانيًا: من السّنة:

١- عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا جاءه السائل أو طُلبت إليه حاجة قال: «**اشفعوا تُؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ﷺ ما شاء**»[١].

٢- وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء**» ثم قال رسول الله ﷺ: «**اللهم مصرّف القلوب صرّف قلوبنا على طاعتك**»[٢].

٣- عن معاوية ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم، والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله**»[٣]. والحديث فيه إثبات مرتبة الإرادة، وأن الأمور كلها تجري بمشيئة الله تعالى.

المرتبة الرابعة: الخلق

أي: أن الله تعالى خالق كل شيء، ومن ذلك أفعال العباد، فلا يقع في هذا الكون شيء إلا وهو خالقه.

وهذا متفق عليه بين الرسل عليهم الصلاة والسلام، وعليه اتفقت الكتب الإلهية والفطر والعقول والاعتبار، وخالف في ذلك مجوس الأمة، فأخرجوا طاعات ملائكته وأنبيائه ورسله وعباده المؤمنين وهي أشرف ما في العالم عن

---

١) البخاري: كتاب الزكاة، باب: التحريض على الصدقة والشفاعة فيها، رقم (١٤٣٢) (فتح/ ٣/٣٨٢).
٢) مسلم: كتاب القدر، باب: تصريف الله تعالى للقلوب كيف يشاء، رقم (٦٦٩٢) (نووي/١٦/٤٢٠).
٣) البخاري: كتاب العلم، باب: من يريد الله به خيرًا يفقهه في الدين، رقم (٧١) (فتح/١/٢١٧).

ربوبيته وتكوينه ومشيئته، بل جعلوهم هم الخالقين، ولا تعلق بمشيئته، ولا تدخل تحت قدرته، وكذلك قالوا في جميع أفعال الحيوانات الاختيارية.

أدلة هذه المرتبة من الكتاب والسّنة:

أولاً: من الكتاب:

١- قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾[1] وهذا عام محفوظ لا يخرج عنه شيء من العالم وأفعاله وحركاته وسكناته، وليس مخصوصًا بذاته وصفاته، فإنه الخالق بذاته وصفاته وما سواه مخلوق له.

٢- ومما يدل على قدرته سبحانه على أفعالهم قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

٣- ومما يدل على أن الله ﷻ هو خالق أفعال العباد قوله ﷻ: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾[3]. والضحك والبكاء فعلان اختياريان، فهو سبحانه المضحك المبكي حقيقة، والعبد هو الضاحك الباكي حقيقة.

وهناك آيات أخرى كثيرة تدل على أن الله تعالى هو المضل، والهادي والمؤيد لعباده المؤمنين، والهازم لأعدائهم، وأنه المحيي المميت، وكل ذلك دليل على مرتبة الخلق.

---

١) الزمر: ٦٢.
٢) البقرة: ٢٨٤.
٣) النجم: ٤٣.

ثانيًا: من السّنة:

١- عن ورّاد كاتب المغيرة بن شعبة ﷺ... أن رسول الله ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة: **«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجدّ منك الجد»**(١).

الشاهد قوله: **«اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت»** فالمعطي والمانع هو الله تعالى فهو الفاعل لهما، وهذا يدل على أن الخالق هو الله سبحانه وتعالى، وقوله: **«ولا ينفع ذا الجد منك الجد»** أي لا ينفع ذا الغنى منك غناه، أو لا ينجيه حظه منك، بل ينفعه عمله الصالح.

٢- وقد قال ﷺ لأبي موسى الأشعري ﷺ: **«يا عبد الله بن قيس، ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة»** قلت بلى يا رسول الله! قال: **«قل لا حول ولا قوة إلا بالله»**(٢).

والشاهد قوله: **«لا حول ولا قوة إلا بالله»** ففيها الاعتراف بأنه لا صانع غير الله، ولا راد لأمره، وأن العبد لا يملك من أمره شيئًا.

٣- عن البراء بن عازب ﷺ قال: **«كان النبي ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه -أو أغبرّ بطنه- يقول:**

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا ... وثبّت الأقدام إن لاقينا
إن الأُلى قد بغوا علينا ... إذا أرادوا فتنةً أبينا

---

١) البخاري: كتاب الأذان، باب: الذكر بعد الصلاة، رقم (٨٤٤) (فتح/٢/٤١٣).
٢) مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب: استحباب خفض الصوت بالذكر، رقم (٦٨٠٢) (نووي/ ١٧/ ٢٨).

ويرفع بها صوته: أبينا، أبينا»[1].

ودليل هذه المرتبة قوله: «لولا الله ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا» فإنها دليل على أن الله هو خالق العباد وأفعالهم.

---

١) البخاري: كتاب المغازي، باب: غزوة الخندق وهي الأحزاب، رقم (٤١٠٤) (فتح/٧/٥٠٨).

المبحث الخامس

الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي أو ترك الواجبات(1)

المطلب الأول: إبطال هذا الاحتجاج:

الإيمان بالقدر لا يمنح العاصي حجة على ما ترك من الواجبات، أو فعل من المعاصي.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: وليس لأحد أن يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين، وسائر أهل الملل، وسائر العقلاء، فإن هذا لو كان مقبولاً لأمكن كل أحد أن يفعل ما يخطر له من قتل النفوس، وأخذ الأموال، وسائر أنواع الفساد في الأرض ويحتج بالقدر.

ونفس المحتج بالقدر إذا اعتدي عليه، واحتج المعتدي بالقدر لم يقبل منه، بل يتناقض، وتناقض القول يدل على فساده، فالاحتجاج بالقدر معلوم الفساد في بداية العقول. اهـ.

وبما أن هذا الأمر مما يعم به البلاء، سأورد عددًا من الأدلة الشرعية والعقلية والواقعية التي يتضح من خلالها بطلان الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي أو ترك الطاعات:

١- قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ

---

١) (الإيمان بالقضاء والقدر/٦٧-٧٢) (منهاج السنة النبوية/٣/٦٥-٧٨)، (مجموع الفتاوى/٨/٢٦٢-٢٦٨) (رسائل في العقيدة/٣٨-٣٩)، (شرح لمعة الاعتقاد/٩٣-٩٥).

بَأْسَنَاۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾(١)، فهؤلاء المشركون احتجوا بالقدر على شركهم ولو كان احتجاجهم مقبولاً صحيحًا ما أذاقهم الله بأسه.

٢- وقال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾(٢) فلو كان الاحتجاج بالقدر على المعاصي سائغًا لما كان هناك داع لإرسال الرسل.

٣- أن الله أمر العبد ونهاه، ولم يكلفه إلا ما يستطيع، قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾(٣) فهؤلاء المشركون احتجوا بالقدر على شركهم ولو كان احتجاجهم مقبولاً صحيحًا ما أذاقهم الله بأسه.

٤- وقال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾(٤)، وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾(٥)، ولو كان العبد مجبرًا على الفعل لكان مكلفًا بما لا يستطيع الخلاص منه، وهذا باطل، ولذلك إذا وقعت منه المعصية بجهل، أو نسيان، أو بإكراه، فلا إثم عليه لأنه معذور.

٥- أن القدر سرّ مكتوم لا يعلمه أحد من الخلق إلا بعد وقوعه، وإرادة العبد لما يفعله سابقة لفعله، فتكون إرادته للفعل غير مبنية على علم بقدر الله،

---

١) الأنعام: ١٤٨.
٢) النساء: ١٦٥.
٣) التغابن: ١٦.
٤) النساء: ١٦٥.
٥) البقرة: ٢٨٦.

فادعاؤه أن الله قدَّر عليه كذا وكذا ادّعاء باطل لأنه ادعاء لعلم الغيب، والغيب لا يعلمه إلا الله، فحجته إذًا داحضة، إذ لا حجة للمرء فيما لا يعلمه.

٦- أننا لو سلمنا للمحتج بالقدر على الذنوب لعطلنا الشرائع.

٧- لو كان الاحتجاج بالقدر على هذا النحو حجة لقُبل من إبليس الذي قال: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[1].

٨- ولو كان حجة أيضًا لتساوى فرعون عدو الله، مع موسى كليم الله عليه السلام.

٩- الاحتجاج بالقدر على الذنوب والمعائب تصحيح لمذهب الكفار، وهذا لازم لهذا الاحتجاج، لا ينفك عنه.

١٠- ولو كان حجة لاحتج به أهل النار، إذا عاينوها، وظنوا أنهم مواقعوها، كذلك إذا دخلوا، وبدأ توبيخهم وتقريعهم، هل يحتجون بالقدر على معاصيهم وكفرهم؟

الجواب: لا!

بل إنهم يقولون كما قال ﷻ عنهم: ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾[2]، ويقولون: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾[3]، وقال

---

١) الأعراف: ١٦.
٢) إبراهيم: ٤٤.
٣) المؤمنون: ١٠٦.

عنهم: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[1]، وقال عنهم قولهم: ﴿قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾[2] إلى غير ذلك مما يقولون.

١١- ومما يرد هذا القول أيضًا أننا نرى الإنسان يحرص على ما يلائمه في أمور دنياه حتى يدركه، ولا يعدل عنه إلى ما لا يلائمه، ثم يحتج على عدوله بالقدر. فلماذا يعدل عما ينفعه في أمور دينه إلى ما يضره ثم يحتج بالقدر؟

وإليك مثالاً يوضح ذلك: لو أراد إنسان السفر إلى بلد، وهذا البلد له طريقان، أحدهما آمن مطمئن، والآخر كله فوضى واضطراب وقتل وسلب، فأيهما سيسلك؟ لا شك أنه سيسلك الطريق الأول، فلماذا لا يسلك في أمر الآخرة طريق الجنة دون طريق النار؟

١٢- المحتج بالقدر على المعاصي شبَّه نفسه بالمجانين، والصبيان، فهم غير مكلفين، ولا مؤاخذين، ولو عومل معاملتهم في أمور الدنيا لما رضي.

١٣- لو قبلنا هذا الاحتجاج الباطل لما كان هناك حاجة للاستغفار، والتوبة، والدعاء، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١٤- لو كان القدر حجة على المعائب والذنوب لتعطلت مصالح الناس، ولعمت الفوضى، ولما كان داعٍ للحدود، والتعزيرات، والجزاءات لأن المسيء سيحتج بالقدر، ولما احتجنا لوضع عقوبات للظلمة، وقطاع الطريق، ولا إلى فتح المحاكم، ونصب القضاة بحجة أن كل ما وقع إنما وقع بقدر الله، وهذا لا يقول به عاقل.

---

١) الملك: ١٠.
٢) المدثر: ٤٣.

١٥- أن هذا المحتج بالقدر الذي يقول: لا نؤاخذ، لأن الله كتب ذلك علينا، فكيف نؤاخذ بما كتب علينا؟

يقال له: إننا لا نؤاخذ على الكتابة السابقة، إنما نؤاخذ بما فعلناه وكسبناه. وبالجملة فإن الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي، أو ترك الطاعات احتجاج باطل في الشرع، والعقل والواقع.

قال شيخ الإسلام: هؤلاء القوم إذا أصروا على هذا الاعتقاد، كانوا أكفر من اليهود والنصارى[١] اهـ.

المطلب الثاني: متى يسوغ الاحتجاج بالقدر؟

يسوغ الاحتجاج بالقدر عند المصائب التي تحل بالإنسان كالفقر، والمرض، وفقد القريب، فهذا من تمام الرضا بالله ربًا، فالاحتجاج يكون على المصائب، لا المعائب.

قال شيخ الإسلام: فالسعيد يستغفر من المعائب، ويصبر على المصائب، كما قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾[٢]، والشقي يجزع عند المصائب، ويحتج بالقدر على المعائب[٣] اهـ. ويوضح ذلك المثال الآتي:

لو أن رجلاً قتل آخر عن طريق الخطأ، ثم لامه من لامه، واحتج القاتل بالقدر لكان احتجاجه مقبولاً، ولم يمنع ذلك من أن يؤاخذ، ولو قتل رجلٌ

---

١) (مجموع الفتاوى/٨/٢٦٢).
٢) غافر: ٥٥.
٣) (مجموع الفتاوى/٨/٤٥٤) (اقتضاء الصرا ط المستقيم/٢/٣٨٩).

رجلاً عن طريق العمد ثم قُرِّع القاتل ووبِّخ على ذلك، ثم احتج بالقدر، لم يكن الاحتجاج منه مقبولاً.

ولهذا حَجَّ آدم موسى عليهما السلام. عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم! أنت أبونا، خيّبتنا، وأخرجتنا من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى، اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدّره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟»** فقال النبي ﷺ: **«فحجَّ آدم موسى، فحجَّ آدم موسى»**[1].

فآدم عليه السلام لم يحتج بالقدر على الذنب كما يظن ذلك بعض الطوائف، وموسى عليه السلام لم يلُم آدم على الذنب، لأنه يعلم أن آدم استغفر ربه وتاب، فاجتباه ربه، وتاب عليه، وهداه، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

ولو أن موسى لام آدم على الذنب لأجاب: إنني أذنبت فتبت، فتاب الله عليّ، ولقال له: أنت يا موسى أيضًا قتلت نفسًا، وألقيت الألواح إلى غير ذلك، إنما احتج موسى بالمصيبة، فحجه آدم بالقدر، وهذا المعنى أحسن ما قيل في الحديث[2].

قال ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله-: فما قدر من المصائب يجب الاستسلام له ، فإنه من تمام الرضى بالله ربًا، وأما الذنوب فليس للعبد أن يذنب، وإذا أذنب فعليه أن يستغفر ويتوب، فيتوب من المعائب، ويصبر على

---

١) مسلم: كتاب القدر، باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام، رقم (٦٦٨٤) (نووي/١٦/٤١٦).

٢) (مجموع الفتاوى/٨/١٧٨)، (منهاج السنة/٣/٧٨-٨١)، (الاحتجاج بالقدر/١٨-٢٢)، (الفرقان لشيخ الإسلام/١٠٣-١٠٥) (الإيمان بالقضاء والقدر/٧٠-٧١)، (اقتضاء الصراط المستقيم/٢/٣٨٩-٣٩٢) (تقريب وترتيب شرح العقيدة الطحاوية/٢/١٠٦٤...).

المصائب[1] اهـ. (وممن يسوغ له الاحتجاج بالقدر التائب من الذنب. فلو لامه أحد على ذنب تاب منه لساغ له أن يحتج بالقدر، ثم إنه لا يسوغ لأحد أن يلوم التائب من الذنب، فالعبرة بكمال النهاية، لا بنقص البداية.

فلو قيل لأحد التائبين: لم فعلت كذا وكذا؟ ثم قال: هذا بقضاء الله وقدره، وأنا تبت واستغفرت، لقبل منه ذلك بالاحتجاج[2].

١) (تقريب وترتيب شرح العقيدة الطحاوية/٢/١٠٦٥) وانظر: (الفتاوى الكبرى لابن تيمية/٥/١٦٣).
٢) (الإيمان بالقضاء والقدر/٧٢) (تقريب التدمرية/١١٥).

المبحث السادس

مجمل اعتقاد أهل السنة في القدر

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- سؤالاً عن القدر، فأجاب عنه إجابة مطولة، ضمنها مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في هذا الباب، ومما قاله: مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب وغيره، ما دل عليه الكتاب والسنة، وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان. وهو أن الله خالق كل شيء، وربه، ومليكه، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها، وصفاتها القائمة بها، من أفعال العباد، وغير أفعال العباد. وأنه سبحانه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته، وقدرته، لا يمتنع عليه شيء شاءه، بل هو قادر على كل شيء، ولا يشاء شيئًا إلا وهو قادر عليه.

وأنه سبحانه يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وقد دخل في ذلك أفعال العباد، وغيرها، وقد قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم، قدر آجالهم، وأرزاقهم، وأعمالهم، وكتب ذلك، وكتب ما يصيرون إليه من سعادة، وشقاوة، فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء، وقدرته على كل شيء، ومشيئته لكل ما كان، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون، وكتابته إياها قبل أن تكون[1]...

"وسلف الأمة وأئمتها متفقون أيضًا على أن العباد مأمورون بما أمرهم الله به، منهيون عما نهاهم عنه، ومتفقون على الإيمان بوعده ووعيده الذي

---

١) (مجموع الفتاوى/٨/٤٤٩-٤٥٠).

نطق به الكتاب والسنة. ومتفقون على أنه لا حجة لأحد على الله في واجب تركه، ولا محرم فعله، بل لله الحجة البالغة على عباده"[1].

وقال: "ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها -مع إيمانهم بالقضاء والقدر، وأن الله خالق كل شيء، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه يضل من يشاء، ويهدي من يشاء - أن العباد لهم مشيئة وقدرة، يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه، مع قولهم: إن العباد لا يشاؤون إلا أن يشاء الله، كما قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ۞ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۞ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾[2][3].

١) (مجموع الفتاوى/٨/٤٥٢).
٢) (المدثر/٥٤-٥٦).
٣) (مجموع الفتاوى/٨/٤٥٩) (الإيمان بالقضاء والقدر/٤٣-٤٤).

المبحث السابع

النهي عن التعمق في القدر

ينبغي على العبد المؤمن "ترك التعمق في البحث في القدر، فبعض جوانبه لا يمكن للعقل الإنساني مهما كان نبوغه أن يستوعبها، وبعضها الآخر لا يستوعبها إلا بصعوبة كبيرة. قد يقال: أليس في هذا النهج حجر على العقل الإنساني؟

والجواب: أن هذا ليس بحجر على الفكر الإنساني، بل هو صيانة لهذا العقل من أن تتبدد قواه في غيرالمجال الذي يحسن التفكير فيه، إنه صيانة للعقل الإنساني من العمل في غير المجال الذي يحسنه ويبدع فيه.

إن الإسلام وضع بين يدي الإنسان معالم الإيمان بالقدر، فالإيمان بالقدر يقوم على أن الله عليم كل ما هو كائن وكتبه وساءه وخلقه، واستيعاب العقل الإنساني لهذه الحقائق سهل ميسور، ليس فيه صعوبة، ولا غموض وتعقيد. أما البحث في سر القدر والغوص في أعماقه، فإنه يبدد الطاقة العقلية، ويهدرها.

إن البحث في كيفية العلم والكتابة والمشيئة والخلق، بحث في كيفية صفات الله، وكيف تعمل هذه الصفات، وهذا أمر محجوب علمه عن البشر، وهو غيب يجب الإيمان به، ولا يجوز السؤال عن كنهه، والباحث فيه كالباحث عن كيفية استواء الله على عرشه، يقال له: هذه الصفات التي يقوم عليها القدر، معناها معلوم وكيفيتها مجهولة، والإيمان بها واجب، والسؤال عن كيفيتها بدعة.

إن السؤال عن الكيفية، هو الذي أتعب الباحثين في القدر، وجعل البحث فيه من أعقد الأمور وأصعبها، وإظهار الإيمان به صعب المنال، وهو سبب الحيرة التي وقع فيها كثير من الباحثين[1] اهـ. ولذا فقد نص جمع من أهل العلم على المساحة المحذورة التي لا يجوز دخولها في باب القدر.

قال الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله-: من السنة اللازمة: الإيمان بالقدر، خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها، لا يقال: لم؟ ولا كيف؟ إنما هو التصديق بها والإيمان بها"[2].

وقال الطحاوي -رحمه الله-: وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمق في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر الحذر من ذلك، نظرًا وفكرًا ووسوسة، فإن الله طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[3] اهـ.

عن أبي هريرة ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر، فغضب حتى احمرّ وجهه، حتى كأنما فقئ في وجنتيه الرمان، فقال: **«أبهذا أمرتم، أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه»**[4].

---

١) (القضاء والقدر/٤٨-٤٩) للأشقر.
٢) (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة/١/١٥٧).
٣) (تقريب وترتيب شرح العقيدة الطحاوية/٢/١٠٢٨).
٤) حسن: حسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي: كتاب القدر عن رسول الله ﷺ باب: ما جاء في التشديد في الخوض في القدر، رقم (٢١٣٣) وحسنه كذلك في المشكاة رقم (٩٨، ٩٩).

المبحث الثامن

أثر الإيمان بالقضاء والقدر على العباد

تمهيد

إن البحث في آثار الإيمان بالقضاء والقدر عامل مهم في علاج الأمراض النفسية الفتاكة التي عصفت بالأمة الإسلامية، أفرادًا وجماعات، ومن أبرز هذه الأمراض في الصف المسلم، هو ذلك التخاذل والكسل والخمول الذي أصاب قطاعًا كبيرًا من الأمة الإسلامية عبر العصور باسم الإيمان بالقضاء والقدر.

والمسؤول عن ذلك، هو انحراف المسلمين في باب القدر، حيث لم يفقهوه على الوجه الصحيح. وبهذا الفهم السيئ لعقيدة القدر، حرم الكثير من التنعم بآثاره العظيمة.

ولقد دهش بعض كتاب الغرب، من هذه المعنويات الفائقة التي يتجمل بها المسلمون حيال المصائب والكوارث، في وقت أنهم ربما رأوا في أبناء جلدتهم من الانتحار الشيء الكثير حيال المصائب التي تصيب نفس هؤلاء المسلمين ولكنهم يقابلونها بكل شجاعة وبسالة، بخلاف الكفار.

لقد انبهر بعض كتاب الغرب، بهذه العقيدة الراسخة في باب القدر، بل إن بعضهم صار يقلد المسلمين في منهجهم ذلك، وقال هذا بصراحة، فعقيدة القدر، إذا ما آمن بها المسلم كما ينبغي شرعًا، سعد في دنياه وأخراه، وتمتع بعيشه في هذه الدنيا، مهما أصابه في السراء والضراء.

١- الشجاعة والإقدام[1]

الإيمان بالقدر في حياة المؤمن أقوى حافز للشجاعة والإقدام على عظائم الأمور بثبات وعزم وثقة، ولقد كانت الصورة الصحيحة للإيمان بالقدر في حياة الأجيال الأولى من المسلمين هي التي صنعت تلك العجائب التي سجلها تاريخهم، والتي ثبتت الدعوة في الأرض ونشرتها على نطاق واسع في فترة وجيزة من الزمن لا مثيل لها -في قصرها- في التاريخ. وهي التي أقامت هذا البناء الشاهق في كل ميدان من ميادين الحياة. نعم، لقد كان من أول ثماره الباهرة ذلك الاستبسال في الجهاد في سبيل الله وفي سبيل نشر الدعوة.

لقد وعى المسلمون قوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[2]، فإذا كان لا يصيب الإنسان إلا ما كتبه الله له، سواء كان قاعدًا في بيته أو في ميدان القتال، ففيم الجبن، وفيم الفرار من القتال خوفًا من الموت؟ فهل القتال هو الذي يقتل؟ أم قدر الله لإنسان ما أن يموت في لحظة معينة هو الذي يميته؟

وإذا كان كتب عليه الموت فهل يعفيه منه ألا يذهب إلى القتال؟ وإن كان لم يكتب عليه فهل يقتله الذهاب إلى الميدان؟ هكذا كان الأمر في حسهم، فأقبلوا على الجهاد في ثقة وثبات وعزم، وكان منهم ما سجله التاريخ من مواقف رائعة من الشجاعة والصبر على الشدة مع الاطمئنان إلى قدر الله سبحانه.

---

١) (ركائز الإيمان/٤٢٦-٤٢٧).
٢) التوبة: ٥١.

ولقد وعى المسلمون كذلك الدرس الذي نزل عليهم في سورة آل عمران بشأن غزوة أحد حين قال المنافقون: ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾[1] فرد عليهم: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾[2]، وحين قالوا: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾[3] فرد عليهم: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾[4].

وحين قال الله تعالى للمؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ * وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾[5].

وعوه فأيقنوا أنه لا يموت إلا من كتب عليه الموت ولو كان في مضجعه في بيته، وأنه إن لم يكن كتب عليه الموت في تلك اللحظة، فكل هول الحرب وكل سهام الأعداء وسيوفهم لن تصيبه بالموت. وأيقنوا كذلك أنه حين يكون الإنسان في القتال ويموت –بقدر من الله– فأمامه المثوبة والأجر، وهو الكاسب بهذا القدر الذي قدره له الله، لذلك كان القتال في سبيل الله أمرًا محببًا إلى

---

١) آل عمران.
٢) آل عمران.
٣) آل عمران.
٤) آل عمران.
٥) (آل عمران: ١٥٦-١٥٨).

نفوسهم، فنصروا الله، فنصرهم، وثبت أقدامهم، كما وعد سبحانه: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[1].

كذلك كان الإيمان بالقدر على هذه الصورة هو حافزهم للانسياح في الأرض، سواء لنشر الدعوة، أو طلب الرزق، أو اكتشاف المجهول من الأرض، فكان لهم في كل ميدان من هذه الميادين نشاط ملحوظ وآثار مشهودة.

٢- الصبر والاحتساب لا الجزع والوهن:

"فالإنسان عرضة دائمًا لأن تصيبه النوائب والأحداث لأن هذه سنة الله في الأرض، وما من بشر في الأرض كلها لا يصاب، على الأقل يصاب بموت عزيز عنده، إن لم يصب هو شخصيًا بما يصيب الناس عادة من أمراض، أو آلام.

ومن شأن المصائب أن تهز النفوس، وما من إنسان إلا وهو يتأثر بما يصيبه، ولو كان صلد المشاعر عديم الاكتراث، ولكن التأثر بالأحداث شيء، والوهن والجزع عند حلولها شيء آخر.

لقد تأثر رسول الله ﷺ لفقد ولده إبراهيم، ولكنه قال: **«إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»**[2].

فأما الوهن الذي يفتّت العزيمة ويقعد بالإنسان عن معاودة النشاط والانطلاق في الحياة، فهو الأمر غير المرغوب، وهو الذي يتعرض له الإنسان

---

١) محمد: ٧.
٢) البخاري: كتاب الجنائز، باب: قول النبي ﷺ: إنا بك لمحزونون.. رقم: (١٣٠٣) (فتح/٣/٢٢٢).

حين لا يؤمن بالقدر ولا يسلم له، لذلك يقول الله سبحانه وهو يربي المسلمين: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[1]. وبذلك يسترد الإنسان عزيمته، ويمضي في طريقه مطمئنًا لقدر الله، يستمد منه مزيدًا من العزم، ويرجو من الله التخفيف"[2].

"والذين لا يؤمنون بالقدر، ربما يؤدي الجزع ببعضهم إلى أن يكفروا بالله، وبعضهم يُجنّ، وبعضهم يصبح موسوسًا، وبعضهم يلجأ إلى المخدرات، وبعضهم يقتل نفسه، ولذلك يكثر الانتحار في البلاد التي لا يؤمن أهلها بالقدر كأمريكا، والسويد، والنرويج، بل إن الأمر وصل بالسويد إلى أن يفتحوا مستشفيات للانتحار.

وأسباب ذلك ترجع لأمور تافهة، فبعضهم ينتحر بسبب تخلي خطيبته عنه، وبعضهم بسبب رسوبه في الامتحان، وبعضهم بسبب وفاة المطرب الذي يحبه، وقد يكون الانتحار جماعيًا.

والعجيب في الأمر، أن غالبية المنتحرين ليسوا من الفقراء بل هم من الطبقة الغنية، بل ويقع الانتحار من الأطباء النفسيين الذين يُظن بهم أنهم يجلبون السعادة للناس"[3].

---

١) التغابن: ١١.
٢) ركائز الإيمان: ٣٢٨.
٣) الإيمان بالقضاء والقدر: ٢٥.

٣- سكون القلب، وطمأنينة النفس وراحة البال[1]:

فهذه الأمور من ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر، وهي مطلب ملح، وهدف منشود، فكل من على وجه البسيطة يبتغيها ويبحث عنها، ولكن كما قيل:

كل من في الوجود يطلب صيدًا غير أن الشباك مختلفات

فلا يدرك هذه الأمور، ولا يجد حلاوتها، ولا يعلم ثمرتها، إلا من آمن بالله، وبقضائه وقدره.

وإنك لتجد عند خواص المسلمين من العلماء العاملين، والعباد القانتين المتبعين، من سكون القلب، وطمأنينة النفس، ما لا يخطر على بال، ولا يدور حول ما يشبهه خيال، فلهم في ذلك الشأن القِدْحُ المعلى، والنصيب الأوفى.

فهذا أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز ﷺ ورحمه يقول: أصبحت ومالي سرور، إلا في مواطن القضاء والقدر[2] اهـ.

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة[3] اهـ.

ويقول مقولته المشهورة التي قالها عندما اقتيد إلى السجن: ما يصنع أعدائي بي، أنا جنتي وبستاني في صدري، أنّى رحلت فهي معي لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة[4] اهـ.

---

١) الإيمان بالقضاء والقدر/٣٠-٣٤.
٢) (سيرة عمر بن عبدالعزيز/٩٧).
٣) (الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية/٣٤).
٤) (شيخ الإسلام ابن تيمية: جهاده، دعوته، عقيدته/١٠١).

بل إنك تجد عند عوام المسلمين من سكون القلب، وراحة البال، وبرد اليقين، ما لا تجده عند كبار الكتاب والمفكرين والأطباء من غير المسلمين. فكم من الأطباء غير المسلمين على سبيل المثال من يعجب ويذهب به العجب كل مذهب، وذلك إذا كان لديه مريض مسلم، واكتشف أنه مصاب بداء خطير كالسرطان مثلاً، فترى هذا الطبيب يحتار في كيفية إخبار هذا المريض، ومصارحته بعلته، فتجده يقدم رجلاً ويؤخر الأخرى، وتجده يمهد الطريق، ويضع المقدمات، كل ذلك خشية من ردة فعل المريض إزاء هذا الخبر، وما أن يعلمه بمرضه، ويخبره بعلته، إلا ويفاجأ بأن هذا المريض يستقبل هذا الخبر بنفس راضية، وصدر رحب، وسكينة وهدوء.

- لقد أدهش كثيرًا من هؤلاء إيمان المسلمين بالقضاء والقدر، فكتبوا في هذا الشأن، معبرين عن دهشتهم، مسجلين شهادتهم بقوة عزائم المسلمين، وارتفاع معنوياتهم، وحسن استقبالهم لصعوبات الحياة.

ومليحة شهدت لها ضراتها والفضل ما شهدت به الأعداء

ومن هؤلاء الكتاب الذين كتبوا في ذلك الكاتب المشهور (ر.ن.س.بودلي) والذي أورد رأيه (ديل كارنيجي) في كتابه (دع القلق وابدأ الحياة) في مقالة بعنوان (عشت في جنة الله) يقول بودلي: في عام ١٩١٨ وليت ظهري العالم الذي عرفته طيلة حياتي، ويممت شطر أفريقيا الشمالية الغربية، حيث عشت بين الأعراب في الصحراء، وقضيت هناك سبعة أعوام، أتقنت خلالها لغة البدو، وكنت أرتدي زيهم، وآكل من طعامهم، وأتخذ مظاهرهم في الحياة، وغدوت مثلهم أمتلك أغنامًا، وأنام كما ينامون في الخيام.

وقد تعمقت في دراسة الإسلام، حتى أنني ألفت كتابًا عن محمد ﷺ عنوانه (الرسول) وكانت تلك الأعوام السبعة التي قضيتها مع هؤلاء البدو الرحل من أمتع سني حياتي، وأحفلها بالسلام، والاطمئنان، والرضا بالحياة، وقد تعلمت من عرب الصحراء كيف أتغلب على القلق، هم بوصفهم مسلمين، يؤمنون بالقضاء والقدر، وقد ساعدهم هذا الإيمان على العيش في أمان، وأخذ الحياة مأخذًا سهلاً هينًا، فهم لا يتعجلون أمرًا، ولا يلقون بأنفسهم بين براثن الهم قلقًا على أمر، إنهم يؤمنون بأن "ما قدر يكون" وأن الفرد منهم "لن يصيبه إلا ما كتب الله له" وليس معنى هذا أنهم يتواكلون، أو يقفون في وجه الكارثة مكتوفي الأيدي كلا.

• ثم أردف قائلاً: ودعني أضرب لك مثلاً لما أعنيه، هبت ذات يوم عاصفة عاتية حملت رمال الصحراء، وعبرت بها البحر الأبيض المتوسط، ورمت بها وادي "الرون" في فرنسا، وكانت العاصفة حارة شديدة الحرارة، حتى أحسست كأن شعر رأسي يتزعزع من منابته لفرط وطأة الحر، وأحسست من فرط القيظ كأنني مدفوع من الجنون، ولكن العرب لم يشكوا إطلاقًا، فقد هزوا أكتافهم، وقالوا كلمتهم المأثورة "قضاء مكتوب".

لكنهم ما أن مرت العاصفة، حتى اندفعوا إلى العمل بنشاط كبير، فذبحوا صغار الخراف، قبل أن يودي القيظ بحياتها، ثم ساقوا الماشية إلى الجنوب نحو الماء، فعلوا هذا كله في صمت وهدوء، دون أن تبدو من أحدهم شكوى. قال رئيس القبيلة الشيخ: لم نفقد الشيء الكثير، فقد كنا خليقين بأن نفقد كل شيء، ولكن حمدًا لله وشكرًا، فإن لدينا نحو أربعين في المائة من ماشيتنا، وفي استطاعتنا أن نبدأ بها عملنا من جديد.

ثم قال: وثمة حادثة أخرى، فقد كنا نقطع الصحراء بالسيارة يومًا، فانفجر أحد الإطارات، وكان السائق قد نسي استحضار إطار احتياطي، وتولاني الغضب، وانتابني القلق والهم، وسألت صحبي من الأعراب: ماذا وعسى أن نفعل؟ فذكروني بأن الاندفاع إلى الغضب لن يجدي فتيلاً، بل هو خليق أن يدفع الإنسان إلى الطيش والحمق.

ومن ثم درجت بنا السيارة وهي تجري على ثلاث إطارات ليس إلا، لكنها ما لبثت أن كفت عن السير، وعلمت أن البنزين قد نفد، وهنالك أيضًا لم تثر ثائرة أحد من رفاقي الأعراب، ولا فارقهم هدوءهم، بل مضوا يذرعون الطريق سيرًا على الأقدام.

وبعد أن استعرض بودي تجربته مع عرب الصحراء علق بقوله: قد أقنعتني الأعوام السبعة التي قضيتها في الصحراء بين الأعراب الرُّحّل أن الملتاثين، ومرضى النفوس، والسكيرين الذين تحفل بهم أميركا وأوروبا، ما هم إلا ضحايا المدينة التي تتخذ السرعة أساسًا لها. إنني لم أعانِ شيئًا من القلق قط وأنا أعيش في الصحراء، بل هنالك في جنة الله وجدت السكينة، والقناعة، والرضا.

وأخيرًا ختم كلامه بقوله: وخلاصة القول أنني بعد انقضاء سبعة عشر عامًا على مغادرتي الصحراء، ما زلت أتخذ موقف العرب حيال قضاء الله، فأقابل الحوادث التي لا حيلة لي فيها بالهدوء والامتثال والسكينة. ولقد أفلحت هذه الطباع التي اكتسبتها من العرب في تهدئة أعصابي أكثر مما تفلح آلاف المسكنات والعقاقير[1] اهـ.

---

١) (دع القلق وابدأ الحياة/ ٢٩٠-٢٩٥) وانظر (الإيمان بالقضاء والقدر وأثره على القلق النفسي/ ٧٤-٧٥).

٤- دعوة للعمل وللأخذ بالأسباب[1]:

القدر من أكبر الدواعي التي تدعو إلى العمل والنشاط والسعي بما يرضي الله في هذه الحياة، والإيمان بالقدر من أقوى الحوافز للمؤمن لكي يعمل ويقدم على عظائم الأمور، بثبات وعزم، ويقين.

أما دعوى أن الإيمان بالقدر يدعو إلى الكسل، والتواكل في حياة المسلمين، فهذا مما روجه ويروجه الملحدون، فهم يقولون إن عقيدة القدر، تدعو الإنسان إلى التعلل بالمكتوب، فيكسل ولا يقوم بالواجب الملقى عليه، ويضربون مثلاً لذلك بواقع الأمة الإسلامية المتخلف، والحقيقة أن واقع الأمة الإسلامية المتردي، إنما نشأ ووجد لأسباب عديدة داخلية وخارجية، ومن الأسباب الداخلية: جهل المسلمين بحقيقة الإسلام، وعدم تفاعلهم معه التفاعل الإيماني الصادق الذي غير واقع الأرض أول مرة.

ومن جوانب الجهل بحقيقة الإيمان والإسلام: الجهل بعقيدة القضاء والقدر، وذلك حين فهموا أن معنى القدر التسليم لما يقدره الله بالقعود عن تغيير ما أصاب الإنسان من فقر أو مرض أو جهل، لأن كل ذلك مقدر من عند الله، فلا ينبغي مقاومته، وإنما يجب الاستسلام له وفقط.

وكذلك حين فهموا أنه لا حاجة إلى الكد والعمل في طلب الرزق، لأن الرزق يأتي صاحبه، ولا ضرورة للنشاط والحركة، وإذا وجد في المسلمين من يفهم هذا الفهم المنحرف في باب القدر والأخذ بالأسباب، فليس عيبًا في الإسلام، وإنما هو عيب المسلمين، الذين يفهمون هذا الفهم؛ لأن الكتاب

---

١) (القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة./٤٤٧-٤٤٨).

والسنة مملوءان بالأوامر والتوجيهات للإنسان أن يعمل الصالحات، ويطلب الرزق، ويعمر الكون.

وقد طبق هذه التوجيهات صحابة رسول الله ﷺ، فعملوا وكدوا وأتعبوا أنفسهم في ابتغاء مرضاة الله، فجاهدوا وصبروا وفتحوا البلاد والعباد، وأقاموا حكم الله تعالى في الأرض، وما وجد فيهم من يقعد به إيمانه عن ذلك، بل كان القدر أكبر داعٍ وأكبر عامل لهم ليقوموا بما قاموا به رضوان الله عليهم.

فالمؤمنون مأمورون بالأخذ بالأسباب مع التوكل على الله تعالى، والإيمان بأن الأسباب لا تعطي النتائج إلا بإذن الله.

٥- الجهر بالدعوة بثبات:

يقول الدكتور: عبدالرحمن بن صالح المحمود -حفظه الله-: ومن آثار الإيمان بالقدر أن الداعي إلى الله يصدع بدعوته، ويجهر بها أمام الكافرين والظالمين، لا يخاف في الله لومة لائم، يبين للناس حقيقة الإيمان، ويوضح لهم مقتضياته، وواجباتهم تجاه ربهم تبارك وتعالى.

كما يبين لهم دقائق الكفر والشرك والنفاق، ويحذرهم منها، ويكشف الباطل وزيفه، ودعاته وحماته، ويقول كلمة الحق أمام الظالمين، ويفضح ما هم فيه من كفر وظلم، وما يقومون به من إفساد وتضليل، يفعل المؤمن كل ذلك، وهو راسخ الإيمان، واثق بالله، متوكل عليه، صابر على كل ما يحصل له في سبيله، لأنه موقن أن الآجال بيد الله وحده، وأن الأرزاق عنده وحده، وأن العبيد لا يملكون من ذلك شيئًا مهمًا وجد لهم من قوة وأعوان.

إن المؤمن الصادق لا يذل إلا لله، ولا يخضع إلا له، ولا يخاف إلا منه، وحين يكون كذلك تجده يسلك الطريق المستقيم، ويثبت عليه، ويدعو إليه، ويصبر على ما يلقاه في سبيل الدعوة من عداء المعتدين، وحرب الظالمين، ومكر الماكرين، ولا يصده شيء من ذلك؛ لأن هؤلاء لا يملكون من أمر الحياة ولا أمر الأرزاق شيئًا، وإذا كان الأمر هكذا، فكيف يبقى في نفس المؤمن الداعية ذرة من خوف وهو يؤمن بقضاء الله وقدره؟! فما قدر سيكون، وما لم يقدر لن يكون، وهذا كله مرجعه إلى الله، والعباد لا يملكون من ذلك شيئًا[1] اهـ.

٦- القناعة بحكمة الله تعالى:

يقول الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد -حفظه الله-: الإيمان بالقدر على وجه الحقيقة يكشف للإنسان حكمة الله ﷻ فيما يقدره من خير أو شر. فيعرف الإنسان بذلك أن وراء تفكيره وتخيلاته، من هو أعظم وأعلم ولهذا كثيرًا ما يقع الشيء فنكرهه وهو خير لنا.

فكم من الناس من يندم ويتحسر إذا فاته موعد إقلاع الطائرة مثلاً، وما هي إلا مدة يسيرة ثم يعلن بعدها عن سقوط الطائرة، ووفاة جميع ركابها، وكم من الناس من يتبرم ويضيق صدره لفوات محبوب أو نزول مكروب، وما أن ينكشف الأمر ويستبين سر القدر إلا وتجده جذلاً مسرورًا؛ لأن العاقبة كانت حميدة بالنسبة له، وصدق الله تعالى إذ يقول:

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[2].

---

١) (القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة.../٤٥٧-٤٥٨).
٢) البقرة: ٢١٦.

وما أجمل قول من قال:

كم من نعمة لا تستقل بشكرها ... لله في طيِّ المكاره كامنة

وقول الآخر:

تجري الأمور على حكم القضاء وفي ... طيّ الحوادث محبوب ومكروه
وربما سرني ما كنت أحذره ... وربما ساءني ما كنت أرجوه[1]

اهـ

وكذلك إذا نظر العبد إلى الأمم جميعًا، إنسها وجنها، وجميع ما خُلق على ظهر تلك الأرض من حيوانات وكائنات ونباتات، وبرها وبحرها، وكذلك السماوات السبع بما فيهن، وجميع ما خلق الله في العوالم العلوية.

إذا نظر العبد إلى هذا الملكوت الفسيح الهائل بما يحويه، وتفكر في ذلك تفكر الباحث عن الهداية الكاملة، علم تمام العلم أن ذلك كله بقدر الله وقدرته ومشيئته، فيتبين له عندئذٍ حكمة الله تبارك وتعالى، التي يستحيل أن يحيط بها مخلوق، وأن هذا القدر فعلاً سرًا من أسرار الباري جل اسمه، ولم يطلع على سره أحد من خلقه كائنًا من كان.

وإن المتفكر في ذلك الأمر يعلم يقينًا، أن ذلك لحكمة يعلمها تعالى، فلا يجوز لبشر أن ينقّر في هذا الأمر، وليدعه مسلّمًا بأن وراء ذلك حكمة عالية، لله جل وعلا وليقنع بهذا، ويعلم أن في هذا المنهج السلامة دنيا وآخرة.

---

١) (الإيمان بالقضاء والقدر/٢٩)، وانظر هذه الفائدة بالتفصيل في (شفاء العليل/٢/٥٣٧-٥٧٥).

٧- عزة النفس والقناعة:

"فالمؤمن بالقدر يعلم أن رزقه مكتوب، وأنه لن يموت حتى يستوفى رزقه، ويدرك أن الله كافيه وحسبه ورازقه، وأن العباد مهما حاولوا إيصال الرزق له، أو منعه عنه فلن يستطيعوا إلا بشيء قد كتبه الله.

فينبعث بذلك إلى القناعة وعزة النفس، والإجمال في الطلب، وترك التكالب على الدنيا، والتحرر من رق المخلوقين، وقطع الطمع مما في أيديهم، والتوجه بالقلب إلى رب العالمين، وهذا أس فلاحه ورأس نجاحه.

ومن جميل ما يذكر في هذا المعنى ما ينسب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ قوله:

أفادتني القناعة كل عزٍّ ... وهل عزٌّ أعزُّ من القناعة
فصيرها لنفسك رأس مالٍ ... وصير بعدها التقوى بضاعة
تحز ربحًا وتغني عن بخيل ... وتنعم في الجنان بصبر ساعة

ومن ذلك قول الشافعي -رحمه الله-:

رأيت القناعة كنز الغني ... فصرت بأذيالها ممتسك
فلا ذا يراني على بابه ... ولا ذا يراني به منهمك
وصرت غنيًا بلا درهم ... أمرُّ على الناس شبه الملك[1]

اهـ.

---

١) (الإيمان بالقضاء والقدر/٣٠).

عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن روح القدس نفث في روعي، أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل أجلها، وتستوعب رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلب بمعصية الله، فإن الله تعالى لا يُنال ما عنده إلا بطاعته»**[1].

وفي هذا الحديث فوائد عظيمة، يقطفها المسلم ويعمل بها إذا آمن بالقدر على الوجه الصحيح ومنها:

- بعث الاطمئنان في قلب العبد المسلم إذا ما علم أن رزقه قد قدر وكتب وأنه لن يموت حتى يستوفي هذا المقدر.

- تقوى الله، ما دام أن كل شيء بيده.

- عدم التكالب والشره على الدنيا، ويكفيه الأخذ بأسباب الرزق بكل اطمئنان ووثوق بما عند الله لا بالأسباب.

- البعد عن المعاصي والآثام، وغير ذلك من الفوائد.

٨- محبة الله تعالى والرضا به والذل والانكسار بين يديه:

إن العبد المسلم عندما ينظر إلى جميع النعم التي يتمتع ويتلذذ بها مثل نعمة الإسلام العظمى وكفى بها نعمة، بجوار النعم الأخرى التي لا يحصيها إلا الله مثل السمع والبصر والصحة والعافية في بدنه، والمال، والأولاد، والأمن، والقناعة، والرضى، والسعادة...إلخ.

---

١) صحيح: صححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٠٨٥) والمشكاة رقم (٥٣٠٠).

عندما ينظر المسلم إلى هذه النعم يعلم أن مسديها ومقدرها ومريدها له هو الله تبارك وتعالى. فيورث ذلك له محبةً لله تعالى، ورضى به، كيف لا وهو يتمرغ في نعمه ليل نهار.

ولو أن إنسانًا أسدى إليك معروفًا، لصرت رهين هذا المعروف، وكلما قابلته هششت له وبششت، وما استطعت يومًا أن تقف في وجهه مهما كان، لأنه أسَرَك بمعروفه وإحسانه، وستظل معترفًا له بجميله ما حييت، هذا إن كنت كريمًا؛ لأن اللئيم لا يجدي معه شيء، ولو أحسنت إليه بملء الأرض مالاً وخُلُقًا...إلخ.

ولله المثل الأعلى، فلو كان هذا حال المسلم الكريم مع العبد مثله الذي أحسن إليه هذا الإحسان القاصر، فما هو القول تجاه المنعم المعطي الكريم الجواد على الإطلاق؟

إنه مما لا شك فيه، أن هذا العطاء والإحسان وسائر منازل الرحمة منه تعالى على عباده، يورث عند العبد المسلم، الحب، والخضوع، والذل، والانكسار، والخشوع، والتواضع وغير ذلك كثير، لأنه يعلم تمام العلم، أن هذه النعم التي لا يحصيها مخلوق، لا تكون إلا من الله المستحق لجميع أنواع العبادة.

إذًا، هذه العطايا المقدرة منه سبحانه تورث هذه المنازل التعبدية، التي يترقى فيها العبد، كلما رسخ إيمانه في باب القدر.

٩- مدافعة القدر بالقدر:

ومن آثار الإيمان بالقدر "مدافعة القدر بالقدر".

قال عبدالقادر الجيلاني: كثير من الرجال إذا وصلوا إلى القضاء والقدر أمسكوا، وأنا انفتحت لي روزنة، فنازعت أقدار الحق بالحق للحق، فمدافعة القدر بالقدر، كمدافعة قدر المرض بالرقى والتعوذات وسائر أنواع العلاجات.

فلو استسلم العبد للمرض حتى يهلكه بحجة أنه من قدر الله لكان مخالفًا لأمر الشرع مضيعًا للواجب عليه.

ومن رَدِّ القدر بالقدر، الدعاء بحصول المحبوب ودفع المكروه، وكذلك مدافعة قدر الجوع بالأكل، والعطش بالشرب، وقدر البرد بالملابس.

قيل: يا رسول الله، أرأيت أدوية تتداوى بها، ورقى نسترقي بها، وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئًا؟ قال: «هي من قدر الله»[١].

ولما أشرف الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ على مشارف الشام، وعلم بنزول الطاعون، وهَمَّ بالرجوع، قال له أبو عبيدة ابن الجراح ﷺ: أفرار من قدر الله يا أمير المؤمنين؟ فقال ﷺ: لو كان غيرك قالها يا أبا عبيدة؟ نعم، نفر من قدر الله، ونقع في قدر الله. ثم قال عمر ﷺ ما معناه: لو كان عندك غنم أو إبل، وأمامك أرض مجدبة، وأخر مخصبة، فإذا نزلت بالمجدبة أو المخصبة أو تحولت من المجدبة إلى المخصبة، فكل ذلك بقدر الله"[٢].

---

١) صحيح: أخرجه الترمذي في كتاب الطب وقال: هذا حديث حسن صحيح.
٢) (طريق السعادة/١٥٩).

١٠- الثقة بالله تعالى:

لأن المسلم يعلم أن الأمر كله بيد الله تعالى، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن الله ﷻ إن قدر للعبد شيئًا لا بد أن يصل إليه.

وهذه العقيدة الصحيحة في باب القدر هي التي تجعل العبد يثق فيما عند الله تعالى، أكثر من ثقته مما بين يديه، فهو يعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوه بشيء ما نفعوه إلا بشيء قد كتبه الله وقدّره، ويعلم أنها كذلك إن اجتمعت على أن تضرّه بشيء ما ضرّته إلا بما قدّره الله عليه، ويعلم أن الأقلام والصحف رفعت وجفت بما قدره الله تعالى فيها، فلا زيادة ولا نقصان.

فإن أطاع مولاه، رجاه، ووثق تمامًا أن الله قدر له الحسنة وعشر أمثالها إن أطاع أمره، وهذه الثقة تأخذ بيد العبد إلى ما فيه نجاته بإذن الله تبارك وتعالى، لأنه يثق تمامًا بأن الله لا يخلف وعده، ولا يرد قدره، فهو تعالى إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون وفي ذلك حث للعباد على الطاعة.

وكذلك إذا عصى العبد، وثق تمامًا أن الله أوجد نارًا وقدر أنها عقابٌ يعاقب بها العصاة، فإذا ما علم ذلك، انزجر وتاب وأناب، وعلم أن الله قدر القبول لمن رجع إليه.

وكذلك يأخذ بالأسباب وهو يثق بمسبب الأسباب لا الأسباب، فيطمئن قلبه بما عند الله، ويعلم أن كل شيء بقدر، بل يمضي في جميع أموره، دنيا وآخرة، وهو واثق أن الله معه، يراه، ويسمعه، ويحيط بكل أمر يخصه، فيصبح

عند ذلك، قوي القلب بالله، ثابت الجأش، شديد البأس، ولا يعرف اليأس، كل ذلك بثقته بمولاه.

وفرق كبير بين من يعيش وهذا حاله، وبين من يعيش وهو مرتاب في كل شيء، ولا يعرف لهذه الثقة بأقدار الله طعمًا، وما ذاق لذة الاستشعار بمعية الله عند القرب منه بطاعته.

١١- القضاء على كثير من الأمراض:

إن الإيمان بالقضاء والقدر يقضي على كثير من الأمراض المزمنة التي تفشت في المجتمع المسلم، فالإيمان بالقدر يعالج كثيرًا من الأمراض البدنية، كالجنون الطارئ على العاقل من جراء كارثة لم يتحملها عقله فطاش بها، فإذا ما علم أن هذا قدر الله، لا راد له، وآمن بذلك، حفظ على نفسه عقله.

والقدر، المؤمن به، يحمي نفسه من الاكتئاب من جراء مرض أو مصيبة وقعت، فيعلم أن هذا قدر الله الذي آمن به، ويقتلع بذلك هذا الاكتئاب من قلبه.

بل إن الاكتئاب والتدهور النفسي يضعف جهاز المناعة في الإنسان فيسبب له أمراضًا إضافية، أو يضاعف المرض الذي يشتكي منه، والإيمان بالقدر نعرف أهميته جميعًا، إذا ما علمنا أن هناك من الأمراض ما ليس لها علاج إلا رفع معنويات المريض. وإن أحذق الناس عقلاً وفكرًا، لا يجد ما يرفع به معنويات المريض أفضل من الكلام حول القضاء والقدر بشتى العبارات الإيمانية الرائعة المتضمنة لمنهج الإيمان بالقدر. وبذلك نعلم أن هناك من الأمراض ما لا يعالجها علاجًا ناجعًا مثل الإيمان بالقدر. هذا في علاج الأمراض العضوية.

أما علاج الأمراض الخاصة بتقصير المرء في حق ربه فكثيرة أيضًا، كالحقد مثلاً والحسد، فإذا ما علم هذا المبتلى بهذا الداء الخطير أن النعم التي يحسد أخاه المسلم عليها هي من عند الله، وأنه بحسده وحقده ذلك إنما يعترض على قدر الله وحكمته، فإذا ما علم ذلك، كف عن هذا الحسد والحقد، وعالج قلبه بعقيدة الإيمان بالقدر الذي هو من عند الله.

وكذلك الإيمان بالقدر يعالج مرض التسخط على المصائب والجزع والهلع من الفقر وغيره، فإذا ما علم المسلم أن ذلك بقدر الله، سكن فؤاده، ورجع إلى رشده، وأيقن أن ذلك ربما كان بسبب ذنبه، أو ابتلاء من ربه ليمحّصه ويقوي عزمه، إلى غير ذلك من الاحتمالات التي يمليها عليه إيمانه بالقدر. وغير ذلك من الأمراض كثير يعالجها الإيمان بالقدر.

١٢- علو الهمة:

نعم، إن الذي يؤمن بالقضاء والقدر عالي الهمة في كل شيء يقربه إلى الله، ويبعده عن آفات الخور والانهزام.

فمثلاً، هذا الواقع الذي نحياه كمسلمين، لا يرضي الله، ولا يرضي أحدًا ممن ينتسب إلى هذا الدين.

فغياب تحكيم شرع الله في دنيا المسلمين، إلا من رحم الله، وانتشار الفواحش، بصورة تدعو إلى الذعر، والاستهانة بالمعاصي مهما عظمت، إلى غير ذلك من صور الانحلال التي تعج بها ديار المسلمين إلا من رحم الله وقليل ما هم.

فيجد صاحب المنهج المستقيم نفسه في حيرة من هذا الوضع المزري، أيأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ولا يخاف في الله لومة لائم، وهو يعرف تبعات هذا الأمر؟ أم يرضى بالدون؟! انهزامية وسفول، ورضى بالدعة والراحة، طلبًا للسلامة.

عند ذلك، يجد العبد الذي آمن بالقدر على الوجه الصحيح، يصحح له القدر، هذا المفهوم، فيعلمه أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن من لم يمت بالسيف مات بغيره، وأنها موتة واحدة فلتكن في سبيل الله، فلمَ الخوف، والتقاعس وقد قال تعالى: ﴿ قُلْ لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[١]. وسيعلي إيمانه بالقدر همته، فلا ضير فيما يأتي، ما دمت أنني على الصراط المستقيم، وقد قدر كل شيء ونفذ الأمر به، وتجده عالي الهمة، في الصبر والاحتساب، في قوة العزيمة ومجاهدة هوى النفس، وفي طلب العلم، والسعي على الرزق، والسير في مناكب الأرض، والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس والولد، والجاه...إلخ، وتجده عالي الهمة في أمور دينه ودنياه، يحتم ذلك عليه إيمانه بالقضاء والقدر على الوجه الصحيح.

١٣- الخلاص من الشرك[٢]:

لقد زعم كثير من الفلاسفة أن الخير من الله، وأن الشر من صنع آلهة من دونه، وإنما قالوا هذا القول فرارًا من نسبة الشر إلى الله تعالى.

---

١) آل عمران: ١٥٤.
٢) (القضاء والقدر/١٠٩، ١١٠) للأشقر.

والمجوس زعموا أن النور خالق الخير، والظلمة خالقة الشر، والذين زعموا من هذه الأمة أن الله لم يخلق أفعال العباد، أو لم يخلق الضال منها أثبتوا خالقين من دون الله، ولا يتم توحيد الله إلا لمن أقرّ أن الله وحده الخالق لكل شيء في الكون، وأن إرادته ماضية في خلقه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فكل المكذبين بالقدر لم يوحدوا ربهم، ولم يعرفوه حق معرفته، والإيمان بالقدر مفرق طريق بين التوحيد والشرك.

فالمؤمن بالقدر يقرُّ بأن هذا الكون وما فيه صادر من إله واحد ومعبود واحد، ومن لم يؤمن هذا الإيمان، فإنه يجعل من دون الله آلهةً وأربابًا.

١٤- الحذر الدائم[١]:

المؤمن بالقدر دائمًا على حذر قال تعالى: ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[٢]، فقلوب العباد دائمة التقلب والتغير، والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

والفتن التي توجه سهامها إلى القلوب كثيرة، والمؤمن يحذر دائمًا أن يأتيه ما يضله، كما يخشى أن يختم له بخاتمة سيئة. وهذا لا يدفعه إلى التكاسل والخمول، بل يدفعه إلى المجاهدة الدائبة للاستقامة، والإكثار من الصالحات، ومجانبة المعاصي والموبقات. كما يبقى قلب العبد معلقًا بخالقه، يدعوه ويرجوه، ويستعينه، ويسأله الثبات على الحق، كما يسأله الرشد والسداد.

---

١) (القضاء والقدر/ ١١١).
٢) الأعراف: ٩٩.

١٥- الاستقامة على منهج سواء في السراء والضراء[١]:

العباد بما فيهم من قصور وضعف، لا يستقيمون على منهج سواء، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾[٢].

والإيمان بالقدر يجعل الإنسان يمضي في حياته على منهج سواء، لا تبطره النعمة، ولا تيئسه المصيبة، فهو يعلم أن كل ما أصابه من نعم وحسنات من الله، لا بذكائه وحسن تدبيره ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾[٣].

ولا يكون حاله حال قارون الذي بغى على قومه، واستطال عليهم بما أعطاه الله من كنوز وأموال، قال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ * وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[٤].

---

١) (القضاء والقدر/١١٠، ١١١).
٢) المعارج: ١٩.
٣) النحل: ٥٣.
٤) القصص: ٧٦-٧٨.

فإذا أصاب العبد الضراء والبلاء علم أن هذا بتقدير الله ابتلاءً منه، فلا يجزع ولا ييأس، بل يحتسب ويصبر، فيسكب هذا الإيمان في قلب العبد المؤمن الرضا والطمأنينة، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۞ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾(1)،

وقد امتدح الله عباده:

﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۞ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾(2).

وصلى اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم، تسليمًا كثيرًا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

وكانت المراجعة النهائية يوم الاثنين: ٥/ ١/ ١٤٢٦هـ
١٣/ ٢/ ٢٠٠٥م

١) الحديد: ٢٢.
٢) البقرة: ١٥٦.

المراجع

المراجع

١- مفاهيم تربوية، محمد عبدالله الخطيب، دار المنار الحديثة، مصر، ط١، ١٩٨٨م، ١٤٠٩هـ.

٢- ركائز الدعوة، د: مجدي الهلالي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط٢، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٣- مستدرك الحاكم، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٤- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للعلامة علاء الدين المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري، ضبطه وفسر غريبه الشيخ بكري حيّاني، وصححه ووضع فهارسه ومفتاحه الشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

٥- السنن الكبرى للبيهقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي، إشراف د. سمير طه المجذوب، إعداد حسن الطويل، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٨- صحيح مسلم وشرحه للنووي، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٩- الإكليل في شرح منار السبيل، وحيد بن عبدالسلام بالي، مكتبة الصحابة، الإمارات، الشارقة، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

١٠- سنن أبي داود وشرحه عون المعبود، دار الكتب العلمية، بيروت.
١١- صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
١٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
١٣- لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٥م.
١٤- القاموس المحيط، العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط٦، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
١٥- العقيدة الإسلامية، عبدالله بن عبدالعزيز بن جبرين. مذكرة
١٦- العقيدة الصحيحة ونواقض الإسلام، عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، دار ابن خزيمة، ١٤١٤هـ.
١٧- المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة، دار إبراهيم بن محمد البريكان، دار السنة، الخُبر، ط٥، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
١٨- عقيدة المؤمن، أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٣، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

١٩- الإيمان والحياة، الدكتور يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٥، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

٢٠- طريق السعادة، أحمد فريد، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٢١- الإيمان وأركانه، حقيقته، نواقضه، الدكتور محمد نعيم ياسين، دار الندوة الجديدة، بيروت لبنان، بدون ذكر الطبعة.

٢٢- تفسير ابن كثير، قدم له الدكتور يوسف عبدالرحمن المرعشلي، دار المعرفة، ط١٠، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٢٣- معارج القبول، حافظ بن أحمد الحكمي، ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه، عمر بن محمود أبو عمر، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م دار ابن القيم الدمام.

٢٤- صحيح البخاري وشرحه فتح الباري لابن حجر، عن الطبعة التي حقق أصلها عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، ورقم كتبها وأبوابها وأحاديثها محمد فؤاد عبدالباقي، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٢٥- سنن ابن ماجه مع حاشية السندي، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٢٦- إرواء الغليل، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت ط٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٢٧- صحيح سنن ابن ماجه، للألباني، مكتبة المعارف الرياض، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٢٨- الكنز الثمين مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، إعداد وترتيب أبو أنس علي بن حسين أبو لوز، مكتبة الصقر، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.

٢٩- القول السديد شرح كتاب التوحيد، عبدالرحمن ناصر السعدي، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.

٣٠- القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، اعتنى به، الدكتور سليمان بن عبدالله بن حمود أبا الخليل والدكتور خالد بن علي بن محمد المشيقح، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.

٣١- الثمرات الزكية في العقائد السلفية، أحمد فريد، مكتبة التوعية الإسلامية لإحياء التراث الإسلامي، ط١، ١٤٠٩هـ.

٣٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق محمد زهري النجار، دار المؤيد والرسالة، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٣٣- شرح العقيدة الطحاوية، الإمام القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٣٤- شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح العثيمين، إعداد فهد بن ناصر إبراهيم السليمان، دار الثريا، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٣٥- مدارج السالكين لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
٣٦- تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٣٧- مباحث العقيدة في سورة الزمر، ناصر بن علي عايض حسن الشيخ، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٣٨- مفتاح دار السعادة لابن القيم، اعتنى به علي بن حسن بن علي بن عبدالحميد الحلبي الأثري، راجعه الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد دار ابن عفان، الخُبر، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
٣٩- شرح السنة للبغوي، تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
٤٠- الزلزال الكوني الأعظم، والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، الدكتور عبدالعليم عبدالرحمن خضر، الدار السعودية، جدة، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٤١- المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم، الدكتور عبدالعليم عبدالرحمن خضر، الدار السعودية، جدة، ط٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٤٢- سنن الترمذي وشرحها تحفة الأحوذي، للإمام الحافظ أبي العلاء محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٠م.
٤٣- جامع العلوم والحكم لابن رجب، تحقيق شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٤٤- الفوائد، لابن القيم، تحقيق وتعليق، عامر بن علي ياسين دار ابن خزيمة، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٤٥- الفتاوى السعدية، عبدالرحمن الناصر السعدي، مكتبة المعارف، الرياض، ط٢، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٤٦- اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، تحقيق ناصر عبدالكريم العقل، دار العاصمة الرياض، ط٦، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٤٧- نحلة تسبح الله، لمحمد حسن حمصي، دار الرشيد دمشق، ط٣، ١٩٧٧م.

٤٨- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٦م.

٤٩- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٨، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٥٠- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني رسالة ضمن الجامع الفريد، دار الأصفهاني للطباعة، جدة.

٥١- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب النجدي الحنبلي، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، مكتبة المؤيد ومكتبة دار البيان، دمشق، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٥٢- السنة، لابن أبي عاصم، ومعه في ظلال الجنة، للألباني المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٥٣- المعجزة القرآنية، الإعجاز العلمي والغيبي، الدكتور محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٥٤- تأملات ابن القيم في الأنفس والآفاق، دار الهدى، الرياض، ط٣، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٥٥- توحيد الألوهية، محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.
٥٦- كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب النجدي الحنبلي، تحقيق بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد ومكتبة دار البيان، دمشق، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
٥٧- طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيم، تحقيق، بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
٥٨- القواعد الحسان لتفسير القرآن، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى بها، عبدالله بن محمد النجدي، دار الصميعي، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٥٩- لا إله إلا الله، معناها، أركانها، فضائلها، شروطها، محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.

٦٠- لا إله إلا الله كلمة النجاة، الدكتور، ياسر برهامي، دار المروة، الإسكندرية، ط٢، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٦١- مختصر معارج القبول، اختصره سعد بن محمد القحطاني، مركز الدراسات والإعلام دار إشبيليا، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٦٢- تيسير ذي الجلال والإكرام بشرح نواقض الإسلام، إعداد سعد بن محمد القحطاني، دار إشبيليا، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٦٣- خطرات ونظرات، دار الهدى للنشر والتوزيع، الرياض، عبدالله بن حمد الشبانة، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٦٤- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد القاسم/ الرياض، ط١، ١٣٨١هـ.

٦٥- العلم يدعو للإيمان، كرسي موريسون، ترجمة محمود صالح الفلكي، دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

٦٦- عبودية الكائنات لرب العالمين، فريد سعيد التوني، مكتبة الضياء، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٦٧- السنن الكبرى للنسائي، تحقيق الدكتور عبدالغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٦٨- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، أو الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٨هـ -١٩٩٧م.

٦٩- آداب الزفاف في السنة المطهرة، الألباني، دار ابن حزم ط٣، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٧٠- إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله أو صدق الكهنة والعرافين، عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، دار القاسم، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٧١- إغاثة اللهفان، لابن القيم، تحقيق حسان عبدالمنان، عصام فارسي الحرستاني، الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٧٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أشرف على تحقيقه الشيخ شعيب الأرناؤوط وحققه مجموعة من المشايخ، الرسالة، بيروت ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٧٣- مسند الحميدي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٧٤- التبرك أنواعه وأحكامه، الدكتور ناصر بن عبدالرحمن بن محمد الجديع مكتبة الرشد، الرياض، ط٤، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٧٥- فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد، حامد بن محمد بن حسن بن محسن، تحقيق بكر بن عبدالله أبو زيد، دار المؤيد، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٧٦- عقيدة السلف وأصحاب الحديث، الإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني، دار العاصمة الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.

٧٧- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم، الإمام الحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطربي اللالكائي، تحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان، ط٢، ١٤١١هـ.

٧٨- وسطية أهل السنة بين الفرق، د/محمد باكريم محمد باعبدالله، دار الراية، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٧٩- طوق النجاة، د/مجدي الهلالي، دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة، ط٨، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٨٠- الحياة الطيبة د/عبدالحميد هنداوي، مكتبة الصحافة الشارقة، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٨١- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط١٧، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٨٢- تهذيب مدارج السالكين، لابن القيم، هذبه عبدالمنعم صالح العلي العزي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط٦، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٨٣- الداء والدواء، لابن القيم، تحقيق عامر بن علي ياسين، دار ابن خزيمة، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٨٤- ترطيب الأفواه بذكر من يظلهم الله، د/سيد بن حسين العفاني، مكتبة معاذ بن جبل القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٨٥- ذم الهوى، ابن الجوزي، تحقيق مصطفى عبدالواحد، دار الكتب الإسلامية.
٨٦- العبودية، ابن تيمية، تحقيق علي حسن عبدالحميد، دار الأصالة، الإسماعيلية، ط٣، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
٨٧- العبادة في الإسلام، د/يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢٣، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
٨٨- صلاح الأمة في علو الهمة، د/سيد حسين العفاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
٨٩- مواقف ذات عبر، د/عمر سليمان الأشقر، دار النفائس الكويت، النقرة، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٩٠- العبادات القلبية وأثرها في حياة المؤمنين. محمد حسن عقيل، دار المجتمع.
٩١- حقيقة التوحيد، محمد حسان، دار نور الإسلام، المنصورة، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٥م.
٩٢- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، جمع وإشراف د/محمد بن سعد الشويعر، دار القاسم الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.
٩٣- الحكم بما أنزل الله، د/عبدالعظيم فودة، دار الصحوة للنشر، المنيل القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٩٤- المجتمع العاري بالوثائق والأرقام، من رسائل جمعية الإصلاح والتوجيه الاجتماعي الإمارات، دار الفتح، بيشاور، باكستان، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٩٥- السقوط من الداخل، د/ محمد بن سعود البشر، دار العاصمة الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.

٩٦- واجبات الشاب المسلم، د/مجدي الهلالي، دار التوزيع والنشر الإسلامي، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٩٧- اليوم الآخر، القيامة الكبرى، د/عمر سليمان الأشقر، دار النفائس عمان، ط٨، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٩٨- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، دار الحميضي، الرياض، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٩٩- أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة، د/عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، عمان، ط٣، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١٠٠-التعريفات، الشريف علي بن محمد الجرجاني، تصحيح جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

١٠١-الكليات، أبو البقاء الكفوي، تحقيق عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٢هـ.

١٠٢-معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن زكريا بن فارس دار الفكر.

١٠٣-صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة، علوي بن عبدالقادر السقاف، دار الهجرة، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

١٠٤-رسائل في العقيدة، محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
١٠٥-فتاوى الشيخ محمد صالح العثيمين، إعداد وترتيب أشرف عبدالمقصود دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٤١١هـ.
١٠٦-القواعد المُثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد صالح العثيمين، خرج أحاديثه وعلق عليها، أبو محمد أشرف بن عبدالمقصود، أضواء السلف، الرياض، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
١٠٧-شرح لمعة الاعتقاد، محمد بن صالح العثيمين، تحقيق أشرف بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، مكتبة الإمام البخاري، الإسماعيلية، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
١٠٨-شفاء العليل، ابن القيم، تحقيق، عمر بن سليمان الحفيان، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
١٠٩-منهج السلف في الأسماء والصفات، شاكر بن توفيق العاروري، رمادي للنشر، الدمام، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
١١٠-مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، اختصره محمد بن الموصلي، دار الكتب العلمية، بيروت.
١١١-العقيدة، للإمام أحمد بن حنبل برواية أبي بكر الخلال، تحقيق عبدالعزيز عز الدين السيروان، دار قتيبة، دمشق، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
١١٢-مختصر العلو للحافظ الذهبي، اختصار وتحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ.

١١٣-إثبات صفة العلو، ابن قدامة المقدسي، تحقيق بدر البدر، الدار السلفية، الكويت، ط١، ١٤٠٦هـ.
١١٤-إثبات علو الله على خلقه، أسامة القصاص، تحقيق عبدالرزاق الشايجي، ط١، ١٤٠٩هـ.
١١٥-نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد علي المريسي الجهمي العنيد، تحقيق د/رشيد بن حسن الألمعي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
١١٦-رسالة إلى أهل الثغر، الإمام أبي الحسن الأشعري، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
١١٧-معتقد الإمام أبي الحسن الأشعري ومنهجه، د/ عمر سليمان عبدالله الأشقر، دار النفائس، الأردن عمان، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
١١٨-الإبانة عن أصول الديانة، للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، الرياض، ط٣، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
١١٩-اعتقاد أئمة الحديث، للإمام أبي بكر الإسماعيلي، تحقيق محمد بن عبدالرحمن الخميس، دار العاصمة الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.
١٢٠-التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ، لابن خزيمة، تحقيق محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

١٢١-شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، د/ عبدالله الغنيمان، ط١، ١٤٠٩هـ.
١٢٢-علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين، رضا بن نعسان معطي، ط١، ١٤٠٢هـ.
١٢٣-الحيدة والاعتدال في الرد على من قال بخلق القرآن، لأبي الحسن عبدالعزيز بن يحيى بن عبدالعزيز بن مسلم بن ميمون الكناني، والمردود عليه هو عبدالرحمن بن غياث بن أبي كريمة المريسي المعتزلي، تحقيق د/ علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
١٢٤-العقيدة السلفية في كلام رب البرية، عبدالله الجديع، ط١، ١٤٠٨هـ.
١٢٥-خلق أفعال العباد، البخاري، تحقيق بدر البدر، الدار السلفية، ط١، ١٤٠٥هـ.
١٢٦-المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، جمع عبدالإله بن سلمان الأحمدي، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.
١٢٧-اجتماع الجيوش الإسلامية، ابن القيم، تحقيق د/ عواد عبدالله المعتق، مكتبة الرشد، الرياض، ط٣، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
١٢٨-رسالة في الاستواء والفوقية والحرف والصوت، لأبي محمد الجويني، ضمن مجموعة الرسائل المنبرية.

١٢٩-فضل علم السلف على علم الخلف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق يحيى الغزاوي، دار البشائر، ط١، ١٤٠٣هـ.
١٣٠-الرد على الجهمية، للإمام عثمان بن سعيد الدارمي، تخريج بدر البدر، الدار السلفية، الكويت، ط١، ١٤٠٥هـ.
١٣١-الفتوى الحموية الكبرى، ابن تيمية، المطبعة السلفية، القاهرة ط٣، ١٣٩٨هـ.
١٣٢-الرسالة التدمرية في تحقيق الإثبات لأسماء الله وصفاته لابن تيمية، المطبعة السلفية، القاهرة، ط٢.
١٣٣-إبطال التأويلات لأخبار الصفات، ابن الفراء، مكتبة دار الإمام الذهبي، تحقيق محمد النجدي، ط١، ١٤١٠هـ.
١٣٤-دلالة القرآن والأثر على رؤية الله تعالى بالبصر، عبدالعزيز بن زيد الرومي، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٥هـ.
١٣٥-الشريعة، الإمام الآجري، تحقيق عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
١٣٦-التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة، لأبي بكر محمد الآجري، تحقيق محمد غياث الجنباز، دار عالم الكتب، الرياض، ط٢، ١٤٠٦هـ.
١٣٧-الفرق بين الفرق، عبدالقاهر بن طاهر بن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
١٣٨-شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، محمد خليل هراس، تخريج علوي السقاف، دار الهجرة، الثقبة ط١.

١٣٩-فقه الأدعية والأذكار، عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، دار ابن عفان، الخُبر، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

١٤٠-العقيدة الإسلامية الميسرة وآثارها في حياة المسلم، عبدالعزيزبن فتحي بن السيد عيد ندا، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

١٤١-التوحيد وأثره في النفوس، إبراهيم الدويش، إصدار صوتي، أحد للإنتاج الإعلامي والتوزيع، بريدة.

١٤٢-النبوات، ابن تيمية، دار القلم، بيروت.

١٤٣-عالم الملائكة الأبرار، د/ عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، عمان، ط٨، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

١٤٤-ركائز الإيمان، محمد قطب، دار إشبيليا، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

١٤٥-المسكرات والمخدرات بين الشريعة والقانون، المستشار عزت حسنين، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

١٤٦-رسالة إلى أئمة المساجد. عبدالله الجارالله، دار الفتح.

١٤٧-صحيح الترغيب والترهيب، الألباني، مكتبة المعارف، الرياض ط٣، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

١٤٨-الشيعة وأهل البيت، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور باكستان، ط٣، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٤٩-أصول الفقه. عبدالوهاب خلاف.

١٥٠-البرهان في علوم القرآن، بدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة.

١٥١-لماذا أسلم هؤلاء القساوسة، الشوادفي الباز، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
١٥٢-تهذيب سيرة ابن هشام، عبدالسلام محمد هارون، مكتبة النجاح، بني سويف، ط٦، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ومكتبة السنة القاهرة.
١٥٣-الرسل والرسالات، د/ عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، عمان، ط٦، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
١٥٤-لوامع الأنوار البهية، محمد السفاريني الحنبلي، المكتب الإسلامي بيروت، ودار الخاني الرياض، ط٣، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
١٥٥-الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، طبع على نفقة حسن عباس الشربتلي، ط٢، ١٣٩٩هـ.
١٥٦-بشرية المسيح ونبوة محمد ﷺ في نصوص كتب العهدين، د/ محمد أحمد محمد عبدالقادر خليل ملكاوي، جامعة الملك سعود، كلية التربية بالرياض، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
١٥٧- هذا الحبيب محمد رسول الله يا محب، أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٥، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
١٥٨- البداية والنهاية، لابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م.
١٥٩-زاد المعاد. ابن القيم، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وعبدالقادر الأرناؤوط/ الرسالة ط٣، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

١٦٠-محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان مكتبة الضياء، ط١.

١٦١-بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

١٦٢-توجيهات نبوية على الطريق، د/ السيد محمد نوح، دار اليقين المنصورة، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

١٦٣-إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، محمد بن علي الشوكاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ.

١٦٤-العقيدة في ضوء الكتاب والسنة (٥)، اليوم الآخر، (١) القيامة الصغرى، الدكتور عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، عمان، ط٨، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

١٦٥-العقيدة في ضوء الكتاب والسنة (٥)، اليوم الآخر (٢)، القيامة الكبرى، الدكتور عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، عمان، ط٨، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

١٦٦-التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، محمد بن أبي بكر القرطبي، دار البخاري، المدينة المنورة، خرّج أحاديث أبو سفيان محمود بن منصور البسطويسي، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

١٦٧-يقظة أولى الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار، صديق حسن خان، دار الأنصار، القاهرة، ط١، ١٣٩٨هـ-١٩٧٩م.
١٦٨-أحكام الجنائز وبدعها، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، ط١، ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م.
١٦٩-اليوم الآخر في ظلال القرآن، جمع وإعداد أحمد فائز، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط٧، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.
١٧٠-المقدمة، لابن خلدون، مكتبة المدرسة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.
١٧١-تقريب وترتيب شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، إعداد: خالد فوزي عبدالحميد حمزة، دار التربية والتراث، مكة، مكتبة الضياء، جدة، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
١٧٢-القضاء والقدر، د/ عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الكويت، النقرة، ط٣، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
١٧٣-الإيمان بالقضاء والقدر، محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة ط١، ١٤١٥هـ.
١٧٤-القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، د/ عبدالرحمن بن صالح الحمود، دار الوطن، الرياض، ط٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
١٧٥-مع الله في صفاته وأسمائه الحسنى، حسن أيوب، دار القلم، ط٤، ١٣٩٤هـ.

١٧٦-مبادئ الإسلام، لأبي الأعلى المودودي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٥هـ.

١٧٧-التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة، عبدالرحمن بن سعدي، مع تعليق سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، تخريج الشيخ علي بن حسن بن عبدالحميد الحلبي، دار ابن القيم، ط١، ١٤٠٩هـ.

١٧٨-رسائل في العقيدة، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٠٦هـ.

١٧٩-منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، تحقيق د/ محمد رشاد سالم، ط١، ١٤٠٦هـ.

١٨٠-الاحتجاج بالقدر، لابن تيمية، نشره قصي محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ط٢، ١٣٩٩هـ.

١٨١-الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لابن تيمية، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٨هـ.

١٨٢-تقريب التدمرية، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.

١٨٣-الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، تحقيق وتعليق وتقديم، محمد عبدالقادر عطا، ومصطفى عبدالقادر عطا، دار الريان للتراث، القاهرة ط١، ١٤٠٨هـ.

١٨٤-سيرة عمر بن عبدالعزيز على ما رواه مالك بن أنس وأصحابه، أبي محمد عبدالله بن عبدالحكم، نسخها وصححها وعلق عليها أحمد عبيد، عالم الكتب، ط٦، ١٤٠٤هـ.

١٨٥-الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية، مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، تحقيق وتعليق نجم عبدالرحمن خلف، دار الفرقان، دار الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.

١٨٦-شيخ الإسلام أحمد تقي الدين ابن تيمية جهاده - دعوته - عقيدته، أحمد القطان، ومحمد الزين، مراجعة ابن باز، مكتبة السندس، ط٢، ١٤٠٩هـ.

١٨٧-دع القلق، وابدأ الحياة، ديل كارنيجي، تعريب عبدالمنعم محمد الزيادي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٠م.

١٨٨-الإيمان بالقضاء والقدر، وأثره على القلق النفسي، طريفة بنت سعود الشويعر، دار البيان العربي، ١٤٠٨هـ.

١٨٩-صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف،الرياض،١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

تم بحمد الله